تُرجمت إلى 30 لغة عالمية

مكتبة 532

ماتياس إيدفاردسون
MATTIAS EDVARDSSON

عائلة شبه طبيعية

A NEARLY NORMAL FAMILY

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عائلة شبه طبيعية

A NEARLY NORMAL FAMILY

t.me/t_pdf

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
A NEARLY NORMAL FAMILY
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من
Published by agreement with Ahlander Agency
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © Mattias Edvardsson 2018
All rights reserved
Arabic Copyright © 2018 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: كانون الأول/ديسمبر 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2704-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة
t.me/t_pdf
٢٠١٩ ١١ ١٨

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

ماتياس إيدفاردسون
MATTIAS EDVARDSSON

عائلة شبه طبيعية

A NEARLY NORMAL FAMILY

رواية

ترجمة

بسام شيحا

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

مقدمة

مكتبة
t.me/t_pdf

ها أنا قابع في هذه الزاوية... أجدني متوتراً، وعلى تأهب دائم لرد فعل على أدنى صوت يجعلني متوفزاً، الثواني بطيئة جداً، بل يبدو أنها لا تتقدم. على حد علمي، أنا هنا منذ خمس دقائق... أو لعلها ساعة.

تقع المحكمة المحلية في مركز مدينة لوند، في الزاوية المقابلة لمبنى الشرطة، على بعد رمية حجر من المحطة المركزية (محطة القطارات). أي شخص يعيش في لوند لا بد له من أن يمرَّ بجانب مبنى المحكمة بشكل روتيني، لكن معظم الناس يمضون حياتهم بأكملها دون أن تطأ أقدامهم داخل المبنى. وإلى وقت قريب جداً... هذا ما كان ينطبق عليّ أنا أيضاً.

ها أنا جالس الآن على مقعد طويل خارج قاعة المحاكمة 2، والشاشة قبالتي تُعلمني بأن محاكمةً تجري الآن في قضية قتل.

زوجتي في الداخل، على الجانب الآخر من الباب. قريبة جداً وبعيدة جداً في الوقت عينه. قبل دخولنا إلى مبنى المحكمة واجتيازنا للإجراءات الأمنية، توقفنا على السلّم وتعانقنا. شدَّت زوجتي على يديَّ بقوة لدرجة أنهما ارتجفتا وقالت لي إن الأمر لم يعد بأيدينا، وإن القرار هو الآن بأيدٍ أخرى. ولكن، كلانا نعلم أن هذا ليس صحيحاً تماماً.

يُخشخش مكبِّر الصوت فيجتاحني شعور قوي بالغثيان. أسمع اسمي. حان دوري الآن. أتمايل حين أنهض عن الأريكة ويفتح حارس أمني الباب ثم يومئ لي برأسه كي أدخل، لكن ملامحه لا تُظهر أي تعبير أو عاطفة. إذ ليس لهاتين الصفتين من أثر هنا.

قاعة المحاكمة 2 أكبر مما توقعت. أرى زوجتي وسط الحضور. يبدو عليها التعب والإرهاق. وهناك آثار دموع على وجنتيها.

وبعد وهلة، أرى ابنتي.

إنها شاحبة وأشد نحولاً مما أذكر. شعرها يبدو متشابكاً وخفيفاً، وهي تنظر إليّ بعينين كئيبتين. أكابد في منع نفسي من الركض إليها ومعانقتها والهمس لها بأن "بابا" هنا، وبأنني لن أتركها إلى أن ينتهي كل هذا.

يرحِّب القاضي الرئيس بـي، ويتولّد لديّ انطباع حسن عنه. يبدو حـاد الذهن وحساساً في الوقت نفسه. يوحي لك بأنه لطيف ومراعٍ وقيادي آمـر في آن واحد. لا أعتقد أن القضاة المساعدين يمكن أن يعارضوا حكمه حين يُصدره. علاوة على ذلك، أعلم بأنه، هو أيضاً، أب.

بما أنني أرتبط بصلة قربى من الدرجة الأولى بالمتهمة، فلا يجـوز لي الإدلاء بالقسم. أعلم بأن المحكمة ستسمع شهادتي وهي مدركة تماماً لحقيقة أن ابنتي هي المتهمة في هذه القضية. لكنني أنا أعلم أيضاً من أكون، وكذلك فأنا أعلم مكانة مهنتي، يعني أن المحكمة ستنظر إلى ما سأقوله على أنه جدير بالثقة...

يعطي القاضي الرئيس الكلمة لمحامي الدفاع. أسحبُ نَفَساً عميقاً، فما أنـا موشك على قوله سيؤثر على حيوات عديدة لسنوات كثيرة قادمـة. مـا أنـا موشك على قوله قد يقرِّر كل شيء.

لكنني لم أقرر حتى الآن ما سأقوله.

انضم إلى مكتبة .. .. اضغط اللينك

t.me/t_pdf

الأب

سيشبع الإنسان خيراً من ثمار كلماته،

وسيُجزَى بحسب أفعاله

سفر الأمثال 14:12، الكتاب المقدس القياسي الأميركي الجديد

1

كنا عائلة عادية تماماً. كانت لدينا وظائف ممتعة وحسنة الأجر ودائرة واسعة من الأصدقاء. وكنا نحافظ على نشاطنا في أوقات فراغنا بفضل اهتمامنا بالرياضة والثقافة. في أيام الجمعة كنا نأكل وجبات جاهزة ونحن نشاهد برنامج آيدول ونغفو على الأريكة قبل انتهاء التصويت. وفي أيام السبت كنا نتناول طعام الغداء في وسط المدينة أو في مركز التسوُّق. وكنا نشاهد كرة اليد أو نذهب إلى السينما، ونستمتع بزجاجة شراب مع بعض الأصدقاء المقرَّبين. وكنا نخلد إلى النوم في كل ليلة متجاورين متحاضنين. أما أيام الأحد فكنا نقضيها في الغابة أو في أحد المتاحف، ونجري مكالمات هاتفية مطوَّلة مع والدينا، أو نتكوَّر على الأريكة بصحبة رواية ما. وغالباً ما كنا نختم أمسيات الأحد بالجلوس في سريرنا تحيط بنا الأوراق والملفات والحواسيب من كل مكان، استعداداً لعمل الأسبوع القادم. كانت زوجتي قد اعتمدت أمسيات الاثنين لممارسة اليوغا، وكنت ألعب الباندي (لعبة رياضية تشبه الهوكي على الجليد) في أمسيات الخميس. كان عندنا أقساط مالية وكنا نسددها في مواعيدها، وكنا نفرز قمامتنا، ونستخدم غمّازات سياراتنا (الأنوار الوامضة)، ونلتزم بحدود السرعة، ونعيد دائماً كتب المكتبة في الوقت المحدد.

في هذه السنة، أخذنا العطلة في وقت متأخر؛ من أوائل تموز إلى منتصف آب. لقد نظَّمنا رحلاتنا الدولية في السنوات القليلة الأخيرة في موسم الشتاء - بعد عدة مواسم صيفية رائعة في إيطاليا- كي نتمكّن من تمضية الصيف بالاسترخاء في المنزل والقيام برحلات أقصر على امتداد الخط الساحلي لزيارة بعض أصدقائنا وأقربائنا. هذه المرة أيضاً، استأجرنا شاليه على جزيرة أوروست.

أمضت ستيلا صيفها بأكمله تقريباً في العمل في إتش أند إم (H&M، شركة سويدية شهيرة لبيع الملابس). كانت تدّخر النقود من أجل القيام

برحلة طويلة إلى آسيا في هذا الشتاء. لا أزال آمل بأن تتمكّن من تحقيق ذلك.

يمكنكم القول إنني وأولريكا أعدنا اكتشاف بعضنا في هذا الصيف. تبدو عبارة مكررة، بل مبتذلة، إذ لا أحد يصدِّق أنه من الممكن الوقوع في حب زوجتك مرة أخرى بعد عشرين عاماً. كأنما السنوات التي أمضيناها في رعاية طفلتنا كانت مجرد شيء إضافي في قصة حبنا. كأن هذا ما كنا ننتظره. ولكن، هذا ما نشعر به على أي حال.

تربية الأطفال عمل بدوام كامل. عندما يكونون رضعاً تنتظرهم بفارغ الصبر ليصبحوا مستقلين، وتقضي كل وقتك قلقاً من احتمال اختناقهم بشيء ما أو وقوعهم على وجوههم. وبعد ذلك تأتي فترة ما قبل المدرسة، وتشعر بالقلق لأنهم بعيدون عن ناظريك، لأنهم قد يسقطون عن أرجوحة أو يخفقون في اختبارهم التالي. وبعد ذلك تأتي المدرسة فتشعر بالقلق بشأن عدم تكيُّفهم وعدم قدرتهم على صنع الأصدقاء، والفروض المنزلية ودروس ركوب الخيل وكرة اليد وحفلات البيجاما (حفلات للأطفال والمراهقين يجلب فيها الضيف بيجامته لقضاء الليلة بعد انتهاء الحفلة). وعندما تبدأ المدرسة الثانوية يصبح هناك المزيد من الأصدقاء والحفلات والنزاعات والأحاديث مع المدّرسين، وكل ما يتطلبه ذلك من تنقُّلات بالسيارة ذهاباً وإياباً. وهناك أيضاً القلق بشأن الممنوعات، ومن إمكانية أن ينتهي بهم المطاف مع صحبة سيئة، وتنتهي سنوات المراهقة مثل مسلسل درامي بسرعة 190 كم في الساعة. ومن ثم تجد نفسك فجأةً واقفاً أمام طفل بالغ وتعتقد بأنك أخيراً ستكفُّ عن القلق.

في هذا الصيف، على الأقل، نجحنا في القيام بعدة نزهات طويلة بدون القلق بشأن ستيلا. لم يسبق أن كانت الحياة العائلية بذلك التناغم والتوافق من قبل. وبعد ذلك تغيَّر كل شيء.

ذات يوم جمعة في أواخر الصيف، بلغتْ ستيلا التاسعة عشرة من عمرها، وكنتُ قد حجزتُ طاولة لنا في مطعمنا المفضّل احتفالاً بهذه المناسبة. لطالما

كانت إيطاليا والمطبخ الإيطالي مقرَّبيْن من قلوبنا، وهناك مكان صغير في حـــي فاستر يقدِّم معكرونة وبيتزا خياليتيْن. كنت أتطلّع إلى تمضية أمسية هادئة ودافئة مع عائلتي.

قلتُ للنادلة ذات العينين الشبيهتين بعيني الغـــزال والأنـــف المثقـــوب: "*Una tavola per tre* (أي طاولة واحدة لثلاثة أشخاص باللغة الإيطاليـــة). آدم ساندل. لديّ حجز للثامنة مساء".

تلفتَّت النادلة حولها بقلق.

التفتتْ أولريكا وستيلا نحوي بينما كانت النادلة تتحدث بعصـــبيَّة مـــع زملائها –كان ذلك واضحاً من إشارات يديها وإيماءات وجهها.

تَبيَّنَ أن الشخص الذي تلقّى طلبـــي لحجز الطاولة دوَّنَ الحجز خطأ ليوم الخميس.

قالت النادلة وهي تحكُّ مؤخرة رقبتها بقلمها: "ظننا أنكم قادمون أمـــس. لكننا سنتدبر الأمر. امنحونا خمس دقائق".

بينما كان العاملون ينقلون طاولة إضافية إلى صالة الطعام، وقفتُ وأولريكا وستيلا وسط المطعم المزدحم محاولين التظاهر بأننا لا نلاحظ النظرات المنزعجـــة التي كنا نُرمَى بها من كل حدب وصوب. كنتُ على وشك التحدث بصراحة والإشارة إلى أن الخطأ لم يكن خطأنا، وإنما خطأ المطعم.

وعندما أصبحت طاولتنا جاهزة سارعتُ لإخفاء وجهي خلـــف قائمـــة المأكولات الخاصة بـــي.

قال رجل أبيض اللحية، افترضتُ أنه المالك: "أقدِّم لكم اعتذارنا وعميـــق أسفنا. لكننا سنعوِّض لكم، بالطبع. التحلية على حساب المطعم".

فقلت له: "لا عليك. لسنا إلا بشراً".

دوَّنت النادلة طلب مشروباتنا على كرّاستها.

قالت ستيلا: "كأس من الشراب الفرنسي الأحمر".

نظرت النادلة إليّ للحصول على موافقتي فالتفتُّ بـــدوري إلى أولريكـــا فقالت: "إنه يوم خاص".

عندئذ أومأتُ للنادلة بالموافقة قائلاً: "كأس من الشراب الفرنسي الأحمر لفتاة عيد الميلاد".

وبعد الوجبة، أعطت أولريكا ستيلا بطاقة تحوي تصميماً لجوزيف فرانك.

قالت ستيلا: "خارطة؟".

ابتسمتُ بمكر.

لحقنا بستيلا إلى خارج المطعم ومن ثم إلى الزاوية حيث ركنتُ هديتَها في عصر ذلك اليوم.

"ولكن، أبـي، لقد أخبرتُك... إنها باهظة الثمن!".

رفعتْ يديها إلى وجهها وهي تشهق.

كانت دراجة فيسبا وردية اللون. لقد نظرنا إلى واحدة مشابهة على الإنترنت قبل بضعة أسابيع. لا شك أنها غالية الثمن، لكنني أقنعت أولريكا في النهاية بوجوب شرائها.

هزَّت ستيلا رأسها وتنهَّدت ثم قالت: "لماذا لا تصغي إليّ أبداً يا بابا؟".

رفعتُ يداً واحدة وابتسمت لها وقلت: "'شكراً' ستكون كافية".

كنت أعلم أن ستيلا تريد النقود أكثر من أي شيء آخر، لكنني شعرت بأن إعطاء المال كهدية سيكون أمراً مملاً جداً. بوجود الفيسبا يمكنها الذهاب إلى مركز المدينة بسهولة وسرعة، أو الذهاب إلى العمل أو زيارة أصدقائها. في إيطاليا، كل مراهق ومراهقة يقود دراجة فيسبا.

عانقتنا ستيلا وشكرتنا عدة مرات قبل أن نعود أدراجنا إلى المطعم، غير أنني شعرت، في داخلي، بشيء من خيبة الأمل.

جلبت النادلة تحليتنا المجانية، وكانت عبارة عن قطعة من التيراميسو. ومع أننا قلنا نحن الثلاثة بأننا غير قادرين على تناول لقمة أخرى، إلا أننا التهمناها كلها.

شربتُ الليمونسيلو مع قهوتي.

قالت ستيلا وهي تتململ في كرسيّها: "عليّ الخروج الآن".

"ليس من الآن".

نظرتُ إلى الساعة. كانت التاسعة والنصف.

زمَّتْ ستيلا شفتيها بينما كانت تهز نفسها إلى الأمام وإلى الخلف على كرسيها.

ثم قالت: "لن أبقى طويلاً. عشر دقائق فقط".

قلت لها: "إنه عيد ميلادك والمحل لن يفتح قبل العاشرة صباح غد".

سحبتْ ستيلا نَفَساً عميقاً ثم قالت: "لن أعمل غداً".

لن تعمل؟ كانت تعمل كل يوم سبت. وبهذه الطريقة تمكّنتْ من تثبيت نفسها في شركة إتش آند إم. عملٌ في عطلة نهاية الأسبوع تحوَّلَ إلى عمل صيفي ومزيد من الساعات.

قالت بشكل مراوغ: "انتابني صداع طوال فترة بعد الظهر. إنها *الشقيقة*".

"حسنا فقد اتصلتِ بالمحل لإبلاغهم بأنك مريضة؟".

أومأت ستيلا برأسها دلالةً على أنها فعلت ذلك، ثم قالت لي إنه ليست هناك أية مشكلة لأن فتاة أخرى أبدتْ سعادتها للحلول محلها.

قلتُ بينما كانت ستيلا تنهض وتأخذ جاكيتتها من ظهر كرسيها: "لم نُرَبِّكِ على هذا النحو".

قالت أولريكا: "آدم".

"ولكن، لم هذه العجلة؟"

رفعتْ ستيلا كتفيها وقالت: "لديّ خطط مع أمينة".

هززتُ برأسي مبتلعاً امتعاضي. افترضتُ بأن هذا هو حال شبّان التاسعة عشرة من العمر وحسب.

عانقتْ ستيلا أمها عناقاً طويلاً وحارّاً. وقبل أن أتمكّن من النهوض تماماً ألقتْ ستيلا ذراعيها حولي وكان عناقنا مُربَكاً ومتصلّباً.

قلت لها: "وماذا بشأن الفيسبا؟"

نظرتْ ستيلا إلى أولريكا.

فقالت زوجتي: "سنوصلها إلى المنزل".

بعد خروج ستيلا من الباب، مسحت أولريكا شفتيها بمنديلها على مهل ثم

ابتسمت لي وقالت: "تسعة عشر عاماً. كيف مضت بهذه السرعة؟"

كنتُ وأولريكا منهكيْن تماماً حين وصلنا إلى المنزل في تلك الليلة. جلس كل منا على زاويته من الأريكة وقرأنا على أنغام ليونارد كوهين الشاعرية.

قلت لها: "ما زلت أعتقد أنه كان بوسعها إظهار قدر أكبر من التقدير. وخصوصاً بعد تلك الحادثة مع السيارة".

الحادثة مع السيارة -لقد أصبح لديها اسم فوراً.

لم تُبدِ أولريكا أي اهتمام بالأمر، بل إنها لم ترفع عينيها عن الكتاب. في الخارج، كانت الرياح تتسارعٍ ما جعل الجدران تصرٌّ. كان الصيف يصدر تنهيدة عميقة -لقد انتهى آب عملياً. لكنني لم أكن أبالي إذ لطالما أحببت الخريف. إنه يمنحني ذلك الشعور ببداية جديدة، مثل المرحلة الأولى من حب جديد.

حين وضعتُ روايتي جانباً بعد فترة قصيرة، وجدت أولريكا غافية، فرفعتُ رأسها برفق ووضعت وسادة تحته. تحرَّكتْ بقلق، ولوهلة فكَّرتُ في إيقاظها لكنني بدلاً من ذلك عدت إلى قراءتي. و لم تمضِ مدة طويلة حتى بدأت الكلمات تزداد تشوُّشاً وأفكاري تشرد بعيداً. غفوتُ وفي الصدر غصة كبيرة بسبب الهوّة التي انفتحتْ بيني وبين ستيلا، بين ما كنا عليه ذات يوم وبين ما أصبحنا عليه اليوم، بين تصوُّراتي بشأننا وبين الواقع كما بدا آنذاك.

حين استيقظتُ، رأيت ستيلا واقفةً وسط الغرفة. كانت تتمايل إلى الأمام وإلى الخلف تحت ضوء القمر الخفيف الذي كان ينير رأسها وكتفيها.

كانت أولريكا قد استيقظت أيضاً وتفرك عينيها. وبعد لحظات امتلأت الغرفة نحيباً ونشيجاً.

عدّلت في جلستي وسألت: "ما الأمر؟".

هزَّت ستيلا رأسها والدموع تنهمر من عينيها وتُبلّل وجنتيها. ضمَّتها أولريكا إلى صدرها، وحين تكيَّفتْ عيناي مع الظلام أدركتُ أن ستيلا كانت ترتعش.

لكنها رغم ذلك قالت: "لا شيء".

ثم غادرت الغرفة مع أمها وتُركتُ وحيداً برفقة شعور مزعج بالخواء.

2

كنا عائلة عادية تماماً، ومن ثم تغيَّر كل شيء.

يتطلَّب الأمر وقتاً طويلاً لبناء حياتك، وثانيةً واحدةً فقط لتنهار. تحتاج إلى سنوات طويلة، وربما إلى عقود أو حتى عمر بأكمله، لتصبح الشخص الذي يمثّل حقيقتك الفعلية. وفي معظم الحالات يكون الطريق متعرِّجاً، وأعتقد بأن هناك سبباً لذلك -كي تُبنَى الحياة على التجربة والخطأ. تجاربنا هي التي تشكّلنا.

بيد أنني أعاني من صعوبة في فهم المغزى مما حدث لعائلتنا في هذا الخريف. أعلم أنه من المستحيل فهم كل شيء، وأن هناك غاية أعظم لذلك أيضاً، لكنني ما زلت غير قادر على إيجاد المعنى الأعمق للحوادث التي وقعت خلال الأسابيع القليلة الماضية. لا يمكنني تفسيرها، لا لنفسي ولا لأي شخص آخر.

لعل هذا ما يقرّ به الجميع، ولكن لكوني قساً، فأنا أتصوَّر أنني مسؤول عن نظرتي إلى العالم أكثر من الآخرين. بصورة عامة، لا يجد الناس أية غضاضة في إثارة الشكوك حول فلسفتي للحياة، كأنْ يتساءلون إن كنتُ حقاً أؤمن بآدم وحواء وبالولادة العذرية، وبأن عيسى مشى على الماء وأعاد الموتى إلى الحياة.

في بداية حياتي المسيحية، كنت أتخذ في الغالب مواقف دفاعية وأدخل في جدل حول آراء السائل نفسه. وكنت أجادل أحياناً بالقول إن العلم ما هو إلا دين آخر بين ديانات كثيرة. وكانت لديّ شكوكي بالتأكيد، حيث كنت أجد نفسي متأرجحاً في اعتقاداتي بين حين وآخر. غير أن إيماني بات راسخاً في هذه الأيام. لقد قبلتُ نعمة الله وتركتُ وجهه تبارك وتعالى يشعُّ عليّ. الله محبة. الله توق ورجاء. الله ملاذي واطمئنان نفسي.

أحب أن أقول إنني مؤمن، ولستُ بعالم. فأنت إذا بدأتَ تعتقد بأنك *تعلم*، فعليك أن تكون حذراً. وهكذا، فأنا أنظر إلى الحياة على أنها حالة من التعلُّم المستمر.

مثل غالبيتنا الساحقة، إنني أعتبر نفسي شخصاً جيداً. يبدو هذا غروراً بالطبع، إن لم نقل تبجُّحاً وتعالياً، لكنني لا أقصد ذلك. فأنل شخص كثير العيوب، شخص ارتكب كثيرا من الأخطاء ووقع في كثير من العثرات. أنا مدرك لما أقوله، وأول من يعترف به. ما أعنيه هو أنني دائماً أتصرَّف بنوايا حسنة، بدافع الحب والاهتمام. وأريد دائماً فعل الصواب.

لم يكن الأسبوع الذي تلا عيد ميلاد ستيلا التاسع عشر مختلفاً كثيراً عن غيره من الأوقات.

يوم السبت، ركبتُ وأولريكا على دراجتينا الهوائيتين وذهبنا إلى منزل صديقين لنا في جونيسبو. انتهزتُ الفرصة لأطرح سؤالاً حذراً حول أحداث الليلة السابقة فأكّدتْ لي أولريكا بأن ستيلا لم تكن واقعة في أية مشكلة، وبأنها كانت مسألة أحد الشبان؛ ذلك النوع من الأشياء المألوفة التي تصيب فتيات التاسعة عشرة. و لم يكن هناك ما يدعوني إلى القلق.

يوم الأحد، تحدَّثتُ على الهاتف إلى والديّ. وعندما أُثير موضوع ستيلا، ذكرتُ أنها نادراً ما تكون في المنزل في تلك الأيام، فذكّرتني أمي بحالي عندما كنت مراهقاً. وأنه من السهل على المرء فقدان الموضوعية.

يوم الاثنين، كان عندي جنازة في الصباح ومعمودية في العصر. يا له من عمل غريب تتصافح فيه الحياة والموت في البهو الواحد. وفي المساء، ذهبتْ أولريكا إلى درس اليوغا وأقفلت ستيلا باب غرفتها على نفسها.

يوم الأربعاء، أجريتُ مراسم زواج جميل لثنائي مسنّ في رعيتنا تعرَّفا إلى بعضهما خلال حدادهما على شريكي حياتيهما السابقين. لحظةٌ أثّرتْ في نفسي حقاً.

يوم الخميس، لويتُ كاحلي بينما كنت ألعب الباندي. لقد داس صديقي القديم من أيام لعب كرة اليد، آندرز -يعمل رجل إطفاء الآن وأب لأربعة فتيان- بطريق الخطأ على قدمي أثناء عملية التحام. ورغم الإصابة، تمكّنت من البقاء في اللعب طوال دوري.

كنت متعباً حين قدتُ دراجتي الهوائية متجهاً إلى عملي صباح الجمعة.

وبعد الغداء دفنتُ رجلاً لم يُتح له بلوغ سن الثانية والأربعين. سرطان بـــالطبع. لم أعتد بعد على حقيقة أن أشخاصاً أصغر مني يمكن أن يموتوا. كتبـــتْ ابنتـــه قصيدة وداع لكنها لم تقدر على إكمالها من شدة حزنها وبكائها المرّ. لم أستطع منع نفسي عن التفكير في ستيلا.

مساء يوم الجمعة، شعرتُ بإنهاك غير عادي بعد أسبوع طويل. وقفتُ أمام النافذة ورحت أراقب نهاية آب وهو يغرق في الأفق. لقد وضعتْ هيبة الخريف قدمها في الباب. تبدَّد آخر دخان الشواء فوق الأسطح في أعمدةٍ ملتفّةٍ وأُزيلتْ الوسائد عن الكراسي في أفنية المنازل.

وأخيراً نزعتُ ياقتي الدينية ومسحت رقبتي المتعرِّقة. وعندما اســتندتُ إلى عتبة النافذة أوقعتُ بدون قصد صورة عائلتنا على الأرض.

رأيت كسراً في الزجاج، لكنني أعدت الصورة إلى مكانها على أي حـــال. في الصورة، التي تعود إلى عشر سنوات خلت، كان يبدو عليّ ألق الصحة مـــع شيء من المرح في عينيَّ. أتذكَّر أننا ضحكنا قبل أن يلتقط المصـــوِّر الصـــورة. أولريكا تبتسم بفم مفتوح وأمامنا ستيلا بوجنتيها الورديتين وشعرها المضـــفور وقميصها الذي يحمل صورة ميكي ماوس. وقفتُ أمام النافذة لوقت طويل وأنا أنظر إلى الصورة وأسترجع ذكرياتٍ حرَّكتْ مشاعري.

وبعد الاستحمام، أعددتُ كسرولة من السجق المتبَّل. كانت أولريكا قـــد اشترت قرطيْن جديديْن على شكل ريشتيْن فضيتيْن صغيرتيْن. شربنا زجاجة من شراب جنوب أفريقي مع الوجبة ثم ختمنا الأمسية بأعواد من البسكويت المملح ولعبة تريفيال بيرسوت على الأريكة.

سألتها بينما كنت أخلع ثيابـــي في غرفة النوم: "هل تعلمين أين ستيلا؟". كانت أولريكا قد سبقتني إلى السرير ورفعت البطانيات إلى ذقنها.

"كانت ذاهبة لترى أمينة. لم تكن متأكدة إن كانت ستعود إلى المنزل".

خرجت الجملة الأخيرة كما لو أنها مجرد تفصيل ثانوي، رغم أن أولريكـــا تعرف تماماً شعوري حيال سماعي أن ابنتنا "قد" تعود إلى المنزل في ليلة معينة.

نظرتُ إلى الساعة. الحادية عشرة والربع.

قالت أولريكا: "ستكون هنا عندما تعود إلى هنا".

نظرتُ إليها بغضب. أحياناً أعتقد أنها تقول أشياء فقط من أجل إغاظتي.

قلت: "سأرسل لها رسالة نصية".

وهكذا كتبتُ رسالة إلى ستيلا سألتها فيها إن كانت تنوي النوم في المنزل أم لا. وكالعادة، لم أتلقَّ جواباً.

تمددت في سريري مع تنهيدة ثقيلة. وعلى الفور، استدارت أولريكا نحوي ووضعت يدها على وركي، ثم قبّلت رقبتي بينما كنت أحدِّق إلى السقف.

أعلم أنه لا يتوجّب عليّ القلق. لم أكن من النوع المفرط في القلق حين كنت شاباً. ولم يتسلل القلق إليّ إلا عندما أصبح لديّ طفلة، ويبدو أنه يزداد مع انقضاء كل سنة.

بوجود ابنة في التاسعة عشرة، فلا بد أن تقف أمام خيارين؛ إما أن تغرق تحت القلق المتواصل أو تتجنّب التفكير في كل المجازفات التي يبدو أنها تحب تجربتها. إنها ببساطة مسألة ضبط للنفس.

سرعان ما غفت أولريكا على ذراعي. كان نفَسها الدافئ يلامس وجنتي مثل أمواج ناعمة. وبين الحين والآخر، كانت تنتفض بشكل مفاجئ في حركة كهربائية سريعة قبل أن يغمرها النوم من جديد.

حاولتُ النوم حقاً لكن الأفكار كانت تضج داخل رأسي. لقد أفسحَ إرهاقي المجال لحالة من النشاط الذهني المحموم. فكّرتُ في جميع الأحلام التي راودتني على مر السنين. كثير منها تغيَّر بالطبع، في حين ما زلت آمل بتحقيق بعضها الآخر. ثم فكّرتُ في أحلام ستيلا وأُرغمتُ على قبول حقيقة مُرَّة، وهي أنني لم أكن أعرف ما كانت ابنتي تريده من حياتها. كانت تدّعي بعناد أنها لا تعرف. ليس لديها أية خطط؛ على العكس مني تماماً. عندما أنهيتُ المدرسة الثانوية، كان لديّ تصوُّر واضح للشكل الذي ستتخذه حياتي.

أعلم أنني لا أستطيع التأثير على ستيلا فهي في التاسعة عشرة وقراراتها نابعة من قناعاتها الخاصة. قالت أولريكا ذات مرة إن الحب يعني منح الحرية، السماح للشخص الذي تحب بأن يطير بعيداً، بيد أنني غالباً ما أشعر وكأن ستيلا ترفرف

بجناحيها فقط دون أن تطير.

حاولتُ جاهداً لكنني لم أستطع أن أغفو. استدرت على جنبي وألقيت نظرة على هاتفي الخلوي فوجدتُ ردّاً من ستيلا.

أنا في طريقي إلى المنزل الآن.

كانت الساعة الثانية إلا خمس دقائق عندما سمعتُ صوت المفتاح في القفل. كانت أولريكا قد انتقلت إلى الطرف الأقصى من جانبها من السرير وتواجه الجهة المقابلة لي. سمعتُ خطوات ستيلا في الطابق السفلي وجريان الماء في الحمام، ثم خطوات سريعة إلى غرفة الغسيل، ومزيد من جريان الماء. بدا لي ذلك وكأنه استغرق دهراً.

أخيراً، سمعت وقع خطواتها على السلّم. انتفضتْ أولريكا فجأة فانحنيت لأنظر إليها فبدا لي أنها كانت لا تزال غافية.

تملّكتني مشاعر مختلطة، فمن جهة كنت منزعجاً لأن ستيلا جعلتني أقلق عليها، ومن جهة أخرى كنت مرتاحاً لأنها عادت أخيراً إلى المنزل.

نهضت من السرير وفتحت الباب في الوقت الذي كانت فيه ستيلا تمر بجانبه بملابسها الداخلية فقط. كان شعرها مبللاً بالماء وظهرها يلمع تحت النور الخافت بينما كانت تفتح باب غرفتها.

"ستيلا؟".

دون أن تجيب، انسلّتْ عبر الباب وأغلقته خلفها، ومن الداخل سمعتها تقول: "تصبح على خير".

فقلت له بصوت هامس: "نوماً هانئاً".

فتاتي الصغيرة في المنزل.

3

في صباح السبت نمتُ حتى وقت متأخر. كانت أولريكا جالسةً إلى مائدة الإفطار في ثوبها المنزلي وتستمع إلى مدوَّنة صوتية (*podcast*).

"صباح الخير!"

نزعتْ سماعتي الرأس وتركتهما يتدلّيان حول رقبتها.

رغم أنني نمت أكثر من المعتاد، إلا أنني كنت أشعر بالتشوُّش وأرقتُ بعض القهوة على جريدة الصباح.

"أين ستيلا؟".

"في العمل. كانت قد ذهبت حين استيقظتُ".

قلت وأنا أحاول تجفيف الجريدة بواسطة ممسحة أطباق: "لا بد أنها مرهقة. ظلت صاحية نصف الليل".

نظرتْ أولريكا إليّ مبتسمة وقالت: "وأنت أيضاً لا تبدو نشيطاً تماماً اليوم".

ماذا تعني بذلك؟ إنها تعرف أنني لا أستطيع النوم عندما تكون ستيلا خارج المنزل.

دُعينا إلى غداء متأخر في منزل دينو وألكساندرا في ترولبيرغسفاغن. غداء متأخر يعني شراباً، ولهذا السبب ذهبنا بواسطة دراجتينا الهوائيتين إلى مركز المدينة. عند وصولنا إلى صالة البولينغ رأيت سيارة شرطة، وبعدها على بعد خمسين متراً، عند المستديرة المجاورة لمدرسة بوليم، كانت هناك سيارتان أخريان، واحدة منهما كانت أضواؤها تومض. وكان هناك ثلاثة عناصر شرطة يمشون بسرعة باتجاه محطة مترو رودمانسغوتن.

قلت لأولريكا: "ماذا يجري؟".

ركنَّا دراجتينا في الباحة. وفي المدخل عند أسفل السلّم تذكّرتُ أنه يتوجَّب

علينا عدم المجيء بأيدٍ فارغة.

فقالت أولريكا وهي تُخرج علبة كرات شوكولاته فاخرة من حقيبتها: "محظوظ من يمتلك شخصاً في العائلة يحسب للأمور مسبقاً".

قلت لها بصوت هامس وأنا أقبِّلها من وجنتها: "أنتِ صخرتي".

فتحتْ ألكسندرا الباب مبتسمة.

بينما كنت أعطيها علبة كرات الشوكولاته، قالت: "لم يكن هناك داعٍ لهذا". كانت تفوح منها رائحة عذبة مثل رائحة زنابق الوادي والليمون.

قال دينو وهو يعصر يدي: "أهلاً أهلاً".

أبقتنا المجاملات الضرورية واقفين في الممر لبعض الوقت -مرَّ وقت طويل. كيف كانت الأحوال؟

سألت أولريكا: "أليست أمينة في المنزل؟".

تردَّدتْ ألكساندرا قليلاً قبل أن تجيب: "كان يُفترَض أن تلعب مباراة، لكنها تشعر بوعكة".

قال دينو: "لا أفهم ما الأمر. لا أتذكَّر أنها فوَّتت مباراة كرة يد يوماً".

قالت ألكساندرا: "لعله زكام عادي".

لوى دينو وجهه بانزعاج. لعلي الوحيد الذي لاحظ ذلك.

قالت أولريكا: "المهم أن تستعيد عافيتها بحلول بداية المدرسة".

قالت ألكساندرا: "صحيح، لن تُفوِّت هذه حتى لو أصابتها حمّى بدرجة 40".

ضحكتْ أولريكا ثم قالت: "سوف تصبح طبيبة رائعة. لا أعرف أي شخص بمثل اجتهاد ومثابرة أمينة".

انتفخ دينو كالطاووس. في الواقع، لديه كل الحق في أن يكون فخوراً.

قال دينو: "كيف حال ستيلا".

كان سؤالاً منطقياً بالطبع، لكنني أعتقد أننا ترددنا في الرد لوهلة بدت طويلة جداً.

وأخيراً قلت: "على ما يرام".

ابتسمتْ أولريكا للتأكيد على ما قلته. ولعل هذا الجواب لم يكن بعيداً جداً عن الحقيقة فمزاج ابنتنا كان رائقاً في ذلك الصيف.

جلسنا في الشرفة المزجَّجة واستمتعنا بفطائر البيروغي الصغيرة (*pierogis*)، وحكايات كرة اليد بالطبع. يملك دينو قدرة فريدة على تذكُّر أجزاء من مباريات بتفاصيلها الدقيقة؛ هدف أو إنقاذ من هدف يمكن أن يكونا قد حدثا قبل عشر سنوات في صالة تفوح منها رائحة العرق في غرب النرويج. أما أوضح ذكرياتي فتتعلق بحوادث وقعت خارج اللعبة، مثل سيارة بدأت تسرِّب الوقود في منتصف الطريق عبر شبه جزيرة جوتلاند، أو مسؤول من سكوفد أصبح شاعرياً بخصوص "الاشتراكية الوطنية" خلال إحدى جولات الفتيات، أو تلك المرة التي حجزنا أنفسنا فيها خارج أماكن إقامتنا في ليتوانيا واضطررنا لقضاء نصف الليلة تحت النجوم.

سرعان ما بدأت ألكساندرا تتثاءب من الحديث حول كرة اليد.

فقالت: "هل سمعتما بجريمة القتل؟".

كانت طريقة فعّالة لتغيير الموضوع.

قالت أولريكا: "جريمة القتل؟"

"هنا، بجانب بوليم. وجدوا جثة هناك هذا الصباح".

قالت أولريكا: "الشرطة. لهذا السبب..."

قاطعها صرير باب الشرفة خلفنا. ظهرتْ أمينة عبر فتحة الباب. كانت عيناها ذابلتين وفاقدتين للون والتعبير.

قالت أولريكا: "أوه، عزيزتي، تبدين في حالة مريعة". هكذا بدون أي نوع من أنواع اللباقة.

فأجابتها أمينة بصوت مبحوح: "أعلم". بدت وكأنها كانت تتشبَّث بباب الشرفة لتجنب السقوط.

"عودي إلى السرير".

قلت لها: "أعتقد أنها مسألة وقت فقط قبل أن تُصاب ستيلا بالوعكة نفسها. لأنكما كنتما معاً ليلة أمس، أليس كذلك؟"

تجمَّدتْ ملامح وجه أمينة. صحيح أن ذلك استغرق نصف ثانية، أو ربما عُشْر ثانية، لكن ملامحها تجمّدتْ وعرفتُ على الفور ماذا يعني ذلك.

وأخيراً قالت أمينة: "صحيح" -سعلتْ- "آمل أن تكون بخير".

ثم أغلقتْ أمينة الباب وجرَّت نفسها عائدةً إلى غرفة الجلوس.

الكذب فن لا يتقنه إلا قلة من الناس.

مكتبة
t.me/t_pdf

4

لولا ابنتينا، لربما لم نتصادق أنا وأولريكا مع دينو وألكساندرا.

كانت ستيلا وأمينة في السادسة من العمر حين انتهى بهما المطاف في فريق كرة اليد نفسه. كانت معظم زميلاتهما في الفريق يكبرنهما بسنة، بيد أن ذلك لم يكن مُلاحَظاً. لقد أظهرتْ كلتاهما غريزة المنتصر منذ وقت مبكر. كانتا كلتاهما قويتين وعنيدتين وغير قابلتين للإيقاف. وكانت أمينة تتميَّز عن ستيلا بمهارة غير عادية بالكرة.

خلال تلك التدريبات الأولى، كنت وأولريكا نجلس في مدرّج الصالة الحارّة ونشاهد ابنتنا الصغيرة وهي منهمكة كلياً في التدريب. نادراً ما كنا نراها بتلك الحرية والسعادة كما كنا نراها في ملعب كرة اليد. وكان دينو يدرِّب بمفرده فريق الفتيات. كان ملتزماً إلى أقصى الحدود، ومتحمِّساً، وكريماً، وكان يمنح اللاعبات الصغيرات الكثير من الحب. ولكن، كانت هناك مشكلة واحدة فقط، وهي لغة جسده. كان يُظهر فرحاً متفجِّراً، عبر إيماءات وتعابير وجهية، حين كانت إحدى الفتيات تنجح في الملعب، وبصورة مماثلة كان يطلق العنان لنفسه للتعبير عن ضيقه إن حدث خطأ ما. بالطبع، كانت هذه مسألة تبعث على القلق بالنسبة إليّ ولزوجتي أولريكا، وكنا نناقشها بعد كل تمرين. اقترحتُ التحدث مع الآباء الآخرين أو الذهاب إلى مجلس إدارة النادي. كنا نحب دينو كمدرّب حقاً، ولكن لعله ببساطة لم يكن يعي كيف يمكن أن تُفسَّر لغة جسده.

غير أن أولريكا كان لها رأي آخر، حيث قالت: "من الأفضل التحدث إليه شخصياً". وبعد انتهاء التدريب التالي، توجهتْ أولريكا إلى دينو، الذي يُقال إنه فيما مضى لعب كرة اليد بمستوىً عالٍ.

انتظرتُ في الخلف بينما كان دينو يستمع إلى أولريكا، وفي النهاية، قال: "يبدو أنك بارعة في هذا الأمر. هل تحبين أن تكوني زميلتي؟"

فوجئتْ أولريكا بكلامه لدرجة أنها لم تستطع الرد مباشرةً. وعندما تمكّنتْ أخيراً من الكلام، أشارت إلى اتجاهي وقالت له إنني الشخص الذي يعرف شيئاً ما عن كرة اليد وإن باستطاعتي أن أكون مدرِّباً مساعداً ممتازاً له.

فقال دينو وهو ينظر إلي: "حسنٌ، الوظيفة لك".

والبقية، كما يُقال، تاريخ. لقد قدنا الفريق للفوز تلو الفوز، وجلنا نصف أوروبا، وجلبنا إلى الوطن الكثير من الكؤوس والميداليات التي لم يكن هناك متسع لها كلها في مكتبة ستيلا.

سرعان ما نشأ تناغم بين أمينة وستيلا على أرض الملعب. كانت أمينة تعطي الكرة، ببراعة وذكاء، لستيلا التي كانت تشق طريقها عبر خط الدفاع دون استسلام إلى أن تضع الكرة في الشباك. ولكن، لغريزة المنتصر جوانبها السلبية. كانت ستيلا في الثامنة من العمر عندما خرجت الأمور عن السيطرة للمرة الأولى. حدث ذلك خلال مباراة في فالادشالين، حين تلقّتْ تمريرة رائعة من أمينة ووجدت نفسها وحيدة مع حارسة المرمى لكنها أهدرت الفرصة. بلمح البصر أمسكت بالكرة بعد ارتدادها ورمتها بكل قوتها نحو وجه حارسة المرمى من بعد ثلاثة أمتار فقط.

نجم عن ذلك فوضى عارمة، بالطبع، حيث هجم مدرّب وأهالي الفريق المنافس عليَّ وعلى ستيلا.

لم تكن تقصد فعل ذلك فهي لم توجِّهْ أبداً من قبل غضبها إلى أي شخص آخر غير نفسها. كان ببساطة مجرد رد فعل لا إرادي على تضييعها الهدف. وكانت تشعر بندم يسحق روحها.

"أنا آسفة، لم أكن في وعيي".

وقد أصبحتْ هذه عبارة متكررة. بل أشبه بتعويذة.

كان دينو يقول دائماً إن ستيلا هي أسوأ أعدائها. وإن استطاعت التغلُّب على نفسها، فلن يوقفها أحد.

بيد أنها كانت تجد صعوبة بالغة في التحكم بعواطفها.

أما إذا استثنيا هذه الخصلة، فمن السهل الإعجاب بستيلا. إنها ودودة وحيوية، ومراعية لمشاعر الآخرين، وتملك حسّاً قوياً بالعدل.

سرعان ما نشأت بين ستيلا وأمينة علاقة تكافلية وثيقة حتى خارج ملعب كرة اليد. كانتا معاً في نفس الصف في المدرسة، وكانتا تشتريان ثياباً متشابهة، وتستمعان للموسيقى ذاتها. كانت أمينة جذابة، وسريعة البديهة، وعطوفة، وطموحة. وكان لها تأثير جيد على ستيلا، حيث كانت دائماً تساعدها على استعادة توازنها حين توشك على ارتكاب خطأ ما.

يا ليتني وأولريكا أخذنا مشكلات ستيلا بجدية أكبر. يا ليتنا تصرَّفنا في وقت أبكر. أحس بالخزي عندما أفكّر في ذلك، ولكن من الواضح أن كبرياءنا كان هو عائقنا الأكبر. كلانا وجدنا في اللجوء إلى المؤسسات الاجتماعية إخفاقاً ذريعاً. يمكن أن يبدو الأمر غروراً، لكنه في الوقت عينه بشري إلى درجة كبيرة. لقد تطلّبنا الكثير من نفسيْنا لنكون أفضل والديْن ممكنيْن، لكننا لم نستطع تلبية متطلباتنا ذاتها.

لربما ما كان على هذه الأمور أن تبلغ الحد الذي بلغته.

5

عندما قدنا درّاجتينا الهوائيتيْن عائديْن إلى المنزل من بيت دينو وألكساندرا، كانت الشرطة بجانب المدرسة. كان مخيفاً حدوث أمر كهذا في الجوار. من الواضح أن الجثة اكتُشفتْ في حديقة ألعاب أطفال بواسطة أم جلبتْ أطفالها الصغار للعب في وقت مبكر جداً. جعلتني الفكرة أرتجف.

قفزتْ أولريكا عن دراجتها في الشارع الفرعي الخاص بمنزلنا وأسرعت نحو الباب.

فقلت لها: "ألن تقفليها؟"

فأجابت وهي تبحث عن المفاتيح داخل حقيبتها: "يجب أن أتبوَّل".

أخذتُ دراجتها عبر الممر المرصوف وركنتها بجانب دراجتي تحت السقف المعدني. أدركتُ أنني نسيت تغطية الشوّاية ووجدت الغطاء في المستودع.

عندما دخلت إلى المنزل، وجدتُ أولريكا واقفة على السلّم.

"ستيلا ليست في المنزل. اتصلتُ بها لكنها لم تجب".

فقلت لها: "أنا متأكد بأنها تعمل وقتاً إضافياً. تعرفين أنه لا يُسمَح لهم بحمل هواتفهم معهم".

"لكنه يوم السبت. المحل مغلق منذ ساعات".

لم يخطر هذا في بالي، فقلت: "أنا واثق بأنها ذهبت إلى مكان ما مع إحدى صديقاتها. سوف تجرين حديثاً آخر معها الليلة. إنها بحاجة لبذل جهد أفضل فيما يتعلق بإعلامنا بمخططاتها". وضعتُ ذراعي حولها.

قالت أولريكا: "ينتابني شعور مريع. عندما رأينا كل تلك الشرطة. جريمة قتل؟ هنا؟"

"أعلم. هذا يُشعرني بالقلق أيضاً".

جلسنا على الأريكة واستطلعتُ آخر الأخبار على هاتفي وقرأتها عليها بصوت عال.

كان الضحية رجلاً محلياً في الثلاثينيات من عمره. كانت الشرطة متكتمة بشأن الحادثة، لكن إحدى الصحف المسائية قالت إن امرأة تعيش في الجوار سمعت شجاراً وصراخاً خارج نافذتها خلال الليل.

فقلت، وكأنني أنا الخبير وليس أولريكا: "هذا النوع من الأشياء لا يحدث لأي شخص عادي. أنا متأكد بأنها جريمة تتعلق بمدمنين. أو جريمة عصابات".

ظلت أولريكا هادئة بجانبي.

لكنني لم أقل ذلك لأخفف من قلقها، بل لأنني كنت مقتنعاً بصحته.

قلت: "كنت أنوي إعداد كاربونارا [معكرونة بالبيض والجبن واللحم]".

ثم وقفتُ وقبّلتُ خدَّها.

"من الآن؟ لا أظن أنني قادرة على أكل حتى ورقة جرجير الآن".

"طعام بطيء. الأكل الحقيقي يستغرق وقتاً حبيبتي".

بينما كان اللحم يُقلى في زيت الزيتون الذي انتقيته بعناية من إقليم كامبانيا الإيطالي، نزلتْ أولريكا على السلّم بسرعة وقالت: "ستيلا نسيتْ هاتفها الخلوي".

"ماذا؟"

وراحت تذرع أرض المطبخ بقلق جيئةً وذهاباً بين الجزيرة والنافذة.

ثم قالت: "كان على منضدتها".

"في الواقع، هذا غريب". كانت الكاربونارا في مرحلة حساسة بحيث لم يكن بوسعي إبعاد عينيَّ عنها. "هل نَسِيَتْهُ؟"

"أجل، ألم تسمعني؟ كان على منضدتها!"

كانت أولريكا تصرخ تقريباً.

لاشك أنه كان أمراً غير عادي أن تنسى ستيلا هاتفها في المنزل، ولكن لم يكن هناك أي سبب يدفعنا للمبالغة برد فعلنا. حرّكتُ الكاربونارا بسرعة بينما كنت أُقلّل الحرارة.

قالت أولريكا وهي تشدّني من ذراعي: "انسَ أمر المعكرونة، أنا قلقة بشكل جدي. لقد هاتفتُ أمينة للتو، لكنها لم تجبْ أيضاً".

قلت لها في الوقت الذي أدركت فيه أن الكاربونارا لن تنجح: "إنها مريضة".

وضعتُ الملعقة الخشبية على سطح المجلى ونزعت المقلاة بحدة عن المشعل.

ثم قلت وأنا أصارع ما كان يعتمل في داخلي: "لعلها تركت هاتفها في المنزل عن قصد. أنت تعرفين أن مديرتها تطلب منها ذلك باستمرار".

هزَّت أولريكا رأسها وقالت: "مديرتها لم تطلب منها ذلك. لقد أعطت طاقم الموظفين كلهم إنذاراً بشأن استخدام هواتفهم الخلوية في العمل. من المؤكد أنك لا تصدِّق أن ستيلا ستترك هاتفها طوعاً في المنزل؟"

لا، بالطبع لم يكن هذا يبدو ممكناً.

"لابد أنها نسيته. أنا متأكد بأنها كانت على عجلة من أمرها هذا الصباح".

قالت أولريكا: "سأتصل بصديقاتها. هذا الأمر غريب على طبيعتها".

"ألا ينبغي تأجيل ذلك؟"

وأضفتُ شيئاً حول ما فعلَتْه بنا التكنولوجيا العصرية؛ حول اختراقنا المستمر لخصوصية ابنتنا، ومحاولتنا المستمرة معرفة مكان وجودها. لم يكن هناك حقاً من داعٍ لكل ذلك القلق.

"أنا واثق بأنها ستدخل من الباب في أية لحظة".

وفي الوقت نفسه بدأتُ أشعر بوخز مزعج في معدتي. أن تكون أباً يعني ألا تكون قادراً أبداً على الاسترخاء.

عندما كانت أولريكا تصعد السلم نحو الطابق العلوي، اغتنمتُ الفرصة للتسلُّل إلى غرفة الغسيل. جرت العادة أن تتولى أولريكا مسؤولية الغسيل، الأمر الذي قد يبدو تقسيماً قديماً للعمل المنزلي، بيد أننا لم نقرّر ذلك أو حتى نناقشه بل أصبح الأمر على هذا النحو بشكل تلقائي. كان المطبخ من اختصاصي وغرفة الغسيل من اختصاص أولريكا.

فتحتُ باب الغسّالة وأخرجتُ الثياب الرطبــة. ســروال جينــز غــامق اضطُررتُ إلى أن أقلبه كي أتأكد من أنه يخص ستيلا. وقميصاً أسود بلا كمّيْن؛ كان لها أيضاً. وبلوزة بيضاء منقوشاً على جيب صدرها رســومات أزهــار – كانت قطعتها العلوية المفضَّلة في ذلك الصيف. كنت أمسك بــالبلوزة في يــد وأبحث عن علاقة باليد الأخرى. وفي تلك اللحظة رأيتها.

بلوزة ستيلا المفضّلة. كان الكم الأيمن والجزء الأمامي من البلوزة مغطّيــيْن ببقع داكنة اللون.

نظرتُ إلى السقف وتلوتُ صلاةً صامتة....

6

واجهتُ في حياتي مراراً الافتراض الخاطئ...

في بعض الأوقات، حين أقابل أشخاصاً يقولون إنهم غير مؤمنين، أطلب منهم أن يَصِفوا لي ما لا يؤمنون به.

ذات مرة سألتني ستيلا إن كنت أعتقد حقاً بأنني وأولريكا خُلقنا لنكون معاً. لقد زعم شخص ما في المدرسة بأن الإنجيل يحرِّم الطلاق.

"هل هناك حقاً شخص واحد فقط خُلق من أجلك يا أبي؟"

كنا جالسيْن على طرف سريرها وكانت ترتدي بيجاما "براتز" -لقد مرّت عليها فترة تعلَّقتْ فيها كثيراً بتلك الدمى.

"لا، سيكون هذا أمراً فظيعاً جداً. عندئذ ستضطرين لإمضاء عمرك بأكمله بحثاً عن ذلك الشخص".

شهقتْ ستيلا وغضّنتْ حاجبيْها ثم قالت: "حسناً ماما يمكن أن تكون أي امرأة".

"بالتأكيد لا. هنالك أشياء قليلة جداً تكون إما سوداء أو بيضاء. يجب علينا النظر في المنطقة الرمادية".

قالت ستيلا: "الرمادي يبدو مملاً".

"لكنه ليس كذلك. الرمادي رائع".

نظرتْ ستيلا إليّ بعينيها البراقتين الواسعتين، ثم انسلّتْ تحت الأغطية ورفعتْ اللحاف المعطَّر برائحة الزهور إلى ذقنها.

ثم قالت هامسةً: "تصبح على خير بابا".

من المثير إيجاد شخص قُدِّر له أن يكون لك. ومن جهتي، فليس هناك دليل أكبر من هذا الأمر على وجود الله. بيد أن هذا لا يستثني احتمال أن يكون هناك أشخاص آخرون يناسبونك.

كنت وأولريكا في مقتبل العمر حين التقينا، ومنذ ذلك الحين لم يكن هناك من خيار آخر لنا. كنا كلانا جديدْين في مدينة لوند. بفضل حلمي القوي ولكن الساذج بأن أصبح ممثلاً، انضممتُ للفرقة التمثيلية في اتحاد طلبة ويرملاند، وانتقلتْ أولريكا إلى سَكَن طلبة الاتحاد في وقت لاحق من ذلك الشتاء. كانت من ذلك النوع من الأشخاص الذين يجذبون الانتباه دون أن يشغلوا حيِّزاً كبيراً جداً، من النوع الذي يلمع دون أن يعمي الأعين.

بينما كنت أحاول تخفيف لهجتي البليكينغية (نسبة لمقاطعة بليكينغه) والتخلص من بثوري الجلدية، كانت ستيلا تندمج بكل سهولة مع كل الأوضاع الجامعية التي يمكن تصوُّرها كما لو كانت جزءاً طبيعياً من كل واحد منها. ملأتُ المدينة بملصقات "لا مفوّضية أوروبية، لا جسر"، أما أولريكا فأصبحت الوكيلة الإدارية لاتحاد الطلبة، ونالت درجات عالية في جميع امتحاناتها في كلية الحقوق.

أخيراً استجمعتُ شجاعتي، عندما وجدنا نفسيْنا معاً في حفلة الكوريدور نفسها في وقت لاحق من ذلك العام، وما أثار استغرابي هو استمتاع أولريكا الواضح بصحبتي. ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبحنا نقضي كل وقتنا معاً. كنا نقتل ساعات في التحدث. صحيح أن آراءنا كانت مختلفة بخصوص كل شيء من الكتب إلى الموسيقى إلى السياسة الدولية، لكن كلانا كنا نحب القتال والجدال، إلا حول الشيء الوحيد تقريباً الذي كان بوسعنا الاتفاق عليه، وهو أنه لا يمكننا أن نتفق، ولم نجد في ذلك أية مشكلة.

في تلك الأمسية قالت أولريكا: "لا يمكنني أن أصدِّق أنك ستصبح قسّاً. بوسعك أن تكون مختصاً في مجال علم النفس أو عالماً سياسياً أو..."

"أو قسّاً".

نظرتْ أولريكا إليّ كما لو أنني كنت أتوسّل لكي يُبتَرَ لي طرفٌ معافَى: "ولكن لماذا؟ أنت من سمولاند، هه؟ إنه في دمك؟"

"بليكينغه" -ضحكتُ- "ولا علاقة لوالدي بالأمر. بغض النظر عن كونهما أرسلاني إلى مدرسة الأحد، بالطبع، لأنني أعتقد أنهما فعلا ذلك في الغالب من أجل الحصول على مجالسة أطفال مجانية".

المرة الوحيد التي سمعتُ فيها أمي تصلّي كانت عندما مرض والدي. لم يكن والداي مؤمنيْن ولا ملحديْن. ببساطة لم يكونا يملكان أي صلة بالدين – إحدى السمات المميِّزة لزمننا العلماني. لا يتذكّر الناس وجود الله إلا عندما يحتاجون إليه.

"في الحقيقة، كنتُ ملحداً عنيداً إلى أن بدأتُ المدرسة الثانوية. كنت عضواً في الشبيبة الشيوعية الثورية لبعض الوقت في المدرسة الثانوية. كنت أستشهد بماركس وأريد التخلص من عالم الدين. لكنكِ عندما تنضجين، تفقدين القناعة بكل تلك الأمور الدوغمائية. ومع الوقت أصبحتُ أشعر بفضول متزايد حيال نظريات مختلفة للحياة".

أحببتُ الطريقة التي كانت تنظر فيها أولريكا إلي، وكأنني كنت لغزاً تريد حلّه.

تابعتً كلامي، قائلاً: "ثم حدث شيء ما. في سنتي الأخيرة في المدرسة الثانوية".

"ماذا؟"

"كنت في طريقي إلى المنزل عائداً من المكتبة حين سمعتُ امرأة تصرخ. كانت عند طرف الميناء تقفز وتلوِّح بذراعيها. فهرعت".

مالتْ أولريكا إلى الأمام، واتّسعتْ عيناها.

"كانت ابنتها قد سقطت في المياه الباردة. وكان هناك طفلتان أخريان. كانتا على الرصيف تصرخان. لم يكن لديّ أي وقت للتفكير. رميتُ نفسي في الماء وحسب".

شهقتْ أولريكا فهززتُ برأسي لأنني لم أكن أخبرها بهذه القصة لأصوِّر نفسي كبطل.

"حدث شيء في تلك اللحظة تماماً. في الثانية التي لمستُ فيها الماء. لم أفهم تماماً في ذلك الوقت، لكنني أعلم الآن. كان الله. لقد أحسستُ به".

هزَّت أولريكا رأسها بتفكُّر. لم تحكم عليَّ، و لم تقبل ما قلته دون نقد. كانت في المنطقة الرمادية، بالمعنى الجيد للكلمة.

"كأن ضوءاً ساطعاً انبثق فجأةً في المياه المظلمة. رأيتُ الفتاة الصغيرة وأمسكت بها. كان جسدي ممتلئاً بالقوة. لم أشعر يوماً بمثل تلك القوة وذلك العزم – لم يكن هناك أي شيء قادراً على منعي من إنقاذ تلك الطفلة. كان ذلك يسيراً إلى حد بعيد. شيء خارق للطبيعة سحب الطفلة إلى الحافة وجعلني أنفخ فيها الحياة مجدداً. كانت الأم والشقيقتان الصغيرتان يقفن إلى جانبي، ويصرخن، عندما انبثقت المياه من فم الطفلة واستعادت وعيها. وفي الوقت نفسه، عدت إلى ذاتي العادية".

رمشتْ عينا أولريكا بضع مرات، وهي فاغرة الفم.

ثم قالت: "حسنا فقد نجحت؟"

"سار كل شيء على ما يرام".

رسمتْ ابتسامتها الرائعة على وجهها وقالت: "شيء مدهش. ومنذ ذلك الحين، أنت تعلم".

"أنا لا أعلم شيئاً. لكنني أؤمن".

7

في ليلة السبت تلك، حين كانت حياتنا على وشك أن تتحوَّل، لجأتُ إلى الله. كنت قلقاً بشأن البلوزة المبقّعة في الغسالة. اتخذتُ قراراً سريعاً بعدم إخبار أولريكا بذلك، فالبقع يمكن أن تكون أي شيء، وقد لا تعني شيئاً كبيراً بالضرورة، و لم يكن هناك داعٍ لتعريض أولريكا لأي قلق إضافي. أغمضت عينيَّ ودعوت الله أن يعتني بطفلتي الصغيرة.

كنت أستند إلى جزيرة المطبخ وأدوِّر قدح شراب اسكتلندي عنبري اللون في يدي حين نزلت أولريكا بسرعة على السلَّم.

قالت وهي تلهث: "تحدَّثتُ للتو مع ألكساندرا. لقد أيقظتْ أمينة. من الواضح أنها صُدمت حين سمعت أن ستيلا لم تعد إلى المنزل".

"ماذا قالت؟".

"يبدو أنها لا تعرف شيئاً".

شربتُ الشراب كله دفعة واحدة، ثم سألتها: "ألا يجب علينا الاتصال بزملائها في إتش أند إم؟".

"حاولتُ مسبقاً. إنها لم تحفظ سوى رقم بينيتا، وبينيتا لم تكن تعلم من يعمل اليوم".

تنهَّدتُ وتمتمتُ بضع كلمات ساخطة. كان قلقي ممزوجاً بالانزعاج. ألم تكن ستيلا تدرك الحالة التي وضعتنا فيها؟ ألم تكن تدرك كم كنا قلقيْن عليها؟".

عندما بدأ الهاتف يقفز على سطح المجلى، اندفعنا أنا وأولريكا سوياً نحوه. لكنني كنت أسرع منها وضغطت على الزر الأخضر.

"نعم؟".

ردّ عليّ صوت ذكوري عميق، حذر بعض الشيء.

"إنني أتصل من أجل الفيسبا".

"الفيسبا؟".

كان رأسي يدور.

قال الرجل: "الفيسبا التي من أجل البيع".

"لا توجد فيسبا للبيع هنا. لابد أن الرقم خاطئ".

اعتذر الرجل لكنه أصرَّ على أنه لم يخطئ في الرقم. كان هناك إعلان على الإنترنت بهذا الرقم، ودراجة فيسبا للبيع. بياجيو وردية.

تمتمتُ شيئاً ما حول وجود خطأ ثم أقفلت الخط.

قالت أولريكا: "من كان هذا؟".

بدت متلهفة.

"إنها تنوي بيع الفيسبا".

"ماذا؟".

"وضعت ستيلا إعلاناً".

جلسنا على الأريكة. أرسلتْ أولريكا رسالة جماعية تطلب فيها من أي شخص يملك أية معلومة عن ستيلا إبلاغها برسالة. صببتُ قدح شراب آخر في حين وضعت أولريكا آيفون ستيلا على الطاولة أمامنا. جلسنا هناك نحدِّق إليه، وكلما اهتزَّ كنا نثب واقفيْن. بدا الزمن وكأنه كان واقفاً حين كانت أولريكا تمرِّر إبهامها على شاشة الآيفون.

أرسلتْ عدة صديقات لستيلا ردوداً على رسالة أولريكا. بدا بعضهن قلقات بعض الشيء، لكن معظمهن اكتفين بذكر أنهن لا يعرفن شيئاً.

بحثتُ عن رقم هاتف ستيلا على غوغل فوجدت الإعلان على الفور. وجدت أنها في الحقيقة كانت قد وضعت الفيسبا هدية عيد ميلادها للبيع، ما الذي كانت تنوي فعله؟

كان هناك برنامج حواري على التلفزيون. وكنت أمسك بيد أولريكا. لقد تمدَّد قلقنا وحيرتنا إلى شبح صامت ينتظر بجانبنا على حافة الأريكة.

قلت لها: "هل عليّ أن أركب دراجتي الهوائية وأذهب للبحث عنها؟".

غضَّنتْ أولريكا أنفها وقالت: "أليس من الأفضل البقاء هنا؟".

ضغطتُ على أصابعها وقلت: "يجب ألا يحدث هذا مرة أخرى. ألا تشعر بمقدار قلقنا؟".

كانت أولريكا توشك على البكاء.

قالت: "ألا يتوجّب علينا الاتصال بالشرطة؟".

"الشرطة؟".

بدا ذلك لي مبالَغاً به. من المؤكد أن الأمر لم يكن بهذا السوء.

قالت أولريكا: "لديّ بعض المعارف. يمكنهم على الأقل إبقاء أعينهم مفتوحة".

"هذا سخيف!" -وقفتُ- "أن نضطر إلى... أنا..."

رفعتْ أولريكا سبّابتها في الهواء وقالت: "ششش! هل تسمع ذلك؟".

"ماذا؟".

"رنين".

وقفتُ في مكاني بلا حراك وأنا أراقبها. كنا منهكيْن من شدة القلق. وبعد لحظة، تردَّدتْ إشارةٌ طويلةٌ في أرجاء البيت.

قالت أولريكا وهي تنهض لتقف: "الخط الأرضي؟".

لا أحد يتصل بالخط الأرضي.

8

لم نخطط أبداً لإنجاب ستيلا. صحيح أنها كانت طفلةً مرغوبةً ومرحَّباً بها، ومنتظَرةً بلهفة، ومحبوبةً قبل وقت طويل من استنشاق أول أنفاسها، لكننا لم نخطط لإنجابها.

كانت أولريكا قد حصلت منذ فترة قصيرة على شهادة الماجستير في الحقوق، وكانت على وشك البدء بالتمرُّن على المحاماة عندما جلستْ قبالتي ذات ليلة، ووضعتْ يديها على يديّ، ونظرتْ عميقاً في عينيّ. كانت ابتسامتها متحفّظة حين أبلغتني الخبر الرائع، ولكن المربك، لثقل تَبِعاته.

كان عليّ أن أمضي سنة في دراستي وسنة أخرى بعدها كمساعد قس. كنا نقطن في شقة مكوَّنة من غرفة واحدة في حي نورا فولادن ونعيش على القروض. كان وضعنا بعيداً جداً عن الوضع المثالي لجلب طفل إلى هذا العالم. كنت أدرك، بالطبع، أن أولريكا كانت غير متيقنة. كان هناك تردد قلق خلف تلك الغبطة الانفعالية الأولية، ولكن انقضى أسبوع كامل قبل أن ينطق أي منا كلمة إجهاض بصوت عالٍ.

كانت أولريكا قلقة -وهي محقة في ذلك- بشأن الجوانب العملية. المال، والسكن، ودراستنا، وحياتنا المهنية. كان يمكننا الانتظار بضع سنوات لتكوين عائلة - لم يكن هناك أي سبب يدعونا للاستعجال في هذا الخصوص.

قلت لها بينما كنت أقرِّب شفتيّ من بطنها: "بالحب يمكننا فعل أي شيء".

قبل خمس سنوات من ذلك الحين، كانت أولريكا قد سألتني -حتى خلال تلك الأيام البهيجة الأولى من حبنا، حين كنا لا نكاد نغادر السكن الطلابي في ويرملاندس نيشن: "لستَ ضد الإجهاض، أليس كذلك؟".

"لديكِ نظرة شديدة الغرابة عما يعنيه كون المرء مسيحياً".

أنا أعرف الآن أنها لم تكن تمزح حينئذ. كان إيماني مفعماً بالشك والخوف. كان يُمثِّل التهديد الأعظم بالنسبة إلى علاقتنا الناشئة الهشة.

قالت لي في بعض المناسبات: "لم أحلم يوماً بقسيس". لم تكن تريد بذلك إيذاء مشاعري، على الإطلاق، وإنما كان هذا مجرد تعليق ساخر.

وكنت أجيبها: "لا بأس، وأنا لم أحلم يوماً بمحامية".

لم أفكِّر جدياً ولو لمرة واحدة في عدم إنجاب الطفل. لكنني، في الوقت نفسه، أدخلتُ الشك في حواراتي مع أولريكا كي أبدو منفتحاً على كل الخيارات. غير أن الوقت لم يطلْ حتى توحَّدنا في قرارنا.

قبل الولادة أخذنا دروساً وتدرَّبنا على التنفس معاً. كانت أولريكا تُصاب بغثيان صباحي وكنت أُمسِّد قدميها المنتفختين.

وقبل أسبوع واحد من موعدها المتوقع، أيقظتني أولريكا في الرابعة صباحاً. كانت تقف ملفوفة ببطانية عند أسفل السرير.

"آدم! آدم! لقد نزل مائي!".

أخذنا سيارة أجرة إلى المستشفى، وخلال تلك الدقائق كنت في حالة من البرود الشعوري، وكأنني لم أكن أعي ما كان يحدث، ولا مقدار الخطر، ولا إلى أي درجة يمكن أن تسوء الأمور، إلى أن تمدَّدت أولريكا على النقّالة أمامي وهي تتلّوى ألماً بينما كانت القابلة ترتدي قفّازها المطاطي الطويل. كأنني جمَّعتُ كل مخاوفي وبواعث قلقي ووضعتها في مخبأ عميق داخلي ومن ثم تحرَّرتْ كلها دفعةً واحدة.

"يجب عليكِ فعل شيء ما".

فقالت الممرضة وهي ترشدني إلى كرسي بجانب أولريكا: "لنجلس أيها الأب".

وما أن جلستُ على الكرسي حتى قفزتُ واقفاً من جديد.

فقالت القابلة: "هوِّن عليك. كل شيء سيكون على ما يرام".

كانت أولريكا تتنفس بسرعة كبيرة وتتلفظ بألفاظ نابية. وعندما أتاها انقباض جديد شدَّت جسدها نحو الأعلى وهي تصرخ وتتلوّى. أمسكتُ

بمعصمها وهمستُ بصلاة سريعة من خلال أسناني. واصلت الممرضتان التحدّث معنا بهدوء، مؤكدتيْن لنا عدم وجود أي شيء يدعو إلى القلق، رغم أن أعينهما كانت تقول إن شيئاً ما تغيَّر. لم يكن كل شيء على ما يرام كما كانتا تريدان منا أن نصدِّق. أصبحتْ حركتاهما أسرع، وإرشادات القابلة أشد حدّة، وسرعان ما بدا أن ضغط الهواء في الغرفة كان يتزايد. استدعتا طبيباً وجهه يشبه وجه كلب البولدوغ ولكنة فنلندية في صوته المتوتر. تناقشوا أمامنا وسمعتُ كلمات "قسم القيصرية المستعجلة".

سألتهم أكثر من مرة: "ما الذي يجري؟". لكنهم لم يعودوا يسمعونني.

انحنت القابلة نحو أولريكا وقالت لها بنبرة واقعية وصارمة: "كتف الطفلة عالق. عندما يأتيكِ الانقباض التالي ادفعي بأقصى ما تستطيعين من قوة. يجب أن تخرج الطفلة الآن".

أمسكتُ يد أولريكا بقوة. كان جسدها بأكمله يرتعش.

وقلت لها: "يمكنك فعل ذلك حبيبتي".

تصلّب جسدها وأصبح كنابض. خيَّم صمت مطبق على الغرفة، وكان بوسعي الشعور بموجة الألم التي اجتاحت جسدها. رفعت أولريكا حوضها في الهواء.

"ساعدني يا الله".

وراحت القابلة تشدُّ وتسحب وأطلقتْ أولريكا صرخات عميقة طويلة مرتعشة. أمسكتُ بها بقوة وأقسمتُ إنني... إن لم تنتهِ الأمور على خير.

ساد الغرفة صمتٌ مطبقٌ لثانيةٍ كانت هي الأطول في حياتي. كل ما كان له معنى في الحياة بدا وكأنه كان معلّقاً على حبل التوازن. كان ذهني خالياً من الأفكار، لكنني كنت أعرف أنها اللحظة التي تأتي فيها كل الأفكار –في الصمت.

بعد ذلك، ألقيتُ نظرةً فرأيتها. كتلة زرقاء مدماة على منشفة. وبعد لحظة امتلأت الغرفة بأروع بكاء رضيع سمعته في حياتي.

9

ومضَ وجه ستيلا في ذهني بينما كنت أدخل مسرعاً إلى المطبخ وراء أولريكا. رغم أن ابنتنا الصغيرة في التاسعة عشرة من عمرها الآن، إلا أن الوجه الذي أتصوره دائماً هو وجهها حين كانت طفلة. عيناها الفضوليتان، والنمش، والضفائر المعقودة بواسطة أنشوطة مطاطية.

أمسكتْ أولريكا بالهاتف الأرضي الذي كان معلّقاً على الجدار مثل أثر عتيق. لم أشحْ ناظريَّ عنها ولا لبرهة واحدة خلال المكالمة.

وبعد إقفال الخط قالت: "كان مايكل بلومبيرغ".

"من؟ المحامي؟".

"لقد عُيِّن للتو لتمثيل ستيلا. إنها مع الشرطة".

أول فكرة خطرتْ لي هي وقوع ستيلا ضحية جريمة ما راجياً ألا يكون الأمر خطيراً. ولا بأس إذا تعرَّضتْ لسرقة أو اعتداء، ولكن ليس اغتصاباً.

لقد تحدثتُ مع آباء آخرين حول هذا الأمر، وتوصلتُ إلى استنتاج مفاده أنني بعيد جداً من أن أكون وحيداً في خوفي الشديد من إمكانية تعرُّض ابنتي للاغتصاب.

قالت أولريكا: "يجب علينا الذهاب في الحال".

"ماذا يجري؟". فكّرتُ في الاتصال الغريب والإعلان على الإنترنت. "هل هي الفيسبا؟".

نظرتْ إليّ أولريكا كما لو كنت أبله ثم قالت: "انسَ أمر الفيسبا اللعينة".

وأثناء توجُّهها نحو الباب اصطدمتْ بكتفي، فسألتها: "ماذا قال بلومبيرغ؟". لكنها لم تجب.

لكل شخص استجابة مختلفة تجاه الصدمة، وليس بمقدور أحد التوقع مسبقاً بطريقة تفكيره أو سلوكه عملياً في ظرف طارئ. لقد دُرِّبْتُ على إدارة

الأزمات، ولديّ دراية بالمراحل المختلفة لرد الفعل، وعملت مع أشخاص كثر تعرَّضوا لأزمة أو صدمة. لكن أياً من هذا لم يعنِ شيئاً في تلك اللحظات.

أخذتْ أولريكا معطفها من مشجب الثياب وتوجهت نحو الباب ثم توقفت على نحو مفاجئ واستدارت.

وقالت وهي تعود أدراجها إلى داخل البيت: "يجب أن أفعل شيئاً واحداً".

"هيا، ماذا قال بلومبيرغ؟".

لحقتُ بها عبر المطبخ، وعندما وصلتْ إلى السلّم، استدارتْ وأبعدتني بذراعيها.

"انتظرْ هنا. سأعود في الحال".

وقفتُ في الممر وأنا أعدُّ الثواني إلى أن نزلت أولريكا ومرّت بجانبي مسرعةً.

سألتها: "ماذا فعلتِ؟".

لحقتُ بها إلى المدخل مجدداً وواصلتُ إمطارها بالأسئلة حول ما حدث وما قاله بلومبيرغ.

مرة أخرى رأيت وجه ستيلا أمامي. الضحكة الخالية من الأسنان والغمّازتان الصغيرتان على وجنتيها الناعمتين. وفكّرتُ في كل شيء أردتُه لها ولم يتحقق.

10

حذَّرنا الناس من الحياة مع طفل رضيع وقالوا إن أياً منا لن يتمكّن من النوم، وإن الرضيع لا يفعل شيئاً سوى الأكل والتبرُّز والبكاء، وإن حياتنا الجنسية ستنتهي، وإننا سنتشاجر وسنبدأ بكره بعضنا بعضاً. بدا بعضهم وكأهم كانوا يعتقدون بأننا سندمِّر حياتنا. في بعض الأحيان، اعتقدتُ بأن مجرد استمرار الناس في جلب أطفال إلى هذا العالم هو إعجاز بحد ذاته.

كانت ستيلا رضيعة مثالية، فبعد فترة وجيزة من ولادها أصبحت تنام طوال الليل، وكانت تغفو في أي مكان وعندما كانت تصحو كنتَ تجدها هادئة وساكنة، ودوماً راضية. ومع ذلك، بالطبع، كان لدى الجميع ما يقولونه بخصوص ذلك أيضاً. *انتظرا فقط. دوركما آتٍ*. الأصدقاء والزملاء والمعارف والأقارب كل منهم كان يدلي برأيه.

من السهل الاعتقاد بأن الأفضل سيأتي دائماً. أظن أنه عيب بشري متأصِّل...

لم لا نفكر في درجة سرعة سير الزمن أثناء سيره؟

كانت "أبا" أول كلمة قالتها ستيلا. وكانت تستخدمها من أجلنا كلينا أنا وأولريكا. في هذه الأيام، معظم السويديين يربطون الكلمة بموسيقى البوب [إشارة إلى الفرقة الغنائية السويدية الشهيرة ABBA]، لكنها في لغة المسيح، الآرامية، تعني "أب".

أمضيتُ إجازة أُبوَّة رائعة مع ستيلا دامت لأربعة أشهر، راقبتُ خلالها شخصيتها تتبلور يوماً بعد يوم. غالباً ما كان الآباء الآخرون في مجموعة أطفال رعيَّة الكنيسة يعلّقون بالقول إنها التعريف الدقيق لعبارة "ابنة أبيها". لا أعتقد أنني فهمت مغزى هذه العبارة إلا بعد فوات الأوان. لدرجة ما، ينطبق على حياتي كلها ما يُصطَلح إليه بمصطلح "فطنة السلَّم (*esprit de*

l'escalier)". لم أنجح يوماً في التقاط لحظة واحدة في الوقت الصحيح. لطالما كان توقيتي فظيعاً.

أنا محكوم بالتوق.

11

كنا واقفيْن في المدخل. يدي على القفل. وجسد أولريكا كله يرتعش.

لماذا اتصل بلومبيرغ؟ ماذا كانت ستيلا تفعل في مركز الشرطة؟

قلت لأولريكا: "أخبريني".

"كل ما أعلمه هو ما قاله مايكل".

مايكل بلومبيرغ. كانت قد مضت عدة سنوات على آخر مرة سمعت فيها باسمه. لم تكن شهرة بلومبيرغ تقتصر على الأوساط القضائية فحسب. كان أحد أبرز محامي الدفاع في البلد، ومثَّل متَّهمين في الكثير من القضايا التي نالت قدراً كبيراً من الدعاية. كانت صورته تظهر في صحف المساء وكانت المحطات التلفزيونية تطلبه كخبير من أجل الاستماع إلى آرائه. وكان أيضاً الرجل الذي أخذ ذات يوم أولريكا تحت جناحه ومهَّد الطريق لنجاحها كمحامية دفاع. لم أكن أحبّه كثيراً لأنه كان فظّاً ومتعالياً.

كانت أولريكا تتنفس بصعوبة، وكانت عيناها تتحركان مثل طيور مرعوبة.

حاولت التسلُّل بجانبي والخروج من الباب لكنني أمسكتها وأوقفتها في مكانها بين ذراعيّ.

"ستيلا مُحتجَزة في مركز الشرطة".

سمعتُ كلماتها، ولكن كان من غير الممكن استيعابها.

قلت لها: "لابد من وجود خطأ ما".

هزَّتْ أولريكا رأسها. وبعد لحظة انهارت على صدري وسقط هاتفها على الأرض.

وقالت بصوت هامس: "إنهم يشتبهون بها في جريمة قتل".

أصابني الجمود.

أول شيء خطر في ذهني هو بلوزة ستيلا المبقّعة.

طلبتْ أولريكا سيارة أجرة بينما كنا نسرع نحو الشارع. وعند محطة إعادة التدوير أفلتتْ يدي.

قالت وهي تمشي مترنّحة بين صناديق وحاويات إعادة التدوير: "انتظرْ".

بقيتُ منتظراً على الرصيف أسمع سعالها وتقيؤها. وبعد لحظات جاءت سيارة أجرة سوداء.

سألتها بينما كنا نثبِّت حزامي مقعدينا في الخلف: "كيف تشعرين؟".

فقالت وهي تسعل في يدها: "في غاية السوء". ثم بدأت تكتب بكلي إبهاميها على هاتفها في حين أنزلتُ النافذة وحمَّمْتُ وجهي بالهواء المنعش.

قالت أولريكا للسائق: "هل يمكن الإسراع أكثر؟" فتمتم السائق ببضع كلمات متذمِّرة قبل أن يضغط على دواسة البنزين.

تحوَّل ذهني إلى أيوب عليه السلام. هل كان هذا اختباري؟

أخبرتني أولريكا بأن مايكل بلومبيرغ كان ينتظرنا في مركز الشرطة.

فسألتها: "لماذا هو؟ أليست مصادفة كبيرة على نحو مريع؟"

"إنه محامٍ موهوب على نحو استثنائي".

"بالتأكيد، ولكن ما هي الاحتمالات؟".

"أحياناً الأمور تحدث وحسب. لا يمكنك التحكم بكل شيء".

لا أريد القول إنني كنت أكرهه. لا أحب التحدث بسوء عن الناس. تعلّمني التجربة إنه عندما تكره شخصاً ما استناداً إلى أسس غامضة كهذه، فإن المشكلة غالباً ما تكمن فيك.

أعطيتُ السائق إكرامية ثم صعدت السلّم قفزاً إلى مركز الشرطة لألحق بأولريكا التي كانت تفتح الباب حينئذ.

قابَلَنا بلومبيرغ في صالة الانتظار. كنت قد نسيت تقريباً كم كان رجلاً ضخماً. اقترب منا بتثاقل مثل دب، وسترته ترفرف حول بطنه. كان مُسْمَرّاً ويرتدي قميصاً أزرق وبذلة غالية الثمن، وكان شعره اللامع الممشّط نحو الخلف مموَّجاً عند مؤخرة رقبته.

قال بلومبيرغ: "أولريكا". ثم مشى مباشرةً نحوي وصافحني قبل أن يعانق زوجتي.

"ماذا يجري يا مايكل؟".

"هوِّني عليكِ. لقد انتهينا للتو من الاستجواب وسينتهي هذا الكابوس قريباً جداً. لقد توصَّلت الشرطة إلى استنتاج متسرِّع إلى حد كبير".

تنهَّدتْ أولريكا بقوة.

قال بلومبيرغ: "لقد تعرّفتْ امرأة شابة على ستيلا".

"تعرَّفتْ؟".

"لعلكما سمعتما بشأن العثور على جثة في حديقة ألعاب الأطفال بجوار بيليغوتن؟".

قلت: "ويُفترَض أن ستيلا كانت هناك؟ في بيليغوتن؟ لابد من وجود خطأ ما".

"هذا هو الوضع بالضبط. لكن الفتاة تعيش في المبنى نفسه الذي يعيش فيه الرجل الذي قُتل، وتزعم أنها شاهدت ستيلا هناك في الليلة الماضية. تعتقد أنها تعرف ستيلا من إتش أند إم. يبدو أن هذا هو كل ما يملكه المحققون".

"هذا سخيف. هل يمكن أن تُحتجَز حقاً بناءً علي أسس واهية كهذه؟".

رجعتُ بذاكرتي إلى الليلة السابقة وحاولتُ تذكُّر التفاصيل. كيف رقدتُ صاحياً في فراشي، منتظراً عودتها، وكيف عادت ستيلا أخيراً إلى المنزل واستحمّت قبل أن تنسلّ بهدوء إلى غرفتها.

سألته أولريكا: "هل هي محتجزة؟".

فسألتها: "وما الفرق؟".

قال بلومبيرغ: "للشرطة الحق باحتجاز شخص ما، ولكن لإبقاء هذا الشخص هناك يجب أن يصدر المدَّعي أمراً باحتجازه. يتوجَّب على المحقق المسؤول فقط إبلاغ المدّعي المناوب وبعد ذلك سيُطلَق سراح ستيلا. أؤكد لكما ذلك. كل هذا خطأ وحسب".

بدا واثقاً إلى حد بعيد، مثل الصورة المطبوعة بذاكرتي عنه، وهذا ما أثار قلقي. أي شخص يخلو من الشك يفتقد حتماً للانتباه للتفاصيل وللاهتمام أيضاً.

قلت له: "ولكن لماذا هذا التعجُّل في اعتقالها؟ إذا لم يكن لديهم أي شيء آخر للمواصلة؟".

"هذه قضية إشكالية وحساسة حقاً. تريد الشرطة التصرُّف بسرعة. في الواقع، إن الضحية ليس مجرد أي شخص".

التفتَ إلى أولريكا وخفض صوته قليلاً قائلاً: "إنه كريستوفر أولسن. ابن مارغريتا".

شهقت أولريكا وقالت: "ابن مار... مارغريتا؟".

سألتهما: "من هي مارغريتا؟".

فقال بلومبيرغ: "الرجل المقتول يُدعى كريستوفر أولسن. أمه هي مارغريتا أولسن، بروفسيورة في القانون الجنائي".

برفيسورة؟ رفعتُ كتفيَّ مستغرباً وقلت: "وما علاقة هذا بأي شيء؟".

قال بلومبيرغ: "مارغريتا معروفة جداً في الدوائر القانونية. وابنها أيضاً صنع لنفسه اسماً في عدد من المجالات. رجل أعمال ناجح. مالك عقارات، ويرأس الكثير من مجالس الإدارة".

فقلت بصبر نافد: "ولماذا هذا مهم؟".

في الوقت نفسه، تذكَّرتُ كلماتي بالذات، بأن هذا النوع من الجرائم يحدث فقط لمدمنين على الكحول أو المخدرات. لا شك أنه افتراض مليء بالتحيُّز، لكنه يستند أيضاً إلى أدلة وإحصائيات عملية. تضطرُّ أحياناً لإغماض عينيك عن الاستثناءات كي لا تنهار.

فقال بلومبيرغ: "ربما يجب ألا يكون مهماً". ولكن، من القراءة بين السطور، كان واضحاً أن ذلك مهم بالفعل، وأن بلومبيرغ لم يكن متأكداً من وجود خطأ ما في الواقعة.

قالت أولريكا: "ابن مارغريتا أولسن. كم عمره؟".

"اثنان وثلاثون، أعتقد. أو ثلاثة وثلاثون. قوة مميتة بواسطة سلاح حاد. تتكتّم الشرطة حالياً بشأن التفاصيل. خلال الاستجواب، كان أكثر اهتمامهم منصبّاً على مكان تواجد ستيلا مساء أمس والليلة الماضية".

مساء أمس والليلة الماضية؟

قالت أولريكا: "متى قُتل هذا الرجل؟".

"ليسوا واثقين، لكن الشاهدة سمعت جدالاً وصراخاً بُعيْد الواحدة بعد منتصف الليل. هل كنتما صاحييْن عندما عادت ستيلا إلى المنزل؟".

التفتتْ أولريكا إليّ فأومأتُ برأسي دلالة على التأكيد.

كنت هناك أتقلّب في فراشي، غير قادر على النوم. الرسالة النصّية التي أرسلتُها، دون أن أتلقى أي رد. إذن قلقي لم يكن بلا أساس. تذكّرتُ كيف جاءت ستيلا إلى المنزل وكيف راحت تقرقع في الحمام وغرفة الغسيل. كم كانت الساعة حينئذ؟

"لابد من وجود شخص ما يمكنه إعطاؤها حجة غياب".

نظر كل من أولريكا وبلومبيرغ إليّ.

12

عرَضَ مايكل بلومبيرغ أن يقلّنا إلى المنزل بسيارته رباعية الدفع. كان الجو في أمسية أواخر الصيف تلك عذباً وكان الناس يتجوّلون في شوارع لوند وكأن شيئاً لم يحدث. متنزِّهون مع كلابهم، ورفاق يمشون معاً، أشخاص خارجون من بيوتهم أو ذاهبون إلى بيوتهم أو لا يقصدون أي مكان على الإطلاق، عمّال نوبة ليلة، وأشخاص يعانون من الأرق. الحياة اليومية لم تكن على وشـــك التوقـــف لمجرد أن حياتنا انقلبت رأساً على عقب.

عندما توقفت السيارة بجانب منزلنا، تساءل بلومبيرغ إن كان بوسعه فعـــل أي شيء آخر من أجلنا، وقال إنه لا يمانع البقاء لبعض الوقت إذا كنا نرغـــب بذلك.

فقلت له: "لا داعي لذلك".

بقيتْ أولريكا واقفة في الشارع الفرعي المؤدي إلى المنزل للتحدث معه قليلاً في حين أسرعت أنا إلى الحمام. كان جسدي بأكمله ســـاخناً وفمـــي جافاً كنشارة الخشب. شربتُ من الصنبور مباشرةً ووضعت رأســـي تحـــت الماء.

ذهبتُ إلى المطبخ فوجدتُ أولريكا جالسةً ورأسها بين يديها. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير حينئذ. ولكن، رغم تأخر الوقت واحتجاجاتي، إلا أنها سرعان ما بدأت الاتصال مع كل شخص تعرفـــه في الشـــرطة، وبعـــض الصحفيين والمحامين -أي شخص يمكن أن يعرف شيئاً ما أو يقـــدم مســـاعدة. جلستُ قبالتها ورحت أبحث في الإنترنت عن معلومات حول الحادثة في شارع بيليغوتن، حول كريستوفر أولسن وأمه البروفيسورة.

وبين الحين والآخر كنت أنظر إلى الساعة. كانت الدقائق تســـير بتثاقـــل شديد.

وحين انقضت ساعة كاملة، لم يعد بوسعي الجلوس ساكناً، فقلت لها: "لماذا لا نحصل على أية أجوبة؟ كم يمكن أن يستغرق هذا الأمر؟".

فقالت أولريكا وهي تنهض عن كرسيها: "سأتصل بمايكل".

سمعتُ صريراً على السلّم وثم صوت باب مكتبها يُغلق. خطرت في ذهني أفكار سوداء أثارت قلقي.

ذرعتُ أرض المطبخ والممر جيئةً وذهاباً. رنَّ هاتفي الخلوي وكنت أحمله بيدي.

"أنا أمينة".

بكتْ ثم نحنحتْ حلقها.

"أمينة؟ هل حدث خطب ما؟".

"أنا آسفة. لقد كذبت".

كما توقعتُ تماماً. إنها لم ترَ ستيلا في يوم الجمعة. لقد تحدَّثنا بشأن الخروج معاً لكن ذلك لم يحدث.

" لم أعلم ماذا أقول عندما سألْتَني فكذبتُ، ولكن من أجل ستيلا فقط. اعتقدتُ أنه ربما... أردتُ أن أعلم منها أولاً".

فهمتُ. لم يكن هناك أي داعٍ للغضب منها. كانت كذبة بيضاء.

أضافت أمينة بسرعة: "ولكن، لابد من وجود شخص آخر يمكنه منحها حجة غياب. هذا جنوني تماماً!"

كان وضعاً غريباً بحق. وفي الوقت نفسه، كان يزداد غموضاً. تخيَّلتُ ستيلا محتجزةً في زنزانة باردة حقيرة حيث يوضَع القتلة والمغتصبون.

نزلت ستيلا على السلّم هرولةً.

وقالت: "أصدر المدّعي الأمر بإعادة احتجاز ستيلا".

"إعادة احتجازها".

بدأ قلبي ينبض بعنف، وجسدي ينضح عَرَقاً.

قالت أولريكا: "سيبقونها في السجن".

"كيف لهذا أن يكون ممكنا؟".

"قد يكون للأمر علاقة بالتحقيق. أشياء تريد الشرطة التحقق منها قبل إطلاق سراحها".

"مثل حجة غياب؟".

"مثلاً".

لم أكن أعرف ما يجب علينا فعله. كان جسدي في حالة هياج و لم يكن بوسعي الجلوس سوى لمدة قصيرة ومن ثم الوقوف والشروع في المشي مجدداً. كنت أتجوَّل في جميع أرجاء المنزل مثل زومبي، حافياً إلا من جوربيَّ.

بزغ الفجر علينا ونحن على هذه الحال. كنت أشعر بعدم الراحة في معدتي نتيجة شرب الكثير من القهوة وكان رأسي مشوشاً بسبب عدم النوم.

أخيراً اتصل بلومبيرغ. وقفتُ قبالة أولريكا في المطبخ حابساً أنفاسي.

كانت إجاباتها مختصرة ومُعماة. وبعد انتهاء المكالمة، ظلت واقفةً في مكانها ضاغطةً بالهاتف على أذنها.

فسألتها: "ماذا قال؟".

كانت أولريكا تنظر إليّ لكن ذهنها كان في مكان بعيد.

"يجب علينا مغادرة المنزل".

كان صوتها رقيقاً كخيط عنكبوت، على وشك الانقطاع.

"ماذا؟ ماذا يجري؟".

"الشرطة في طريقها إلينا. سيفتشون المنزل".

ذهب تفكيري فوراً إلى البلوزة المبقعة. لا يمكن أن يكون دماً، بالتأكيد؟ لابد من وجود تفسير معقول. لابد أن الأمر، كما قال بلومبيرغ، لا يعدو كونه قرارات متعجِّلة وسوء فهم.

لا يمكن لستيلا أن... أو هل يمكن أن؟

دخلتُ إلى غرفة الغسيل ورفعتُ كومة الثياب التي وضعتُ البلوزة تحتها.

لقد اختفت.

قالت أولريكا من المطبخ: "ماذا تفعل؟ يجب أن نذهب".

بحثتُ على نحو محموم في أكوام الثياب الأخرى لكـــنني لم أجـــد شـــيئاً. وكانت حبال نشر الغسيل فارغة. لقد اختفت البلوزة.

صاحت أولريكا: "هيا"

13

لطالما كان المستقبل مشرقاً، ولكن بطريقة ساطعة، أو بالأحرى شبه مُعْمية للبصر، مثل شمس الشتاء عبر الضباب الرقيق المتصاعد. لم يكن هناك أي قلق حتى وإن لم تكن المسالك قد عُبِّدتْ أمامنا بعد. أذكر ستيلا الصغيرة، بأسنانها الناشئة وضفائر شعرها. ستيلا التي رفضت النوم لوحدها بعد قراءة قصة "الشبح الصغير غودفري". ستيلا التي كنت أوصلها إلى روضة الأطفال [المدرسة التحضيرية التي تسبق المرحلة الابتدائية] كل صباح، سنة بعد سنة. أذكر نظرة اشتياقها عبر النافذة وهي تلوِّح وتلوِّح بيدها. ستيلا الصغيرة التي كانت تتعرَّض لمضايقات من بضعة صبية صغار كانوا يدعونها "مهووسة المسيح"، الأمر الذي كان يجعلها تدسُّ وجهها في الوسادة وتبكي وهي تقول إنها تريد ترك الروضة والانتقال إلى مكان يبعد ألف ميل. وأنا -الأب الذي كان يعمل مرشداً روحياً في السجن، الذي تعامل مع قتلة ومغتصبين، والمدرَّب على المواجهات متدنية المستوى- فقدتُ السيطرة على نفسي لدرجة أنني أمسكت بواحد من الصبية الصغار وهدَّدته بعواقب وخيمة.

أتذكَّر مواجهة مزعجة جداً في الروضة حين كانت ستيلا في سن الخامسة. كان دور أولريكا في حضور الاجتماع، ولكن تَصادَفَ أنني كنت خالياً من أي التزامات في ذلك الصباح فقررت مرافقتها. جلسنا في غرفة اجتماع طاقم التعليم بينما كان الأطفال يلعبون في الباحة، خارج النافذة.

قالت المعلمة وهي تمدُّ يدها فوق الطاولة: "من الأفضل إنزال الستائر".

كان سنُّها يقارب الأربعين وكانت هناك خصل شائبة في شعرها. وكانت تملك قدرة مذهلة على التحوُّل في لحظة واحدة من التحدُّث بنبرة رقيقة ومرحة إلى الصراخ بقسوة وإعطاء أوامر مباشرة. لابد أن ذلك يأتي مع المهنة.

سألتنا بعد جلوسنا مباشرةً: "ما هو شعوركما حيال سير الأمور؟".

تبادلنا أنا وأولريكا النظرات وأومأنا برأسينا دلالة على الرضى. كان كل شيء يبدو على ما يرام.

أطلعتنا المعلّمة، وكان اسمها إنغريد، على كل الأنشطة والمهارات اليدوية والألعاب التعليمية التي قاموا بها خلال الخريف والشتاء. كانت تحمل ملفاً مليئاً بالصور التي رسمتها ستيلا، إضافة إلى صور لستيلا وهي تلعب في الباحة أو جالسة في حلقة على الأرض، أو في الرحلات. نظرنا أنا وأولريكا وابتسمنا وهززنا رأسينا بغبطة. لكننا في الوقت نفسه شعرنا وكأننا كنا في انتظار سقوط فردة الحذاء الثانية، وكأن تلك كانت مجرد مقدمات؛ فرصةٌ كي تستجمع إنغريد شجاعتها لما هو قادم.

تلى ذلك فترة صمت وجيزة أخذتْ إنغريد بعدها نَفَساً عميقاً ثم راحت تقلّب صفحاتها بشكل عشوائي.

ثم قالت دون أن تنظر إلينا: "تَقَدَّمَ إلينا بضع آباء وأطفال بشكاوى. في بعض الأحيان يمكن أن تكون ستيلا مسيطرةً تماماً وهي... تغضب، إذا لم تسر الأمور وفق مشيئتها".

بدا ذلك مألوفاً، بالطبع، مع أنني أفترض بأننا كنا نأمل ألا يكون هذا الأمر واضحاً في الروضة كما هو حاله في المنزل. أحسستُ بالحرج على الفور، لكنني في الوقت نفسه اتخذت موقفاً دفاعياً حين علمت أن آباءً آخرين أعربوا عن آراء غير إيجابية تتعلق بابنتي.

"أنا واثق بأن الأمر ليس بهذا السوء؟ إنها في الخامسة من عمرها فقط".

هزتْ إنغريد برأسها موافقةً ثم قالت: "أثار بضع آباء هذا الموضوع مع مديرة المدرسة. من المهم بالنسبة إلى ستيلا أن تحصل على مساعدة في هذا الخصوص، في المدرسة والمنزل معاً".

قالت أولريكا: "ماذا؟ من هم هؤلاء الآباء؟".

سألتها: "هل يمكنك إعطاؤنا مثالاً؟ ما الخطأ الذي ارتكبته ستيلا؟".

قلّبتْ إنغريد في صفحات وثائقها ثم قالت: "حسناً، في ألعاب تمثيل الأدوار، حين يقلّد الأطفال شخصيات معينة، تريد ستيلا بشدة السيطرة على الآخرين".

رفعتْ أولريكا كتفيها.

وقالت: "أليس أمراً جيداً في بعض الأحيان أن يقوم شخص ما بدور القائد؟".

قلت: "نحن نعلم أن ستيلا يمكن أن تبدو أحياناً مُهيمِنة. السؤال هو إلى أي حد يجب علينا محاولة قمع هذا الأمر. مثلما قالت أولريكا، صفات القيادة يمكن أن تكون أمراً جيداً للغاية، أن تكون مباشِرة؛ قوةٌ دافعة".

حكّتْ إنغريد حاجبها الأيمن بشدة.

ثم قالت: "في الأسبوع الماضي، قالت ستيلا إنها... كان يتوجّب على الأطفال إطاعتها لأنها كانت مثل... وهو مسؤول عن كل شيء".

شعرتُ بعينَيْ أولريكا تثقباني من الجانب. لقد أمضت ستيلا بعض الوقت معي في الكنيسة، بعد أن أبدتْ اهتماماً بعملي فضلاً عن الأسئلة الوجودية التي كانت تطرحها مسبقاً، لكنني لم أكن أحلم أبداً بإعطائها حلولاً جاهزة أو أجوبة محددة. إضافة إلى ذلك، فأنا لا أتطرَّق أبداً إلى قدرة الله الكلية حتى في حضور ابنتي.

قلت باقتضاب: "سوف نتحدث مع ستيلا".

في طريقنا إلى المنزل بالسيارة أوقفتْ أولريكا الراديو، ثم قالت: "إنه لأمر يدفع إلى الجنون، آراء الناس بشأن أطفال أشخاص آخرين".

فقلت وأنا أعيد تشغيل الموسيقا: "لا شيء يدعو إلى القلق. إنها في الخامسة فقط".

لم أكن أدرك كم يمضي الوقت بسرعة.

14

في عصْر يوم الأحد، كنت جالساً في غرفة استجواب في مركز الشرطة بانتظار استجوابي. قُدِّمتْ لي قهوة قوية في كوب كبير (مَغْ)، ومرّتْ الدقائق ببطء وألم، وشعرت بالحكاك. وأخيراً وصلتْ رئيسةُ التحقيق، وكان اسمها آغنس ثيلين، وعلى وجهها تعبير استرضائي. ادّعتْ بأنها تعلم بالضبط ما كنت أحسُّه لأنها أم لشابيْن قريبيْن من عمر ستيلا.

"أعلم بأنك تشعر بالخوف والحزن".

"لم أكن لأستخدم هاتين الكلمتين".

كنت غاضباً بشكل رئيسي. قد يبدو هذا غريباً، على الأقل بالتفكير فيه الآن، ولكن لعلي كنت في خضم مرحلة الصدمة. لقد علَّقتُ الخوف والحزن وركَّزتُ على بقائي، على بقاء عائلتي.

سألتها: "ما الذي تبحثين عنه؟".

"ماذا تعني؟"

"أعني لماذا تفتشون منزلنا. كل عناصر الشرطة يفتشون في ممتلكاتنا في هذه اللحظة".

هزَّتْ رئيسةُ التحقيق برأسها ثم قالت: "نحن نبحث عن أدلة تقنية، وهي قد تكون أشياء كثيرة ومتنوعة. من الممكن أن نعثر على شيء يكون في صالح ستيلا، شيء يثبت قصتها. أو قد لا نجد أي شيء على الإطلاق. نحن نحاول معرفة ما حدث".

قلت لها: "لا علاقة لستيلا بهذا الأمر".

هزَّت آغنس رأسها ثانيةً وقالت: "سنسير خطوة خطوة. هل يمكنك البدء بإخبارنا بما فعلتَه في يوم الجمعة الماضي؟"

"كنت في الكنيسة طوال اليوم تقريباً".

"في الكنيسة؟"

بدا من طريقة كلامها وكأنه المكان الأخير على الأرض الذي كانت ستزوره.

فقلتُ مفسِّراً: "أنا قس".

نظرتْ آغنس إليّ فاغرة فاها لوهلة ثم عادت إلى مداركها وشغلت نفسها بالتقليب في وثائقها.

"إذن كنت... تعمل؟"

"كان لديّ جنازة في عصر ذلك اليوم".

"جنازة، جيد". دوَّنتْ ملاحظة. "في أي وقت رجعتَ إلى البيت؟"

"حوالي السادسة، كما أظن".

أخبرتها بأنني استحممت وأعددت وجبة لحم ثم أكلتها مع أولريكا. وبعد الوجبة لعبنا لعبة تريفيال بيرسوت على الأريكة ثم خلدنا للنوم. عملتْ ستيلا حتى السابعة والربع وكانت تنوي لقاء إحدى صديقاتها في مركز المدينة بعد ذلك.

سألتني آغنس ثيلين إن كنتُ اتصلتُ بستيلا في ذلك المساء فأخبرتها بأنني أرسلتُ لها رسالة نصية لكنني لا أذكر ماذا كان جوابها، أو حتى إن أجابت أم لا.

"هل من المعتاد ألا تجيب ستيلا على الرسائل؟"

رفعتُ كتفيَّ وقلت: "لديكِ مراهقيْن".

"لكننا نتحدَّث عن ستيلا الآن".

قلت لها إن ذلك لم يكن غير عادي على الإطلاق. غالباً ما كانت تردُّ عاجلاً أم آجلاً، ولكن آجلاً كان هو المألوف. وأحياناً كان الرد يأتي متأخراً جداً. و لم يكن بغريب أن يكون الرد مؤلفاً من رمز وجهي أو إبهام مرفوع فقط.

"من كانت الصديقة؟"

اضطُررتُ لبلع ريقي قبل أن أجيب: "ماذا تقصدين؟"

"من كانت الصديقة التي كانت ستيلا تنوي لقاءها؟ الصديقة التي كانت ستخرج معها؟"

حدَّقتُ إلى الطاولة ثم قلت: "كانت ستيلا قد أخبرتْ زوجتي بأنها كانت ستلتقي مع صديقتها أمينة. لكننا سألنا أمينة وهما لم يريا بعضهما في يوم الجمعة".

"لماذا برأيك كانت ستيلا تكذب؟"

كان اختيارها للكلمات مستفزاً.

"لم تكن تكذب. أخبرتنا أمينة بأنهما كانتا تنويان الالتقاء، لكن الخطط تغيَّرتْ".

"ماذا فعلتْ بدلاً من ذلك برأيك؟"

لم أجبْ. لماذا عليّ التخمين؟ من المؤكد أن أفكاري لم تكن تعني الكثير.

فقالت آغنس: "هل تعلم ماذا فعلتْ بدلاً من ذلك؟"

كان هذا سؤالاً معقولاً.

"لا".

قلَّبتْ آغنس ثيلين في صفحاتها مجدداً بصمت. رغم أن ذلك استغرق بضع ثوانٍ فقط، حقاً، لكنه كان كافياً لكي يبدو الصمت ذا مغزى، بطريقة ما.

"ما نوع الهاتف الذي تملكه ستيلا؟"

قلت لها إنه آيفون، لكنني أخلط دائماً بين الموديلات. على أي حال، كان أبيض اللون. هذا كل ما كان بوسعي إخبارها به.

قالت آغنس ثيلين: "هل تملك أكثر من واحد؟"

"أكثر من واحد؟ لا".

من الواضح أن الشرطة كانت ستجد هاتفها في منزلنا، وتأخذه إلى قسم الأدلة. تساءلتُ لوهلة إن كان يجب عليّ إخبار ثيلين بأن ستيلا نسيتْ هاتفها في المنزل، لكنني قررت ألا أفعل. بدا غريباً بالنسبة إلى فتاة في التاسعة عشرة أن تنسى هاتفها.

"هل تعرف إن كانت ستيلا تملك بخّاخ فلفل؟"

"بخّاخ فلفل؟ النوع الذي تستخدمه الشرطة؟"

"بالضبط. هل تملك ستيلا بخاخاً مثل هذا؟"

"بالطبع لا. هل هذا قانوني أساساً؟"

شعرتُ بالغثيان.

سألتني آغنس ثيلين: "في أي وقت خلدتَ للنوم يوم الجمعة؟"

"الحادية عشرة، ربما بعد ذلك بقليل".

"هل غفوتَ فوراً؟"

"لا، لم أستطع النوم".

"حسنا فقد بقيتَ صاحياً مدةً طويلة؟"

أخذتُ نفَساً. كان رأسي يدور. صور ضبابية لستيلا وهي طفلة، ومراهقة معتدَّة بنفسها، وامرأة ناضجة. فتاتي الصغيرة. عائلتنا؛ أولريكا وستيلا وأنا. الصورة في النافذة.

"بقيتُ صاحياً في فراشي منتظراً ستيلا. أعتقد أنه مهما كبر ابنك فإنك لا تكفين عن القلق عليه".

أومأتْ آغنس ثيلين برأسها موافقةً.

أما ما حدث بعد ذلك فمن الصعب تفسيره.

لم أخطط له. لقد جئتُ إلى الاستجواب ناوياً قول كل ما أعرفه. لم أفكر ولا لمرة واحدة في الانحراف عن الحقيقة ولو قيد أنملة.

"حسنا فقد كنتَ صاحياً عندما عادت ستيلا إلى المنزل؟"

عينا آغنس ثيلين كانتا كبيرتين ومحفّزتين على البوح.

"أممم".

"عفواً؟"

قلت بنبرة أكثر حدة: "أجل. كنت صاحياً حين عادت ستيلا إلى المنزل".

"هل لديك فكرة كم كان الوقت حينئذ؟"

فكّرتُ في داخلي، *ما هو الكذب؟* مثلما هناك أنواع مختلفة من الحقائق، لابد من وجود أنواع مختلفة من الكذب. الكذب الأبيض، على سبيل المثال.

كنت دائماً أعتقد أن الكذبة الرقيقة أفضل من حقيقة مؤلمة.

ولكن، كان هذا مختلفاً بالطبع.

"كانت الساعة الحادية عشرة وخمسة وأربعين دقيقة عندما عادت ستيلا إلى المنزل".

حدَّقتِ المحققة ثيلين إليّ وتلوَّتِ الوصيةُ الثامنةُ في أحشائي مثل أفعى. يقول الإنجيل إن من يكذب سيهلك. ولكن، في الوقت نفسه، إن ربي عادل وغفور.

سألتني آغنس ثيلين: "كيف تعلم ذلك؟ بهذه الدقة، أقصد".

"لقد نظرتُ إلى الساعة".

"أي ساعة؟"

"في هاتفي".

هناك آية في الأناجيل تقول إن البيت المنقسم لا يمكن أن يصمد. أدركتُ أنني نسيت عائلتي. أهملتها. لم أكن الأب والزوج الذي يجب عليّ أن أكونهما.

لم أكن حتى تلك اللحظة أعرف شيئاً عما حدث حين فقَدَ ذلك الرجل حياته على أرض حديقة ألعاب الأطفال في بيليغوتن، لكنني كنت أعرف شيئاً واحداً علم اليقين، وهو أن ابنتي ليست قاتلة.

قالت آغنس ثيلين: "هل أنت واثق بأن ستيلا هي التي جاءت إلى المنزل؟"

"بالتأكيد واثق".

"أعني، أليس ممكناً أنك كنت تسمع شيئاً آخر؟"

ابتسمتُ بثقة، مع أنني كنت أتفتَّتُ من الداخل.

"أنا متأكد. لقد تحدَّثتُ معها".

قالت آغنس ثيلين بتعجُّب: "تحدَّثتَ معها؟ ماذا قالت؟ ألم يظهر أي شيء؟"

"أبداً. في الغالب لم نقل سوى ليلة سعيدة لبعضنا".

لم تبعدْ آغنس ثيلين عينيها عني.

تلوَّت الأفعى في أحشائي ثانيةً. تملّكني شعور غامر بأنني لم أكن أنا حقاً، وإنما شخص آخر يقول كل هذه الأشياء في غرفة التحقيق الموحشة.

في رسالته الأولى إلى تيموثي، يقول بولس إن الشخص الذي لا يرعى عائلته يهجر إيمانه بالمسيح. لم أعتنِ بعائلتي جيداً بما يكفي. وكانت تلك فرصة لتصحيح أخطائي.

قلتُ في نفسي: *هذا ما تفعله العائلات. إنها تحمي بعضها بعضاً.*

15

خلال الصيف الذي بلغتُ فيه عامي السادس عشر، بدأتُ أواعد أخيراً فتاة من سنّي تُدعى أوسا حلمت بها لسنوات فغمرتني سعادة لم أشعر بمثلها من قبل. ولكن، خلال رحلة تخييم إلى دالارنا دامت أسبوعاً تعرَّفتُ إلى دوريس التي كانت تكبرني بعاميْن، وتدخِّن المنثول، وتعكف على كتابة رواية. لم يحدث أي شيء بيني وبين دوريس، لكنني حين عدتُ إلى البيت، وإلى أوسا، ظل الشعور بالذنب يخزني إلى أن بُحْتُ لها بكل شيء عن دوريس، بما في ذلك حقيقة أنني أردتُ تقبيلها، رغم أنه كان المستبعد أن نرى بعضنا أنا ودوريس مرة أخرى. تركتني أوسا في اللحظة ذاتها و لم يطل الوقت حتى انتشرت إشاعة مفادها أنني كنت حقيراً مخادعاً لا يمكن الوثوق به. لم أتمكّن بعد هذه الحادثة من امتلاك حبيبة في بليكينغه، رغم أنني كنت أشعر في صميم قلبي بأنني فعلت الصواب.

لقد ترعرعتُ في عائلة مشبَعَة بقيَم السبعينيات، قيم الحرية والتضامن. كان أبي مزارعاً عضوياً وكان يتناول فطوره عارياً في المطبخ مع قهوته وغليونه المملوء حديثاً. شرحتْ أمي لي الدورات الحيضية والاحتلامات الليلية قبل أن أبدأ الصف الأول الابتدائي. كانت القواعد والمتطلّبات شبه معدومة. الإحساس الطيِّب والأخلاق الفطرية كانا كافيين.

حين كنت في سن العاشرة، أمسك بي أبي بينما كنت أشدُّ شعر أختي بقوة شديدة لدرجة أن مجموعة كبيرة من الشعر خرجت في يدي، فسألني: "هل هذا يُشعرك بالراحة في قلبك؟"

كان هذا كافياً لدفعي للبكاء خجلاً وشعوراً بالذنب.

حاولتُ فعل الأمر ذاته مع ستيلا بضع مرات.

سألتُها عندما اتصلتْ مديرتها لتقول إن ستيلا رمت قبعة فتاة أخرى فوق سطح المدرسة: "هل هذا يُشعركِ بالراحة في قلبك؟"

حدَّقتْ ستيلا إليّ بالمقابل ثم قالت: "قلبـي لا يشعر بأي شيء. إنه ينبض فقط".

أنا مصرٌّ على أنه ما من شيء أكثر صعوبة من أن يكون المـرء والـدا (أو والدة). لجميع العلاقات الأخرى مخرج طوارئ. يمكنك (أو يمكنكِ) ترك حبيبة (حبيباً) -ومعظم الناس فعلوا ذلك في مرحلة ما من حيواتهم- إذا تراجع الحب، أو إذا تباعدتما، أو إذا لم تعد العلاقة تجعلك تشعر بالرضى في قلبـك. يمكنـك التخلي عن أصدقاء ومعارف، وأقرباء أيضاً، وحتى أشقاء وآباء في سياق الحياة. يمكنك التخلي عنهم والمضي في طريقك دون أن تشعر بذلك القدر من السوء. لكنك لن تستطيع أبداً التخلي عن ولدك.

كنا أنا وأولريكا شابين وعديمي الخبرة في الحياة حين أنجبنا ستيلا. أعتقد أننا كنا نعلم بأن الأمر سيكون صعباً، لكن حزننا كان في الغالب متعلقـاً بأشـياء دنيوية مثل قلة النوم، وصعوبة الإرضاع، والوقوع في المرض. لقد تطلّب الأمـر منا وقتاً طويلاً جداً لإدراك أن الجانب الأصعب من كون المرء والداً هو شـيء مختلف كلياً.

لمدة تقرب من عشر سنوات، حاولتُ وأولريكا منح ستيلا أخاً أو أختـاً. في بعض الأوقات، كانت حياتنا بأكملها تدور حول هذا الجزء المفقود، الأمـر الذي استنفد كل الطاقة التي كان بوسعنا توفيرها. لقد ذهبنا إلى الحرب وكلانا مُسلح بأسوأ أنواع العزم على الفوز. قلنا لنفسيْنا إن إشارة زائد صـغيرة علـى اختبار الحمل ستكون الحل لكل شيء.

لم نستطع رؤية ما كان يحدث لنا، كيف كنا نغرز نفسينا في حفرة مـن الشعور بالذنب والعار والنقص.

في إحدى زياراتنا العديدة إلى عيادة الخصوبة، جلسـنا ونحـن نسـترق النظرات إلى بعضنا من فوق ستيلا، التي كانت تلعب علـى الأرض بمكعبـات "ليغو". نتيجة سلبية أخرى. لا إخصاب.

في طريق عودتنا إلى المنزل، صرختُ في وجه أولريكا في السيارة: "هـذه ليست محاكمة! ليس هناك طرف مذنب هنا!"

أصدرتْ أولريكا نخرة استهجان وهي تنظر إلى النافذة المغلقة بالبخار، ثم قالت: "في هذه الحالة، أنا ألوم.... هل يمكنك أن تفسِّر لي لماذا لا يريد أن نملك طفلاً؟"

أجبتها وأنا أميل لأرفع صوت الراديو إلى أن كادت مكبرات الصوت أن تنفجر: "لدينا طفلة".

كنا في السنتين الأخيرتين قد انغمسنا في معركتنا ضد الطبيعة وضد بعضنا لدرجة أننا، ربما، نسينا من أجل من كنا نحارب. لقد قرأتُ عن جنود في الخنادق في الحرب العالمية الأولى نَسَوا في نهاية المطاف من كانوا يحاربون وبدؤوا بإطلاق النار على مواطني بلدهم.

في ذلك المساء، وقفت ستيلا في الصالون مرتديةً بيجامتها، بشعرها المثعث، ونظرتْ إلينا بعينين ناعستين. لابد أنها كانت في السادسة أو السابعة آنذاك. كنا أنا وأولريكا قد هرمنا خلال زمن قصير، وكان الشعور بالمرارة والصمت قد شقّا طريقهما إلى شقوق ما كان ذات يوم "نحن". بدا آنذاك بأن معركتنا كانت هي الشيء الوحيد المشترك بيننا.

قالت ستيلا ببرود: "لا أريد أخاً أو أختاً صغيرة".

مكتبة
t.me/t_pdf

16

بعد الاستجواب، اتصلتُ بأولريكا. وكانت قد مرَّت لتوّها على المنـــزل لتجد أن رجال الشرطة كانوا هناك.

قلت لها: "إنهم يعتقدون جدّياً بأن ستيلا فعلت شيئاً ما. هذا كابوس".

"ماذا أخبرت الشرطة؟".

"أخبرتهم بأنني أعرف بالضبط متى عادت ستيلا إلى المنزل يوم الجمعة. قلت لهم إنني كنت صاحياً وتحدثتُ معها".

لم تقل أولريكا شيئاً لوهلة، ثم سألتني: "في أي وقت كان ذلك؟".

أخذتُ نَفَساً. أكره الكذب. وخصوصاً على زوجتي. لكنني لم أجد خياراً آخر. لم يكن بوسعي جرّ أولريكا إلى هذا الأمر. لم تكن تعرف لأنها كانـــت نائمة حين وصلت ستيلا إلى المنزل. كيف كنت سأقدر على إخبارهـــا بـــأنني كذبت على الشرطة؟

قلت لها: "الحادية عشرة وخمسة وأربعون دقيقة".

لم يكن ذلك مريعاً كما كنت أخشى. كأن مقاومتي كانت تضعف أكثر بقليل كلما نطقتُ الكذبة.

قالت أولريكا إنها ذاهبة للقاء محقق في الشرطة كانت تعرفه. لم يكن هناك ما يمكنني فعله حينئذ. مشيتُ بخطىً سريعة نحو ساحة بانتورجيـــت. كانـــت الشمس حادة بحيث أرغمتْ عينيّ على النظر إلى الأرض. وكانت الأصـــوات حولي تبدو زاعقة ومُتَّهِمة. حثثتُ الخطى. بدت لي المدينة بأكملها مليئة بالأعين المحدقة.

في عصر ذلك اليوم، أخلتِ الشرطة منزلنا أخيراً. عندما عدت إلى المنـــزل، كانت أولريكا تُستجوَب في مركز الشرطة من قبل رئيسة التحقيق آغنس ثيلين. أحسستُ بتقلُّب في معدتي بينما كنت أفتح الباب، وأمشي بهدوء من غرفـــة إلى

أخرى. لم يكن باستطاعتي إظهار أي تذمر من رجال الشرطة الذين بذلوا جهداً و لم يتركوا سوى القليل مما يدل على أنهم كانوا هنا، لكن الشعور بأن حياتي قد انتهكت كان يضايقني.

تجوَّلتُ في الطابق الأول، وفتَّشت غرفة الغسيل وغرفة الاستقبال وغرفة المعيشة، حتى إنني فتحت موقد الحطب ونظرت إليه. ثم صعدت إلى الطابق العلوي نحو غرفة ستيلا ووقفت فيها لوهلة. فاجأني كم بدت فارغة. لابد أن الشرطة أخذت كثيراً من مقتنياها.

وقفتُ أمام النافذة في غرفة نومنا لبعض الوقت، أنظر إلى الصورة التي كسرتُها. مرَّرتُ سبّابتي على الصورة فغمرني شعور جميل. لا يوجد شيء أهم من العائلة.

في الخارج كان الغسق يغمر الأرض بطبقة رقيقة من الظلمة. لاحقتْ عيناي السلسلة المتلألئة لأنوار الشارع وصولاً إلى خط الأفق، وفكَّرتُ في نزول الرحمة على الصابرين. الصالحون يتمسَّكون بطريقهم.

اكتشفتُ أن بضع أشخاص من الجيران كانوا يقفون في الطرف المقابل من الشارع ويشيرون إلى منزلنا، فأنزلت الستائر بقوة. وبينما كنت أفعل ذلك قررت الاتصال برئيس مجلس الأبرشية لأطلب موافقته على إجازة مَرَضية. بدا حزيناً بصدق من أجلي، وقال بضع كلمات مواسية، ونصحني بالبقاء في البيت قدر ما أحتاج وطلب مني عدم القلق بشأن الرعية.

عندما اتصلتُ بأولريكا، كانت قد خرجت للتو من استجواب لها.

قالت: "الأمر ليس بالسهولة التي اعتقدها بلومبيرغ في البداية".

كان صوهّا يأتي في موجات. لم أتمكّن من التمييز إن كان الاتصال رديئاً أم أن أولريكا كانت على وشك البكاء.

"ماذا تقصدين؟".

سمعتُ أنفاسها الشاهقة قبل أن تقول: "لابد أن الشرطة وجدت شيئاً ما في منزلنا. لقد قدَّم المدَّعي للتو طلباً بالاحتجاز".

17

كان مكتب مايكل بلومبيرغ يقع في الطابق الثالث في واحدة من أفخم المباني في شارع كلوسترغوتن، على مرمى حجر من فندق جراند هوتيل. مع حلول صباح الاثنين، كانت آثار انعدام النوم ظاهرة على وجه زوجتي. أما أنا فالظاهر أن الإرهاق لم يكن أولويتي العليا، مع أنني لم أذق طعم النوم خلال الساعات الثماني والأربعين الماضية أيضاً. كانت هناك أشياء كثيرة أخرى تعتمل في داخلي.

قُدِّمتْ لنا قهوة تحت السقف العالي والمزيَّن بزخرفات جصّية بينما كان بلومبيرغ يمشي متثاقلاً بحذائه الجلدي اللامع واضعاً إبهامية في جيبيْه الخلفيْن.

"جلسة استماع الاحتجاز ستكون في الواحدة بعد الظهر".

شعرتُ بالفرح. أخيراً سنتمكّن من رؤية ستيلا.

تابع بلومبيرغ كلامه وهو يحكُّ رقبته: "وجدت الشرطة بصمة حذاء في مسرح الجريمة، من حذاء يماثل مقاس الحذاء الذي تنتعله ستيلا، ومع نفس الزخرفة على أسفل النعل".

قرصتُ ساعد أولريكا وقلت: "هل هذا كل شيء؟ الدليل الوحيد؟ هل وجدوا شيئاً عندما فتشوا منزلنا؟"

"من المبكر معرفة ذلك. أُرسل بعضٌ مما أخذوه من منزلكم إلى المختبر من أجل إجراء تحليل تقني".

سألته: "ألا يستغرق هذا وقتاً في العادة؟"

"لن يستغرق الأمر أكثر من بضعة أيام حتى نحصل على أجوبة. إن ما نتعامل معه هنا هو ما يُسمَّى احتجاز على ذمة التحقيق. بكلمات أوضح، هذا يعني إنهم سيحتفظون بستيلا في السجن إلى أن تتلقى الشرطة رداً من المخبر. لا يتطلّب الأمر الكثير لاحتجاز شخص ما إذا كانت هناك شبهة معقولة".

"من أجل بصمة حذاء فقط؟"

نظر بلومبيرغ إلى أولريكا كما لو أنه كان يرى أن الوقت حان لتدخُّلها. وكأنه كان يعتقد أن مهمتها هي شرح الأمور لزوجها الغبي.

"أعتقد أنك بحاجة لأن تكون مستعداً لبقاء ستيلا في الحجز".

بدا كلامه قَدَرياً. واستسلامياً. نظرتُ إلى أولريكا فأومأت برأسها دلالة على التأكيد. ما الذي يجري؟

سألَته أولريكا: "من المدّعي؟"

"جيني جانسدوتر".

"يُفترَض أن تكون جيدة. واحدة من النخبة".

كان من الصعب عليّ معرفة إن كان في هذا منفعة أم مضرّة لنا. لم أحتج يوماً للانغماس في الوثائق القانونية التي تتعامل مع الحرمان من الحرية. لحسن الحظ، معظم الناس لا يضطرون لذلك. ورغم أنني متزوج من محامية، إلا أن معرفتي كانت تقتصر على الأمور الأساسية البسيطة. وها قد علمتُ أن دليلاً صغيراً يمكن أن يُبقي شخصاً ما محتجزاً. في الواقع، لقد سمعتُ العكس مرات عديدة –ضباط شرطة يدّعون باستياء أن المشتبه به أُطلق سراحه قبل أن تسنح لهم فرصة اعتقاله، النظرة العامة التي تقول إن نظام العدالة السويدي معتلّ، وإنه يفضِّل حماية حقوق المشتبه فيهم والمدانين على التعامل مع معاناة الضحايا. كانت هناك مطالبات لفرض عقوبات أقصى واتخاذ إجراءات أشد صرامة. لقد عملتُ في سجون وأماكن احتجاز من قبل وأعربتُ شخصياً عن هذه الأفكار أيضاً. لم يكن لدي أي سبب لتغيير وجهة نظري.

قال بلومبيرغ وهو ينحني فوق طاولة مكتبه للقراءة من الوثيقة: "علاوة على ذلك، تملك المدّعية شاهدة. الجارة. مي سينيفال".

بدا شديد الهدوء، كأن هذا شيء يجب قبوله ببساطة. ألا يجب أن يكون غاضباً؟ ألا يريد فعل شيء ما؟

فقلت: "الشاهدة. كيف يمكن لها أن تكون متأكدة جداً بأن ستيلا هي التي رأتها؟ إنها لا تعرفها".

"تزعم أنها تُميِّزها من إتش أند إم".

"تميِّزها؟"

نخستني أولريكا بكوعها في جانبـــي.

قلت: "ماذا تقول ستيلا؟"

نحنح بلومبيرغ حلقه ومرَّر يده في شعره. ومرة أخرى التفـــت ليخاطـــب أولريكا مباشرة. مع كل ثانية تمر كنت أزداد اقتناعاً بأنه غير كفء.

"بعد إغلاق المحل، ذهبت ســتيلا وبضـــع مـــن زميلاتهـــا إلى مطعـــم ستورتورجيت. أكلن وتناولن قدحاً أو قدحيْن من الشـــراب الفرنســـي. وفي العاشرة والنصف تقريباً، غادرت ستيلا المطعم. أكدَّتْ كل زميلاتها ذلـــك. لم تقل شيئاً عن المكان الذي كانت تقصده لكن جميعهن افترضن أنها كانت ذاهبة بواسطة دراجتها إلى البيت".

"لكنها لم تفعل؟"

"ستيلا نفسها تقول إنها ركبت دراجتها وذهبت إلى تيجنيرس ومن ثم إلى بضع حانات أخرى في مركز المدينة. لا تتذكَّر بالضبط أين كانت في أي وقت محدد".

تبادلتُ وأولريكا النظرات. لا تبدو هذه حجة غياب مقنعة. بـــل إنهـــا في الواقع تبدو مراوغة -يشبه الكلام الذي يقوله الشخص المذنب. لماذا لم تبذل أي جهد لتذكُّر المزيد من التفاصيل؟

قلت: "لابد من وجود شيء إضافي يمكنها تذكُّره. لابد أن هناك أشخاصاً آخرين رأوها. إنها تعرف نصف المدينة".

نظر بلومبيرغ إلى أولريكا، لكنها لم تنظر إليه بالمقابل بل مطَّـــتْ نفســـها ونظرت بجانبه عبر النافذة الكبيرة.

ثم سأَلَتْه: "هل تعرف أي شيء آخر عن التسلسل الزمني؟ تلك الشـــاهدة، سينيفال، قالت إنها سمعتْ صراخاً وشجاراً حوالي الواحدة بعد منتصف الليل؟"

"هذا صحيح. ذكرت التقارير الأولى بعد الواحدة بعد منتصف الليل بقليل، لكنهم ينتظرون الآن تقرير التشريح الطبـــي قبل تثبيت أي شيء".

نظرتْ أولريكا إليّ.

"إذا تَقَرَّرَ أن كريستوفر أولسن مات في الواحدة بعد منتصف الليل، فهـــذا يعني أن ستيلا تملك حجة غياب".

قال بلومبيرغ: "هذا صحيح".

أحسستُ بنظري يتشوَّش.

واصل المحامي النجم كلامه مع ابتسامة مغرورة: "وليست مجـــرد حجـــة غياب. كل من تحدَّثتُ معهم يقولون إنك مثال للنزاهة والصدق يا آدم".

بلعتُ ريقي بصعوبة.

18

جرت جلسة الاستماع لمناقشة مسألة الاحتجاز بعد الغداء مباشرة. كنت قد مررت بجوار مبنى المحكمة آلاف المرات؛ تلك الواجهة غير العادية المكسوَّة بحجارة داكنة غير منتظمة الشكل، إضافة إلى التفاصيل النحاسية وبرج الساعة الصغير في المقدمة. وها أنا ذا أدخل عبر الأبواب للمرة الأولى وأُرغَم على إفراغ جيوبي. وقفتُ في المدخل بينما كان حارس أمني يربِّت على جسدي من الأعلى إلى الأسفل. حين أصبحنا في الداخل جلستُ وأولريكا على مقعد بلا مسند في الممر لننتظر عليه. بدا الهواء لزجاً.

كلما انفتح الباب كنا نثبُ واقفيْن فيجفل عناصر الأمن، إلى أن طلبوا منا الاسترخاء.

وأخيراً وصلتْ ستيلا، محاطة من الجانبين برجليْن يرتديان زياً رسمياً. وقفتْ هناك كشبح نحيل بين حارسيْن عريضي الكتفيْن دون أن تنظر في اتجاهنا. هرعتْ أولريكا نحوها وعانقتها فأبعدها أحد الحارسيْن بسرعة.

"ستيلا! حبيبتي!"

حاولتُ شقَّ طريقي بين الحارسيْن الضخميْن لألمس فتاتي الصغيرة لكن أحدهما مدَّ ذارعيه مفتولتي العضلات وأعاق وصولي إليها.

قالت أولريكا: "سينتهي هذا سريعاً ستيلا".

كانت ستيلا شاحبةً وعيناها غائرتين، وكان فيها شيء آخر لم أعهده من قبل. كانت مستسلمة. كان الإرهاق البادي على وجهها يشبه ذلك النوع الذي تراه فقط في الأشخاص الذين أعلنوا استسلامهم، وتركوا أنفسهم لمصائرها، أو في حالتها هي، للنظام. الأشخاص الذين يقولون "افعلوا كل ما تشاءون بي". يمكنك رؤية ذلك في أعينهم.

لقد قابلتُ أشخاصاً استسلموا. أشخاص استنفدوا كلياً حس الغاية والإرادة

فيهم بحيث أنهم لم يعودوا قادرين على استجماع القوة حتى لإيذاء أنفسهم.

عندما اقتيدت ستيلا إلى قاعة المحاكمة، أُصبتُ بحالة من عدم اليقين. كنت معلّقاً هناك في الهواء أرفس بساقيّ محاولاً النجاة، ومتشبثاً بيديّ بغية استعادة توازني.

لم تكن قاعة المحاكمة أكبر من غرفة معيشة عادية. كان القاضي يُقلّب بعض الوثائق حين كنا نهمُّ بالجلوس على مقعدينا. سحب بلومبيرغ كرسياً لستيلا وبينما كانت تحاول الجلوس بدت وكأنها انهارت، كأن جسدها أصبح خالياً من المفاصل، فاضطُر بلومبيرغ للإمساك بها بكلتي يديه.

شددنا أنا وأولريكا على يد بعضنا بعضاً. كانت طفلتنا الصغيرة تبعد خمسة أمتار فقط عنا و لم يكن مسموحاً لنا لمسها.

دخلت المدّعية منتعلة حذاءً عالي الكعبين سمعنا طقطقتهما منذ أول الممر. خطواتٌ وثّابةٌ كالنابض، ثيابٌ غالية الثمن، مجوهراتٌ ترنُّ حول رقبتها ومعصمها، وجسدُ لاعبة جمباز -قصيرة ونحيلة ومتناسقة ومقوَّسة الساقين. كانت تضع نظّارة ذات إطار أسود مربع الشكل، وكان شعرها مسرَّحاً بعناية نحو الأسفل بحيث أنك لم تكن لترى شعرة ناشزة واحدة. وضعتْ وثائقها في ثلاث كدسات مرتَّبة على الطاولة وسوَّت أطرافها بأظافرها الحمراء كلون الياقوت، ثم صافحت بلومبيرغ وستيلا.

لم أكد أستوعب أن جلسة الاستماع بدأت حتى حكم القاضي الرئيس بإجرائها خلف أبواب مغلقة، وشرح لنا أحد حجّاب المحكمة بأنه يتوجَّب علينا أنا وأولريكا مغادرة القاعة.

فصرختُ في وجهه: "تلك ابنتي الصغيرة!"

حدَّق الحاجب في ياقتي الكنسية مستغرباً.

الحب من أصعب واجبات الإنسان... هل يمكنك أن تحافظ على محبتك لقاتل؟

بينما كنت جالساً هناك خارج قاعة المحاكمة، خلال جلسة الاستماع الأولى تلك لتقرير مسألة الاحتجاز، بدأت الفكرة تكبر شيئاً فشيئاً. لقد حاولتْ

من قبل شق طريقها داخل ذهني، لكنني لم أتجرَّأ على التفكير فيها مليّاً إلا حينئذ. فكرة أن ستيلا قد تكون مذنبة.

البقع على بلوزتها –قد تكون ناتجة عن أي شيء. ولكن، لماذا لم يرَ أحد ستيلا؟ شخص يمكنه أن يقول أين كانت، وماذا كانت تفعل. كانت هناك ثغرة مؤلفة من ثلاث ساعات في ليلة الجمعة. ماذا فعلتْ في ذلك الوقت؟

لقد جلستُ قبالة قتلة مقزّزين ووعدتهم بحب الله غير المشروط. الحب الإنساني هو نوع مختلف. فكَّرتُ في كلمات بولس الرسول، في الحب الذي يرضى حين تسود الحقيقة، الحب الوفي أياً تكن الكلفة.

عندما فُتح باب قاعة المحاكمة ثانيةً أحسستُ بجسدي ثقيلاً لدرجة أن أولريكا اضطُرَّت لمساعدتي على النهوض والدخول إلى القاعة. كانت ستيلا جالسة أمامنا دافنةً وجهها في يديها.

كنا أنا وأولريكا متشبثيْن ببعضنا مثل شخصين يغرقان في بحر عاتي الأمواج.

أُغلق الباب خلفنا ومسح القاضي القاعةَ بعينيه.

ثم قال: "ستيلا ساندل تقع تحت شبهة معقولة بارتكاب جريمة قتل".

لا يوجد أب أو أم يتوقعان سماع اسم ولدهما في هذا السياق. لا أحد حمل طفله على صدره، بقدميه الصغيرتين المتخبطتيْن وضحكته المغرغرة، يقدر على تخيُّل هذا الوضع. هذا يحدث لأناس آخرين. ليس لنا.

أمسكتُ يد أولريكا بقوة وقلت في نفسي، *لسنا من هذا النوع من الآباء.* لسنا ممن يسيئون استخدام الكحول أو المواد المخدرة الأخرى، نحن أكاديميان، ومن ذوي الدخل المرتفع. نحن ننعم بصحة جيدة، جسدياً وذهنياً. لسنا عائلة مفككة من منطقة مُهمَّشة ونعاني من مشكلات اجتماعية واقتصادية.

كنا عائلة عادية تماماً. لم يكن يُفترَض أن نكون جالسين هناك. لكننا، مع ذلك، كنا جالسين هناك.

19

بعد جلسة الاستماع، انتظرنا أنا وأولريكا بصمت خارج مكتب بلومبيرغ. وقفتُ، ثم جلستُ، ثم وقفت ثانيةً. ومشيت نحو النافذة.

تنهّدتُ بصبر نافد وقلت: "أين هو؟"

كانت أولريكا تجلس بجمود تام، تحدِّق إلى الجدار.

سألتُها: "متى يمكننا التحدث مع ستيلا؟ من غير الإنساني إبقاؤها معزولة بهذه الطريقة".

قالت أولريكا: "هذا هو النظام. ستبقى تحت التقييد ما دام التحقيق مستمراً".

أخيراً جاء بلومبيرغ مسرعاً. كانت وجنتاه البرتقاليتان أشد احمراراً آنذاك.

قال بسرعة مثل دمية مزودة بزمبرك: "طلبتُ من كل مساعديَّ الاستعلام عن كريستوفر أولسن. تبيَّن أنه كان يملك أكثر من هيكل عظمي في خزانته، إذا كنتما ستعذران التعبير".

لم أعذره، لكنني كنت أشد لهفةً بما لا يقاس لسماع التفاصيل.

فقلت: "أخبرنا!"

قال بلومبيرغ: "من السهل صنع الأعداء إذا كنت رجل أعمال. ولكن في حالة أولسن، إنهم ليسوا أي أعداء. من الواضح أنه وجد نفسه في مشكلة مع بعض البولنديين الذين يملكون لوائح سوابق إجرامية بطول الأناجيل".

رسمتُ تعبيراً متشكّكاً على وجهي. كان ذلك يبدو وكأنه مأخوذ مباشرة من إجراء بوليسي رديء.

"يتعلق الأمر بعقار اشتراه أولسن في الربيع الماضي. يملك البولنديون مكاناً لبيع البيتزا في الطابق الأرضي، وكان أولسن متلهفاً لطردهم منه".

قالت أولريكا: "لكن الأسلوب لا يوحي أبداً بأنها عملية قتل مافيوية".

"ومن قال أي شيء عن المافيا؟ أنا أتحدث عن خبّازي بيتزا بولنديين. ولكن، هناك ما هو أفضل من ذلك".

لم تعجبني الفكرة برمَّتها. في عالمي، الشرطة هي التي تتولّى التحقيقات في عمليات القتل، وليس المحامون. علاوة على ذلك، لم أجد أن من الصواب إثارة الشك في الضحية بهذه الطريقة.

"منذ ستة أشهر فقط، وُجِّهتْ تهم ضد كريستوفر أولسن بحالات متكررة من الاعتداء الجسدي والاغتصاب. فُتح تحقيق أولي لكن المدعي قرر إغلاقه بعد بضعة أشهر بسبب قلة الأدلة". سكت بلومبيرغ قليلاً من أجل إضفاء مزيد من التأثير ونظر إلينا. "كانت المتَّهمة هي حبيبة أولسن السابقة من ثلاث سنوات. بحسب كلامها، كان أولسن مستبدّاً عنيفاً دمَّر حياتها".

رأيتُ وجه أولريكا يشرق فجأةً.

قالت: "إنها لم تحصل على أي تعويض؟"

"لا".

"قد تكون تسعى للانتقام".

أومأ بلومبيرغ برأسه مؤكّداً.

التفتت أولريكا نحوي وقالت: "هل تفهم ماذا يعني هذا؟"

كانت خطة بلومبيرغ تقضي بتقديم مرتكب بديل من أجل خلق شك معقول في إمكانية أن تكون ستيلا مذنبة. كان خبّازو البيتزا البولنديون يشكلون خياراً، لكن حبيبة كريستوفر أولسن السابقة بدت أكثر أهمية.

قلت لأولريكا في تلك الليلة بينما كنا جالسيْن على الأريكة، غير قادريْن على النوم: "ولكن، من الممكن ألا يكون لها أي علاقة بهذا الأمر. أليس من الأفضل ترك هذا النوع من الأمور للشرطة؟"

نظرتْ إليّ كما لو كنت مجرد قس غبي وقالت: "هذا النوع من الأمور يقوم به المحامون".

"ولكن، أليس كافياً إثبات أن ستيلا بريئة؟ ماذا لو انتهى الأمر بشخص بريء مختلف في ورطة؟ لقد تعرَّضتْ لاعتداء جسدي، واغتُصبتْ، والآن –"

وقفتْ أولريكا وقالت: "نحن نتحدث عن ستيلا الآن. ابنتنا محتجزة في زنزانة".

كانت محقة بالطبع. لا شيء أهم من إخراج ستيلا بأسرع وقت ممكن. شربتُ بقية كأس الشراب ومشيتُ نحو موقد الحطب. حين فتحتُ الباب، اندفعت الحرارة إلى وجهي فاضطررت للانتظار قليلاً قبل أن أدسَّ المنخس في الرماد وأحرِّكه. تصاعدت أعمدة دخان ملتفة حول رأسي.

سألتها دون أن أنظر إليها: "هل تحبينني؟"

"لماذا يا عزيزي، بالطبع أحبك". مدَّت يدها ولمست مؤخرة عنقي. "أنت وستيلا، أحبكما أكثر من أي شيء آخر".

"وأنا أحبكما أيضاً".

قالت: "هذا كابوس. لم أشعر يوماً بمثل هذا العجز".

جلستُ ووضعتُ ذراعي حولها وقلت لها: "مهما حدث، يجب أن نبقى معاً".

قبَّلنا بعضنا.

قلت لها: "ماذا لو كانت... هل تعتقدين أنها يمكن أن..."

تراجعتْ أولريكا فجأة وقالت: "لا تفكر بهذه الطريقة".

"أعلم، ولكن... بلوزتها".

كان يجب أن أعرف ماذا حلَّ بها. لابد أن أولريكا أخذت البلوزة. وإذا كان هذا صحيحاً، فمن المؤكد أنها لاحظت البقع.

قالت: "ماذا تقصد؟"

"البقع على بلوزتها".

"أية بقع؟"

نظرتْ أولريكا إليّ كما لو أنني كنت أهذي.

ألم تأخذ البلوزة؟ إذا لم تأخذها، فهذا يعني أن الشرطة وجدتها. كان قلبي ينبض بعنف حين وضعتْ أولريكا يدها على ذراعي.

وقالت: "نحن نعرف أن ستيلا كانت في المنزل حين مات ذلك الرجل".

ومع آخر كلمة قالتها رفعتْ يدها.

20

لم تغمض لي عين ليلة الجمعة. ظل ذهني يدور ويدور. ماذا فعلتْ ستيلا؟

كَنَسْتُ بالمكنسة الكهربائية، ومسحتُ الأرض، ونظفتُ خِزانات المطبخ إلى أن بات جسدي يقطر عرَقاً وشعوري يزداد حيرةً. كنت مرتعباً من أفكاري بالذات. ستيلا، فتاتي الصغيرة. أي نوع من الآباء أنا لينتابني ولو ذرة شك في براءتها؟ انحبسَ الأوكسجين في حلقي مثل البلغم فاضطُررت للخروج إلى الحديقة لأملأ رئتيَّ بهواء نقي.

كانت أولريكا قد أغلقت الباب على نفسها في غرفة مكتبها. وبعد عدة ساعات وجدتها مسندة رأسها على ذراعيها فوق طاولة المكتب وغافية، وبجوارها زجاجة فارغة من الشراب الفرنسي وكأسٌ نصف مملوء. مسَّدتُ شعرها برفق، وتنشَّقتُ رائحتها من مؤخرة رقبتها، ثم تركتها تواصل نومها.

في الصباح، جلستُ بارتخاء إلى جانب طاولة المطبخ وأخذتُ أقلِّب صفحات الجريدة، فإذا بي أجد نفسي وجهاً لوجه مع صورة لحديقة ألعاب الأطفال التي قُتل فيها كريستوفر أولسن. هل كانت ستيلا هناك ليلة الجمعة؟ وإذا كانت هناك... لماذا؟ طردتُ أفكاري وصعدتُ لأرى أولريكا.

قلت لها: "سأذهب إلى هناك. أريد أن أراه بعينيّ".

"ترى ماذا؟"

"الموقع. حديقة ألعاب الأطفال".

"لا أظن أنها فكرة جيدة على الإطلاق. من الأفضل لنا أن نبقى أبعد ما نستطيع عن أي شيء".

بدلاً من ذلك رحتُ أفتش على الإنترنت.

حتى ذلك الحين كانت هناك معلومات محدودة عن الجريمة، ولكن كان واضحاً أنها مسألة وقت فحسب، وربما ساعات فقط، قبل أن يبدأ الناس

بالحديث عنها في المنتديات، وقبل أن تكون موضوعاً للنقاش في وسائل التواصل الاجتماعي. سوف تُعتبَر ستيلا مذنبة بكل تأكيد. حيث يوجد دخان توجد نار؛ هذا ما سيقوله الناس. وستكون الشائعة شهيَّةً على نحو استثنائي لأن المتورطة ابنة قسِّيس.

تقع سلطة الإدانة بيد الناس، أياً يكن رأي النظام القضائي، ولا تحتاج محكمة الرأي العام في الغالب لنفس متطلّبات الإثبات التي تتطلبها المحاكم. وما عليَّ في هذا الشأن سوى النظر إلى نفسي؛ كم مرة شعرتُ بالشك عند إطلاق سراح مشتبَه فيه لنقص الأدلة؟

واصلتُ البحث في غوغل، لكن الكلمات والصور لم تكن كافية. كنت بحاجة لرؤيتها بعينيَّ، والوقوف في منتصفها.

لم أخبر أولريكا بالمكان الذي كنت أقصده. لقد بدت متيقنة بأن لا علاقة لستيلا بما حدث. ركبتُ سيارتي بصدر منقبض.

رنَّ هاتفي حين كنت في طريقي إلى مركز المدينة فوجدت أنه كان دينو.

"استجوبت الشرطة أمينة. أنا لست سعيداً لجرِّها إلى هذا الأمر".

كانت كلماته سريعة، مع قسوة غير اعتيادية في نبرة صوته.

قلت له: "عمَّ سألوها؟" غير أن دينو لم يكن مصغياً.

"ماذا لو وصل الخبر إلى كلية الطب بأن أمينة متورطة في تحقيق في جريمة قتل؟ هذا لن يبدو جيداً".

"دينو، توقف! ابنتي مشتبَه بها في جريمة قتل! أمينة ليست الشخص الذي يجب أن نشعر بالأسى من أجلها".

سكت دينو لوهلة ثم قال: "أعرف، أعرف. أنا آسف، لكنني فقط لا أريد أن يحدث أي سوء لأمينة بسبب شيء ما... شيء ما لا علاقة لها به".

لم يكن يقصد أي إساءة، بالطبع. الكياسة والتعقُّل ليستا أفضل سمات دينو. لا أستطيع أن أحصي عدد المرات التي اضطُررت فيها لتهدئة الوضع بعد واحدة من ردود أفعاله المتسرِّعة أو تهجُّماته اللفظية في ملعب كرة اليد. لكنني في تلك

المرة، كنت أنا أيضاً مضغوطاً، وإن كان ذلك لا يشرح حقيقة ما كنت أشعر به آنذاك.

سألته: "حسناً هل تصدِّق بأن لستيلا علاقة بالأمر؟"

"بالتأكيد لا، لكننا نتحدث عن كلية الطب هنا. أمينة لا تعرف شيئاً عما حدث في ليلة الجمعة الماضية".

"ولكن، ستيلا لا تعرف أيضاً، أليس كذلك؟"

"إنه أمر نمطي جداً فحسب، أن يحدث هذا الآن. هذه ليست المرة الأولى التي تتورط فيها أمينة في مشكلة بسبب..."

لم يكمل هذه الجملة أبداً. لم يكن بحاجة إلى ذلك لأنني أغلقتُ الخط بسبّابة مرتعشة.

أوقفتُ السيارة خارج صالة البولينغ، ومشيت المسافة القصيرة الباقية. وجدتُ حديقة الألعاب خلف سياج من الشجيرات على امتداد الجنائن المخصصة للمكان. كل ما كان قد بقي من حاجز الشرطة هو جزءٌ منسيٌّ من شريط أزرق وأبيض مربوط بعمود الإنارة. في داخل حديقة الألعاب كانت هناك طفلة تضحك بغبطة وهي تركب أرجوحة كانت قد رفعتها عالياً لدرجة أن فردة من حذائها طارت منها. وكان والدها في الجوار يمدُّ ذراعيه أمام الزحلوقة حيث كان شقيق الفتاة الصغير متردداً قبل الانزلاق.

كانت قد وُضعت منصّة تذكارية على امتداد سياج الشجيرات خلفهم. شموع، وورود وزنابق، وصور فوتوغرافية، وبطاقات تحوي تحيّات وداعية. كتب شخص ما كلمة "لماذا؟" بأحرف حمراء على خلفية سوداء.

قفزت الطفلة من الأرجوحة وأمسكت بفردة حذائها وارتدتها في حركة واحدة متتابعة، ثم ركضت نحو والدها وهي تصيح بفرح.

فهمس والدها وهو ينظر في اتجاهي: "ششش".

وقفتُ مطأطئ الرأس أمام الورود والشموع وتلوتُ صلاة قصيرة على روح كريستوفر أولسن.

لم أكن قد رأيت سوى وجهه على حاسوبي وشاشة هاتفي الخلوي،

وبضع صور فوتوغرافية من مقال وعرض توصيفي لإحدى الشركات. وها أنا ذا أراه للمرة الأولى بطريقة مختلفة، في سياق حياة خاصة، ككائن بشري من لحم ودم، شخص يفتقده ويحزن لرحيله أشخاص آخرون. في أكبر الصور المعلّقة، كان ينظر إلى الكاميرا بعينين برّاقتين وابتسامة بدت بأنها مزيج من السعادة والدهشة، كأنه فوجئ بالمصوِّر. نادراً ما يكون الموت محسوساً بقدر ما يكون حين يمكنك رؤية كم كان الميت حياً ذات يوم.

غمرني إحساس وحشي بالعجز. كل شيء بدا لي فظيعاً على نحو ميؤوس منه. شاب، غريب، سُلبتْ حياته منه هنا على الأرض المفروشة بالحصى. كانت ما تزال هناك آثار دماء.

كيف يمكن لأي شخص أن يصدِّق أن ستيلا يمكن أن تكون متورّطة في مقتلi؟ نظرتُ إلى صور كريستوفر أولسن. شاب جذّاب ذو عينين مليئتين بالأمل بمستقبل لامع. إنها مأساة عبثية.

عدتُ مسرعاً إلى الرصيف ونظرتُ إلى شارع بيليغوتن. لماذا ادّعت تلك الجارة بأنها رأت ستيلا هنا في ليلة الجمعة الماضية؟ من تكون، وكيف كانت واثقة جداً بأنها ستيلا؟ وإذا كانت تكذب متعمِّدة، فلابد أن يخبرها شخص ما بالعواقب المحتملة لذلك.

وإذا لم تكن تكذب؟ ماذا لو كانت ستيلا هنا؟

وجدتُ المبنى الأصفر الذي كان كريستوفر أولسن يعيش فيه عند نهاية الشارع. نظرتُ إلى النوافذ الجميلة والشرفات الأنيقة. ثم حاولت فتح الباب فوجدته مفتوحاً.

لم أكن أعرف إن كانت هناك أية أسباب قانونية تمنعني من التحدث مع الشاهدة. أما من الزاوية الأخلاقية، فكان ذلك يستوجب الشجب بالطبع، حتى لو وعدتُ نفسي بأن لا أحاول التأثير على الفتاة. كنت أريد فقط أن أفهم ما شاهَدَتْه. وكان من الضروري أن تدرك بأن ستيلا كانت شخصاً حقيقياً ولديها أحبة على وشك الانهيار من شدة القلق. كان يتوجب على شخص ما إفهامها بأن هذه ليست لعبة؛ يجب أن تعرف بأنني موجود.

21

صعدتُ السلَّم ببطء وتردُّد. كان بيت السلَّم يعبق برائحة القهوة وبشـــيء يُخبَز. يا له من أمر بشع. كيف يستطيع شخص ما أن يخبز في ذلك الظرف؟

توقفتُ عند الطابق الأول وقرأتُ لوحات الأسماء. رأيت اسمه مكتوباً على لوحة لامعة؛ *ك. أولسن*. وكانت هناك شقتان أخريان قبالة بابه. علـــى الجهـــة اليمنى امرأة تُدعى أجنيليد، وعلى الجهة اليمنى لوحة اسمية كُتب عليها بخط اليد، مي سينيفال. عرفتُ الاسم على الفور.

قرعتُ جرس الباب وحاولتُ التفكير في ما سأقوله. كان يتوجب عليّ أن أجعلها تفهم سبب وجودي هناك. وبعد لحظات سمعت صوت خطوات أقـــدام تتجرجر على الأرض على الجانب الآخر من الباب، ومن ثم صـــرير الأرضـــية، وبعد ذلك ساد الهدوء مجدداً كما كان من قبل. قرعتُ الجرس مرة أخرى.

هل كانت تقف خلف الباب مصغية؟

قلت بصوت منخفض: "مرحباً؟ هل يوجد أحد هنا؟".

سمعتُ صوت القفل يدور ثم انشقَّ الباب ببطء شديد شقّاً ضيقاً لدرجـــة أنني اضطُررت لأن أميل جانباً كي آخذ لمحة من الشخص الموجود في الداخل.

"مرحباً. أعتذر للمجيء بهذه الطريقة".

لم أستطع أن أرى أكثر من عينين تلمعان في الظلمة.

"اسمي آدم ساندل".

"نعم..."

"هل يمكنني الدخول؟".

انشقَّ الباب أكثر بقليل وظهر أنفها.

"هل تبيع شيئاً معيّناً؟".

بدا صوتها كصوت طفلة.

"أريد فقط طرح بضعة أسئلة حول ستيلا. أنا والدها".

"ستيلا؟" بدت وكأنها تبحث في ذاكرتها. "ستيلا تلك؟".

"من فضلك، أنا بحاجة...".

بتردُّد شديد حرَّرتْ سلسلة الأمان وفتحتِ الباب لأتمكن من الدخول إلى المدخل المضاء إضاءةً خافتةً. كانت هناك قبعة على علّاقة القبعات، وسترة سميكة ومظلة معلقتين على علّاقة الثياب. فيما عدا ذلك كان المدخل فارغاً تماماً.

"أنتِ مي، أليس كذلك؟ مي سينيفال؟".

تراجعتِ الفتاة إلى الحائط ورمقتني بنظرة عصبية. كانت صغيرة الحجم جميلة، وكان شعرها منسدلاً حتى خصرها مثل حجاب. لا يمكن أن تكون أكبر من ستيلا بكثير.

قالت: "لا أعرف ما الذي تريده مني. لقد أخبرتُ الشرطة مسبقاً بكل شيء".

فقلت وأنا أمدُّ رقبتي لأرى داخل الشقة: "لن أبقى طويلاً".

كانت الجدران عارية وكان هناك مصباح أرضي وحيد يبثُّ ضوءاً باهتاً على الغرفة المظلمة. وأمام النافذة هناك مقعد ذو مسندين أزرقين لربما كان المقعد قد خضع لبعض التصليحات. لم أستطع رؤية تلفاز أو حاسوب. وعلى المكتبة المصنوعة بواسطة شركة إيكيا كان هناك بضع تماثيل صغيرة غير متناسقة، من النوع الذي تجده على بَسْطات البيع على الأرصفة. لم تكن هناك منضدة أو كرسي أو أي قطعة أثاث أخرى، إلا سرير مزدوج غير مرتَّب في الزاوية.

قالت مي سينيفال: "حسناً، ولكن أخبرني لماذا أنت هنا".

في الواقع، لم أكن أعرف بالضبط لماذا جئت.

"هل يمكنكِ فقط أن تخبريني أين رأيتِها؟ أنا بحاجة للمساعدة من أجل فهم ما حدث".

رمشتْ مي سينيفال عينيها بضعِ مرات، ثم قالت وهي تشير بيدها إلى المقعد ذي المسندين: "أنا أجلس عادةً بجانب النافذة هناك. أحب أن أعرف ما هو الوضع".

"ما هو الوضع؟".

"ماذا يجري".

بدا ذلك غريباً. أي نوع من الأشخاص هذه الفتاة؟

"عندما رأيتِ ستيلا،... هل أنت واثقة بأنه كان يوم الجمعة الماضي؟".

أصدرت صوت نخرة ساخرة ثم قالت: "المرة الأولى كانت عند الحادية عشرة والنصف".

"المرة الأولى؟".

هزت برأسها مؤكّدةً وأضافت: "جاءت ستيلا مسرعةً على دراجتها الهوائية. فتحت الباب في الأسفل هنا ودخلت بسرعة".

سارت مي سينيفال بضع خطوات بطيئة إلى داخل الغرفة ثم وقفت بجانب الكرسي وأشارت إلى خارج النافذة. لديها إطلالة ممتازة على شارع بيليغوتن.

"ثم رأيتها مرة ثانية. بعد نصف ساعة تقريباً. كانت واقفة هناك في الأسفل على الرصيف، في الجهة الأخرى من الشارع. تحت تلك الشجرة".

بعد نصف ساعة؟ إذن لقد شاهدتْ مي سينيفال الفتاةَ التي تعتقد أنها ستيلا ليس مرة واحدة فحسب، بل مرتين في الليلة نفسها.

"كيف يمكنكِ أن تكون متيقنة بأن ستيلا هي من رأيتِ؟ هل تعرفينها؟".

حنَتْ رأسها وقالت: "أعلم أنها تعمل في إتش أند إم. قلتُ هذا للشرطة مباشرةً".

نظرتْ إليّ مجدداً. من المؤكد أن مي سينيفال كانت تبدو غريبة الأطوار، ولكن لم يكن هناك ما يوحي بأنها كانت تكذب. كنت واثقاً بأنها رأت شخصاً ما ليلة الجمعة الماضية، وأنها مقتنعة بأن ستيلا هي ذلك الشخص. قلتُ في نفسي إنها لا تبدو كاذبة. فكرة غريبة.

"هل تعرفين كل من يعمل في إتش أند إم، أو ستيلا فقط؟".

أصدرتْ نخرة سخرية أخرى ثم قالت وهي تنظر إلى خارج النافذة: "أنا جيدة على نحو غير عادي في تذكُّر الوجوه. لديّ ذاكرة جيدة جداً بشكل عام. إنني ألاحظ أشياءً تفوت أناساً آخرين".

"أنا متأكد بأنكِ كذلك".

"لقد رأيتُ ابنتك في إتش أند إم مرات كثيرة. حين أرتني الشرطة صورة، كنت واثقة مائة بالمائة. قالوا إن من غير المألوف أن يكون الشهود مقنعين كثيراً".

انحنيتُ قليلاً لأرى ما كنت سأشاهده إن كنت جالساً على الكرسي فوجدتُ أنه كان يمنح إطلالة كاملة على الرصيف المقابل من الشارع.

"ثم استيقظتُ لأن شخصاً ما كان يصرخ. أو ينوح. على الأقل بدا بأنه صوت رجل".

"متى كان ذلك؟".

"كنت قد خلدتُ للتو إلى سريري، لذا لابد أنها كانت حوالي الساعة الواحدة".

كما قال بلومبيرغ تماماً. الساعة الواحدة.

"أنا أخلد إلى سريري دائماً في الواحدة. على أي حال، ركضت إلى هناك إلى النافذة وراقبت لبعض الوقت. لم أرَ أي شيء، لكنني واثقة تماماً بأن الأصوات كانت آتية من حديقة الأطفال هناك".

حاولتُ تخيُّل كيف يمكن أن يبدو الوضع في الظلمة. في الحقيقة، كانت هناك عدة أعمدة نور مضاءة على امتداد الرصيف، ولكن مع ذلك، لم يكن من السهل تمييز التفاصيل وسط الليل.

فسألتها: "كيف يمكنكِ أن تكوني متأكدة جداً بأنها كانت هنا؟ أنتِ تدركين بأنك قد تدمّرين حياة شخص ما، بل حياة عدة أشخاص، إن حددتِ الشخص الخطأ، أليس كذلك؟ يجب أن تكوني متأكدة تماماً".

"أنا متأكدة. أخبرتك بذلك".

بدا من الجنوني تماماً أن ستيلا كانت محتجزة في زنزانة استناداً إلى ادّعاء هذه الفتاة.

كنت بحاجة لضبط نفسي. كل ما أردته في الواقع هو الإمساك بمي سينيفال وهزِّها بقوة.

"أنتِ لا تعرفين ستيلا! لقد رأيتِها في المحل الذي تعمل فيه. كيف يمكنــــكِ أن تقولي إنك متأكدة جداً".

نظرتْ مي سينيفال إليّ بالمقابل. كانت نظرتها مليئة بالتعاطف.

"لم تكن تلك المرة الأولى التي تأتي فيها ستيلا إلى هنا".

22

ذات يوم، عندما كانت الفتاتان في سن الرابعة عشرة، جاءت أمينة لرؤيتي في صالة الكنيسة. وقفتْ في الممر على ساقيْن صيفيتيْن مرتجفتيْن كما لو أن العالم قد يبتلعها في أية لحظة.

"القساوسة يحفظون الأسرار، صحيح؟".

حالما نطقتْ بهذه الكلمات عرفتُ بأن أموراً سوف تتغير. كانت عيناها، الشبيهتان بعيني غزال مرعوب تعكسان حياةً مهدَّدة بخطر داهم.

مثّلتْ أمينة بحق جزءاً كبيراً من تربية ستيلا. في بعض الأحيان، كانت ستيلا تبقى في منزل عائلة بيسيتش وقتاً يماثل ما تقضيه في البيت معنا. كانت أمينة طفلة وحيدة أيضاً بلا أشقاء، ومع أننا لم نناقش الأمر مع دينو وألكساندرا، إلا أنني وأولريكا كنا نعتقد بأنهما لم ينجحا -مثلنا- في إحداث حمْل.

سألتها وأنا أضع يدي على كتفها: "ماذا يجري؟".

أعتبر نفسي، في نواحٍ عديدة، نوعاً من أب إضافي لأمينة.

"أنت تحفظ الأسرار، أليس كذلك؟ أي شيء أقوله لن تخبر به أحداً؟".

"هذا يعتمد على ما ستقولينه".

طلبتُ منها الجلوس وقدمتُ لها عصير برتقال وبسكويت باليرينا. وقبل التحدث عما جاءت من أجله، أمضينا بضع دقائق في الحديث عن أي شيء آخر؛ الوضع في المدرسة، والأصدقاء، وكرة اليد، وأحلامها. وبعد ذلك قالت إنها جاءت للتحدث بشأن ستيلا.

انتظرتُ يومين قبل أن أقرِّر مفاتحة أولريكا بالأمر.

"مخدرات؟".

حدَّقتْ أولريكا إليّ وكأنها كانت تنتظرني لأسحب ما قلته، أو أقول إنني كنت أمزح وحسب.

"هذا ما تقوله أمينة".

"ولماذا تخبرك أمينة بشيء كهذا؟".

لم تكن حقاً تريد التصديق.

قلت: "أعتقد أنها خائفة".

في الأيام التالية شغَّلتْ أولريكا كل أسطوانات الاشتعال لديها. اتصلتْ مع المديرة وممرضة المدرسة وطلبت منهما التحضير لإجراء اختبار للمخدرات.

قالت ستيلا: "لا يمكنكما أن تجبراني!" وحاولتِ التملُّص والهرب من العيادة.

فقالت أولريكا: "بل يمكننا بالتأكيد. لستِ بالغة".

حدَّق الناس بفضول بينما كانت ستيلا تواصل احتجاجاتها الصاخبة في غرفة الانتظار. حاولتُ إخفاء وجهي قدر استطاعتي ولكن في النهاية كان الأمر مُحرجاً جداً لدرجة أنني اضطُّررت لجرِّ ستيلا إلى المختبر قائلاً لها إننا لا نستطيع الانتظار أكثر من ذلك. أمسكتْ أولريكا بيد ستيلا بقوة بينما كانت الممرضة تُدخل الإبرة في ذراعها.

وبعد بضعة أيام تلقينا الخبر عن طريق الهاتف. كانت هناك آثار حشيش في دم ستيلا.

ظلتْ أولريكا تقول مرة بعد مرة: "لماذا؟ لماذا؟".

كانت تمشي في دوائر حولنا أنا وستيلا بينما كنا جالسيْن حول مائدة المطبخ. في ذلك الحين أحسستُ بأنني محامي الدفاع.

قالت ستيلا: "لأنه لا يحدث أي شيء".

سرعان ما أصبحتْ هذه الجملة ردَّها الاعتيادي.

"كل شيء ممل جداً. لا شيء يحدث البتّة".

حملقتْ أولريكا فيها بغضب مطبقةً إحدى يديها بموازاة وركها.

"مخدرات يا ستيلا! كنتِ تتعاطين المخدرات".

"كانت مجرد عشبة. أردتُ أن أجرِّبها".

"تجربينها؟".

"إنها تجعل الأمور أكثر فرحاً. تماماً مثل الشراب الفرنسي بالنسبة إليكم".

ضربتْ أولريكا بقبضتها على الطاولة بقوة جعلت كؤوسنا تقفز فنهضتْ ستيلا وأطلقتْ سلسلة من الكلمات النابية البوسنية التقطتها بلا شك من دينو.

عندما خلدتُ إلى السرير في تلك الليلة، كان وجه أولريكا موجَّهاً نحو الحائط.

لمستُ ظهرها برقة وقلت: "حبيبتي".

ردَّت عليّ بنشيج.

فقلت: "سيكون كل شيء على ما يرام. سنصلح هذا الأمر. معاً سنتخطى هذه المشكلة".

نظرتْ إلى السقف وقالت: "إنه خَطَئي أنا. إنني أعمل كثيراً جداً".

"إنه ليس خطأ أحد".

"يجب أن نحصل على مساعدة، سوف أتصل بالعيادة النفسية للمراهقين غداً".

العيادة النفسية؟

قلت: "ماذا سيظن الناس بنا؟".

في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، رأيتُ أمينة بينما كنت في طريقي إلى المنزل في المساء. عرفتها من سترتها الوردية وياقتها البيضاء المنفوشة. فأفلتُّ يدي من المقود لألوِّح لها لكن أمينة لم تردّ على تحيّتي، بل أبطأتْ سيرها إلى أن توقّفت تماماً بجانب صندوق كهرباء ضخم، فأدركتُ أن خطباً ما وقع.

مع اقترابي منها ازدادت الظلال على وجهها وضوحاً شيئاً فشيئاً. رجوتُ أن أكون مخطئاً حتى آخر لحظة. رفعتْ أمينة يدها إلى وجهها في محاولة عبثية لإخفاء محنتها بينما كنت أوقف دراجتي الهوائية بجانبها.

"أوه، أمينة. ماذا حدث؟".

أدارتْ وجهها وقالت: "لا شيء". ثم أضافت وهي تمشي مبتعدةً عني: "كنت أظن أن القساوسة يحفظون الأسرار".

بعد أسبوعين، أخذنا موعداً في عيادة الطب النفسي للأطفال والمراهقين. كنا في ذلك قد عقدنا مسبقاً اجتماعاً في المدرسة مع المعلّمين، والمديرة، والموجِّه، والممرضة، والأخصائي النفسي. شعرتُ بأنه أكبر إخفاق أبوي في العالم.

كان لدى المعالج النفسي في العيادة شارب على شكل مقود دراجة وكان طويلاً جداً لدرجة أنه كان ملتفّاً عند طرفيه. كان من الصعب النظر إلى أي شيء آخر سواه.

انحنى المعالج النفسي فوق الطاولة الدائرية الواطئة فتدلّى عقْدَه ذا الخرزات السود، ثم قال: "أود أن أقول إن أي مشكلة من مشاكل المراهقين هي مشكلة أُسَرية".

وعندما حاولنا أنا وأولريكا الإدلاء بآرائنا حول المسألة، قاطَعَنا رافعاً يده في الهواء وقال: "والآن دعونا لا ننسى وجهة نظر ستيلا. كيف تشعرين؟".

حَّدقتْ ستيلا إلى قدميها وأجابت: "لا أبالي".

فحاولنا أنا وأولريكا معها بالقول: "بربكِ يا ستيلا –"

قاطعنا الموجِّه قائلاً: "أوب–أوب–أوب. لديها الحق في أن تشعر بأي شيء تحسُّ به".

لم تكن تلك الجالسة هناك متصالبة الذراعين مع تعابير العند على وجهها طفلتي الصغيرة. كانت شخصاً مختلفاً كلياً عن الطفلة الرضيعة التي كانت تتكوَّر على صدري ببشرتها الطرية وضحكتها التي لم تكن تفارق شفتيها. أردتُ أن أمسكها من كتفيها وأهزَّها بقوة.

قالت أولريكا: "من فضلكِ ستيلا".

أما أنا فكانت نبرة صوتي دائماً أقسى: "ستيلا".

لكن ستيلا ظلت مصرَّة على عنادها خلال الجلسات حيث كانت تكتفي بالقول بهدوء: "أنتم لا تفهمون في كل الأحوال. ليست هناك فائدة. أنا لا أكترث".

وبالتدريج أصبحتُ متقبِّلاً لما حدث؛ ابنتنا دخَّنت الماريجوانا، وهذا يحدث مع عائلات أخرى أيضاً. لا يجب أن تكون بالضرورة الكارثةَ الهائلةَ التي خشيتُ

منها في البداية. معظم الأشخاص الذين دخّنوا الماريجوانا مرةً أو مرتين في سنوات مراهقتهم أصبحوا مواطنين راشدين صالحين وسعداء وخالين من مشاكل المخدرات.

لكن المخدرات كانت مجرد عَرَض واحد من أعراض كثيرة لمشكلات ستيلا، وكان من المحبط عدم قدرتنا على مساعدها. في المنزل، كنا أنا وأولريكا دائماً كمن يمشي في حقل مزروع بالألغام؛ أية خطوة خاطئة كانت تُحدث انفجاراً. وحين كانت تغضب، كانت تصرخ وترمي الأشياء على الأرض.

"هذه حياتي! أنتما لا تسيطران عليّ".

وفي الحالات الأشد سوءاً لم نكن نجد خياراً آخر سوى حجزها في غرفتها إلى أن تهدأ.

في أواخر الخريف، بدّلنا صاحب الشارب في العيادة بامرأة لطيفة صهباء أعطتنا مهمات لتنفيذها في المنزل -كانت تسميها أدوات. وكنا بحاجة إلى الأدوات بالفعل. ولكن، عندما لم تكن ستيلا تحصل على مرادها وتقلب الدنيا رأساً على عقب، لم تكن تنفع كل الأدوات التي نخرجها.

خلال أحد الاختبارات، تَقرَّرَ أن ستيلا كانت تعاني من قلة التحكُّم بدوافعها. وكانت هذه، وفقاً للصهباء، مشكلةً قابلةً للتحسُّن.

أخبرتُ زملائي بالأمر فأبدوا تعاطفاً ودعماً كبيريْن -"ليس من السهل التعامل مع المراهقين". لكنني، مع ذلك، لم أستطع منع نفسي من الظن بأن بعضهم بدا راضياً جداً؛ بل مرتاحاً بطريقة ما لأنه حتى أنا كنت أعاني من تشققات في واجهتي.

يوم سبت، عندما كنا أنا وأولريكا نوشك على الخلود إلى النوم، اكتشفنا أن ستيلا خرجت من النافذة وهربت. ركبتُ دراجتي الهوائية ولحسن الحظ وجدتها بسرعة. كانت جالسةً على رصيف أحد القطارات مع نحو عشرة من المراهقين الآخرين. كانوا يضعون قلنسواتهم على رؤوسهم وكانت سراويلهم الجينز مليئة بالثقوب. وكان الهواء يعبق بدخان السجائر وبإمكانية حدوث مشاكل.

قلت لها: "ستذهبين معي إلى البيت".

لم تحاول ستيلا حتى الاعتراض. ركبتْ بصمت على مــؤخرة دراجـــتي الهوائية طوال الطريق، وحين اقتربنا من المنزل وضعتْ ذراعيها حولي وأراحـــت جبهتها على ظهري.

يوم الاثنين، حصلنا على نتيجة تحليل بول آخر.

سلبـــي.

بدأتُ أرى ضوءاً في نهاية النفق.

23

في الليلة التالية، كنتُ وأولريكا جالسيْن على الطرفين المتقابلين من الأريكة. كنا نصارعٍ ضد الزمن وضد الجرح الذي انفتح في قلب عائلتنا الصغيرة. كان الجو خانقاً، يعبق بكل شيء لم نقله لبعضنا.

لم أستطع الكفَّ عن التفكير في مي سينيفال. لقد ملأتْ كلماتها قلبي رعباً. كانت متيقّنة من أنها رأت ستيلا ليلة الجمعة لأنها لم تكن المرة الأولى التي تذهب فيها ستيلا إلى منزل كريستوفر أولسن.

حوالي الساعة الثانية، ذهبتْ أولريكا لتجلب زجاجة شراب فرنسي أخرى. وفي طريق عودتها تعثّرتْ واضطُرَتْ للاستناد على الجدار كي لا تقع.

قلت لها: "لربما ينبغي لنا ألا نشرب المزيد".

"نشرب؟".

رفعتُ كتفيَّ.

لقد تحدثتُ في عدة عظات حول احتياج الناس في حالات كثيرة إلى كارثة أو مأساة لكي يتّحدوا ويتعاونوا، وفي حالتنا نحن، لنوقف ما كنا نفعله ونكرّس أنفسنا لبعضنا. نحن نكتشف بعضنا في المصائب وندرك ما يعنيه أن يكون المرء إنساناً بين أناس آخرين. نحن نحتاج بعضنا بعضاً في الحزن أكثر من أي وقت آخر.

قالت أولريكا: "آدم، من فضلك، لا تخبرني بما هو مسموح لي فعله. ابنتي مشتبه بها في جريمة قتل".

ترنّحتْ ثانيةً ثم جلستْ على جانبها من الأريكة. أخذتُ نَفَساً عميقاً. نحن عائلة ويجب أن يساند بعضنا بعضاً.

"أتعلمين؟ أعتقد أن ستيلا كانت تعرف ذلك الرجل".

"كريستوفر أولسن؟".

هززتُ برأسي مؤكّداً بينما كانت أولريكا تأخذ رشفة من شرابها.

"ما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

"أعتقد أنه مجرد شعور ينتابني".

نظرتْ أولريكا إليّ بعينين متّسعتيْن.

هل كان يجب عليّ إخبارها بكل شيء؟ بأنني تحدَّثت مع مي سينيفال؟ كنتُ خائفاً من عدم تفهُّمها. كان من الممكن أن تثور وتعتقد أنني حاولت التأثير على مي سينيفال. كانت مسألة شرف بالنسبة إليها، بالطبع. إذا عرفتْ، قد تشعر بأن واجبها يحتِّم عليها إبلاغ الشرطة عن تهوُّري.

سألتها: "ما الخطأ الذي ارتكبناه يا حبيبتي؟ كيف حدث ذلك؟".

التمعتْ عيناها وقالت بصوت شبه هامس: "لم أقم أبداً بدوري على وجه كاف. أنا أم سيئة".

اقتربتُ منها وقلت: "أنت أم رائعة".

"أوه، لطالما كانت ستيلا ابنة أبيها. الجميع كانوا يقولون ذلك. أنت وستيلا".

"توقفي". حاولتُ لمسها لكنها أدارت ظهرها لي وسكتت. "أنتِ وستيلا لديكما علاقة رائعة. مؤخراً..."

هزَّتْ برأسها نافيةً وقالت: "دائماً كان هناك شيء ناقص".

فقلت: "لعل ذلك كان ضرورياً". مع أنني لم أكن واثقاً مما عنيته.

حين غلَبَنا النومُ أخير، على الأريكة، كان متقطِّعاً وغير منتظم. ظللتُ أستيقظ بين الحين والآخر شاعراً بالحكاك، ومتسائلاً أين أنا، ومحاولاً معرفة ما هو الواقعي وما هو المتخيَّل من أحلامي المحمومة.

كانت أولريكا نصف مستلقية على ظهرها بجانبي. كانت تصفر في تنفّسها، وكان جفناها يرفرفان. في وقت ما من الصباح تكوَّرتُ بالقرب منها كي أشعر بوجودها في أحلامها.

حين استيقظتُ في المرة التالية لم تكن موجودة، فذهبتُ بسرعة إلى المطبخ. كانت أشعة الصباح تتدفق إلى بيتنا الهادئ. ركضتُ صاعداً السلّم وفتحت باب

غرفة نومنا فوجدت السرير فارغاً. وبعد برهة، سمعت صوتها آتياً من غرفة ستيلا.

"جاءت النتائج من المختبر. ستُعقَد جلسة استماع أخرى بشأن الاحتجاز اليوم".

كانت تقف في مدخل الباب مائلة الكتفين. وكانت هناك هالات سوداء أسفل عينيها.

"ماذا يعني ذلك؟".

يمكن احتجاز شخص ما إذا كانت هناك 'شبهة معقولة' أو 'لسبب محتمَل'. يمكنني القول إن الفرق كبير. لا يتطلّب احتجاز شخص ما خلال تحقيق ما كثير إذا كانت هناك شبهة معقولة، لكن معيار البرهان أعلى بكثير لاحتجازه من أجل سبب محتمل".

خشخت الكلمات في رأسي.

"وفقاً للمدّعية، توجد أدلة قوية ضد ستيلا. إنها تريد زيادة مستوى الشبهة".

مزيد من الشكوك؟ انزلق قلبي.

"ماذا وجدوا؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

24

لم نتحدث أنا وأولريكا أبداً عن الشعور بالذنب والخجل الناجمَيْن عن اكتشاف تعاطي ابنتنا للمخدرات. وتكتَّمنا بشأن الساعات التي كنا نقضيها في العيادة النفسية، وواظبنا على تقديم تصريحاتنا حول المستقبل، وأخبرنا الجميع، سواء أرادوا الإصغاء أم لا، بأن الشيء الأهم هو رفاه ابنتنا، وكأننا كنا نعتقد جدّياً أن ذلك كان يُميِّزنا عن الآباء الآخرين.

عملتْ أولريكا ساعات أقل في ذلك الخريف وأمضتْ وقتاً أطول في المنزل، لكنها مع ذلك ظلت مشغولة، على الأقل، كما كانت في السابق.

وفي إحدى الليالي، صحوتُ وسمعتُ صوت نقراتها على حاسوبها. تسلَّلتُ إلى غرفة مكتبها ووجدتها جالسةً في الظلمة ولا ترتدي سوى ملابسها الداخلية. كانت قد فقدت عدة كيلوغرامات خلال الأشهر القليلة الماضية، وفي الضوء الخافت لمصباح المكتب اكتشفتُ وجود تقرُّحات وخطوط ملتهبة تحت حافة حمّالة ثدييها مباشرة.

أخبَرَنا الطبيبُ في اليوم التالي إنه مرض الحلأ النطاقي. رفضَ وصف أقراص منوِّمة لكنه كان مستعداً لمساعدتها على أخذ إجازة مرَضية.

قلت لها بينما كنت أساعدها على وضع محلول الكالامين على الطفح الجلدي: "يجب أن تفكري في نفسك يا عزيزتي".

فأجابت: "يجب أن أفكر في ستيلا".

غير أن الحياة بالنسبة إلى ستيلا كانت تسير في أقصى سرعتها، وأعتقد أن هذا هو الحال عندما تكون في الرابعة عشرة من عمرك. فكَّرتُ كثيراً في كلمات دينو، وهي أن ستيلا كانت أسوأ أعدائها. وأنها كانت بحاجة إلى الانتصار في معركتها ضد ذاتها. أحياناً كان يبدو لي أن الطريقة الوحيدة لتكسب فيها تلك المباراة هي بالتزكية؛ بغياب المنافس.

"أنا لا أكترث نهائياً! لا أبالي".

في ذلك الربيع، استُبدلت المستشارة الصهباء بنسخة أصغر عمراً منها؛ امرأة كانت مقتنعة بأن العلاج السلوكي الإدراكي يحلُّ كل شـــيء تقريبـــاً، إلى أن انفجرتْ ستيلا في خضمٍّ إحدى المناقشات وأغرقَتْها بسيل من الكلمات البذيئة. وبعد ذلك عُهد بنا إلى معالج أُسَري، وكان شاباً من نورلاند ذا شعر منســـدل على جبهته وعينين تنضحان بالاهتمام. حثّنا هذا المعالج على "تجميد الوضـــع" كلما استبدَّ الغضب بستيلا.

"توقّفوا وتحدثوا عما تشعرون به وكيف انتهى بكم الأمر إلى هذا الحال".

بعد بضعة أيام، رمتْ ستيلا ساندويتش على الثلّاجة بعد أن رفضـــنا أنـــا وأولريكا السماح لها بحضور حفلة في مالمو.

وزعقتْ في وجهنا قائلةً: "أنتما تقتلاني! ما الفائدة من العيش إذا لم يكـــن مسموحاً لك فعل أي شيء؟".

فوقفتُ ومددتُ ذراعيَّ مثل حكم هوكي، وقلت: "فلنجمِّدْ هذا الوضع".

قالت ستيلا بغضب: "يا إلهي".

وركضتْ نحو الممر لكنني وقفتُ في طريقها بسرعة.

فصرختْ: "ألا يمكنني حتى التقبُّل؟" ثم اندفعتْ بجانب أولريكا وصـــعدت السلَّم بسرعة وصفقت الباب خلفها.

تنهّدتُ بإحباط أمام زوجتي وقلت وأنا أستند على جزيرة المطـــبخ: "إنهـــا بحاجة إلى التقبُّل. ثلاثتنا بحاجة إلى التقبُّل".

قالت أولريكا: "لا أفهم ماذا يحدث".

كلانا لم نكن نفهم ما يحدث. ستيلا التي كانت في سن الخامسة تجلـــس لساعات مع أحجيات بالغة الصعوبة بالنسبة إليها، والتي لم تعـــرف مدرســـتها التحضيرية طفلاً يماثل صبرها من قبل، لم يعد بوسعها حتى الجلوس والتركيز لمدة عشر دقائق.

ولكن، كلما كان الأخصائيون النفسيون يأتون على ذكر اضطراب نقص الانتباه (ADD) أو اضطراب نقص الانتباه وفرط النشـــاط (ADHD)، كانـــت

أولريكا تتخذ موقفاً دفاعياً. ومع أنها لم تعطهم أي سبب ملموس لرد فعلها، إلا أنها اعترفت لي بأنها كانت خائفة من أن يُوصِم هذا التشخيص، أو أي تشخيص آخر، ستيلا ويصبح مثل نبوءة ذاتية التحقق.

قالت: "عندما كنت صغيرة، كان عالم البالغين يقول لي دائماً إنني فتاة صالحة".

التوى وجهها كأنها ذاقت شيئاً مقرفاً. لم أفهم تماماً ما عنتْه بكلامها.

تابعت أولريكا كلامها قائلة: "فتاة صالحة. هذا ما كانوا يقولونه لي وهم يربّتون على رأسي. 'أولريكا فتاة صالحة'. في النهاية لم يكن أمامي أي خيار سوى أن أصبح تلك الفتاة الصالحة التي كان الجميع يتوقّعها.

لم أفكر في هذا الأمر بهذه الطريقة أبداً من قبل.

في مرحلة ما في منتصف سنواتها الدراسية، توقفت ستيلا عن المجيء معي إلى الكنيسة. لم أعرِ الأمر اهتماماً كبيراً واعتبرته شكلاً طبيعياً جداً من التمرد. يدخل الأولاد مرحلة المراهقة مبكراً في هذه الأيام ويحاولون التحرُّر من آبائهم حتى قبل مرحلة البلوغ. لم يكن هناك أي شيء غريب في مسألة أن ستيلا كانت تريد أن تصبح مستقلة. علاوة على ذلك، لم أحلم يوماً في فرض إيماني بالله عليها.

بمرور السنوات، أصبح من المألوف على نحو متزايد أن تُحمِّل ستيلا الدينَ المسؤولية على كل البؤس في العالم. كانت تزدري وترفض كل من يعتقد بأي شيء سوى الإلحاد الصارم. كنت أدرك، بالطبع، أن تحدِّي آراءها لن يجدي نفعاً. كنت ذات يوم مثلها، لكن المؤلم في الأمر هو اقتناعي بأنها كانت تفعل كل ذلك لإيذائي. من الموجع مراقبة ولدك وهو يتغيّر ويسير في وجهة لم يكن بوسعك أبداً توقعها.

بالنظر إلى موقف ستيلا السلبي من الكنيسة، فوجئت عندما علمت بأنها تريد حضور مخيّم القبول في الكنيسة.

كوافد جديد إلى الرعيّة، كان أحد مشاريعي الأولى يهدف إلى خلق مجموعة قبول جيدة من الصفر. وجدنا مع رعيِّة كنيسة مجاورة موقع التخييم

المثالي بجانب بحيرة إميلن على الحدود مع بليكينغه، وبالصدفة تمكّنا من تجنيد شمّاس شاب يُدعى روبن كمدير للمخيم.

حقق المخيم نجاحاً فورياً، وعندما وصلنا إلى سنة ستيلا تلقينا استفسارات من مراهقين وآباء من جميع أرجاء المدينة. كنتُ أعلم بأن قدراً كبيراً من الفضل في شعبيتنا يعود إلى روبن، الذي كان شاباً وسيماً، وليس بدون عمق، ولهذا السبب خصصتُ جزءاً لا بأس به من ميزانية الكنيسة لتوظيفه كمدير مرة أخرى.

بالطبع، لاحظتُ كيف كانت الفتيات المرشحات للقبول ينظرن إليه. كنتُ أدرك أن هذا السحر يُخفي بعض المخاطر، لكنني في الواقع كنت ساذجاً جداً بحيث أنني أتصرَّف وفق ما تتطلّبه مني مؤشرات الخطر هذه.

كانت ستيلا تُجري اختبار بول كل ثلاثة أسابيع، وفي كل مرة كانت النتيجة تظهر سلبية، وكانت حواراتنا في العيادة تدور بشكل متزايد حول مشاكل المراهقين النمطية نسبياً، مثل الواجبات المنزلية، والأصدقاء، والمشكلات المتصلة بطاعة ذوي الأمر أو السلطة.

قلت ذات مساء في نيسان: "أعتقد أنه ينبغي لنا السماح لها بالذهاب إلى مخيم القبول". كانت الريح تعصف بقوة في الخارج لدرجة أن الجدران كانت تهتزّ.

كنا جالسين حول مائدة العشاء. العائلة كلها مجتمعة، وكان قد انقضى أسبوع كامل بدون أي نوبة غضب كبيرة.

قالت ستيلا: "حقا؟" رمتْ ذراعيها حول عنقي وعانقتني. "أنت الأفضل. أحبك بابا".

"لنرَ ما تقوله ماما أولاً".

كانت أولريكا تمضغ بتركيز شديد. كانت قد عُيِّنتْ منذ فترة قصيرة كمستشارةٍ مساعدةٍ لفريق الدفاع في ما ستصبح لاحقاً واحدة من أكثر المحاكمات فضائحيةً في التاريخ الجنائي السويدي، فانكبّتْ على مهمتها وأغرقتْ نفسها في العمل.

"ماذا يُفترَض بـــي أن أقول؟"

شربتْ بضع رشفات من الحليب وهي تحدِّق إليّ.

فقالت ستيلا وهي لا تزال معلّقة برقبتي: "قولي يمكنني الذهاب".

وقلت أنا مع ابتسامة غبية بعض الشيء: "من فضلك".

سأعترف بأنني، إلى درجة ما، كنت أنظر إلى مخيم القبول على أنه فرصـــة لستيلا لاكتشاف قيمة جديدة في الأخوية المسيحية. فرصةٌ لهـــا لكـــي تنفـــتح وتكتشف ذاها. كنتُ آمل بأن يُشكّل ذلك المخيم طريقاً لعودهـــا، وكـــذلك طريقاً لعودتي أنا إلى ابنتي التي كنت أفتقد.

قالت أولريكا في النهاية: "بالطبع يمكنكِ الذهاب".

بدا ذلك اليوم وكأنه نقطة تحوُّل.

وفي يوم جمعة من شهر آب، ركبت ستيلا حافلةً في مرأب الكنيســـة. لم تستطع أولريكا المجيء لأنها فوّتت رحلتها من ستوكهولم، أما أنا فكنت واقفـــاً هناك ألوِّح لستيلا بينما كانت الحافلة تغادر مرأب الكنيسة. كانت ابتســـامتها تكاد تشغل النافذة الخلفية بأكملها، لكنها لم تلوِّح لي أبداً بالمقابل.

25

في عصر يوم الأربعاء، عدنا إلى محكمة لوند. مشتْ أولريكا قبلي عبر كاشف المعادن عند نقطة الأمن. وعندما جاء دوري بدأ الجهاز يزمر ويومض. التفت الجميع إليّ لكن الحارس اكتشف بسرعة أنني نسيت خلع قلادتي.

كان مايكل بلومبيرغ مستعجلاً لدرجة أنه لم يقدِّم لنا تحية مناسبة في الرواق. كانت جبهته تقطر عرَقاً وعقدة ربطة عنقه تبدو وسخة. هل كان حقاً الرجل المناسب للدفاع عن ستيلا؟

بالكاد كنت أشعر بقدميّ حين دخلنا إلى القاعة. كانت ستيلا جالسة مسبقاً في الداخل، ومن الخلف بدت مثل أية فتاة مراهقة عادية، فتاة شابة لا يزال العمر أمامها. لكنني لم أعد إلى الواقع إلا حين رأيت نظرتها المرهقة والفاترة.

بدأتْ جلسة الاستماع الخاصة بالاحتجاز، وهذه المرة لم يطلب أي طرف أبواباً مغلقة. قدّمتْ المدعية جيني جانسدوتر مرافعتها أولاً وتحدثتْ بسرعة وبسلاسة.

"استناداً إلى الأدلة التقنية الجديدة التي ظهرت في التحقيق، أعتقد أن مستوى الشبهة ضد ستيلا ساندل ارتفع".

لم أستطع إبعاد عينيّ عن ستيلا. أن تجلسَ هناك على بعد بضعة أمتار مني ولا يكون باستطاعتي التحدث معها كان أمراً فظيعاً. كل ما أردته هو معانقة ابنتي الصغيرة.

بحسب نتائج المختبر، كانت بصمة الحذاء التي وجدها التقنيون بجانب موقع الجريمة ناتجة عن نفس نوع الحذاء الذي كانت ستيلا ترتديه حين اعتُقلت. ولكن، لم يكن ممكناً القطع بأن البصمة كانت ناتجة عن حذاء ستيلا بالتحديد.

كما أشار تحليل موقع الجريمة إلى وجود آثار واضحة للكابسايسين في جثة الضحية، الأمر الذي يُحتمَل أنه يعني أن كريستوفر أولسن تعرَّض لرشّة من بخّاخ فلفل.

تابعت المدّعية كلامها قائلةً: "كشفتْ عدة زميلات لستيلا خلال الاستجواب أن ستيلا كانت دائماً تحمل بخاخ فلفل في حقيبتها".

بدا ذلك سخيفاً. لماذا ستتجوّل ستيلا حاملة معها بخاخ فلفل؟

إضافة إلى ذلك، وفقاً للمدعية، وجد تقنيو الشرطة آثاراً كثيرة تركتها ستيلا في شقة كريستوفر أولسن في بيليغوتن. شعر، وقشور جلدية، وخيوط ألبسة.

"ولم تكن ستيلا قادرة على تفسير هذه الاكتشافات. بل أكثر من ذلك، إنها لم تقدّم أية رواية متماسكة لأنشطتها خلال ليلة وقوع الجريمة".

كانت أولريكا تمسك بيدي بقوة لكنني لم أجرؤ على النظر إليها.

قالت المدعية إنهم كانوا بانتظار معلومات من الطبيب الشرعي لترتيب تسلسل الأحداث بالتفصيل.

أحسستُ بأنني كنت أشاهد برنامجاً تلفزيونياً أثناء تصويره. رغم مهنة زوجتي القانونية، إلا أنني لم أزر قاعة محاكمة سوى بضع مرات من قبل، وفي تلك الحالات أيضاً، أحسستُ بأنني كنت في نوع من العروض، شيء تجري أحداثه على مسرح أمام جمهور، شيء سينتهي في وقت محدد. يشبه إلى حد ما زفافاً أو جنازة. ويبقى مسرحاً إلى أن تكون أنت شخصياً جزءاً من القصة. حين يدور العرض حول حياتك أنت، وحياة عائلتك.

قالت المدعية وهي تقلّب في كدسة من وثائقها: "كما اكتشف المحققون أدلة في كمبيوتر كريستوفر أولسن. هنا نحن نملك عدداً كبيراً من محادثات الدردشة بين أولسن وستيلا ساندل. محادثات توحي بأن ستيلا وكريستوفر كانا يعرفان بعضهما ويُحتمل أنهما كانا مرتبطين بعلاقة جنسية".

ومضَتْ صور فظيعة في ذهني.

لم يذكر بلومبيرغ اعتراضاً واحداً حين جاء دوره في المرافعة، وبذلك قال القاضي إن المحكمة ستتشاور في القضية. هذه المرة مشى عناصر الأمن خلف

ستيلا. كان هناك ممر يقود من القاعة إلى قبو السجن، وأُغلق الباب خلفهم دون أي نظرة إلى الخلف من ستيلا.

قلت لأولريكا: "لماذا لا تقول شيئاً؟ لماذا...؟ لماذا تدعهم يفعلون ذلك؟".

كان الوضع يوحي بأن ستيلا كانت تقبل بكل ما كان يُقال. كأنها كانت جزءاً من العرض.

قالت أولريكا: "ليس هناك الكثير مما يمكنها فعله. لعلها مصدومة مثلنا".

لم أشأ حتى التفكير في أية خيارات أخرى.

وبعد عشر دقائق فقط استُدعينا مجدداً إلى قاعة المحاكمة وأعلن القاضي أن المحكمة قررت احتجاز ستيلا لوجود سبب محتمل للشبهة بارتكابها جريمة قتل.

توجّهنا مباشرةً إلى مكتب بلومبيرغ في كلوسترغوتن. كان المحامي الشهير يمشي على الأرضيات المصنوعة من الخشب القاسي بخطوات ثقيلة وملامح غاضبة على وجهه.

"إن درجة تفاهة هذا التحقيق مخزية. يبدو كأن جانسدوتر والشرطة معاً يضعان ستائر. كل ما يرونه هو ستيلا".

سألتُه: "لماذا لم تقل شيئاً في المحكمة؟".

بدا بأن سؤالي باغته، لأنه تردَّدَ قبل أن يقول: "ماذا تعني؟".

ثم التفتَ إلى أولريكا وكأنها هي التي يجب أن تُبدي الآراء وليس أنا.

قلت له: "لماذا تقبل بهذا وحسب. ألا يجب عليك أن تعترض؟ إنها تملك حجة غياب! لماذا لم تقل شيئاً عن حجة غيابها؟".

نفض بلومبيرغ يده وقال: "هذا لن يجدي نفعاً الآن. يوجد كثير من الأدلة الظرفية ضد ستيلا، وطبيب التشريح لم يحدد الإطار الزمني الدقيق للجريمة بعد".

"لكن الشاهدة. مي سينيفال. لقد سمعتْ شجاراً خارج نافذتها حوالي الساعة الواحدة".

نظر بلومبيرغ إلى أولريكا.

فقالت زوجتي: "هذا صحيح. ماذا علمتَ بشأن هذه المرأة، سينيفال يا مايكل؟".

جلس بلومبيرغ ببطء على كرسيه ثم قال: "قد لا تكون الشاهدة المثالية. تعيش مي سينيفال حياتها على نافذة. حرفياً. إنها لا تخرج إلا لشراء البقالة أو لزيارة معالجها النفسي. ما عدا ذلك، إنها تجلس هناك وتتجسس على جيرانها. إنها مطّلعة على كل ما يجري في الحي".

قلت: "تبدو لي شاهدة جيدة حقاً".

في الحقيقة، كنتُ أعلم أن هذا ليس صحيحاً.

"ليس تماماً. تمثّل هذه الفتاة التعريف الدقيق للمرض العقلي. إنها تعاني من كل فوبيا وعصاب سمعتَ به".

"ولكن، هذا لا يؤثر حقاً، أليس كذلك؟".

ارتسمتْ ملامح الامتعاض على وجهي بلومبيرغ وأولريكا معاً.

سألته أولريكا: "ماذا بشأن حبيبة أولسن السابقة؟ هل خرجتَ بأي شيء إضافي عنها؟".

"أعتقد أنه يتوجب علينا وضع كل مالنا على الحبيبة السابقة. ليندا لوكيند".

"هل هذا اسمها؟".

انتشل بلومبيرغ قصاصة ورق من طاولة مكتبه للتأكد، ثم قال: "أجل. ليندا لوكيند، من تولغوتن 10".

قالت أولريكا: "هل تحدثتَ معها؟".

"ليست شخصاً ثرثاراً تماماً. تقول إنها أخبرت الشرطة والمدعية مسبقاً بكل شيء، ولكن لا أحد يصدقها. حاولتُ الحصول على نسخة من الاستجواب، ولكن يبدو أنه سري. لكنني واثق بأننا سنحل هذه المسألة. سنضطر للمرور عبر المحكمة بدلاً من ذلك".

سألته: "كم سيستغرق ذلك؟".

ضغط بلومبيرغ على زر قلمه.

قالت أولريكا وهي تربِّت على ذراعي: "اهدأ الآن".

"أهدأ؟ ماذا تعنين بـ اهدأ؟ إذا كانت لوكيند هذه تملك دافعاً، فلابد أن يكون من مصلحة الجميع استجوابها! ألا يُفترَض أن تعمل الشرطة 'على نحو واسع وبشكل موضوعي؟'".

قال بلومبيرغ وهو يرمي قلمه على الطاولة: "لقد استجوبَتْها الشرطة، لعلمك".

قلت: من الواضح أن هذا ليس كافياً. ومتى يمكننا رؤية ستيلا؟ نحن بحاجة للتحدث مع ابنتنا!"

كنتُ على وشك النهوض عن كرسيي.

قال بلومبيرغ: "ستيلا موضوعة تحت قيود كاملة. لا يُسمَح لها إلا بالتحدث معي فقط".

قلت: "إنها في التاسعة عشرة فقط".

أجاب بلومبيرغ: "لسوء الحظ، العمر لا يهم".

"إنها طفلة".

لم أقصد أن أصرخ. كان ذلك غير إرادي. كان باستطاعتي الشعور بنبضي في قبضتيَّ. أمسكتْ أولريكا بمعصمي بقوة.

قال بلومبيرغ: "ليس وفقاً للقانون".

"لا أكترث للقانون. أريد أن أرى ابنتي".

حتى بلومبيرغ الشبيه بالدب بدا خائفاً بعض الشيء عندما سحبتُ ذراعي من قبضة أولريكا ونهضتُ واقفاً.

"احرصْ على أن تخبر ستيلا الشرطة بكل شيء. لا مزيد من الأسرار أو المفاجآت المقرفة. الأبرياء لا يكذبون".

26

لم أخبر ستيلا بأنني كنت أنوي زيارتها في مخيم القبول. لربما كان ذلك غباءً مني. بالطبع، كان يُستحسَن بـي ذكر ذلك مسبقاً، ولكن، بالنسبة إليّ، كـان القيام بالزيارة أمراً واضحاً فأنا قس أحد التجمُّعيْن الكنسييْن المنظِّميْن، فضلاً عن أن فكرة المخيم نفسها كانت فكرتي الخاصة. كان من الطبيعي أن أزور الأولاد.

عندما وصلتُ إلى المخيم، كان الشبان والشابات قد أنهوا شيَّ السجق. كان بعضهم قد بدَّلوا ثيابهم بزي السباحة ونزلوا إلى البحيرة. بعضهم كـانوا يرتعشون وهم واقفون حتى وسطهم في الماء، فيما كان آخرون يقفزون من الرصيف إلى الماء. وكانت المشرفتان على المخيّم تراقبان من تحت شجرة، في حين كان روبن يمشي في البحيرة مبلَّل الشعر وتعلو وجهه ابتسامة فرحة.

بقيتُ على المنحدر المعشوشب لبعض الوقت. شعرتُ وكأنني كنت أقف أمام لوحة فنية. كانت السعادة والصداقة ترسمان المشهد بأبهى الألوان.

ألقى بعض زملاء ستيلا التحية عليّ، لكن معظم الأولاد لم ينتبهوا لمجيئي.

مشيتُ نحو المشرفتيْن تحت الشجرة وصافحتهما. قالتا إن كل شيء يسير على خير ما يرام، وإن العمل مع المجموعة كان رائعاً، وإنهم أجروا عدداً من النقاشات الصريحة والمثيرة للاهتمام.

لم تأتِ أيٌّ منهما على ذكر ستيلا لذا افترضتُ أنها هي أيضاً كانت تتصرف بشكل حسن. كنت قد عقدتُ العزم على ألا أقلق، وعندما رأيت أن كل شيء كان يسير بشكل صحيح، أحسست براحةٍ غامرةٍ اجتاحت جسدي كله.

بيد أن الأمور تغيَّرتْ حين لاحظت ستيلا وجودي.

شقَّت طريقها للخروج من البحيرة. كان شعرها المبلل متدلياً على شكل حبال ثخينة. وعند وصولها إلى الشاطئ لفّت جسدها بمنشفة.

وعندما رأتني قطَّبتْ جبينها وقالت بغضب: "ماذا تفعل هنا؟".

"إنني فقط أطمأن على الجميع".

"دعني وشأني".

وراحت تصعد التل وهي تطقطق بصندلها الصيفي ذي الإصبع.

لم أقدر يوماً على التحدُّث مع ابنتي حول الجنس. لم أكن أريد أن أكون ذلك النوع من الآباء. الأب الذي يغمره الحرج كلما ذُكرتْ كلمة "مانع الحمل"، والذي يفضِّل إغماض عينيه والتظاهر بأن ابنته المراهقة ليس لديها رغبة جنسية، كأنها تعيش في فقاعة مُفلترة، ومحجوبة كلياً عن المجتمع الجنساني الذي نعيش فيه. لطالما رغبتُ بأن أكون نوعاً مختلفاً تماماً من الآباء، النوع الذي يُسَرُّ إليه، أو الذي لا يُبدِّل القناة حين يسخن مشهد في غرفة نوم.... لا أدري ماذا حصل ولماذا أصبحتُ ما أنا عليه الآن.

فهمتُ من رجال آخرين أنني لست الوحيد في هذه المسألة. نحن نتوق للادعاء بأننا تقدَّمنا، وبأن المساواة بين الجنسيْن سمحت لمعظم الآباء العصريين التعامل مع الحياة الجنسية لبناتهم المراهقات. لكن الحقيقة المحزنة هي أنني لا أعرف رجلاً واحداً يستطيع إجراء حديث طبيعي مع ابنته المراهقة حول هذا الموضوع.

ذات مرة، سألتُ دينو عن هذا الموضوع بعد أن شربنا الكثير من شراب الشعير، فأثار سؤالي نوبة عنيفة من السعال.

ثم قال: "إذا لمس أحد أمينة فسأقطع له...".

أعرف، بالطبع، أنه لم يكن يعني ما قاله. لقد أحبَّتْ أمينة بضع شبان خلال السنوات الأخيرة، وعلى حد علمي، إنهم لا يوفِّرون أي منطقة من أجسادهم. لكنني أظن أيضاً أن دينو لم يجلس قط مع أمينة من أجل إجراء حديث عميق حول الأمر.

قبل مخيم القبول، لم نتحدث أنا وأولريكا كثيراً حول حياة ستيلا الجنسية. أعلم أن أولريكا ساعدتها حين حاضت للمرة الأولى، ولكن فيما عدا ذلك، كانت ستيلا طفلة في جميع الجوانب التي يمكن تصوُّرها. كانت قد دخلتْ لتوها

في عامها الخامس عشر. لا أدري إن كنت أنا الساذج هنا.

أقنعني روبن بالبقاء لتناول العشاء. كانت هناك غرفة منفصلة حيث يمكننا الجلوس دون أن تضطر ستيلا لرؤيتي.

كان الطبّاخون في المخيم ماهرين بحق والطعام كان رائعاً. دار حوار ممتع بيني وبين روبن، الذي شرح لي بأن جميع الشبان والشابات أخبروه بأنهم يؤمنون بقوة إلهية، بكائن أكبر من الإنسان...

لم أكن أنوي حقاً إشراك أي من اهتماماتي الخاصة، لكنني لم أستطع منع نفسي من السؤال: "ماذا قالت ستيلا؟".

ملأ روبن فمه بالبطاطا المنكّهة بإكليل الجبل وجعلني أنتظر إلى أن أنهى مضغه.

وفي النهاية قال: "إنها فتاة ذكية فعلاً. حادة الذكاء".

"ماذا قالت؟".

"إنها فتاة حادة الذكاء".

بعد العشاء، سألته إن كانت هناك مشكلة في بقائي لبعض الوقت. كنت سأعود إلى المنزل بعد فترة قصيرة، لكنني كنت بحاجة لتحضير بضعة أمور قبل إنجاز مهامي في اليوم التالي.

فقال روبن: "بالتأكيد". ثم أخبرني بأنهم سيقسّمون الشبان والشابات بعد قليل إلى مجموعات صغيرة للنقاش.

بعد بضع ساعات من المشاركات الاجتماعية الواجبة، كان من الممتع البقاء لوحدي مع حاسوبي وأفكاري الخاصة. أنا شخص اجتماعي إلى حد معقول، لكنني في العمق أحب أن أعتبر نفسي انطوائياً. لطالما اعتبرتُ الخصوصية أمراً مقدساً، حتى ضمن عائلتي. إن حق المرء في أن يكون له حيّزه الخاص في الحياة لا يقل أهمية، بالنسبة إليّ، عن امتلاك فرصة للتحدث عن الذات بحرية وعن كل شيء. أعتقد أن الأمر الذي شكّل مساعدةً متكررة لي ولأولريكا هو أننا حظينا دوماً بالفرصة للانسحاب وامتلاك بعض الوقت لوحدنا. إن وجود شرط يتطلّب مشاركة كل شيء على نحو دائم يمكن أن يصبح خانقاً بسهولة.

حين أنهيتُ تحضيراتي، كان الغسق قد بدأ يتسلّل من فوق البحيرة. لقد مضى الوقت بسرعة و لم أكن أتوقع أن واجباتي ستستغرق كل هذا الوقت. إضافة إلى ذلك، لم يكن لديّ سبب حقيقي للعودة بسرعة إلى المنزل لأن أولريكا كانت تعمل في ستوكهولم. لم يبقَ لي إلا توديع روبن. كنت أرجو تجنُّب ستيلا كي لا أسبب لها مزيداً من الإزعاج. كان المخيم يحقق نجاحاً كبيراً مرة أخرى، وكان الجزء الأكبر من الفضل في ذلك يعود إلى روبن؛ لم يكن هناك مجال للإنكار. كنت في غاية السرور لأن الأمور سارت بشكل ممتاز. لقد انزاح ثقل كبير عن صدري، واستمتعت بكل نَفَس نقي استنشقته أثناء عبوري الباحة.

أُقيم المخيم على أرض مركز مؤتمرات هادئ مكوَّن من ثلاثة أبنية طويلة منفصلة. كان المبنى الرئيسي يحوي قاعة طعام، ومطبخاً، وغرفة مشتركة. وكان المهجع يقع قبالة الباحة تماماً. أما المبنى الثالث والأصغر حجماً، حيث ينام المشرفون إذا لم تكن لديهم نوبة ليلية، فكان يقع خلف المهجع وغير بعيد جداً عنه، وكان مخفياً جزئياً خلف جذوع أشجار زان طويلة.

بدا أن مرشحي القبول كانوا يستمتعون بوقت فراغ في ذلك الحين. بعضهم كانوا يتجولون على المرج، لكن معظمهم كانوا في المهجع.

سألتُ إحدى المشرفتيْن: "هل رأيتِ روبن؟".

"أعتقد أنه ذهب إلى كابينة المشرفين".

مشيتُ بسرعة عبر المجموعة الصغيرة من الأشجار. كان صدى ضحكات المراهقين يتردد في سماء المساء.

اقتربتُ من الباب، وطرقت عليه لكنني لم أسمع أي رد. لعل روبن كان في المرحاض؟ أو في الحمام؟ حاولتُ فتح الباب لكنه كان مقفلاً. من المؤكد أنه لم ينم؟

اتجهت نحو زاوية المبنى، ونظرت عبر النافذة لكنني لم أرَ سوى سرير فارغ. ومع قليل من الأمل، تابعت طريقي إلى النافذة التالية. كانت الستارة مسدلة، لكنني استطعت رؤية ضوء خافت آت من الداخل بفضل ثقب صغيرة. لابد أن

روبن كان نائماً. انحنيتُ لأنقر على النافذة فتفاجأت حين أدركت أنه كان بوسعي رؤية داخل الغرفة عبر الثقب. كان هناك شخصان يجلسان في الظلمة ويحدِّقان في بعضهما بفزع.

كانت تلك النظرة الوجيزة كافية. لقد انقضت أربع سنوات تقريباً، وما زال باستطاعتي استحضار تلك الصورة البشعة. لعلها لن تزول أبداً.

صورة روبن وستيلا وهما منهمكان بسرعة في ارتداء ملابسهما.

27

بحلول صباح الاثنين، كانت ستيلا قد أمضت خمس ليال في الحجز. تخيَّلتُها نائمة على سرير قذر في زنزانة صغيرة مظلمة فاعتصر قلبي ألماً. خلال الفطور، رحتُ أذرع أرض المطبخ جيئةً وذهاباً، مجترّاً كل بواعث قلقي.

قالت أولريكا: "كفَّ عن ذلك. التركيز على نفس الموضوع لن يفيد".

"ماذا يجب أن أفعل بدلاً من ذلك؟".

"أنا ذاهبة إلى العمل. لربما ذلك سيشعرك بالتحسُّن أيضاً".

في الواقع، كان ذلك، على الأقل، سيساعدني على التفكير في شيء آخر. أبلغتُ الكنيسة بالهاتف بأنني استعدت عافيتي ثم مشيت نحو صالة الكنيسة. بالنسبة لهذه المدينة، يشبه أيلولُ الأسابيعَ الأربعةَ التي تسبق عيد الميلاد. فبعد هدوء الصيف، تعج الشوارع بطلاب دائخين يحاولون إيجاد طريقهم، مرتبكين، منهمكين في وضع بطاقات تعريفهم بشكل ظاهر. راكبو دراجات هوائية يتمايلون، أصوات أجهزة GPS تصدر من جيوبهم، شبان في العشرين من العمر يملكون أجوبة على جميع الأسئلة الصعبة في الحياة في حقائبهم الجلدية أو حقائب ظهرهم من صنع فيالروفن. ولا تستعيد لوند هدوءها إلا مع حلول تشرين الأول. هذا هو الجانب السلبي للمدينة التي تملك جامعة بقدر ما هو يُمثّل سحرها. أن تُغزى مدينة في كل خريف بواسطة حالمين جدد وأشخاص طيِّبين يحاولون تقديم المساعدة، أن تُلقيَ جلدها لبضعة أسابيع في الجو الخريفي اللطيف قبل سقوط أوراق الأشجار؛ سواء أحببتَ ذلك أم كرهته، فإنك لن تعتاد عليه أبداً.

كان زملائي موجودين في مطبخ الكنيسة، وكانت أصواتهم مسموعة عند المدخل عندما كنت أعلّق سترتي.

"صُدمتُ في البداية، لكنني حين فكّرت في الأمر قليلاً، في الواقع..."

"لطالما كان مزاجها فظيعاً".

كان يستحيل عدم سماع ما كانوا يقولونه.

"لم يضعا حدوداً. هناك لغة واحدة فقط تفهمهما فتاة مثل ستيلا".

"كان آدم وأولريكا متسامحيْن جداً".

وقفتُ بجمود في الممر أفكر في كلماهم.

قالت مونيكا، إحدى الشمّاسين: "بالتأكيد إنه ليس خطأ ستيلا. ليست سوى طفلة، أو على الأقل مراهقة".

صمتوا لوهلة. أغمضتُ عينيّ وأحسستُ كما لو أنني كنت أرتفع عن الأرض وأطوف في الهواء. ثم تابعوا حديثهم.

"زارت ستيلا أخصائياً نفسياً من قبل، كما تعلمون".

"هذا لا يفاجئني".

"لطالما عانت من نوع ما من المشكلات العقلية. حتى عندما كانت طفلة صغيرة، كان هناك شيء ما مختلف فيها".

ساد الصمت مجدداً. سعل أحدهم.

أحب زملائي، وأعتمد عليهم دائماً، وأشعر بثقتهم وحبهم. منذ أن بدأتُ العمل مع هذه الرعية، حدثتْ تغيُّرات إيجابية في نواح عديدة من العمل التنظيمي، وأعتقد أن معظم الناس سيوافقون على أن الفضل الأكبر في ذلك يعود إلي. كنتُ غير مستعد بتاتاً لأن أُطعَن بهذه الطريقة لدرجة أنني أحسست بأن عقلي تخدَّر. توجهتُ، مثل زومبي، نحو المطبخ.

قالت مونيكا باستغراب: "لماذا... آدم!"

حدَّقتْ خمسة أزواج من العيون الجاحظة والصامتة فيّ، وكأنهم شهدوا للتو المجيء الثاني....

قالوا جميعهم مثل جوقة: "لا يُفترَض بك أن تكون في العمل، أليس كذلك؟".

"لدي زفاف بعد الظهر".

قالت مديرتنا، آنيتا: "لكننا أوكلنا المهمة لأوتو".

"ألم تري أنني أبلغتُ عن استعادتي عافيتي؟"

احمرَّ وجهها وهي تقول: "لم نظن بأنك..."

تمعّنتُ في كل واحد منهم، واحداً تلو الآخر، وانتظرت أحدهم لكي يقدِّم أعذاراً، لكن كل ما خرج منهم كانت جُمَلاً متقطعة.

وأخيراً، نهضتْ مونيكا وأخذتني من ذراعي. إنها موجودة مع الرعية منـــذ وقت طويل جداً، وتمثّل الغراء الذي يحافظ على تماسكنا جميعاً، أو الصخرة التي نتشبث بها في جميع الظروف الصعبة.

قالت لي بينما كانت تقودني ببطء عبر الممر: "تعال".

جلسنا قبالة بعضنا على الكراسي الواطئة المريحة في مكتبها. وضعتْ مونيكا يديها المزيّنتيْن بالخواتم على ركبتيَّ ومالت إلى الأمام وهـــي تنظـــر إليّ بعينيهـــا الوادعتيْن.

سألتها: "أين تظنين أننا أخطأنا يا مونيكا؟"

أمسكتني من مرفقيَّ وهزَّتْ رأسها على مهل، ثم قالت: "أنتما لم تفعلا أي شيء خاطئ. لدى الله غاية. شيء ما لم نكتشفه بعد".

جزء مني أراد أن يرد على مونيكا، لكنني، لحسن الحظ، استعدت مداركي فشكرتها على اهتمامها.

قالت وهي تعانقني: "والآن اذهب إلى البيت وارتح جيداً. اهتم بأولريكـــا. سأصلي من أجلكما. ومن أجل ستيلا".

في تلك اللحظة، بدت كلماتها تافهة جداً. شبه مزيفة.

ولكن، يا ليتني أخذتُ بنصيحة مونيكا.

كانت هناك أشياء كثيرة تزحف تحت جلدي. بدت أفكاري وكأنها كانت تتشكَّل خلف ستار سميك من الضباب، وكان قلبـــي يخربش على أضلاعي مثل كلب تيرير. وكان جسدي يطلب مني الركض، بأن لا أتجمّد في حاضر مـــؤلم واحد، فركضتُ، أو على الأقل مشيتُ، ميلاً بعد ميل إلى أن انتقـــع ظهـــري بالعرق.

مشيتُ كل الطريق إلى مركز المدينة، وبينما كنت أغادر منتزه المدينة بجوار ميجيريت، تساءلتُ كيف كان الوضع سيصبح لو أنني أبلغتُ الشرطة بما فعلــه

روبن. لقد اغتصب ستيلا وتركناه يفلت بفعلته. أية إشارة أرسلناها إلى ابنتنا بتقاعسنا هذا؟ أي نوع من الآباء كنا؟

كان نبضي ينفض بغضب في رقبتي وكانت عضلاتي ترتعش. حثثتُ خطاي حين كنت أعبر حديقة الكلاب عند شارع سودرا إسبلانودن.

عندما رأيت اللافتة الطرقية التي تشير إلى شارع تولغوتن، شعرتُ بوخز في صدري. توقفتُ وحملقت.

إنه المكان الذي تعيش فيه حبيبة كريستوفر أولسن السابقة. لقد قرأ لنا بلومبيرغ العنوان. لم يكن بوسعي المرور بجانبه وحسب.

28

كان القرار بعدم تقديم بلاغ للشرطة بشأن روبن، من نواحٍ عديدة، قــرار أولريكا. لا أعني أنني ألومها، فقد كان خياري أيضاً، لكنني علــى الأرجــح لم أكن سأتردد في الإبلاغ عنه لولا اعتراضات أولريكا.

دفعته نحو الحائط في مبنى المشرفين رافعاً قبضتي في الهواء، لكنني تمكّنت في اللحظة الأخيرة من السيطرة على نفسي. جررتُ ستيلا عبر الأشجار وأجلستها في سيارتي. ما زلتُ لا أذكر شيئاً من الفترة التي استغرقها وصولنا إلى المنزل.

كانت أولريكا تعتقد بأنه يتوجب علينا أخذ ستيلا إلى المستشفى في الحال، أما أنا فكنت أرى أنه يجب علينا الاتصال بالشرطة أولاً.

قلت لها: "لقد اغتصبها. حتى لو لحقت به ستيلا إلى مبنى المشرفين. ســواء أكانت هي المبادِرة أم لا".

كانت أولريكا تمشي في المطبخ بسرعة جيئةً وذهاباً.

قالت: "لا أعرف ما هو الأفضل".

"لا يمكنكِ أن تقولي إن ستيلا مسؤولة في أي حال من الأحوال. إنها طفلة".

"ليس بنظر القانون. إنها في الخامسة عشرة". سن القبول في السويد.

توقفتْ أولريكا بجانب النافذة. كان كتفاها يرتجفان.

قالت: "أعرف كيف يسير هذا النوع من المحاكمــات. لقــد شــاركتُ شخصياً في عدة محاكمات منها".

كنتُ قد نسيتُ ذلك تقريباً. قبل بضع سنوات، دافعتْ أولريكا عن رجل كان يُحاكَم، إلى جانب عدة رجال آخرين، بتهمة الاغتصاب الجماعي. حدث رد فعل احتجاجي قوي حين صدر الحكم ببراءتهم جميعاً.

تابعت أولريكا كلامها: "سيطاردونها بقسوة. سيدققون في كل تفصــيل. ماذا قالت، وكيف تصرَّفت، وماذا كانت ترتدي".

قلت لها: "توقفي. إنها الضحية هنا".

"أعلم ذلك. الجميع يعلم ذلك. ولكن في المحكمة، مَنْ فعلَ ماذا هو أمر جوهري. ما نوع المبادرة التي أخذتها ستيلا، كيف تصرَّفتْ قبل وبعد الحادثة. أي شيء يمكن أن يزرع ولو بذرة شك واحدة سوف يُفحَص بالتفصيل من قبل محامي الدفاع".

ذهبتُ إلى النافذة ووضعتُ ذراعيّ حول خصرها.

"لا يمكننا أن ندع ذلك يحدث. لا يمكن أن يكون هذا هو ما سيحدث".

داعبتْ أولريكا ذراعي وقالت: "لا أعلم إن كان يمكن حدوثه بطريقة أخرى".

في وقت لاحق من تلك الليلة، أخبرتني ببعض التفاصيل الفظيعة التي دُفعتْ الفتاة للإفصاح عنها خلال محاكمة الاغتصاب الجماعي. كان أمراً صادماً. لم أكن أعتبر نفسي ساذجاً، لكنني شعرت بالتوعُّك حين سمعتُ كيف يجري مثل هذا النوع من المحاكمات. لا شك أننا جميعاً سمعنا وقرأنا حول محامين يسألون ضحايا اغتصاب عن مدى قصر تنانيرهن وكم شربن من الكحول، لكنني كنتُ أعتبر هذه الحوادث على أنها استثناءات نادرة. لم أدرك إلا حينئذ بأنه الأسلوب المعياري في مثل هذه الحالات.

لم يخطر في ذهني يوماً بأنني قد أنصح شخصاً ما -فما بالك بابنتي نفسها- بعدم تقديم بلاغ للشرطة، بعدم الوثوق في النظام، بعدم ترك العدالة تأخذ مجراها، لكنني حين بدأتُ أفهم ما سيُطلَب من ستيلا، ما ستُرغَم على تحمُّله، وجدتُ أنني كنت مضطراً لإعادة التفكير في الأمر.

تساءلتْ أولريكا قبل أن نغفو: "ما هو الشيء الأكثر أهمية هنا؟ أن تتجاوز ستيلا هذا الأمر بدون أضرار نسبياً، أم ألا يفلت روبن من عقاب؟"

كأن هاتين النتيجتين كانتا متعارضتين. لماذا لم يكن بمقدورنا الحصول عليهما كليهما؟ أتمنى اليوم لو أنني تحدّيتُ الصورة البيضاء والسوداء التي رسمتها أولريكا لي، لو أنني تشبثتُ بموقفي وسعيتُ لإحقاق العدالة".

لقد خذلنا ستيلا على نحو لا يُغتفَر.

29

مشيتُ نحو الباب الأول الذي ظهر في وجهي في شارع تولغوتن. أردتُ إلقاء نظرة فقط.

لربما تكون ليندا لوكيند جالسة في الداخل في تلك اللحظة. حبيبة كريستوفر أولسن السابقة التي كانت تعيش معه في بيت واحد. بدا بلومبيرغ متأكداً بأن لها علاقة بالجريمة.

تسارعت نبضات قلبي بينما كنت أقرأ آخر الأسماء على الإنتركوم. جيربرينغ، ساموليسون، ماكا. لا يوجد لوكيند.

توجهتُ نحو الباب الثاني.

لربما تستطيع ليندا لوكيد، على أقل تقدير، مساعدتي على الفهم. يمكنها إخباري عن كريستوفر أولسن. ولعلها تملك فكرة عن كيفية التقاء ستيلا به وعما حدث بينهما.

عند الباب الثالث، وجدته. لوكيند، الطابق الثاني. حدَّقتُ في الاسم طويلاً وتسارعتْ نبضات قلبي أكثر. ما الذي *أفعله*؟

حاولتُ فتح الباب فوجدته مقفلاً، انحنيت إلى الأمام ونظرت إلى بيت السلم. ماذا سأقول؟ كيف سأقدِّم نفسي دون أن أخيفها؟ دون أن أبدو مجنوناً؟ ماذا لو اتصلَتْ بالشرطة؟

نظرتُ إلى الأسماء على الإنتركوم ثانيةً واستقررت على اسم إ. جونسون. بدا اسماً ودوداً بطريقة ما. ضغطتُ على الزر، وعندما قال صوت خشن "مرحباً؟" شرحتُ له بأنني عامل توصيل ولدي زهور لجار ليس موجوداً في المنزل. ففتح إ. جونسون الباب على الفور.

بجانب المصعد كان يوجد سلّم ضيق من الرخام المرقّط فصعدتُ عليه بمحاذاة جدران طُبع عليها صور أغصان وأوراق شجر. توقفتُ عند الطابق

الثاني وقرعت الجرس.

تذكرتُ زيارتي إلى مي سينيفال وتساءلت كيف يمكنني جعل اللقاء يسير بسلاسة أكبر هذه المرة. لقد تجاوزتُ الحدود مسبقاً بزيارة مي سينيفال، لكن هذا تجاوز أكبر. ماذا لو اكتُشف أنني بحثتُ عن ليندا لوكيند حتى وجدتها؟ هل يمكن أن تكون خطرة؟ في أسوأ الأحوال، إنها قاتلة مدفوعة بالانتقام، وفي أحسنها كاذبة مضطربة عقلياً اتّهمتْ زيفاً حبيبها السابق بأشياء فظيعة. كانت هناك أسباب عديدة تدعوني للحذر.

عندما فتحتْ امرأة مستغربة الباب، انكمشتُ. هل يمكن أن تكون هذه هي ليندا لوكيند. كانت المرأة التي تقف أمامي تشبه عارضة أزياء.

سألتها: "ليندا؟".

"أجل؟".

تمعّنتْ فيَّ بارتياب.

"أنا بحاجة للتحدث إليك".

"من تكون؟".

أشرتُ إلى ياقتي الدينية ثم قلت: "هل يمكنني الدخول لدقيقة؟".

شهقتْ وقالت: "ماذا حدث؟ هل هي ماما؟".

"الأمر يتعلق بكريستوفر أولسن".

انفرجتْ أساريرها على الفور وقالت وهي تُفسح لي المجال لأدخل: "حسناً، لكنني قلت مسبقاً إنني لا أريد التورُّط".

كانت شقتها مشرقة وفسيحة. وكان الجدار المؤدي إلى غرفة النوم مغطى بصورة لاصقة لخريطة العالم، وعلى الأرض تحتها زهرية زجاجية بارتفاع متر على شكل قارورة تحوي زنبقة واحدة فقط. وكانت المكتبة تحتوي على بضعة كتب عن الرشاقة بين فيلَيْن تزيينيْن ملونيْن. وكان كل ذلك مغموراً بضوء ثريَّا عصرية ضخمة.

سألتها وأنا أشير إلى مائدة الطعام أمام الشرفة الفرنسية.

"لماذا؟ ماذا تريد؟".

كانت واقفة في المدخل واضعةً يديها على وركيها.

فقلت وأنا أسحب كرسياً لنفسي: "أنا أمثّل عائلة أولسن".

بدا لي كأن الخطة كانت مرسومة مسبقاً. وكنت بحاجة لأشرع في تنفيذها وحسب.

"أخبرتك. لا أريد أي علاقة إضافية بهذا الأمر".

فقلت له متوسّلاً: "لتجلسي قليلاً فقط. أنا هنا لأن العائلة تستحق ختاماً كريماً".

"أية عائلة؟ مارغريتا؟".

هززتُ رأسي بسرعة وقالت: "صحيح. كريستوفر لم يعد معنا. كل ما نريده هو أن تظهر الحقيقة".

"ماذا تعني؟".

بالطبع، لم أكن أتوقع منها الاعتراف بالجريمة، ولكن كان من المثير للاهتمام مراقبة ردود أفعالها. لطالما كنت بارعاً في كشف الكذابين.

سألتها: "ماذا حدث بينكِ وبين كريستوفر؟".

"مارغريتا تعرف ماذا حصل. لقد أخبرتُ الشرطة بكل شيء".

أخيراً، جلستْ وعلى وجهها ترتسم ملامح التجهُّم والتردُّد.

سألتها: "ألا يمكنك أن تخبريني مجدداً؟".

"ضابطة الشرطة تلك. آغنس ثيلين. لم تصدّقني. حاولتُ المطالبة بشخص آخر ولكن لم يصغ أحد إليّ".

كانت ليندا لوكيند امرأة جميلة على نحو لا يمكن نكرانه، ولكن تحت بشرتها الناعمة ووجهها المتناسق، أحسستُ بوجود شيء آخر؛ فتاة صغيرة مترددة وضعيفة الثقة بالنفس. كم كان عمرها، اثنتان وعشرون، ثلاثة وعشرون؟ كنت واثقاً بأنها لم تكن تخبر الحقيقة كلها، لكنني كنت واثقاً بنفس الدرجة تقريباً بأنها لم تكن قاتلة متوحشة.

"أفهم أنه من الصعب على مارغريتا أن تقبل ذلك لكن ابنها مختل نفسياً. *كان*، أقصد. كان كريس سايكوباتياً مريضاً".

لم أقل شيئاً. بعد كل هذه السنين من التحاور، تعلّمتُ أن الصمت غالباً ما يثير الإجابات. يحتاج الصمت إلى ملء الفراغ. الصمت مستفز؛ يتوق لأن يُكسَر. بحسب خبرتي، يرغب الناس حقاً في التحدث، والكثير منهم يتوقون إلى ذلك؛ ما عليك إلا أن تُظهر لهم أنك مستعد للإصغاء.

بحسب كلام ليندا، كانت العلاقة تسير على ما يُرام خلال العامين الأولين. أو على الأقل، كانت تعيش حياتها مصدِّقةً أن الوضع كذلك. ثم أدركتْ لاحقاً وجود بقع ظلام على طول الطريق؛ أسرار وخيانات وكذب. لقد تطلّب الأمر سنتين لكي تبدأ الواجهة بالانهيار.

لقد انقلب كيان ليندا حين قابلتْ كريس أولسن للمرة الأولى. كان كريس وسيماً وفاتنا وذكياً وودوداً. وتطوَّرَ الأمر بسرعة من افتتان عاطفي إلى حب وخطط للمستقبل معاً. لكنها تعرف الآن أن هذا كان متسرِّعاً جداً. لعلها كانت سترى إشارات التحذير في حينه لو لم ترمِ بنفسها بسرعة وبدون تعقُّل في العلاقة.

قلت لها: "توقفي عن لوم نفسك. يمكن أن تكون قلوبنا وعقولنا مرشدة جيدة. فقط عندما ننظر إلى الوقائع بعد حدوثها، يسهل رؤية أي الطرق التي لم يكن ينبغي لنا سلوكها".

ابتسمتْ. رغم أنها كانت تخفي شيئاً ما عني، إلا أنني شعرتُ على الفور بوجود نقطة ضعف فيها -تلك السذاجة الواضحة ولهفتها للتعاطف معها.

"عندما ضربني لأول مرة، أقسمتُ لنفسي بأن هذا لن يحدث مرة ثانية. لم أكن من ذلك النوع من النساء. لا أعرف كم مرة قلت لنفسي هذا".

"لا أعتقد أن أي امرأة تعتبر نفسها من ذلك النوع من النساء".

هزَّت برأسها مؤيِّدةً، لكن ابتسامتها اختفت وكانت عيناها تلمعان.

"يبدو ذلك غبياً، ولكن بالفعل، كان كريس رائعاً أيضاً. عندما لا يكون عنيفاً. في كل مرة، كنت أعتقد أنها المرة الأخيرة، بأن ذلك لن يحدث مجدداً، وبأنني سأتركه. ولكن، كل شيء كان يتحوَّل وأشعر بالأمل مجدداً. ربما هذه المرة. لو أنني أمنحه فرصة أخرى فقط. حماقة، صحيح؟"

"على الإطلاق".

صدَّقتها. لقد سمعتُ قصصاً مشابهة من نساء أخريات عشن الوضع نفسه.

قلتُ لها: "لم أختبر الأمر بنفسي، لكنني قابلتُ العديد من الرجال العنيفين خلال عملي. أفهم أنه مجرد جانب واحد منهم. لا يوجد أحد مكوَّن من شيء واحد فقط".

قالت ليندا وهي تمسح أسفل عينها بإصبعها الصغير: "كان من السهل جداً الرحيل. لن أسامح نفسي أبداً على البقاء. لن أقدر أبداً على رؤية نفسي بالصورة التي كنت أعتقد أنها تمثّلني. ليس لديك فكرة كم هو مؤلم أن تنهار صورتك أمام نفسك".

كانت محقة. لم يكن بوسعي فهم ذلك. ليس آنذاك على الأقل.

"لكن كريس كان وغداً يستحق أن يتعفّن في الجحيم. ما فعله بي... يمكن أن تقرأه في الاستجواب مع الشرطة. لا أستطيع أن أخوض فيه مجدداً. على أي حال، لم يعد مهماً الآن".

"من أجل مارغريتا..."

نظرتْ ليندا في عينيّ وقالت: "لا أبالي حقاً. لا أشعر بالأسى لأن كريس مات".

كانت عيناها باردتيْن كالثلج. كان واضحاً أنها تعني ما تقول، وللمرة الأولى فكرّتُ في إمكانية أن تكون متورطة في الجريمة. لربما كان هناك أكثر من قاتل. لعلها استأجرت شخصاً ما لفعل ذلك؟

قالت: "ولست مستغربة على الإطلاق أيضاً".

مرة أخرى استخدمتُ الصمت كاستراتيجية وانتظرتها.

"أنا واثقة بأنه فعل الشيء ذاته معها".

واصلتُ تجاهل فضولي. طويتُ يديَّ ونظرتُ إليها، لكنها لم تتابع الحديث هذه المرة، بل زمَّتْ شفتيها ونظرت إلى النافذة.

"مع من؟".

"ستيلا. الفتاة التي فعلتْها".

ماذا تعني بذلك؟ كيف علمتْ باسم ستيلا؟

قالت ليندا: "إنها مجرد مراهقة. أعتقد أنها فعلت ما كان يجب أن أفعله أنا منذ وقت طويل".

لم أستطع منع الصور التي انبثقت في ذهني. لمعان سكين، وطعن، وطعن. وابتسامة كريستوفر أولسن الجميلة تتحول إلى صرخة ألم. حاولتُ محو صورة وجه ستيلا من المشاهد. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً.

سألتها: "لماذا تقولين ذلك؟".

"ماذا؟".

"لماذا تعتقدين أن ستيلا فعلتها؟".

نظرتْ ليندا إليّ باستغراب.

"إنها التي اعتُقلت بسبب الجريمة".

"هل تعرفينها؟".

هزَّت برأسها نافيةً ثم قالت: "أتمنى أن تُبرَّأ".

كنتُ مصعوقاً. هل يمكن أن يكون كريستوفر أولسن قد اعتدى على ستيلا، أو عاملها بسوء، بطريقة ما؟ وإذا فعل ذلك حقاً، لماذا لم تخبر الشرطة؟ ماذا لو كانت ستيلا هي الضحية الحقيقية في هذه المعمعة؟

سألتني ليندا لوكيند: "كيف حال مارغريتا؟".

كنت غارقاً في أفكاري لدرجة أنني لم أرد.

فقالت: "لا بد أن الأمر فظيع. لقد أحببتُ مارغريتا. أو على الأقل لم يكن لديّ أي شيء ضدها. لقد كانت لطيفة معي دائماً. ليس ذنبها أن كريس عنيف مختل نفسياً".

"لا". مع أنني كنت متردداً في هذا الشأن داخلياً، ألا تتحمَّل مارغريتا بعض الذنب؟ كانت أمه في نهاية الأمر.

"وماذا عن ستان؟ ماذا يقول؟".

حككتُ مؤخرة رقبتي. من هذا الذي تتحدث عنه؟

قالت: "ستانيسلاف؟".

احتدَّتْ عيناها وتضيَّقتا. شعرتُ بأنني حُشرتُ في زاوية.

"قلتَ إنك تمثّل عائلة أولسن. ألا تعرف من هو ستانيسلاف؟".

"بالتأكيد".

دفعتْ ليندا كرسيها إلى الخلف وتراجعتْ بضع خطوات سريعة.

"من أنت حقاً؟ لم تخبرني باسمك".

"لم أفعل؟".

خطر اسمٌ في ذهني على الفور، لكنني ترددت في قوله. كم مرة يمكنك السماح لنفسك فيها بالكذب؟ عاجلاً أم آجلاً ستعبر خط الحشمة والنزاهة، مهما كان الهدف من الكذبة يبدو نبيلاً.

"أريدك أن تغادر الآن".

كانت قد تراجعتْ إلى الحائط بجوار الزهرية الزجاجية الكبيرة. بدت مرتعبة، ولكن كان هناك أيضاً شيء متوحش في عينيها، شيء يقارب الجنون.

قلت وأنا أمشي مسرعاً نحو الباب: "سأغادر الآن. شكراً لوقتك".

اقتربتْ بحذر نحو المدخل لتُبقي عينها عليّ. كانت تمسك بهاتفها في يد مرفوعة، على استعداد لإجراء اتصال بكبسة زر واحدة.

قرفصتُ في المدخل الضيِّق كي أنتعل حذائي. ربطتُ أول فردة وكنت على وشك تبديل القدمين عندما نظرتُ إلى رفوف الأحذية بجواري. كان هناك سبعة أو ثمانية أحذية فيها، لكن واحداً منها فقط لفت نظري.

بأصابع مرتعشة، تمكّنتُ من ربط الفردة الثانية، ثم استرقْتُ نظرة أخرى إلى رفوف الأحذية.

لم يكن لدي أي شك؛ كان يوجد حذاء مطابق لحذاء ستيلا. ولعله بنفس القياس أيضاً؟ الحذاء نفسه الذي ترك البصمة في الرمل في موقع الجريمة. نفس نوع الحذاء الذي كان ينتعله قاتل كريستوفر أولسن.

30

مشيتُ بسرعة عبر مركز المدينة. كانت أفكاري تطنُّ مثل عش من الدبابير. إذن، كانت ليندا لوكيند تملك حذاءً من نفس ماركة ونمط حذاء ستيلا. وتلك النظرة في عينيها حين تراجعت إلى الحائط. كانت نظرة بعيدة وتائهة، لكنها كانت مليئة بالغضب أيضاً. بدت حقاً مثل شخص يمكن أن يعاني من نوبة جنون. وفي الوقت نفسه، كانت نظريتها حول اعتداء كريستوفر أولسن على ستيلا تضجُّ في رأسي. لم أستطع تجاهل أن هذا السيناريو كان، في الواقع، ممكناً جداً. هل تعرَّض ذلك السافل لابنتي بالأذى؟ أسرعتُ في خطاي أكثر. كانت خطواتي تهبط بقوة على الأسفلت لدرجة أنها كانت تصدر صدىً. ليس مجدداً. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. وفي الوقت نفسه، لم يكن من العسير مطلقاً تخيُّل رد فعل ستيلا العنيف؛ كيف يمكن أن يستبدَّ بها الغضب بسرعة، وعلى نحو مجنون وأعمى –وبالصدفة يكون بيدها سكين. ولكن، لماذا؟ خارج المبنى، في حديقة ألعاب للأطفال؟ ومن أين جاءت السكين؟ ولماذا بحق الله لم تقل الحقيقة للشرطة؟

فكّرتُ في إطلاع أولريكا على تحليلي لما حدث، لكنني خشيت أن تعتبر أفكاري خيالية وتحاول دفعي لإعادة التفكير في أفعالي. كان لديها رأي مختلف كلياً في الطريقة المثلى لمساعدة ستيلا. لم أفهم كيف يمكنها الوثوق التام في مايكل بلومبيرغ. صحيح أنه مؤهَّل على نحو استثنائي، ولا شك أنه متمكّن في عمله، لكنني لم أشعر بأنه كان مهتماً بما يكفي. لماذا كانت ما تزال محتجزة؟ و لم يُسمَح لنا حتى ذلك الحين رؤيتها؟

بدلاً من ذلك قررتُ التحدث مع الشرطة. أي شخص كان بمقدوره ملاحظة أن ليندا لوكيند ستكون قادرة على إغناء التحقيق بالمعلومات. لماذا كانت ستيلا محتجزة بدلاً من ليندا؟

زدتُ سرعتي إلى أن أصبحتُ أهرول تقريباً في شارع ستورا سوديرغوتن. وعندما وصلت إلى مطعم ستاكيت وكراج فارغارن لركن السيارات، رنّ هاتفي في جيبي. كانت أمي. رغم أنها كانت تتكلم بصوت لاهث، وبعض ما قالته لم يكن مفهوماً، إلا أن رسالتها العامة كانت واضحة تماماً.

لقد عرف الجميع.

لقد نشرت الصحف المسائية ليلة أمس مقالات على الإنترنت حول ستيلا. وبُثّت قصة موجزة في أخبار الإذاعة اليوم. صحيح أنها لم تُذكَر بالاسم -لم يسقط احترام القيم الصحفية كلياً، على الأقل- لكنهم قدّموا بكرمٍ أدلةً كافيةً بحيث أن أي شخص يريد معرفة هويتها لن يضطّر لبذل جهد كبيرٍ لاكتشافها.

قالت أمي: "الخالة داغني اتصلتْ لتسأل إذا كان هذا صحيحاً".

بدت متوترة للغاية.

"قولي لها الحقيقة. لقد ارتكبت الشرطة خطأً".

عند انتهاء المكالمة سلكتُ الممر الضيق بجانب الكراج ثم مشيتُ عبر المبنى وخرجتُ من الطرف الآخر. وبعد ذلك جلستُ على مقعد خارج مدرسة كاتدرال، وخصَّصتُ نصف ساعة من البحث المؤذي للذات على جووجل. أولاً، قرأتُ ما كُتب في الصحف، ثم انتقلتُ إلى مواقع أقل نزاهة. كانت المعلومات تتراوح بين حقائق عامة عن ستيلا وعائلتنا وبين أكاذيب صريحة وتخمينات مجنونة.

أبدتْ ستيلا موهبة واعدة في كرة اليد، لكنها لم تكن قادرة على التحكم بمزاجها.

من المحتمل أنها كانت تنتظره في حديقة ألعاب الأطفال. كان أولسن يمتلك الملايين. لابد أن الأمر كان مدبَّراً.

قرأتُ كل شيء وأردتُ أن أصرخ. لم يكن كل ذلك يمتُّ إلى الواقع بصلة. والأنكى من هذا أن أولئك الأشخاص الذين كتبوا هذه التعليقات أمام شاشات حواسيبهم قد أقابلهم في الشارع أو في الكنيسة أو ربما حتى في قاعة المحاكمة.

كان يتوجّب علي التحدث مع الشرطة. بينما كنت أمشي في شارع لـيلا فيسكارغوتن، اتصلتُ وأبلغت آغنس ثيلين بأنني في طريقي إليها فأعربت عـن ترحيبها بزيارتي.

في طريقي إلى مركز الشرطة، أُوقفتُ عدة مـرات بواسـطة أشـخاص فضوليين أرادوا التحدث معي. أُرغمت على الوقوف محاطاً بأشـخاص كـانوا يعرفون من أكون لكنني نسيت أسماءهم. كانت الدراجات الهوائية تمر مسـرعة بجانبنا والرجل الروماني خارج محل بريسبيرون يعزف لحن فيلم العرّاب.

كما أوقفتني امرأة من رعيّة كنيستنا كانت تُنزِّه جرواً.

وسألتني بعينين حزينتين: "كيف حالك؟ لابد أنه خطأ. إن الشرطة تجعـل من نفسها أضحوكة".

في العادة، لا أجد أي مشكلة في الوقوف أمام تجمُّع كبير وترؤُّس قدّاس أو إلقاء التحية على كل فرد أقابله. بل إنني أفرح عند الوقوف وتبادل بضع كلمات مع أخٍ لي في البشرية والاستماع لما يريد قوله، ومحاولة قـول شـيء مهـذب وحكيم. لكنني شعرت بالاختناق حينئذ.

وفي النهاية، أخفيتُ وجهي وأسرعت نحو ساحة بانتورجت ثم نزلت تحت الجسر المقبَّب وبعد ذلك اتجهت صعوداً نحو مركز قيادة الشرطة.

قابلتني رئيسةُ التحقيق، آغنس ثيلين، خارج غرفة الاستجواب. قـدَّمتْ لي كوباً من القهوة لكن يدي كانت ترتعش بشدة لدرجة أن الملعقة سقطت علـى الأرض حين حاولت تحريك السكر.

سألتني: "كيف حالك؟"

"تمكّنتُ أخيراً من النوم قليلاً ليلة أمس".

هزَّتْ آغنس ثيلين برأسها مع ابتسامة دافئة.

وقالت: "كنتُ آمل أن تتواصل معنا، يا آدم".

ماذا كانت تعني بذلك؟

فقلت بشيء من الحدّة: "ظننتُ بأنكِ أنت من سيتواصل معنا. يبدو أننا لا نحصل على أية معلومات على الإطلاق".

أضافتْ آغنس ثيلين حليباً إلى قهوتها.

"يمر التحقيق في مرحلة حساسة. نحن نعمل بجهد كبير لاكتشاف ما حدث".

قلت وأنا أصالب ذراعي فوق صدري: "صحيح؟ صحيح حقاً؟ هل تعملون 'على نحو واسع وبدون أفكار مسبقة'؟ لأن المرء يمكنه أن يرى بسهولة أنكم اتخذتم قراركم مسبقاً".

أحسستُ لوهلة بأن رؤيتي تشوّشتْ فانحنيت إلى الأمام ورفعت يديَّ إلى جبهتي.

فقالت آغنس ثيلين: "هل أنت بخير؟ أدرك أن هذا يرهقك بالتأكيد".

نظرتُ إليها وحاولتُ تمالك نفسي. يجب ألا أبدو كمجنون.

ثم قلت: "ليندا لوكيند. لماذا لا تلقون نظرة أشد قرباً إليها؟"

شربتْ ثيلين من قهوتها.

ثم قالت وهي تمرر إصبعاً فوق شفتيها: "بالطبع، نحن ننظر إلى كل شيء يمكن أن يكون متعلقاً بهذه القضية".

"هل تعرفون أن ليندا لوكيند تملك نفس الحذاء بالضبط الذي تمتلكه ستيلا؟ نفس الحذاء الذي ترك البصمة في موقع الجريمة؟"

كادت رئيسة التحقيق أن تبصق قهوتها قبل أن تقول: "ماذا؟ كيف تعلم هذا؟"

"كيف أعلم ليس الأمر المهم هنا، أليس كذلك؟ أخبرني شخص ما. السؤال هو لماذا لم تتحققوا من الأمر؟ لماذا لم تفتشوا منزل ليندا لوكيند؟"

مسحتْ آغنس ثيلين فمها بمنديل ثم قالت: "لستُ قادرة على مناقشة التحقيق الأولي معك، لكني أضمن–"

"ضماناتكِ لا تعني لي الكثير الآن! يتولّد لدي انطباع بأنكم لا تعرفون ماذا تفعلون".

قالت آغنس ثيلين: "يؤسفني شعورك هذا. لكنه ليس صحيحاً".

أخذتُ نفساً عميقاً.

"لقد تعرَّضتْ ليندا لوكيند للتعنيف من قبل كريستوفر أولسن لعدة سنوات. وعندما تجرّأت على الإبلاغ عنه، لم تصغوا إليها وأغلقتم التحقيق. كان لديها كل الأسباب لتنفيذ حكم القانون بيديها. كانت تريد الانتقام من الرجل الذي دمّر حياتها. هل يمكن أن يكون هناك دافع أوضح من هذا؟ إضافة إلى ذلك، لديها نفس الحذاء الذي كان القاتل يرتديه. هل يمكنك أن تفسّري لي لماذا هي حرة وابنتي في السجن ولا يُسمَح لها حتى التحدث مع والديها؟"

نظرتْ آغنس ثيلين إلى الباب. كان واضحاً أنها تجد صعوبة في الدفاع عن نفسها.

تابعتُ كلامي قائلاً: "بدأتُ أشعر بوجود حالة فساد بشعة. سوء استعمال العدالة".

"أفهم أن هذا الوضع قد يبدو مثيراً للإحباط، لكننا نعلم أكثر بكثير مما تعلم يا آدم. يجب أن تثق بأننا نبذل قصارى جهدنا للوصول إلى الحقيقة".

"إذن لماذا لا تخبروني بما تعلمون؟"

حكّتْ أنفها ثم قالت: "يمكنني إخبارك بهذا القدر. قد يكون هناك سبب وجيه لعدم إيلاء الكثير من الثقة لما تقوله ليندا لوكيند. لقد أجرينا تحقيقاً شاملاً في الاتهامات التي وجّهتْها ضد كريستوفر أولسن، وقد أُغلق التحقيق الأولي لغياب الأدلة. لم يكن هناك أي شيء يدل على أنها كانت تقول الحقيقة بشأن ما حدث".

"هل تقولين لي إن ليندا لوكيند تكذب بشأن كل هذا؟"

عضّتْ آغنس ثيلين على شفتها السفلى ثم قالت: "أنا أقول فقط ما خرج به التحقيق".

31

انتظرتْ آغنس ثيلين بينما كنت أحرِّك كوب قهوتي.

هل يمكن أن يكون صحيحاً أن ليندا لوكيندا استغبتني؟ هل كانت هي المجنونة الفعلية هنا؟ هل اتَّهمتْ كريستوفر أولسن بتعنيفها واغتصابها بهدف الانتقام؟"

سألتُ آغنس ثيلين: "أليس صحيحاً بصورة عامة أن المعنِّفين الأُسَريين يفلتون بفعلتهم غالباً؟"

"غالباً ما يشكِّل تحدياً إيجاد أدلة تكون مقنعة في المحكمة. ولكن في هذه القضية بالتحديد، كان هناك الكثير من الأشياء غير المؤكدة بحيث أنني أنصحك بالنظر لتصريحات لوكيند بشيء من التحفُّظ. لسوء الحظ، لا يمكنني أن أقول أكثر من ذلك".

في الحقيقة، أنا نفسي كنت مقتنعاً بأن ليندا كانت تخفي شيئاً ما.

قلت لها: "لكن ذلك لا يغيِّر شيئاً في الحقيقة. إذا كانت ليندا لوكيند مستعدة لتوجيه اتهامات مزيفة ضد شريكها السابق، فمن الممكن إلى حد كبير أن تلجأ للعنف أيضاً، ألا ترين ذلك؟"

حاولتْ آغنس ثيلين إخفاء تنهيدة خلف يدها قبل أن تجيب قائلةً: "أنا أسمع ما تقول يا آدم".

أطبقتُ أسناني. لقد سمعتْ ما قلته لكنها لا تنوي فعل أي شيء بخصوصه.

ثم سألتني: "متى كانت آخر مرة تحدَّثتَ فيها مع ستيلا على الهاتف؟"

ما علاقة هذا بأي شيء؟

"لا أذكر حقاً. نادراً ما نتحدث على الهاتف. لقد توقفتُ عن الاتصال، لأنها لا تجيب على أي حال. يجب أن يكون التواصل إما عبر رسالة نصية أو ماسنجر".

"قلتَ إنك تواصلتَ معها عن طريق رسالة نصية في ليلة الجمعة".

"لا ليس تواصل. أرسلتُ رسالة لكنني لم أتلقَّ رداً".

"هل أنت متأكد من ذلك؟"

أبقيتُ إجابتي لنفسي. هل تمكّنت الشرطة من استرجاع رسائل ستيلا؟ أو هل يمكن أن تصل الأمور إلى مصادرة هاتفي والبحث فيه؟

"لا أتذكّر حقاً. ربما ردّت، وربما لم ترد".

نحنحتْ رئيسةُ التحقيق حنجرتها ثم قالت: "متى كانت آخر مرة رأيت فيها هاتف ستيلا؟"

هه؟ أشحتُ بعينيَّ جانباً كي لا أُظهر استغرابي. ألم تجد الشرطة هاتف ستيلا؟ لقد افترضتُ أنه صودر عندما فتّشوا منزلنا.

"أنا آسف. لا أتذكّر".

دوَّنتْ آغنس ثيلين ملاحظة في ملفها، ثم قالت: "هل رأيت الهاتف منذ اعتقال ستيلا؟"

ماذا يعني هذا؟ أين يمكن أن يكون هاتف ستيلا إذا لم تجده الشرطة؟

قلت لها: "لا".

أخرجتْ آغنس ثيلين نَفَساً طويلاً من منخريها.

"هذا مهم الآن يا آدم. هل تذكر ماذا كانت ستيلا ترتدي عندما عادت إلى المنزل في ليلة الجمعة؟"

نضحَ العرق تحت إبطيّ.

"هل هذا استجواب؟ هل أنا بحاجة حتى للإجابة على أسئلتك؟"

اكتفتْ آغنس ثيلين بالنظر إلي.

فقلت: "إنني عديم النفع في هذه الأمور. زوجتي تنزعج مني دائماً لأنني لا ألاحظ أبداً متى تشتري ثياباً جديدة".

رسمتْ آغنس ثيلين ابتسامةً مكرَهةً.

"لكنكَ تحدثتَ مع ستيلا حين عادت إلى المنزل؟ هل رأيتَ ملابسها؟"

"أجل، بالتأكيد".

"وألم تلاحظ أي شيء مختلف؟ بقع، أو شيء من هذا القبيل؟"

ازداد تعرُّقي.

"كان هناك ظلام. لا أتذكَّر حقاً..."

بالطبع، عدم التذكُّر والكذب أمراً مختلفان. كنت أحاول إخراج نفسي بمشقة عبر أية فجوة أتمكّن من إيجادها. في تلك الأثناء كانت ثيلين تتصفّح وثائقها بأصابع مشدودة.

"متى سمعتَ باسم كريستوفر أولسن لأول مرة؟"

أجبتُ بصدق: "السبت الماضي، عندما اكتشفتُ أنكم احتجزتم ستيلا".

"إذن فأنت لم تسمع أبداً باسمه من قبل؟"

فركتُ عينيَّ وقلت: "ليس على حد علمي".

"إنه سؤال بسيط يا آدم. هل سمعتَ باسم أولسن من قبل أم لا؟"

"لا، لم أسمع به".

"إذن فستيلا لم تذكر اسمه أبداً. هل تحدَّثَتْ يوماً عن شخص ما يمكن أن يكون أولسن؟ حبيب؟ هل كنتَ تعلم بأنها كانت تقابل شخصاً ما؟"

"لم تكن ستيلا تملك حبيباً. اسألي أي شخص! حسبما فهمتُ، إنها التقتْ مع كريستوفر أولسن في مناسبات نادرة فقط. لماذا سترغب في إيذائه. هذا ليس منطقياً".

"السلوك البشري ليس منطقياً دائماً".

"لكنه كذلك في معظم الأحيان".

أخذتْ آغنس ثيلين صفحة من على طاولتها ثم قالت: "استمعْ إلى هذه".

ثم أخذتْ تقرأ بصوت عال. "*إنني أفكر فيك 24-7. أرغب بك بشدة*" . أو هذه: "*أنت الكائن الأكثر وسامة وإثارة على الأرض. أنا مسرورة بحيث يكاد عقلي يطير لأنني التقيتُ بك*" .

أحسستُ بطعم القرف في حلقي. هل يُسمَح لها فعل ذلك؟ بدا ذلك فعلاً خاطئاً إلى حد بعيد، وضد القوانين؛ لا أخلاقي بالحد الأدنى.

"هذه رسائل دردشة أرسلتها ستيلا إلى كريستوفر أولسن. لقد وجدنا رسائل أخرى شبيهة بها في حاسوبه".

أطبقتُ يديّ بشدة تحت الطاولة وضغطتُ بهما على فخذاي.

"كيف تعرفين أن ستيلا هي من كتبت هذه الرسائل؟ قد يكون هناك شخص ما قَرْصَنَ حسابها".

قالت آغنس ثيلين متجاهلةً ما قلته: "أعرف وقع هذا الأمر يا آدم. ولكن، كل شيء سيكون على ما يرام. سوف نتخطى هذا معاً".

"عمَّ تتحدثين؟ لستِ مضطرة لتخطي أي شيء. يمكنك الذهاب الليلة إلى البيت ومعانقة أولادك. ابنتي هي المحتجزة في زنزانة!"

"أعلم، أعلم. لكن الطريقة الوحيدة للمضي قدما الآن هي أن تكون شجاعاً بما يكفي لقول الحقيقة. هل كنتَ حقاً صاحياً حين عادت ستيلا إلى المنزل؟"

"أجل".

كنتُ أحارب لكي أحافظ على تنفسي هادئاً وبطيئاً.

"متى كان ذلك؟"

أخذتُ نفساً عميقاً ثم قلت بما استطعتُ استجماعه من ضبط النفس: "الثانية عشرة ليلاً إلا ربعاً. 11:45 بالضبط".

هزتْ آغنس ثيلين برأسها قليلاً ثم دفعتْ كرسيها إلى الخلف فأصدر صريراً عالياً نتيجة احتكاك أرجله بالأرضية البلاستيكية. وبعد أن توقف على بعد متر تقريباً من مكتبها، سندتْ ظهرها ونظرتْ إلى السقف.

ثم قالت: "آدم، آدم. أفهم سبب فعلك هذا. لعلي كنت سأفعل الشيء ذاته".

لم أقل شيئاً. ليس لديها أي فكرة عن شعور المرء بجلوسه هنا.

تابعتْ كلامها: "أولادنا يعنون كل شيء لنا. ستيلا طفلتك الصغيرة. إنه لأمر فظيع أن تكتشف أنك لا تستطيع حماية طفلتك".

مرة أخرى، فكّرتُ بصبر أيوب.

قالت آغنس ثيلين: "لا أريد الحكم عليك. لكنني لا أعتقد أن هذه هي الطريقة الصائبة. هذا ليس صائباً يا آدم".

أغمضتُ عينيَّ. أليس صواباً حماية طفلك؟ عائلتك؟ هل يمكن أن يكـــون خطأً تحت أي ظرف؟

قلتُ وأنا أنهض عن الكرسي: "أعتقد أننا انتهينا هنا".

تنهَّدتْ آغنس ثيلين وحدَّقتْ فيّ وأنا أغادر مكتبها.

كان يتوجب علي الاتصال بأمينة.

بحثتُ عن رقمها واتصلتُ بها. وبعد رنّة واحدة أبلغني صوت إلكتروني بأن المشترك لم يعد في الخدمة.

32

هرعتُ نحو الصالة الرياضية. كان تدريب الفتيات سينتهي في أية دقيقة، ومع القليل من الحظ سأتمكّن من إيجاد أمينة هناك.

أحب الدخول إلى الصالة الرياضية. تلك القاعات ما تزال تُمثّل بيتاً ثانياً بالنسبة لي. رائحة العرق الصادرة من غرف تبديل الملابس، والشعور بالالتصاق تحت حذائي، وصوت الصفّارات، وارتداد الكرات عن الأرض. إضافة إلى ذلك، إنني ألعب دوراً ثانياً هنا حال دخولي عبر هذا الباب، فلا أعود قساً، بل قائد ومدرّب... والأهم من كل ذلك، ربما، والد ستيلا.

بيد أنني لم أشعر سوى بالانزعاج عندما فتحت الباب وامتلأ أنفي برائحة عرق الصيف العفنة. بضع فتيان مراهقين بملابس التمرين كانوا جالسين في الكافتيريا، وامرأة تجاوزتني كالسهم في طريقها إلى ساحة ركن السيارات. فجأةً أصبحتْ مقاومتي كاسحة. النظرات، الأسئلة، حقيقةُ أن الجميع يعرفون. كل واحد منهم كان يملك العديد من الآراء. كانوا يظنون أنهم يعرفون، ولديهم نظريات جاهزة. كان عقلي مشوَّشاً وقلبي ينبض بعنف وصولاً حتى حنجرتي. لم أستطع تحمُّل فكرة أن أُرغَم على مقابلة أناس أعرفهم.

رجعتُ أدراجي إلى الخارج وتوجَّهت إلى مكان ركن الدراجات الهوائية واختبأت خلف شجرة. وقفت هناك سانداً ظهري على الجذع الخشن، محمياً من العالم، وغاضباً من الوضع. هذا النوع من الأمور لا يحدث في السويد. هنا، نحن لا نظلم الأبرياء أو نعرِّضهم لظروف قاسية.

أحسستُ وكأنني خُدعت. كيف سمحتُ بأن يُغسَل دماغي فأصدِّق أن بوسع المرء الوثوق في النظام القضائي على نحو أعمى وبدون نقد؟

بعد فترة قصيرة، تدفقت الفتيات عبر الباب. زميلات أمينة. ألقيتُ نظرة دون أن أكشف موقع اختبائي.

وأخيراً جاءت أمينة باتجاه مكان ركن الدراجات الهوائية. وضعتْ حقيبتها الرياضية على حاملة الأمتعة وثبّتتها وكانت على شك الانحناء لكي تفتح قفل دراجتها حين قلت مرحباً.

"لقد أفزعتني!" تراجعتْ إلى الخلف.

"آسف، لم أقصد ذلك. حاولتُ الاتصال، لكن..."

"سُرق هاتفي".

طوتْ كابل القفل ووضعته في سلتها وأرجعت الدراجة من مكان ركنها.

سألتها: "هل يمكننا التحدث؟"

أجابت دون أن تنظر إلي: "يجب أن أذهب إلى المنزل. أنا مشغولة جداً والكلية ستبدأ بعد ثلاثة أيام".

"يمكنني أن أمشي معك قليلاً إذا دفعتِ دراجتك أمامك".

تنهّدتْ ووضعتْ كلتا يديها على مقود الدراجة وبدأت تمشي بسرعة كبيرة لدرجة أنني اضطُررت للهرولة كي أواكبها.

سألتها: "لماذا لا تريدين التحدث معي؟"

"ماذا؟ *نحن نتحدّث*".

لحقتُ بها على جسر المشاة فوق رينغفاجن. كانت عينا أمينة مثبّتّين على نقطة بعيدة في الأمام وكانت تمشي بأقصى سرعتها.

"هل تعلمين شيئاً ما يا أمينة؟"

لم تجبْ.

"من فضلك، يجب أن تخبريني بكل شيء".

فقالت بحدّة: "لا أعلم شيئاً! أخبرت الشرطة بكل شيء".

سرتُ عدة خطوات سريعة وأصبحت بجانبها.

"كنت تعلمين أن ستيلا كانت تمضي بعض الوقت مع كريستوفر أولسن، أليس كذلك؟"

قالت باقتضاب بينما كنا ندخل إلى منتزه المدينة: "أجل".

"هل كانا ثنائياً؟ هل كانت ستيلا مرتبطة بعلاقة مع ذلك الرجل؟"

كنا قد مررنا للتو بالمقهى حين توقفتْ ونظرتْ إلي.

"لا، ليس بهذه الطريقة. لقد تقابلا في الخارج مرة أو مرتين وكانا يعرفان بعضهما بطريقة عابرة. هذا كل شيء".

لمعتْ عيناها في المنطقة نصف المظلمة. كانت قد رفعت إحدى يديها عن المقود فبدأت الدراجة تتأرجح.

"هل قابلتِه أنتِ أيضاً؟"

التفتتْ مرة أخرى وأمسكت بالمقود بمتانة مجدداً ودفعتها أمامها على الطريق المفروش بالحصى.

قلت لها بنبرة حادة على نحو زائد: "أمينة! ستيلا في السجن! هل سبق لكِ أن كنتِ في السجن؟ هل تعلمين كيف تبدو تلك الزنازين؟"

كدتُ أن أُصدَم بواسطة شاب مهرول يضع سمّاعتي أذنين قال باشمئزاز "عجائز ملاعين" بينما كنت أحاول اللحاق بها مجدداً. أبطأتْ أمينة سيرها قليلاً. كانت دموعها تسيل على خديها بصمت، فأحسستُ بالألم يعتصر قلبي. أردتُ أن أعانقها كما أعانق طفلة، وهي كانت كذلك إلى حد ما. لكنني بدلاً من ذلك توسَّلت إليها كي تسامحني.

"أنا لست بحال جيدة يا أمينة. هذا الوضع يدفعني إلى الجنون".

قالت وهي تنشج: "أعرف. وحالتي أيضاً مريعة".

"أخبريني من فضلك".

33

لطالما ربطتني بأمينة علاقة خاصة لدرجة أنها، في بعض الأوقات، كانت تفضِّل اللجوء إلي بدلاً من والديها. وأنا واثق تماماً بأنني أعرف أشياء عنها لا يدري بها أي شخص بالغ آخر.

منذ أربع سنوات، في أواخر الخريف -بعد حفل القبول في الكنيسة- كانت الفتاتان في الصف التاسع وكنا نحتل أعلى التصنيف الإقليمي لفرق الشابات.

ذات صباح، وجدتُ روجر أرفيدسن واقفاً على سلّم صالة الكنيسة. بدا تعيساً ومرتبكاً بقبعته المصنوعة من الفرو.

كان روجر أرفيدسن يبدو أكبر من عمره. فعلى الرغم من أنه كان قد دشَّن مؤخراً عامه الخمسين، إلا أن قلة اهتمامه بالنظافة وبعض الجينات السيئة إضافة إلى نمط حياته الجلوسي والتدخين وشرب الكثير من القهوة، كل ذلك جعله يبدو أكبر من سنِّه. كان مظهره الخارجي رثّاً مع أسنان بنية وذقن مترهلة وأصابع قذرة. ولهذا السبب كان أطفال الحي يسمّونه "الوحش".

في كل يوم أحد، كان روجر يأتي إلى الكنيسة برفقة أمه التي يعيش معها. كنت أحرص دائماً على التحدث معه قليلاً كلما التقينا، لأنني كنت أعتقد أنه لم يكن معتاداً على تلقي الاهتمام من أي شخص سوى أمه. صحيح أن روجر لم يكن موهوباً على الإطلاق، لكنه كان يبدو لطيفاً وخجولاً ويستحق معاملة حسنة.

لم يسعَ روجر يوماً للتحدث معي من تلقاء ذاته، وحين كنا نتحدث كنتُ غالباً أسحب الكلمات منه سحباً. ولهذا السبب، عندما وجدته واقفاً على سلّم صالتنا بدون أمه، أدركت على الفور بأن ثمة خطب ما.

سألته إن كان باستطاعتي خدمته بأية طريقة.

بعد ذلك، أخذته إلى مكتبي. كانت أسنانه تصطك وكان ما يزال يرتدي قبعته الفرو. لقد تألّمتُ بشدة لقصته.

قال روجر إن فتاة يافعة زارته مرتيْن. وفي كلتا المرتين جاءت بُعَيْد مغادرة والدته البيت للعب البينجو. وكان يعلم أن الفتاة لم تأتِ لوحدها لأنه شاهد صديقتها عند الباب الأمامي، تراقب.

سألَتْه الفتاةُ إن كان يودُّ دعوتها للدخول وشرب فنجان من القهوة ففعل. هذا ما تربَّى عليه؛ إذا جاءك ضيوف فعليك أن تقدم لهم القهوة. في المرة الأولى تحدَّثا قليلاً ثم ذهبت الفتاة. لكنها في المرة الثانية طلبت منه بدون أي مقدمات أن يخلع سرواله. رفض بالطبع. لم يكن يعرف ماذا تنوي تلك الفتاة فعله، فضلاً عن أنه لم يكن غبياً لدرجة الاعتقاد بأنها كانت ترغب به. وبعد عدة محاولات لإقناعه، سمح لها روجر بالجلوس في حضنه. والتقطت الفتاة صوراً لهما بواسطة هاتفها.

تابع روجر كلامه: "وبعد ذلك أرادت ألف كرونة. وإذا لم أعطها الألف كرونة كانت ستُري الصور للناس وتبلغ الشرطة عني. قالت إن الجميع سيعتقد بأنني كنت ممن يرغبون في الأطفال جنسياً. هناك الكثير من الإشاعات حولي مسبقاً".

وهكذا أعطاها ألف كرونة. لم أستطع لومه على هذا الفعل، على الأقل. لم يكن على الإطلاق الشخص الأول الذي يدفع نقوداً دَرْءاً لاتهامات زائفة.

ولكن، بعد ذلك وصلته رسالة إلى صندوق بريده. كانت الفتاة تطالبه بألف كرونة أخرى، وإلا فإنها ستسلّم الصور للشرطة.

"لا أريد أن يصيبها أي مكروه. إنه ذنبي بقدر ما هو ذنبها".

وقفتُ بتصميم وأكَّدتُ لروجر بأنني سأهتم بالأمر على الفور.

لم يكن بحاجة أبداً لذكر اسمها. كان واضحاً عمن كنا نتحدث.

أخبرتُ الشمَّاسة مونيكا، بأنني أعاني من صداع نصفي شديد ثم ذهبتُ إلى المنزل وطرقتُ بقوة على باب غرفة ستيلا إلى أن سمحت لي بالدخول.

"ما الذي فعلتِه بحق الجحيم؟"

إنني لا أتلفّظ بألفاظ نابية أبداً. نادراً ما رأيتُ ستيلا في تلك الصورة من الشعور بالخزي. اعترفتْ على الفور دون تقديم أية أعذار وأقسمتْ بأنها ستعيد المال فوراً وتعتذر لروجر. كانت مجرد فكرة غبية انحرفت عن مسارها، ولن يحدث شيء كهذا أبداً مرة أخرى.

لم أذكر أياً من هذا لأولريكا. قد يبدو ذلك نوعاً من الخداع، إذ من المفترَض مشاركة مثل هذه الأشياء مع زوجتك، لكنني من الزاوية المقابلة، أردتُ تجنيبها الشعور بالصدمة، فما لم تكن تعرفه لن يؤذيها. ولكن، عند التفكير في الأمر الآن، يجب أن أعترف بأن جزءاً كبيراً من محاكمتي كان يدور حول الشعور بالخجل. لم أستطع تقبُّل ما فعلَتْه ستيلا، و لم أكن أريد أن يعرف به أي شخص آخر، بما في ذلك زوجتي.

عندما رأيتُ روجر في الكنيسة في يوم الأحد التالي، أخذتُه جانباً بعد القدّاس. ومرة أخرى اضطررت لسحب الكلمات من فمه.

"هل أعادتْ مالك؟"

"أوه، أجل".

"كله؟"

"أجل".

"وهل اعتذرتْ ستيلا؟ هل بدتْ آسفة بشكل حقيقي؟"

"أجل" -هزَّ روجر برأسه- "ولكن ليس هي".

"ماذا؟"

طأطأ رأسه.

"لم تكن ستيلا هي التي فعتل ذلك. بل الفتاة الأخرى، الفتاة السمراء الصغيرة".

34

مشيت وأمينة جنباً إلى جنب عبر منتزة المدينة. كنا قد اقتربنا من الوصول إلى شارع سفانيغوتن وكان باستطاعة سماع حركة المرور.

قالت أمينة: "كنتُ هناك في المرة الأولى التي قابلتْ فيها ستيلا كريس. كان ذلك في تيجنيرس. بدا شخصاً طبيعياً تماماً. لم يكن فيه أي عيب. باستثناء أنه كان كبيراً بعض الشيء، لكننا لم نعرف ذلك في البداية".

"متى حدث ذلك؟"

رفعتْ كتفيها ثم قالت: "منذ بضعة أشهر".

"ولكن، ماذا كانت تفعل ستيلا في منزله؟ وجدت الشرطة أدلة تثبت بأنها كانت هناك".

"ربما ذهبتْ معه إلى البيت".

ندمتُ على السؤال. لم أكن أرغب بمعرفة المزيد.

قالت أمينة: "تسامُرُ ما بعد الحفلة، ربما؟ لا أدري حقاً. لم أرَ ستيلا منذ أكثر من أسبوع، منذ عطلة نهاية الأسبوع ما قبل الماضية".

تعثّرتْ دراجتها فحضّرتُ نفسي للإمساك بها في حال أفلتت من قبضتها.

"هل رأيتِ كريستوفر أولسن في تلك المرة أيضاً؟"

قوَّمَتْ أمينة المقود.

"أجل، في يوم الجمعة ذاك".

"كان يوم عيد ميلاد ستيلا".

"بقينا معه لفترة قصيرة ثم ذهبتُ وستيلا إلى ستورتورجت وشربنا كأساً من الشراب. كان لدي مباراة يوم السبت، لذا لم نفعل أي شيء مجنون".

"و لم تريا بعضكما منذ ذلك الحين؟ لكنكما تحدّثتما، أليس كذلك؟ راسلتما بعضكما؟"

"ليس تماماً. لكنها راسلتني بالفعل في يوم الجمعة. كان من المفترض أن نلتقي في تلك الليلة، ولكن كان عندي تمرين و لم أكن أشعر بأنني بخير. ثم أُصبت بحمّى يوم السبت".

"إذن، ليس لديك أي فكرة عما حدث يوم الجمعة؟"

سارعتْ لهز رأسها نافية، فأحسستُ بالشك.

"إذاً ماذا قلتِ للشرطة؟ عندما استجوبوكِ؟"

"الحقيقة، بشكل واضح. لم يكن بوسعي الكذب، صحيح؟"

لم أردّ.

تعلّمتُ في حياتي أن الكذب شكل من أشكال الفنون، مهارةٌ يتقنها بعض الناس في حين لن يفلح آخرون أبداً في ذلك. مثل المواهب، أنا واثق بأنك قادر على تحسين وصقل هذه المهارة بالتمرين، ولكن يبدو أنها تعود بشكل أساسي إلى ميل جيني معيّن. وستيلا كانت كذابة بارعة على الدوام. حتى في المدرسة الابتدائية كنت ألاقي صعوبة في تحديد كذباتها، التي كانت في بعض الأحيان تتعلق بأشياء عادية إلى أبعد الحدود.

"هل نظّفتِ غرفتك يا ستيلا؟"

"أجل بابا".

قد يكون هذا الجواب صحيحاً في إحدى المرات، وفي المرة التالية تجدها تكذب في وجهي بحيث بات من المستحيل تحديد ما إذا كانت تقول الحقيقة أم لا.

أظن أن أمينة ليست كاذبة بارعة على الإطلاق. بعد حادثة روجر أرفيدسن، توسّلتْ لي باكيةً كي أغفر لها وحملتني على أن أعدها بعدم إخبار دينو وألكساندرا. وقد التزمتُ بوعدي بالطبع.

و لم تكن ناجحة في كذبتها هذه المرة أيضاً. لم تكن لدي ذرة شك في أنها كانت تخفي شيئاً ما. من كانت تحاول حمايته؟ نفسها أم ستيلا؟

أو أنا؟ هل كانت تظن أنني لن أقوى على تحمُّل الحقيقة؟

انعطفنا يساراً على نحو شارع سفانغوتن. مرّت بجانبنا سيارة تسير بسرعة كبيرة جداً.

"أمينة، هل تظنين أن ستيلا...؟ هل تظنين أن ستيلا فعلتْها؟"

تردّدتْ أمينة قبل أن تقول: "لا! لم تفعل ستيلا شيئاً! أنت لا تظن بأنها..."

كيف كان باستطاعتها أن تكون واثقة جداً؟

توسَّلتُ إليها مرة أخرى بينما كانت تركب دراجتها لقطع الأمتار الخمسين الأخيرة التي تفصلنا عن منزلها: "أرجوكِ، يجب أن أعلم".

"تعلم ماذا؟"

"كل شيء".

"لا أعرف شيئاً أنا أيضاً". وضعتْ قدميها على الدوّاستيْن وأدارتهما دورة واحدة قبل أن تضيف قائلةً: "لا أعلم أكثر مما تعلم أنت. وكذلك الأمر بالنسبة لستيلا، على الأرجح".

لوّحتْ بيدها مودِّعةً من فوق كتفها بينما كانت تقود دراجتها نحو المنزل.

كنت متأكداً بأنها تكذب.

35

عندما رجعتُ إلى المنزل في ذلك المساء، كانت أولريكا واقفة في غرفة النوم تحدِّق عبر النافذة في الخارج. كان عقلي يدور ببطء وكانت كل عضلة في جسمي تؤلمني كما لو أنني تسلَّقتُ جبلاً للتو.

سألتها: "إلى ماذا تنظرين؟"

لم تجبْ. عندما وضعتُ ذراعيَّ حول خصرها اكتشفتُ أن وجهها كان مغطى بالظلال؛ بدا كأن دموعها جَوَّفتْ وجنتيها وجففت شفتيها.

قلت لها بصوت هامس: "حبيبتي".

"أين كنت؟"

كان صوتها مرتعشاً.

أخبرتها بأنني أُرسلتُ إلى البيت من العمل للراحة لمدة أسبوع آخر على الأقل. بدت عيناها خاليتين من الحياة. كان الظلام دامساً في الخارج. ظلام أسود لا يمكن اختراقه.

قلت لها: "سمعتِ بأيوب، أليس كذلك؟"

"الاسم مألوف لي".

أرحْتُ ذقني على كتفها فإذا بها تنتفض بشكل مفاجئ وتستدير.

"أنت لا تعتقد جدّياً بأن هذا اختبار من الله؟"

لم أعد أعرف بماذا أفكر.

لكنني مع ذلك قلت: "كان أيوب الرجل الأكثر صدقاً على الأرض. لكن المدّعي قال إنه من السهل الإيمان بالله عندما تكون حياتك عظيمة كحياة أيوب".

"المدّعي؟"

"بعض الترجمات تستخدم هذه الكلمة. إنه تعبير تلطيفي بدلاً من الشيطان".

وسط كل ذلك البؤس لمحتُ ابتسامة على وجه زوجتي.

"كمحامية دفاع، ليس لدي ما أقوله هنا".

بينما كنت أروي لها قصة أيوب -كيف سمح الله للشيطان بسلب كل ما كان يمتلكه، بقتل ماشيته، وأولاده العشرة، بإصابته بمرض فظيع- كانت أولريكا تهز برأسها باستمرار.

"إذن فأنت أيوب؟"

كان من الصعب معرفة إن كانت تمزح أم تسخر مني.

"بالتأكيد لا. على أي حال، رأتْ زوجة أيوب بأنه كان يتوجّب عليه أن يدير ظهره لله بعد كل ما حلّ به. هل تعرفين ماذا قال أيوب رداً عليها؟"

"لا، ماذا قال؟"

"قال إنه إذا كنا نقبل كل الأشياء الجيدة من الله، فلابد أن نكون مستعدين للقبول بالأشياء السيئة أيضاً".

ردَّتْ أولريكا بهمهمة لم أعرف ما كانت تقصده بها.

مكتبة
t.me/t_pdf

ثم تنهّدتْ وقالت: "لا يمكننا الاستمرار بالعيش هنا".

"ماذا؟"

نظرتْ أولريكا عبر النافذة مجدداً، وقالت: "هل رأيتَ الأخبار على الإنترنت اليوم؟"

"أجل، اتصلتْ أمي".

"لوند ليست مدينة كبيرة جداً. علاوة على ذلك، أنت وأنا شخصيتان عامّتان نسبياً هنا".

واصلنا التحديق في الظلمة.

قلت لها: "ألستِ تبالغين قليلاً؟"

"ليس لديك أدنى فكرة. لقد رأيت هذا الأمر يحدث مرات عديدة. يُرغَم الناس على الهرب، على التخلي عن حيواتهم والبدء من جديد في مكان آخر".

"أنت تعتقدين أن ستيلا ستُدان إذن؟"

نظرتْ إلي كما لو كنت طفلاً توشك على تخييب ظنه.

وقالت: "ربما ليس بواسطة النظام القضائي. من المبكر جداً التنبؤ بذلك الآن.

لكن هذا ليس مهماً حقاً. إنها محكمة الرأي العام التي تهم حقاً. بشكل عام، لا يكترث الناس لقرار المحكمة".

لم أستطع القبول بهذا الكلام.

"أنتِ تبالغين".

"أبداً. أسبوع واحد في السجن وستكون كالمذنب بأعين الناس. حتى لو بُرِّئت ستيلا من كل الشبهات، فإن بذرةً من الشك ستبقى في نفوس أولئك الذين يعرفون من تكون. على الأقل ما دام لم يُدَنْ أحد بالجريمة".

بدت وكأنها كانت فاقدة كلياً للثقة بالطبيعة البشرية. لعلها حكمة سوداوية استخلَصَتْها من العمل لمدة تقرب من عشرين عاماً في النظام القضائي الجنائي. وكان هناك بالتأكيد بعض الحقيقة في منطقها. ما كان عليّ سوى أن أنظر إلى نفسي؛ كم مرة اعتبرتُ مشتبهاً به بأنه مذنب رغم أن المحاكم توصَّلت إلى القرار المعاكس؟ إذا بُرِّئت ستيلا و لم يُدَنْ شخص آخر بالجريمة، من المؤكد أن الناس سيشكُون في براءتها.

"أنتِ جادّة؟ تريدين منا الابتعاد عن لوند؟"

أومأتْ برأسها دلالة على التأكيد ثم قالت: "عرضَ مايكل عليّ شيئاً ما في ستوكهولم".

"مايكل؟"

"بلومبيرغ".

رمشتُ بضع مرات. مكثَ الظلام خارج النافذة لوهلة في بصري مثل ظل.

"أي نوع من الأشياء؟"

"لديه عمل من أجلي، قضية كبيرة ستستغرق وقتاً طويلاً، بضعة أشهر. تمتلك المؤسسة شقة في مركز المدينة، من أجل النوم. يمكننا البقاء هناك إلى أن نجد بيتاً خاصاً بنا".

"سننتقل؟"
وضعتْ ذراعيها حول رقبتي.
ثم قالت: "البقاء في هذه المدينة لن يكون جيداً لنا".
دفء جسدها جعلني ألين.
"وماذا بشأن ستيلا؟"
"ستأتي معنا بالطبع. إلى أن تبدأ رحلتها الآسيوية".
"لكنها محتجزة".
قالت أولريكا وهي تداعب رقبتي بأنفها: "بعد المحاكمة".
"بعد...؟"
"لا يوجد ما نستطيع فعله بخصوص هذا الأمر في الوقت الحاضر. على الأرجح سيستمر الاحتجاز حتى المحاكمة".
"تعتقدين ذلك؟"
حاولتُ إبعاد جذعي لكن أولريكا تمسّكتْ بي بقوة وقرَّبتْ خدِّي إلى صدرها.
قلت لها: "لكننا نعلم أنها بريئة".
"نحن لا نعلم شيئاً يا حبيبي".
أفلتُّ نفسي من ذراعيها. كانت تبدو شديدة الإرهاق.
"لديها حجة غيابَ! ستيلا تملك حجة غياب!"
مدَّتْ يدها ولمستني.
"حبيبي، كنتُ صاحيةً أيضاً حين عادت ستيلا إلى المنزل يوم الجمعة الماضي. أعرف بالضبط كم كانت الساعة".
تحطَّم شيء ما في داخلي. لماذا لم تقلْ أي شيء؟ كانت تعرف وتكذب على الشرطة.
وماذا كانت تعلم غير ذلك؟ خطر في ذهني البلوزة المبقعة وهاتف ستيلا.
"ماذا حصل لهاتف ستيلا الخلوي؟"
"ماذا تقصد؟"

"ظننتُ أن الشرطة صادرته، ولكن لم يحدث هذا. ماذا فعلتِ به".

"أنا... أنا..."

رغم أنها كانت تنظر إلي، لكن نظرتها كانت تطوف بعيداً. شعرتُ بأنني وحيد ومهجور، واضطُررتُ للعض على لساني كي لا أتفوّه بشيء قد أندم عليه.

سألتها مرة ثانية: "ماذا فعلتِ بهاتفها؟"

داعبتْ خدّي وقالت: "الهاتف اختفى".

شهقتُ. ماذا فعلتْ؟ هل ألقت بهاتف ستيلا في مكان ما؟ إذا انكشف هذا الأمر، ستنهار حياتها المهنية.

سألتني برقة: "كيف انتهت الأمور مع أيوب هذا؟"

"كانت نهاية سعيدة. منحه الله عشرة أولاد جدد".

أرغمتُ نفسي على رسم ابتسامة على وجهي فقبّلتني أولريكا.

ثم قالت: "يجب أن نبقى متحدين معاً الآن يا حبيبي. أنت وأنا وستيلا. يجب أن نبقى متحدين".

انتابني شعور قوي بأنها كانت تُخفي أمراً عني. حتى زوجتي.

36

اتصل بلومبرغ يوم الاثنين وسألنا إن كنا نستطيع المجيء إلى مكتبه عصراً. كان يحمل أخباراً لنا.

قلت لأولريكا: "أعتقد أنه ليس هناك شيء اسمه أخباراً جيدة في هذا الظرف؟"

أمسكتُ يدها بقوة خلال مسيرة المشي القصيرة من باحة ركن السيارات إلى شارع كلوسترغوتن. وبينما كنا نمر بجانب مطعم البيتزا المفضّل لدينا على شارع بانغوتن، فُتح الباب بواسطة رجل طويل وهزيل يحمل على يديه الكثير من العُلب الكرتونية فانتشرت الرائحة الزكيّة في الشارع مثل مُذكِّر بكل الأوقات التي قضيناها في الداخل. كان أحد الطباخين واقفاً عند النافذة فلوَّح لنا محيّياً لما عرف من نكون.

ربما كانت أولريكا محقة؛ يجب علينا مغادرة لوند. لطالما أحببتُ ستوكهولم ففيها الكثير من الضواحي المريحة، ولن نعاني أنا وهي في إيجاد عمل. قد تكون بداية جيدة. إلى حد ما مثل الصيف الماضي في جزيرة أوروست. إجازة طويلة من كل شيء لتكريس أنفسنا لبعضنا بعضاً. نحن بحاجة لها. قد تكون ستوكهولم ملجأنا.

ولكن، لم نكن لنترك ستيلا ببساطة في مقاطعة سكونه لوحدها. ما دامت موجودة في السجن، فنحن سنبقى هنا. لا مساومة في هذا الأمر.

انعطفنا عند الزاوية نحو شارع كلوسترغوتن وتوقفنا خارج الباب الأمامي. التقطتُ نفحة كحول خفيفة حين قبّلتُ أولريكا. أثناء صعودنا نحو مكتب بلومبيرغ، أخرجتْ أولريكا علبة ماكياج صغيرة ومُلمِّع شفاه وجمَّلتْ نفسها في مرآة المصعد.

قال بلومبيرغ: "تفضّلا بالجلوس". للمرة الأولى كان يرتدي تيشيرت

عادياً. لم يكن مألوفاً رؤيته بثياب غير رسمية. كان الأمر محرجاً، كما لو أنه كان عارياً.

قالت أولريكا: "أخبرتُه بشأن عرض العمل الذي قدَّمتَه لي".

ابتسم بلومبيرغ لي. أحسستُ بالانزعاج من فكرة أنه وأولريكا كانا يتنقاشان بدون وجودي.

قلتُ له: "قلتَ إنك وجدت شيئاً جديداً".

قال بلومبيرغ وهو يجلس قبالتنا مباعداً بين ساقيه: "صحيح. كما ذكرتُ، يملك كريس أولسن سيرة حياة طويلة جداً. لكنني وجدتُ أيضاً أشياء يفضِّل المرء عدم تضمينها في أية سيرة حياة".

سألته: "مثل ماذا؟"

"هذا الرجل كان متورطاً في بعض الصفقات المشبوهة -نحن نتحدث عن عمل غير قانوني حقيقي. هزَّ بلومبيرغ برأسه وبدا بأنه راضٍ عن نفسه. "أخبرتكما عن البولنديين ومطعم البيتزا، أليس كذلك؟ تَبيَّنَ أن أولسن كان يملك أيضاً منظمة كبيرة تعتمد على العمالة الرخيصة من رومانيا. أشخاص كان يُسكنهم في كوخ حقير بجوار ريفينج بينما كانوا يعملون مثل الكلاب لإصلاح عقارات لصالح شركة أولسن".

"يبدو ذلك فظيعاً".

"يشتري الأشخاص من أمثال أولسن أبنية متداعية ويصلحونها مقابل مبالغ سخيفة".

سألته: "ولكن، ما علاقة هذا الأمر بالجريمة؟"

رسم بلومبيرغ ابتسامة عريضة.

"في الواقع، يبدو أن بعض الرومانيين كانوا مستائين بسبب الظروف وادّعوا أن أولسن كان يحاول سلب أموالهم. بعض رفاقهم الذي تحدّثنا معهم في ريفينج كانوا مقتنعين بأن أولئك الأشخاص هم الذين قتلوا أولسن".

"ماذا؟ هل تعلم الشرطة بذلك؟"

"لقد أبلغتُ آغنس ثيلين، لكن جانسدوتر هي التي تقود التحقيق الأولي".

قلت بنبرة مستهجنة: "آغنس ثيلين، هه".

نظرتْ أولريكا إلي باستغراب.

قال بلومبيرغ: "ما زلنا نتحقق من البولنديين أيضاً. لدينا اسمان للتدقيق فيهما عن كثب".

بدا كلامه الأخير أشبه بنهاية مخيبة للأمل. هل هذا كل شيء؟ لم أكن أضع أهمية كبيرة على تحقيقات بلومبيرغ الخاصة. التحقيق في جرائم القتل من مهام الشرطة.

قلت له: "متى يمكننا رؤية ستيلا؟"

اصطبغتْ رقبة بلومبيرغ باللون الأحمر.

"أريدك أن تعلم أنني حاولت. لقد فعلت بصدق كل ما يمكنني فعله ضمن نطاق صلاحياتي، لكن تلك اللعينة جانسدوتر ترفض السماح لكما برؤية ستيلا".

"يبدو هذا سوء في استعمال العدالة. هل يجب علينا الاتصال بالصحف المسائية؟ أو ربما يقدم برنامج *Uppdrag Granskning* [اسم البرنامج بالإنكليزية *المهمة: إجراء تحقيق*] حلقة حول الموضوع؟"

هز بلومبيرغ رأسه رافضاً الفكرة.

"من المبكر جداً اللجوء لمثل هذه الأشياء. إلى أن تصدر إدانة، لن يكونوا مهتمين".

قلت له: "يجب عليك التحدث مع أمينة بيسيتش. أنا واثق بأنها تخفي شيئاً ما".

لمس بلومبيرغ قلادته.

قالت أولريكا: "أمم، لا أدري..."

أظن أنها كانت تخشى أن يزعج هذا الأمر دينو وألكساندرا.

قال بلومبيرغ: "لقد حاولتُ. واستجوبَتْها الشرطة أيضاً، ولكن لا يبدو أنها تعرف أي شيء ذي أهمية".

قلت له: "بل تعرف".

نخستني أولريكا بمرفقها في جانبي وقالت: "هذه أمينة التي نتحدث عنها. لماذا ستكذب؟"

"أعلم أنها تكذب!"

لكنني لم أستطع قول المزيد خشية أن تكتشف أولريكا أنني تحدثت مع أمينة. لم تكن ستتفهَّم وستغضب لأنني تجاوزتُ حدودي مرة أخرى.

قال بلومبيرغ: "ما تزال شريكة أولسن السابقة، ليندا لوكيند، هي الأكثر أهمية بالنسبة لغاياتنا".

كانت هناك حبّات عرق فوق حاجبيه فسألنا إن كنا نمانع فتح النافذة.

فقلت: "بالطبع لا".

فتح بلومبيرغ النافذة ووضع وجهه في مجرى الهواء. وأنا بدأت أرتعش على الفور.

قال بلومبيرغ: "تبيَّن أن لوكيند تملك تاريخاً من القلق والاكتئاب. أول مرة سعتْ فيها لتلقي علاج نفسي كانت في فترة المراهقة ومنذ ذلك الحين إنها تتنقّل من عيادة إلى أخرى على نحو شبه متواصل".

لم يدهشني كلامه تماماً. كانت ليندا لوكيند تنظر نظرة منتقصة لذاتها. ذكّرتني في جوانب عديدة بنساء أخريات قابلتهن، وكنّ ضحايا تعنيف أُسَري. أعلم أن ليندا كذبت علي، لكنني لم أكن متأكداً إلى أية درجة. هل يمكن أن تكون قصة عنف كريس أولسن برمَّتها مختلَقة؟ طريقة فظيعة في الانتقام لأنها لم تتقبّل أن كريس أراد إنهاء علاقتهما؟ كنت أشك في قدرة ليندا لوكيند على فعل شيء كهذا. لكن ذلك يعني أنها كانت تخفي شيئاً آخر حتماً.

قلت: "من غير المنطقي أبداً أن الشرطة لا تحقق مع لوكيند بشكل مناسب. يجب أن تضغط عليهم!"

قال بلومبيرغ: "أصبح من الشائع على نحو متزايد أن يتولى المحامون هذا النوع من الأمور. أريدك أن تعلم أن فريقي متمكّن. لكننا نحتاج للحصول على شيء ملموس ضد ليندا لوكيند كي نتقدم إلى الأمام".

شيء ملموس؟

قلت له: "حذاؤها".
حدَّق فيَّ بلومبيرغ وأولريكا باستغراب.
لقد فلتت الكلمة من لساني دون قصد. كنا بحاجة لشيء ملموس، وأنا كنت أعرف ما هو.
سألني بلومبيرغ وهو ينحني إلى الأمام: "أي حذاء؟"
لم يكن أمامي أي طريقة للتملُّص سوى كشف الحقيقة.
"تملك ليندا لوكيند حذاءً مماثلاً لحذاء ستيلا. نفس نوع الحذاء الذي خلَّف تلك البصمة في موقع الجريمة".
رفع بلومبيرغ حاجبيه وقال: "كيف تعرف هذا؟"
نظرتُ إلى أولريكا. كان وجهها خالياً من أي تعبير.
"ذهبتُ إلى بيتها".
بدا وكأن كليهما حبسا أنفاسهما بينما كنت أخبرهما عن زيارتي لشقة ليندا لوكيند في شارع تولفاجن. لقد رأيتُ ذلك الحذاء عن قرب وكنت واثقاً مائة بالمائة من نفسي.
خيَّمَ الصمت على الغرفة ووجدتُ نفسي هدفاً لنظرات محدِّقة مخترقة من محاميَيْن.
قالت أولريكا بغضب: "ما خطبك؟ ذهبتَ إلى بيتها؟"
"كان يتوجب علي فعل شيء ما. ستيلا في السجن! لا أقدر على الاكتفاء بالجوس ومشاهدة حياتنا تنهار!"
لم تقل أولريكا شيئاً. نظر بلومبيرغ إليها ثم أخفض كلاهما عينيهما. لاشك أنهما تفهَّماني.

37

قمت بجولة أخرى في الحي، لكنني ارتديت هذه المرة قبعة وأبقيتُ عينيَّ مثبَّتتين على الأرض خشية أن أُضطرَّ للتوقف والتحدث مع شخص ما. انعطفتُ بسرعة ودخلتُ الطريق الفرعية المؤدية إلى المنزل وأغلقت الباب خلفي.

كانت أولريكا جالسة محدودبة الظهر فوق منضدتها، تمسك بقلم تعليم وأمامها كومة من الوثائق.

سألتها: "على ماذا تعملين؟"

"قضية ستوكهولم التي أعطاني إياها مايكل. إنها تساعدني على إبعاد ذهني عن بعض الأشياء".

لم أكن متأكداً إن كانت فكرة جيدة. لماذا نفكر في أشياء أخرى في حين أن ستيلا موجودة في السجن؟

قالت: "أغلقْ الباب وراءك، من فضلك".

تكوَّرتُ على الأريكة وأخرجتُ هاتفي الخلوي. كانت يداي ترتجفان. كان بوسعي سماع صوت أولريكا من الطابق العلوي. كانت تتحدث على الهاتف.

صببتُ لنفسي كأساً من الشراب وشربته دفعةً واحدة. ثم صببت كأساً أخرى وعدت إلى الأريكة. بحثتُ في جووجل عن معلومات جديدة حول ما كانت وسائل الإعلام تدعوها "جريمة حديقة ألعاب الأطفال".

بدأتُ بمواقع الصحف الصفراء، لكنني سمحتُ لنفسي بسرعة بالانقياد إلى ساحات مصارعة الإنترنت حيث أُرغمتُ على الاطلاع على أشد أنواع التخمينات بشاعة حول ستيلا. زعم شخص بأنه ارتبط بعلاقة وجيزة معها وصرَّح بكل جدّية، وللعالم كله، بأن ستيلا ساندل "منحلّة ومنحرفة" وأنه ليست هناك ذرة شك في أنها قتلت الرجل البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً.

في حين كان واضحاً أن آخرين، في المنتدى نفسه، كان يعرفون ستيلا شخصياً، الأمر الذي جعل الأمر كله يبدو أشد فظاعة. قدَّم أحد المساهمين، الذي كتب تحت اسم جررلي، وصفاً تفصيلياً لأشياء حدثت خلال أيام المدرسة. بحسب جررلي هذا، كانت ستيلا "طفلة تعاني من اضطراب نقص الانتباه، وكانت تعتقد أنها تملك العالم كله"، ولكن مع ذلك فإن هذا الشخص يعتبر أنه من المستبعد إلى أبعد الحدود أن تُقْدِم ستيلا على قتل أي إنسان.

لم يكن هناك كلام كثير حول الضحية. صرَّح أحدهم بكلمات قليلة أنه كان ثرياً وجذّاباً. في حين وصفه آخر بـ "سايكوباتي نموذجي"، الأمر الذي جعلني أفكر في ليندا لوكيند. هل عرفتْ اسمَ ستيلا من هذا المنتدى؟

شربتُ القطرات القليلة الأخيرة من الشراب وسندتُ رأسي على ذراع الأريكة. كنت بحاجة ماسّة لبعض النوم. رمشتُ بضع مرات وحاولتُ إغماض عينيَّ لكنني ظللت أقرأ الردود على هاتفي الخلوي.

أراهن أن والدها هو الذي فعلها. القس. لعله اكتشف أن ابنته كانت تضاجع كريس أولسن.

جلستُ وتابعت قراءة الردود بلهفة.

كتب مشارك يدعو نفسه مياو76: *نفس أفكاري بالضبط، الأب!*

سرعان ما وجد تأييداً من عدة أشخاص آخرين.

كتبت ميسبيجيلايت: *الجميع في لوند يعرفون أي نوع من الأشخاص آدم ساندل. لطالما كان غريب الأطوار.*

وفي تعليقه التالي، نسخ مياو76 وألصق معلوماتي الشخصية. اسمي الكامل، وعنواني، ورقم هاتفي، وعمري وتاريخ ميلادي.

أحسست بالنار تشتعل في صدري. هذا افتراء وتشويه سمعة!

أمسكتُ حاسوبي وكتبتُ على عجل إيميلاً لعنوان التواصل مع المنتدى هدَّدتُ فيه باتخاذ إجراءات قانونية. ثم صوَّرتُ لقطات للشاشة وشرعتُ في صياغة بلاغ للشرطة.

نزلتْ أولريكا على السلم وسمعتها تفتح برّاد الشراب.

ناديتها: "تعالي يا حبيبتي!"

بعد أن قرأت إيميلي إلى المنتدى، أريتها لقطات الشاشة.

"هذا قذف وتشويه سمعة، أليس كذلك؟" وأشرتُ إلى الشاشة.

قالت أولريكا: "مستبعَد. وسواء أكان تشويه سمعة أم لا، إنه لا يقع تحت الادعاء العام".

"ماذا يعني ذلك؟"

"لن يؤدي بلاغك إلى أي شيء سوى تحقيق أولي مقفَل".

في صباح الجمعة، استيقظتُ متأخراً على غير العادة. كنت مشوّشاً وغير متأكد مما إذا نمت ساعة أم ليلة بأكملها. عندما كنت أنزل بترنُّح على السلّم، وجدتُ أولريكا مستندةً إلى جزيرة المطبخ في رداء الاستحمام. كان يوجد أمامها فنجانان من القهوة يتصاعد البخار منهما.

قالت: "وصل تقرير طبيب التشريح. لقد حددوا وقت وفاة كريستوفر أولسن بين الواحد والثالثة صباحاً".

انتفض قلبي.

"هذا يعني..."

أومأتْ أولريكا برأسها دلالةً على التأكيد.

قالت بنبرة واقعية باردة: "سبب الوفاة، نزيف ناتج عن أذية مُخترقة. جرحان عميقان وأربعة جروح ناتجة عن طعنات".

فكّرتُ في بلوزة ستيلا المبقعة. صحيح أن ستيلا تغضب حين تفقد السيطرة على نفسها، ومن الممكن أن يحدث هذا بسرعة، ولكن من غير الممكن أن تقتل إنساناً آخر.

قالت أولريكا: "هذا النوع من العنف المفرط يشير بشكل أساسي إلى أن الجريمة شخصية. من المرجّح أن الجاني كان يشعر بكره قوي نحو المجني عليه".

"مثل حبيبة سابقة تريد الانتقام؟"

"مثلاً".

نفختْ أولريكا على فنجانها.

"أنا ومايكل تحدّثنا أيضاً بشأن الشقة".

"أية شقة؟"

"الشقة من أجل النوم في ستوكهولم. يمكننا الانتقال في الأسبوع القادم. لن نضطر لأخذ أي شيء معنا سوى الضروريات".

حرقتُ لساني بالقهوة.

"بهذه السرعة؟ ولكن... ألا يجب علينا التفكير في هذا الأمر ملياً؟"

قالت باقتضاب: "لقد حزمتُ أمري. لا يمكنني رفض هذه القضية".

"ولكن، من المؤكد أنكِ لا تقولين أننا سنترك ستيلا؟"

"لا يُسمَح لنا رؤيتها في كل الأحوال! لا يوجد ما يمكننا فعله قبل المحاكمة".

"لقد استستلمتِ منذ الآن!"

"بالعكس يا آدم. لقد كرّستُ حياتي كلها للعدالة الجنائية. يجب أن تثق بي".

اقتربتُ منها لدرجة أنه أصبح بوسعي الشعور بدفءِ أنفاسها.

"اتركني!"

نظرتُ إلى الأسفل واكتشفتُ أن يديَّ كانتا تمسكانها من ساعديها.

"أنا آسف، لم أقصد ذلك".

تراجعتْ أولريكا وقالت: "إنك تصبح... أشعر بأنني لا أعرفك".

"ما الذي تحاولين قوله؟"

"يجب أن نبقى موحّدين حبيبي. نحن عائلة".

أطبقتُ يديَّ بقوة.

"أنا أبذل قصارى جهدي للحفاظ على هذه العائلة موحّدة. أنتِ التي تستبعدينني".

"مايكل محامي دفاع بارع. لديه استراتيجية، لكنه لا يستطيع كشف كل التفاصيل لنا. يجب أن نضع ثقتنا فيه. لقد كسر مسبقاً تعهُّده بالسرية، ألا تفهم هذا؟"

"أنا لا أثق في بلومبيرغ".
"يجب أن نثق فيه يا آدم".
كانت على وشك البكاء.
قلت: "ماذا لو أنها فعلتها؟ ماذا لو كانت ستيلا؟"
أشاحت أولريكا بوجهها فاقتربتُ منها ثانيةً.
"لقد تخلّصتِ من هاتفها. وبلوزتها. لماذا فعلتِ ذلك؟ هل تظنين أن ستيلا قتلت ذلك الرجل؟"
وضعتْ كلتا يديها على صدري والدموع تسيل على وجهها.
قلت لها: "أنا آسف".
هزَّتْ أولريكا رأسها.
"أنت مجنون. ذهبتَ إلى بيتها. ليندا لوكيند. ذهبتَ إلى شقتها يا آدم".
"لكن الشرطة لا تفعل أي شيء. يجب على شخص ما القيام بشيء ما!"
"أنا أفعل شيئاً ما أيضاً. الكثير من الناس يفعلون أشياء معينة يا آدم. ولكن ليس على هذا النحو. توجد طرق أفضل".
جفّفتْ دموعها. لأنني لم أرها تبكي كثيراً، أحسستُ بالذنب يمزقني من الداخل.
"بعثتْ ألكسندرا رسالة نصية إلي البارحة. هل صحيح أنك انتظرتَ أمينة خارج الصالة الرياضية؟"
لم أعرف ماذا أقول.
"هل لحقتَ بأمينة وسألتها عدداً من الأسئلة؟"
"ليس هذا ما حصل؟"
لم أستطع التصديق بأن أمينة أخبرتْ أمها. على أي حال، كان هذا خبراً جيداً لأنها ستضطر بذلك للاعتراف بكل شيء، أياً يكن ما كانت تخفيه عنا. لن تسمح لها أمها بالاستمرار في تكتُّمها. كان واضحاً أن أمينة تجلس على معلومات يمكن أن تحدد مستقبل ستيلا.
قالت أولريكا: "لا يمكنك الاستمرار على هذا النحو".

"ماذا يُفترَض بـــي أن أفعل؟ ابنتي متهمة بجريمة قتل!"

اندفعتُ كالسهم إلى المدخل وانتشلتُ سترتي من العلّاقة بحـــدة. فتحـــتُ الباب وصفقته بقوة ورائي.

38

مشيتُ في المدينة مثل مرجل حي. كنت أحدِّق في حذائي الذي كان يخبط الأرض خبطاً. بدأتُ أشعر بالخوف من نفسي.

اتصلتْ أولريكا في وقت لاحق من ذلك المساء. كنتُ واقفاً على طريق مفروش بالحصى في حديقة لونداغارد غير عالم كيف وصلت إلى هناك أو إلى أين كنت أتجه.

قالت: "أنا آسفة يا عزيزي. لا يمكن أن نسمح لهذا الأمر بتدمير ما بيننا أيضاً. الوضع قاسٍ بما يكفي مسبقاً".

كانت قد حجزت لنا في مطعم سبيزن وتساءلتْ إن كان باستطاعتنا الالتقاء وتناول العشاء معاً.

أحسستُ بالهدوء فمشيت ببطء بجانب الكاتدرائية. في الحقيقة، لم يكن مستغرَباً على الإطلاق أن ذلك الوضع كان يفرِّق في ما بيننا. ففكَّرتُ مجدداً في ما يقوله الإنجيل -المنزل المنقسم لا يمكن أن يصمد- وتعهَّدتُ لنفسي بالبقاء قوياً.

كان التقائي بجيني جانسدوتر بعد بضع ساعات خارج سوق سالوهاللن للمواد الغذائية الطازجة محض صدفة. ستزعم لاحقاً أنني لحقت بها لكن ذلك كذب وافتراء. في الواقع، كنت في طريقي إلى مطعم سبيزن حين رأيتُ جانسدوتر أمامي. تلك الساقان المقوّستان النحيلتان، تلك المشية النابضية، وكأنها كانت تقفز بحذائها العالي. كانت قصيرة جداً، ولولا الكعبين العاليْن والجاكيت والحقيبة الغالية المتدلية من كتفها، لربما كنت ظننتها طفلة.

تَردَّدَ صدى كلمات مايكل بلومبيرغ في رأسي -كانت جيني جانسدوتر تقود التحقيق الأولي. وهي التي كانت تقود أفعال الشرطة وتركّز كل اهتمامها -بحسب بلومبيرغ- على أن ستيلا هي الجانية. لماذا؟ هل كانت مستغرقة جداً

في عملها لدرجة أنها نسيت أن أشخاصاً آخرين يملكون مشاعر حقيقية يمكن أن يتأثّروا بقراراتها؟ كيف استطاعت حرماننا من فرصة مقابلة ابنتنا؟ أي نوع من الأشخاص ذاك الذي يمكن أن يفعل شيئاً كهذا؟ كنتُ أشعر بالفضول بصدق، وعندما رأيتها تعبر بوتولفسبلاتسن لم أستطع منع نفسي. أصبحتُ بموازاتها عند المدخل الغربي لسوق سالوهاللن.

قلت لها: "من فضلك! من فضلك!"

بعد أن التفتت نحوي، أعتقد أنها استغرقت ثانية أو ثانيتين كي تعرف من أكون.

قالت: "هذا غير لائق إلى حد بعيد".

"أردتُ فقط أن أطلب منكِ شيئاً".

لم تردّ علي بل استدارت إلى الخلف بسرعة كبيرة لدرجة أن حقيبتها تأرجحتْ مبتعدةً عن جسدها، ثم اتجهتْ مرة أخرى صوب الباب الزجاجي لسالوهاللن.

سألتها بينما كنت أهمُّ باللحاق بها: "لماذا لا تحققين مع ليندا لوكيند؟ هل تعلمين أن لوكيند تملك حذاءً مشابهاً للحذاء الذي تبحثون عنه؟"

هرعتْ للدخول إلى المبنى فاضطُررتُ لرفع صوتي.

"لماذا لا يمكننا مقابلة ابنتنا؟"

توقفت المدعية فجأة ونظرت إلي ببرود.

وقالت بنبرة واقعية: "أنتَ تجعل من نفسك مذنباً بمحاولة غير قانونية للتأثير".

"أبداً. أريد فقط أن أفهم لماذا تفعلين ذلك؟"

هزَّت جانسدوتر برأسها واستدارت إلى الوراء. في البلاغ الذي قدَّمَتْه جانسدوتر لاحقاً، ادَّعتْ بأنني في تلك اللحظة أمسكت بذراعها وحاولت إيقافها. بالطبع هذا ليس صحيحاً. في الحقيقة، لقد مدَّدتُ يدي في محاولة يائسة لدفعها للإصغاء. لا يمكنني أن أنكر أنني لم ألمس يدها، لكنني لم أكن لأحلم بمنعها من المغادرة.

صحْتُ من ورائها: "أنتِ تدمرين حياتنا!"

كان الناس في الجوار قد توقفوا عن متابعة ما كانوا يفعلونه. كانوا يتمتمون ويحدِّقون بأعين فضولية. رفعتُ يداً لإخفاء وجهي وعدتُ أدراجي إلى الرصيف باتجاه السينما.

في وقت لاحق، استجوبت الشرطة ما لا يقل عن عشرة أشخاص، لكن أياً منهم لم يدعم رواية جانسدوتر.

39

كانت أولريكا تنتظرني عند طاولة بجوار نافذة في مطعم سبيزن. جلستُ بجانبها فأراحتْ رأسها على كتفي.

قلت لها: "أنا آسف يا حبيبتي. آسف".

"نحن لسنا على طبيعتنا".

"أحبك".

أحسستُ بحبي لها يجتاح كياني. إن مجرد التفكير ولو للحظة في مستقبل بدون أولريكا كان يؤلمني.

"تعال معي إلى ستوكهولم. ليس هناك ما يمكننا فعله في الوقت الحاضر. أنت تعلم بأنني لن أتخلى عن ستيلا أبداً، ولكن ليس مسموحاً لنا حتى مقابلتها. لا فرق بالنسبة لها إن كنا هنا في لوند أم في مكان آخر. يجب أن نفكر في نفسينا أيضاً. لقد رأيتُ العديد من الآباء في وضعنا، عائلات تمزَّقت بسبب ظرف شبيه بظرفنا".

كانت محقة. ما دامت ستيلا محتجزة، لم يكن هناك ما يمكننا فعله. وأسوأ شيء يمكن حدوثه هو افتراقنا أنا وأولريكا.

"ماذا سيحدث لستيلا برأيك؟"

"لا أعلم، لكن المدّعية تبدو مصممة على الحصول على إدانة".

تصوَّرتُ جيني جانسدوتر. هل يجب عليّ إخبار أولريكا بأنني صادفتها؟

سألتها: "ماذا حدث في تلك الليلة برأيك؟"

تصلَّبتْ أولريكا.

"لا أدري... لا يمكنني أن..."

"ألم تفكّري في الأمر مجرد تفكير؟"

سألتني رغم أنها كانت تعرف بالضبط ما أقصده: "أفكر بماذا؟"

"فكرة أنه... من الممكن أن تكون... أن تكون ستيلا فعلتْ... شيئاً ما؟"

في أعماقي أردتُها أن تقول لا. ولا بأس أيضاً إن ثار غضبها وتساءلتْ كيف أسمح لنفسي بالتفكير في مثل هذا الأمر. كنتُ أفضِّل أن أكون في طريقي لفقدان عقلي على أن يكون هناك سبب وجيه يدعو للشك.

"بالطبع خطرتْ في بالي هذه الأفكار. بالتأكيد. لكنني أرفض السماح لها بالتجذُّر في عقلي".

بدا ذلك بسيطاً جداً. بسيطاً للغاية.

قالت: "هناك الكثير من الأدلة الظرفية. ولكن، بصورة إجمالية، الأدلة ضعيفة".

وكأن الأمر كان مجرد مسألة تتعلق بالفقه القانوني.

وضعتْ يدها على ركبتي ومسَّدتْها على مهل. بعد كل هذه السنين، بإمكاني الشعور بجلدها وكأنه جلدي.

قلتُ: "إنني لا أفهم فقط ما الذي تخفيه أمينة. هناك شيء ما تخفيه عنا".

رفعتْ أولريكا يدها فجأة.

"ولماذا ستكذب أمينة؟ إنها أفضل صديقة لستيلا".

"لا أدري. حقاً لا أدري. أعلم فقط أنها لم تكن صريحة تماماً".

قالت: "لكنك تعتقد جدّياً بأن أمينة متورطة بطريقة ما؟"

"لم أعد أعلم شيئاً. لا أعلم ما هو الشيء الذي أعتقد به".

بمعدة ممتلئة وذهن ثمل بعض الشيء قررنا المشي إلى القطار. لم نتحدث كثيراً خلال مسيرنا. بعض الناس الذين رأونا ألقوا التحية علينا، وبعضهم الآخر أداروا ظهورهم عند مرورنا بجانبهم؛ وكان بوسعي سماع همساتهم. كانت أولريكا تشبك ذراعها في ذراعي وتمشي بتصميم.

أعتقد أنها فكرة أولريكا أن نقوم بزيارة ألكساندرا ودينو، بما أننا كنا في الحي على أي حال. قالت إن بعض الصحبة قد يفيدنا وبعثت رسالة نصية إليهما لإبلاغهما بأننا كنا في طريقنا إليهم.

قابلتنا ألكساندرا عند مدخل الباب بعينين متَّسعتيْن.

"أوه، هذا أنتما!"

كان هناك شيء من التردد يختبئ خلف دهشتها. لعل أولريكا لم تلحظ ذلك لأنها لم تتردد في الدخول إلى الشقة ومعانقة ألكساندرا بمودة.

قالت أولريكا: "جرَّبنا حظنا وأملْنا أن تكونوا في المنزل. لقد أرسلتُ رسالة لكنك لم تردّي".

نظرتْ ألكساندرا من فوق كتف أولريكا.

جاء دينو على مهل مرتدياً سروالاً قصيراً حتى الركبتين، وحاملاً بيده زجاجة جعة. وعندما رآنا ابتسم واندفع نحونا وعانقنا.

قالت ألكساندرا: "كيف حالكما؟ وكيف حال ستيلا؟"

حالما انتهينا من تقديم ملخص عن الأحداث، أو اللا أحداث، التي وقعت خلال الأيام القليلة السابقة، أخذني دينو إلى غرفة الجلوس حيث كان معلّق كرة قدم متحمّس يتحدث على الشاشة المسطّحة المعلقة على الجدار، وفي الوقت نفسه كانت هناك موسيقا هادئة تصدر عن مكبرات الصوت. كان باب الشرفة مفتوحاً وهواء الليل يتدفق إلى الداخل حاملاً معه روائح الخريف العذبة.

قال دينو وهو يشير إلى الشاشة: "2-1".

"أجل".

لم أكن مبالياً على الإطلاق.

قال دينو: "تبدو متعباً. هذا لا يدعو للاستغراب. تفضَّلْ، خذ جعة".

هسَّتْ السدادة وقبلتُ الزجاجة الباردة.

"أخذتْ أمينة برنامج دوامها. هل تعلم؟ لقد وضعوا اجتماعات واختبارات إلزامية في أيام سبت. هل من المسموح لهم فعل ذلك؟

لم أكن أعلم إن كان يتحدث بشكل جدّي أم لا.

"على أي حال، لقد اتصلتُ بهم بشأن الأمر".

"اتصلتَ؟"

"لدى أمينة مباريات هامة في أيام السبت؟ أعتقد أنهم تفهّموا. بدا لي ذلك".

التفتُّ لأنظر إلى أولريكا وألكساندرا اللتين علقتا في المطبخ. كنت أفضِّل عدم التحدُّث إلى دينو. في الحقيقة، لم أكن أرغب في التحدث مع أي شخص. كان هناك سبب وحيد لقدومي.

قال دينو: "هل تذكر عندما كنا دائماً نقول إن أمينة ذكية كتب وستيلا ذكية شارع؟ كانتا تُكمِّلان بعضهما على نحو ممتاز، في الملعب وفي العالم الحقيقي".

"أممم".

كان من الصعب التركيز مع الموسيقا وصوت المعلّق الهادر، فضلاً عن أصوات زوجتينا الآتية من المطبخ.

قال دينو: "ستيلا صلبة. مقاتلة".

أصدرتُ ردّاً مُغمغماً ثم توجّهت نحو الجهاز الموصول بمكبِّرات الصوت.

"لديك مانع إن أوقفتُ هذا؟"

"أبداً". أوقفتُ صوت الموسيقا.

كانت زوجتانا في المطبخ تتحدثان عن ستوكهولم. قالت ألكساندرا إنها لفكرة جيدة الابتعاد لبعض الوقت.

نظرتُ إلى غرفة أمينة.

ثم سألت دينو: "هل هي في المنزل؟"

هزَّ دينو رأسه نافياً.

"ليست في المنزل؟"

"لا".

حكَّ مؤخرة رقبته وشرب بضع جرعات كبيرة من جعته.

سألته مجدداً وأنا أشير إلى الباب: "هل هي في غرفتها؟"

"لا، إنها ليست في المنزل".

ذهبتُ إلى الباب ووضعتُ يدي على المقبض.

كان لابد من كشف الحقيقة.

صرخ دينو: "ما الذي تفعله؟ توقفْ!"

وثب دينو عن الأريكة وبعد لحظة خرجت ألكساندرا وأولريكا من المطبخ.

قلتُ بينما كنت أفتح الباب: "أمينة؟"

كانت جالسةً خلف منضدها تقرأ في غرفتها المضاءة على نحو خافت.

لم يتسنَّ لها الوقت إلا لتلتفتْ، ذلك أن دينو هجم عليّ وأمسك بي من الخلف ثم وضع ذراعية حولي وجذبني بقوة إلى خارج الغرفة.

صاحتْ أولريكا وألكساندرا: "توقَّفْ!"

لكن دينو لم يتوقف، بل لوى ذراعي خلف ظهري وشدَّها بقوة كبيرة لدرجة أنها كادت أن تنخلع، ثم قادني أمامه.

صرختْ أولريكا: "ما الذي تفعله؟"

ركضتْ ألكساندرا نحوه وأخذت تجذبه وهي تقول: "توقَّفْ!"

فقال دينو وهو يدفعني نحو مدخل المنزل: "إنه سيخرج من هنا". ثم وضع ركبته على أسفل ظهري ودفعني نحو الحائط.

قلتُ: "أنت مجنون".

وسط المعمعة لمحتُ ملامح أولريكا المرتعبة.

قالت: "ماذا حدث؟"

حاولتُ أن أجيب لكن دينو سبقني إلى ذلك بقوله: "لقد دخل إلى غرفة أمينة عنوةً".

احتجَّيتُ ولكن دون فائدة.

قالت أولريكا: "ما خَطْبك؟"

جعلتني معاملة دينو الوحشية أئنُّ من الوجع. انتظرتُ دينو كي يجيب على سؤال أولريكا، ليقدِّم نوعاً من التفسير لكل هذا العنف العبثي. لم أدرك أن سؤال أولريكا كان موجَّهاً إلي إلا حين تمكّنتُ من الالتفات إليها.

قالت أولريكا: "دخلتَ إلى غرفتها؟ بدون إذن؟"

قلت بتلعثم: "لم يكن مقفلاً. قال دينو إنها ليست في المنزل".

"ماذا يجري يا آدم". ثم رفعتْ يديها وغطَّت بهما وجهها الشاحب.

لم أكن أفهم. كل ما حاولتُ فعله هو الحيلولة دون انهيار عائلتي. كنت أعلم أن شيئاً حدث وغيَّرني؛ ولكن نحو الأفضل. لقد أصبحتُ أباً أفضل وربَّ عائلة أفضل مما كنت عليه في السابق. وسأفعل أي شيء من أجل عائلتي. كان ينبغي لأولريكا أن تقدِّر ذلك.

قالت: "آدم. من فضلك يا آدم".

نظر إلي دينو بإشفاق. حين أفلتني استدرتُ بسرعة لكنني تعثَّرتُ بحذاء على مجرى الباب ووقعتُ على الباب أولاً ثم استقرَّيتُ على مؤخرتي.

لكنني مع ذلك نجحتُ في أن أقول: "إنها تكذب. أمينة تعلم أكثر مما تفصح عنه".

نظر ثلاثتهم إلي كما ينظر المرء إلى شخص كشف للتو عن إصابته بمرض مميت.

قال دينو وهو يلتفت نحو أولريكا: "إنني أشعر بالأسى عليكما أنتما الاثنين، ولكن لا تجعلا أمينة تعاني بسبب ذلك".

هزَّت أولريكا رأسها ببطء موافقةً فوضعتْ ألكساندرا ذراعها حولها وقالت: "بالتأكيد تحدَّثنا مع أمينة. إنها لا تعرف أي شيء عما حدث؟"

قالت أولريكا: "أفهم ذلك. أتمنى أن تتمكَّنا من مسامحتنا. نحن لسنا على طبيعتنا".

لبستُ حذائي وسترتي وخرجتُ إلى بيت السلّم. كانت أفكاري تركض كحصان يهرب، وأذناي تطنّان، وبصري يتشوَّش. لا أعلم إن قلتُ شيئاً في طريقي للخروج. لا أذكر إن صرختُ أو تمتمتُ بشيء ما. تلك اللحظات تشبه بقعة فارغة في ذاكرتي حين أفكِّر فيها. أظن أنه كان بوسع محامي دفاع بارع الإفلات إن تَقدَّمَ بادعاء الجنون.

40

أمضيتُ بقية نهاية الأسبوع تلك في السرير مصاباً بحمّى وصداع شـــديد. حتى الانتقال من السرير إلى الأريكة كان يستنفد كل قواي. كنت أعيش على الحساء والخبز المحمَّص ومُسكّن تيلينول.

قالت أولريكا: "ربما يتوجب عليك الحصول على مساعدة؟"

أغلقتُ التلفزيون. كل صوت كان يشبه زئيراً في أذناي.

"وماذا يمكن أن يفعل الطبيب لي؟"

جلستْ أولريكا بجانبـــي على الأريكي وداعبت ركبتي.

"لم أكن أتحدث عن طبيب".

رفعتُ البطانية حتى ذقني.

تابعت أولريكا كلامها قائلة: "ربما أنت بحاجة لشخص ما للتحدث معه".

"وماذا يُفترَض أن أقول؟ إنني فعلت كل ما بوسعي للحفاظ على عـــائلتي؟ إنني خالفتُ كل ما أنا مؤمن به، كل مبادئي الأخلاقية؟ كذبتُ على الشـــرطة وذهبت إلى بيوت شهود وضايقتهم. لقد فعلت كل شيء من أجل عائلتي، لكن زوجتي مقتنعة الآن بأنني أفقد عقلي".

"لم أقل ذلك أبداً. نحن في خضم أزمة. ليس مستغرباً أننـــا علـــى حافـــة الانهيار".

"نحن؟"

لم تكن أولريكا تنظر إلي حينئذ.

"كل واحد منا يتعامل مع الأزمات بطريقة مختلفة".

في صباح الاثنين، طارت إلى ستوكهولم لحضور بضع اجتماعات، واستلام مفاتيح الشقة أيضاً. تلقيّتُ رسالة نصية منها مع صورة "سيلفي" ووعْـــد بأننـــا سنتخطى الأزمة. قالت إنها تحبني وإننا سنحل المسألة معاً.

في ذلك الصباح، اتصلتُ بألكساندرا ودينو وتوسَّلتُ لهما ألف مرة أن يغفرا لي ما فعلته، وأن ينقلا اعتذاري لأمينة. كانا متفهِّميْن وأعربا عن أملهما بانقضاء هذا الجحيم قريباً جداً.

صحوتُ ببطء من سباتي. مشيتُ بترنُّح في الحي مشوَّش الرؤية والذهن. كل شخص صادفته حدَّق فيَّ بوقاحة، بل إن رجلاً شائباً يرتدي سترة صوفية ذات قلنسوة أصدر همهمة استهجان ثم هزَّ برأسه حين رآني، وعندما سألته ماذا قال، نظر إلي باستغراب، وكأنه لم يكن يعرف عما كنت أتحدث.

كانت أولريكا قد بدأت مسبقاً بتوضيب حاجياتنا الضرورية وملأت مدخل المنزل بالصناديق. وقفتُ وحدَّقتُ في الصناديق ثم فتحت واحدة منها ونظرتُ في داخلها. حياة بأكملها، كما كنت أعرفها، وُضعتْ في ثمانية صناديق موز. شعرتُ بخواء في صدري.

قبل أسبوعين فقط، كنا عائلة عادية تماماً.

في يوم الخميس، انتظرتُ أولريكا خارج المحطة. نزلتْ من حافلة المطار وابتسمت وهي تنظر بعينيْن نصف مغضمتيْن بسبب وهج الشمس.

تعانقنا لمدة طويلة جداً، كما لو كنا في ثقب في الزمن -متعانقان وحسب. جسدان ينتميان لبعضهما، يربطهما الحب والزمن والمصير. والله؟ هناك بين حافلات تدخل وتخرج، وسائقي دراجات هوائية يقرعون أجراسهم، وطلاب يحملون أكواب قهوة ساخنة، وأكاديميين يرتدون ثياباً مكويّة يندفعون في هذا الاتجاه وذاك. لا أؤمن بأننا خُلقنا لبعضنا، بأن هناك خطة مرسومة مسبقاً لي ولأولريكا، لكنني أؤمن -بل أعلم- بأن الزمن والحب ربطانا معاً إلى الأبد، إلى أن يفرقّنا الموت.

مشينا متلاصقين عبر ساحة كليمنستورجت وصولاً إلى شارع بيتارغوتن. تردَّدتْ كلمات بولس الرسول في رأسي؛ إن من لا يعتني بعائلته، فقد أنكر إيمانه بالمسيح.

قالت أولريكا: "كيف حالك؟"

"مزرية".

"أنا أحبك يا آدم. يجب أن نكون قويين الآن".

"من أجل ستيلا". في وقت لاحق، ذهبنا مجدداً إلى مكتب بلومبيرغ وجلسنا على كراسيه المريحة. كان يرتدي قميصاً أزرق مبقعاً تحت الإبطين بحلقتين كبيرتين من العرق.

قال بنبرة لا تخلو من نفحة انتصار: "لقد نجحتُ في تحويل التحقيق الأولي ضد كريستوفر أولسن. اقتنعت المحكمة بمحاججتي، رغم أن تفاصيل معينة تبقى سرية".

ثم لوَّحَ بحزمة من الأوراق.

"إليكما هذه. إنها جزء من التحقيقات مع ليندا لوكيند".

انحنيتُ إلى الأمام كثيراً في مقعدي.

قال بلومبيرغ: "ر.ا: هذه المعلومات التي قدَّمتيها بشأن كريستوفر-"

قاطعته قائلاً: "من هو ر.ا؟"

فأجاب بلومبيرغ دون أن يرفع رأسه عن الأوراق: "آغنس ثيلين، رئيسة التحقيق. ر.ا تعني رئيس الاستجواب".

"تمام، تمام".

تابع بلومبيرغ القراءة.

"أنا متأكدة بأنك تفهمين يا ليندا أن الاتهامات التي وجَّهتيها إلى كريستوفر اتهامات خطيرة جداً. إذا كان ما قلتيه... بعض الأشياء لم تكن صحيحة تماماً، فيجب أن تخبرينا الآن".

قلتُ باستغراب نافضاً يديَّ أمامي: "هل أنت جاد؟ هل يمكنها أن تقول هذا؟ هي تقول إن ليندا كانت تكذب!"

أخرجَ بلومبيرغ تنهيدة ثقيلة وألقى الأوراق على المنضدة.

فقلت: "آسف. تابع".

أخذ نفَساً عميقاً وواصل القراءة.

"ل.ل:" -نظر بلومبيرغ إلي- "هذه إشارة إلى ليندا لوكيند. ل.ل: أظن ربما... لا أدري. أحياناً لا أكون واثقة إذا كانت الأمور حدثت بالفعل أم أنها

مجرد تخيُّلات. بدا لي بأنه حدث حقاً. هذا ما بدا لي بصدق".

نظر بلومبيرغ إلينا بشكل جدّي، ثم تابع القراءة.

"ر.ا: هل قلتِ أشياء غير صحيحة يا ليندا؟ كل ما أريــده هــو إظهــار الحقيقة. ل.ل: لا أعلم. لا أتذكّر. كل شيء، يبدو لي، مشوشــاً، واقــع و... و... أحلامي".

بدا الأمر جنونياً لي. لم تكن ليندا قادرة على التمييز بين الأحلام والواقع؟

طوى بلومبيرغ تقرير الاستجواب وسلّمه إلى أولريكا.

وقال: "كله على هذه الشاكلة. ليندا لوكيند لا تعرف ماذا حدث حقاً وما هو مجرد أوهام أو أحلام. معتوهة حقيقة، بعبارة أخرى. لا عجب أن التحقيــق أُغلق".

تصفَّحتْ أولريكا الوثيقة.

ثم قالت: "إذن فكريستوفر أولسن لم يعْتَدِ على ليندا أبداً؟"

لا بأس، قد يكون ذلك صحيحاً. ولكن أن لا تقدر ليندا على التمييز بــين ما هو حقيقي وما هو خيالي، هذا ما لم أستطع هضــمه. في الحقيقــة، كنــت متأكداً بأها كانت تعي تماماً كذبها. كان هناك شيء ما تخفيــه. عــني، وعــن الشرطة، وعن الجميع. وكان يتوجب علي اكتشاف ما هو.

41

غادرنا مكتب بلومبيرغ ومشينا بشكل متعرِّج على الأرصفة الضيقة لشارع كلوسترغوتن. توقف رجل عجوز يرتدي معطفاً خاكيّاً أمامنا فجأةً. كان يحدِّق فيَّ كما لو كنتُ شبحاً، فتجاوزته مسرعاً وأنا أنظر إلى واجهات المحلات.

دخلنا إلى مقهى باتيسيريت واخترنا طاولة مخفية في المؤخرة، وتناولنا قهوة ومعجنات بالكريما والمارزيبان (معجون الفستق).

قالت أولريكا: "تبدو مختلفاً".

"أكثر صحواً. في الواقع، لقد تمكَّنتُ من الحصول على بعض النوم".

نظرتْ إلي مطوَّلاً، متمعِّنةً في كل ميليمتر من وجهي. أشعرني ذلك بالأمان، كأن عينيها كانتا تداعباني بدفء ورقة.

وفي النهاية قالت: "أعرف ما هو. ياقتك. لستُ معتادة على رؤيتك بدون ياقتك الكنسية".

حنيتُ ذقني ونظرتُ إلى رقبتي. لم أكن أذكر أنني خلعتها بقرارٍ واعٍ مني. لقد نسيتُ ببساطة ارتداءها في الأيام القليلة السابقة.

قالت أولريكا وهي تضع تقرير الاستجواب الأولي على الطاولة: "هل تريد أن تقرأه؟"

قسَّمنا الصفحات بيننا وتناوبنا على القراءة. بين الحين والآخر كنا نشهق وننظر إلى بعضنا وهز برأسينا.

لم يكن هناك شك في أن ليندا لوكيند بدت شخصاً مضطرباً يعطي معلومات متضاربة على نحو مستمر. استناداً إلى ما يُظهره التحقيق، لا يمكن لأحد أن يلوم المدّعية على تبرئة كريستوفر أولسن من جميع الشبهات. بدت اتهامات ليندا لوكيند بأنها مختلَقة من قبل شريك حاقد ومختل نفسياً تعرَّض لخداع وهجر. ولكن، هل كان الأمر حقاً بهذه البساطة؟

عندما غادرنا المقهى، أرادت أولريكا القيام بجولة سريعة في مركز المدينة.

قالت: "أنا بحاجة لوشاح جديد. سيستغرق ذلك نصف ساعة، كحد أقصى".

"نصف ساعة؟"

جذبتني من ذراعي.

قلت لها: "لا أحب ذلك".

"ما هو؟"

"كيف ينظر الناس إلينا".

"سأكون سريعة".

وتبعتها، متمتماً، إلى داخل محل أوهلنز شاقاً طريقي بصعوبة عبر حشد من الناس ينظرون إلى الأسفل وبقع العرق ظاهرة تحت أذرعهم. بقيتُ طوال الوقت قريباً من أولريكا. وعندما خرجنا أخيراً أعطيتُ ورقة عشرين كرونة إلى المرأة المرتعشة خارج الباب فدعتِ الله أن يباركني.

قالت أولريكا: "مرور سريع على إتش آند إم أيضاً؟"

"ليس إتش آند إم. لا أستطيع".

"دعهم ينظرون".

"لكنهم قد يطرحون أسئلة. الموظفون".

نظرتْ إلي وداعبت مرفقي".

"سينتهي كل هذا قريباً جداً. عندما ننتقل من هنا".

استجمعتُ شجاعتي ودخلتُ، خلف زوجتي تماماً، إلى محل إتش آند إم الدافئ والمغلق، وتوجَّهنا مباشرةً نحو السلّم. وحين لمحت فتاة من الموظفين اندفعت بعجلة إلى قسم الرجال وذهبت إلى آخر المحل. أدرتُ ظهري كي لا يراني أحد وأمسكتُ ببضع قمصان واقتربت جداً من مكان تعليق الثياب لدرجة أن رائحة الجِدَّة دغدغتْ أنفي.

انقضتْ عدة دقائق بينما كنت واقفاً قبالة الملابس. ألم تنتهِ أولريكا بعد؟ أخذتُ خطوة إلى الجانب لإلقاء نظرة.

"آدم؟ أهذا أنت؟"

عرفتُ ذلك الصوت الحاد، نبرة بيتي بووب المميزة (شخصية كرتونيـــة). ولكن، لو كنت مضطراً للتحدث مع واحدة من فتيات إتش آند إم، فقد كنت أفضِّل بينيتا بكل تأكيد.

قالت وهي تنظر إلي بمزيج مثالي من التعاطف والسرور: "مرحباً!"

قلت لها وأنا أكبت شهقة: "أهلاً".

كانت بينيتا بعمر ستيلا وبدأتا العمل في المحل في الوقت نفســه تقريبـــاً. جاءت إلى بيتنا عدة مرات وكنت أحبها. إنها فتاة ذكية ومرحة وصريحة وكانت تحلم بأن تصبح مغنية. وقد سبق أن قلنا لها، نصف مازحين ونصف جدّيين، بأنه يجب عليها التقدُّم إلى برنامج آيدول.

فتحتْ بينيتا ذراعيها رغم أنني تراجعت فانتهى بنا الأمر بشبه عناق.

قالت: "إنني أفكر بكم جميعاً باستمرار. كيف حالها؟"

نظرتُ حولي فلم أجد أحداً يتنصّت إلينا.

قلت: "أمر مثير للسخرية. كل شيء يدل على أنها بريئة، ومع ذلك ترفض المدّعية إطلاق سراحها. لقد جعلني ذلك أكاد أفقد إيماني... بنظام العدالة".

"أتفهَّم ذلك. زُجَّ ابن عمي في السجن الصيف الفائت لمجرد أنه كان يعرف شاباً أطلق النار على شخص ما".

هززتُ برأسي لكنني لم أردّ. لم أفهم ما علاقة ذلك بستيلا.

قالت: "وكم هو أمر مزعج أنها لن تستطيع العمل هنا بعد الآن. لكـــني، بالطبع، أتفهَّم وجهة نظر مديرتنا أيضاً. أنا واثقة بأن الكـــثيرين مـــن الزبـــائن سيستاؤون إذا عرفوا ستيلا، وهذا سيكون أشبه بدعاية سيئة".

"على مهلك. ماذا تقصدين؟ هل فقدتْ عملها هنا؟"

رفعتْ بينيتا يدها إلى وجهها بسرعة.

"ظننتُ أنها أخبرَتكما. كتبتْ لها مالين منذ بضعة أيام".

"ستيلا موضوعة تحت قيود كاملة في السجن. لا يُسمَح لها بالتواصـــل إلا مع محاميها".

التفتت بينيتا إلى الخلف.

ثم قالت وهي تشير إلى طاولة المحاسبة: "أنا... طيب، بلّغ تحياتي لستيلا على أي حال. أو، أقصد، أتمنى أن ينتهي كل شيء على خير".

"لا عليكِ".

لم أرفع رأسي ولا لمرة واحدة في طريق عودتي إلى السلّم. لم أرَ أولريكا هناك. وعند منتصف السلّم، اضطُررتُ للإمساك بالدرابزين لأنني بدأت أرى الأشياء مزدوجة. نجحتُ بترنُّح في نزول الدَرَجات القليلة الأخيرة. كل الأصوات حولي كانت ممتزجة في صوت واضح مغمغم وغير مفهوم. لمستْ يدٌ ذراعي فنفضتها بسرعة وشققت طريقي بصعوبة نحو الباب ثم عبرت الشارعٍ أمام سيارات تزمر وانحنيت بجانب نافذة المكتب السياحي وأخذتُ نفَساً عميقاً. لاشك أنني كنت على بعد ثوانٍ من التقيؤ.

42

قدتُ دراجتي بعجلةٍ عبر شارع ستورا سوديرغوتن. كان يتوجَّب عليّ فعل شيء ما؛ شيء لا يمكنه الانتظار.

كان يتوجب عليّ استيضاح ما حصل. هل كذبتْ ليندا لوكيند بشأن التعنيف، بشأن استبداد كريستوفر أولسن؟ وإذا كذبتْ، فلماذا واصلت التشبُّث بتلك الكذبة بعد أن مات أولسن؟ ولماذا ادّعتْ، في الاستجواب، أنه اختلطت عليها الأحلام بالتخيُّلات؟ لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً.

بعد زيارتي الأخيرة، كنت واثقاً بأن ليندا تخفي أمراً ما، لكنني في الوقت نفسه عرفتُ الكثير مما قالته من نساء أخريات عانيْن من التعنيف في علاقات حميمة.

لم أصدِّق أن ليندا ليوكيند كانت مريضة جداً لدرجة أنها لا تستطيع التمييز بين الخيال والواقع. لعلها اختلقتْ ذلك حين أدركتْ أن الشرطة لم تأخذ اتهاماتها على محمل الجد. هل قررت الانتقام من كريستوفر أولسن بنفسها بدلاً من ذلك؟

ولكن، لماذا ذكرت ستيلا؟ هل تعرف شيئاً عن ستيلا، أو هل قرأت مجموعة من الترّهات على الإنترنت وحسب؟

كانت الأسئلة تتراكم بسرعة. ولم يكن بوسعي الانتظار حتى أعرف الأجوبة.

كنتُ أفعل ما هو صائب وحسب، ما يُتوقَّع من أي أب في ظرفي أن يفعله.

سندتُ دراجتي على الجدار بجانب باب المبنى الذي كانت تعيش فيه في شارع تولغوتن. لا أذكر كيف دخلتُ، لكنني تلوتُ صلاة عدة مرات بينما كنت أصعد بثقل على السلّم.

إلهي إله عادل وغفور.

كنتُ أعلم بأنني أفعل الصواب. العائلة المنقسمة لا يمكن أن تصمد. ومن لا يعتني بعائلته فقد أنكر إيمانه.

فتحتْ ليندا لوكيند قفل الباب وأظهرتْ أنفها عبر الشق الذي تسمح به سلسلة الأمان.

"أنتَ ثانيةً؟"

ترجرجتْ نظرتها في ضوء بيت السلّم الخافت.

"هل يمكنني الدخول؟ لدي بضع أسئلة أخرى بحاجة للإجابة عليها".

حدَّقتْ فيَّ بعينيْن مقطّبتيْن.

ثم قالت وهي تغلق الباب: "انتظر لحظة".

ظننتُ أنها كانت ستنزع السلسلة لكن الثواني انقضت و لم يحدث شيء. وقفتُ هناك أحدِّق في الباب الموصود. هل كانت ستسمح لي بالدخول؟ انتظرتُ بصبر لبضع دقائق، ثم قرعت الجرس ثانيةً.

بعد قليل سمعتُ صوت خطواتها. ثم ساد الصمت مجدداً، فذكرتُ اسمها وأخيراً سمحت لي بالدخول.

"آسفة لأنني جعلتك تنتظر. كنت مضطرة لأن... تفضَّلْ".

علّقتُ سترتي وانحنيتُ لأحلَّ رباط حذائي. نظرتُ بطرف عيني إلى خزانة الأحذية.

لقد اختفى. كل الأحذية الأخرى كانت ما تزال موجودة إلا ذلك الحذاء بالتحديد؛ الحذاء الذي يطابق حذاء ستيلا.

قلت لها بينما كانت تعرض علي الجلوس: "لن آخذ من وقتك كثيراً".

نظرتْ إلي باستغراب وأشارت إلى رقبتي.

"إنك لا تضع.."

قلت وأنا أتحسس رقبتي: "ياقتي الكنسية. ليس بمقدور المرء دائماً أن يكون في العمل. حتى القساوسة يحتاجون أحياناً لامتلاك حياة خاصة".

رسمتْ ابتسامة مترددة وجلستْ.

قلتُ: "إذن، إليكِ الأمر. كل ما أخبرتني به المرة الماضية التي جئت فيها إلى هنا، حول تعنيف كريستوفر لك، أصدِّقه. أعتقد أن ما قلتيه لي صحيح".

قالت: "عظيم". كانت ما تزال تبدو مترددة.

"ولكن، لماذا تراجعتِ عن كل هذا خلال استجواب الشرطة؟ قلتِ إنك لم تكون تميّزين بين ما هو حقيقي وما هو من نتاج مخيِّلتك. لكنك كنتِ تعــرفين حقاً، أليس كذلك؟"

"لم يصدِّقني أحد على أي حال".

"إذن فقد تراجعتِ عن اتهاماتك لأن أحداً لم يصدِّق ما قلتيه؟"

"اممممم".

"هل تجدين صعوبة في التمييز بين الواقع والخيال؟"

لم تردّ.

قلت لها: "الشرطة لم تصغِ إليك. ماذا كنتِ تنوين فعله في هذا الشأن، بدلاً من ذلك؟"

تململتْ في جلستها على الكرسي وجالتْ بنظرها حول الغرفة.

"لا شيء. أو..."

"أو؟"

حكَّتْ كتفها من الخلف. لم يكن هناك أي شيء يشير إلى أن هذه المــرأة مجنونة، وأنها لا تستطيع التمييز بين الخيال والواقع. لماذا قالت هذا الشيء خــلال استجواب الشرطة؟

ثم قالت فجأة: "أعرف من تكون".

تجمَّدتْ أفكاري تماماً.

"ماذا تقصدين".

"بحثتُ حول الأمر في المرة الأخيرة التي جئتَ فيها إلى هنا".

فتحتُ فمي لكن الكلمات علقت في مكان ما على الطريق.

قالت: "فكّرتُ كثيراً في الانتقام من كريس. لا أعتقد أنني كنــت قــادرة على قتله، لكنني فكَّرتُ في طرق متنوعة لإيذائه. فكَّرتُ حقاً".

حدَّقتْ فيَّ قليلاً ثم أرختْ كتفيها وقالت: "أنا آسفة لأن ستيلا كانت هي التي قتلت كريس. حاولتُ تحذيرها. أعلم أنك لا تصدِّق ذلك لكن الشـرطة محقّة. ابنتك هي التي فعلتها".

لم أستطع الحراك. كنت أتداعى من الداخل.

"أنتِ تكذبين".

هزَّت رأسها نافيةً.

ثم أخذتْ تطوي كمَّ بلوزتها بعناية ونظرت إلى الساعة.

سمعنا طرقاً على الباب. ثلاث دقّات قوية.

نهضتْ ليندا فلحقتُ بها لكنني أحسست بقدماي تكاد تنهاران من تحـتي. الغرفة بأكملها بدت بأنها تتداعى من حولي.

قلت لها: "يجب أن أذهب".

مشتْ ليندا أمامي نحو مدخل الشقة أما أنا فوقفـتُ في منتصـف غرفـة الجلوس. سمعتُ صوت دوران القفل ثم صوت رجل من بيت السلّم لكـنني لم أستطع فهم ما قاله. في تلك الأثناء، هرعتُ إلى المطبخ محاولاً إيجاد مكان لأختبئ فيه، أو طريقاً للخروج -لا أعلم ما هو بالضبط.

كان بوسعي رؤية ظهر ليندا فقط أثناء إغلاقها الباب. بـدت حركاتهـا مترددة بعض الشيء. تراجعتُ إلى الخلف غريزياً، محاولاً التواري عن الأنظار.

دخل الرجل دون خلع حذائه، وكانت خطواته سريعة وبدون أي دافـع خفيّ أخذت خطوة جانباً وأمسكتُ بالزهريـة الأرضـية الكـبيرة الشـبيهة بالزجاجة.

أعتقد أنه رد فعل بشري محض. لا يمكنك فهمه إذا لم تختبر التعرُّض لتهديد جدي ومباشر يمسُّك شخصياً ويمسُّ أحبّائك. مثل هذا الوضع يدفعك لاتخـاذ قرارات لا عقلانية وتجاوز حدود لم تكن لتفكر في تجاوزها في أي ظرف آخر. إذا لم يعد بوسعك الهرب، يجب أن تقاتل.

رفعتُ الزهرية عن الأرض قليلاً كي أحدِّد درجة ثقلها فأدركـت أنـي سأحتاج إلى استخدام يديَّ الاثنتين. حالما رفعت رأسي لأنظر ظهـر الرجـل

أمامي. رأيتُ جزمته السوداء اللامعة فتدفّق الأدرينالين في جسدي بأقصى طاقته.

قال الرجل: "شرطة!"

ورمى بنفسه علي.

حدث كل ذلك بسرعة فائقة؛ دارت الغرفة كالمغزل وتطايرت شظايا الزجاج حولنا مثل هطول ثلجي مفاجئ. وفي اللحظة التالية وجدتُ نفسي منبطحاً وخدِّي مسحوقاً على الأرضية الخشبية و لم يعد باستطاعتي التنفس. شعرتُ و كأن سيارة دهستني -لابد أن ظهري انكسر إذ كان الألم يوخزني بين أضلاعي كالسكاكين.

قال الشرطي بصوت هادر: "آدم ساندل؟"

لم أستطع إصدار سوى أنّة وجع.

"آدم ساندل؟" كرَّر سؤاله هذا عدة مرات إلى أن نجحتُ أخيراً في التأكيد على أنه اسمي.

لم أدرك وجود شرطيْن إلا بعد أن رُفعتُ بقوة عن الأرض. كان الشرطي الآخر واقفاً بجانب ليندا وينظر إلي بازدراء بينما كان يُخرج أصفاده.

ثم سألني: "هل تحمل أية أسلحة معك؟"

"أسلحة؟ هل أنت مجنون؟"

"أية أشياء حادة؟"

فُتِّشتُ وأُعلمتُ بأنني سأذهب معهما إلى المركز لاستجوابي. وعندما سَألتُ إن كنتُ مشتَبهاً بي بأي شيء، قوبل سؤالي بأعذار غامضة. كان يتوجّب علي الانتظار إلى أن نصل إلى المركز.

وكل مناشداتي لإرخاء الأصفاد قليلاً قوبلتْ بالصمت. توقفت السيارة خلف مركز الشرطة وساقاني عبر باحة ركن السيارات مثل أي مجرم محاطاً من الجانبين بشرطيين ضخميْن.

43

اضطُررت للانتظار نصف ساعة قبل دخـــول آغـــنس ثـــيلين إلى غرفـــة الاستجواب الصغيرة. وضعتْ مفاتيحي ومحفظتي على الطاولة.

ثم قالت وهي تلوِّح بأمر من المدّعية: "سوف نحتفظ بهاتفك من أجل إجراء تحليل تقني".

"تحليل تقني؟ ما هي الجريمة المتَّهَم بها؟"

رسمتْ آغنس ثيلين تعبيراً متعاطفاً، وكأنها كانت تهتم لأمري حقاً.

"اتصلتْ ليندا لوكيند بنا حين جئتَ إليها لأول مرة يا آدم. كانت خائفة. لقد تزلَّفْتَ لها تحت ادّعاء مزيف".

"تَصادَفَ فقط أنني كنت أرتدي ياقتي الكنسية".

"زعمتَ أنك تُمثِّل مارغريتا أولسن".

لم أستطع إنكار ذلك، مع أنني فكَّرتُ بأنه تجاوز ثانوي للحدود. قطعاً لم يكن يبرِّر وحشية ذينك الشرطيَّيْن.

تابعتْ آغنس ثيلين كلامها: "طلبنا من ليندا الاتصال بنا على الفور في حال عودتك".

إذن، لهذا السبب استغرقتْ كل ذلك الوقت لتفتح الباب.

"ولكن، لماذا أنا جالس هنا؟ لماذا اعتقالي؟ أنا لم أنتهك أي قانون".

"لقد لوَّحتَ بزهرية في وجه زميلي".

"لوَّحتُ؟ هل هذا ما يدّعيه؟"

"إنه لا يدّعي أي شيء. كان هناك أربعة أشخاص في تلك الغرفة".

"ولكن، يتوجب عليكم استجواب ليندا لوكيند ثانيةً. لقد اعترفتْ لي بأن كل اتهاماتها ضد كريستوفر أولسن كانت صحيحة. لقد اعتدى عليها مـــرات ومرات، وفكَّرتْ في أساليب للانتقام منه".

"لا يمكنني مناقشة تفاصيل هذا التحقيق يا آدم. يجب أن تثق بأننا نقوم بواجبنا".

"كيف يمكنني الوثوق بكم؟ ابنتي الصغيرة محتجزة رغم الغياب التام للأدلة!"

لقد تلقّينا للتو نتائج جديدة من المختبر. اكتشف تقنيو مسرح الجريمة أشياء غير عادية على كعبي حذاء ستيلا، وهو يطابق البصمة من مسرح الجريمة. نحن واثقون بأن البصمة جاءت من حذاء ستيلا".

"لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً".

"بالتأكيد إنه صحيح".

"ولكن، من الممكن أن تُترَك البصمة في أي وقت. ستيلا تملك حجة غياب!"

وضعت آغنس ثيلين يديها على شكل هرم تحت ذقنها. كانت عيناها لامعتيْن، لكن نظرتها كانت ثابتة وصلبة. أدركتُ أنني لن أصل إلى أي مكان. لقد قررتْ هي وجانسدوتر بأن ستيلا مذنبة وبأنني كذاب اعتيادي. وأياً يكن ما يمكن أن أقوله فلن يغير موقفهما.

"ما الذي تفعله يا آدم؟ لقد تجاوزتَ الكثير من الحدود مؤخراً".

ضغطُت بيديَّ على صدغيَّ لإيقاف النبض العنيف المتواصل.

أخذتْ آغنس ثيلين ورقة من الكدسة على منضدتها وقالت: "نظّمت المدّعية جيني جانسدوتر تقريراً بحقك للشرطة. لقد هاجمتَها في الشارع وصرخت عليها وتصرَّفتَ بطريقها تهديدية".

"هاجمتُها؟ بشكل تهديدي؟" أحسستُ باضطراب في الرؤية وبجفاف في الفم. بحثتُ على الطاول عن شيء لأشربه. كان الضوء شديد السطوع لدرجة أنني كنت مرغماً على إغماض عيني جزئياً.

"آدم؟"

"أريد محامياً".

بعكس توقعاتي، أحسستُ بالراحة حين دخل مايكل بلومبيرغ من الباب كالمارد وجلس بجانبي.

وضع يداً ضخمة على كتفي وقال: "ثقْ بـــي".

لقد أجرتْ أولريكا الترتيبات اللازمة لجلبه إلى هنا.

كل ما استطعتُ قوله هو: "أنا لم أهاجم جانسدوتر".

قال بلومبيرغ: "بالتأكيد لم تفعل. هذه التهم سخيفة تماماً. لا داعي للقلق".

كنتُ عالقاً في كابوس.

قالت آغنس ثيلين: "أنا أفهم أنه وضع فظيع، وأنك لست على طبيعتك".

رفع بلومبيرغ يده بحدة وقال: "تساورني شكوك متزايدة بخصوص طريقـــة أدائكم لعملكم هنا".

نظرتُ إليه. أخيراً فعل شيئاً ما.

واصلتْ آغنس ثيلين كلامها كأنها لم تسمع شيئاً.

"ما أنا على وشك قوله سيبدو صادماً ومريعاً في البداية، لكنه على المـــدى البعيد سيشكّل باعتقادي راحةً لك يا آدم".

التفتُّ نحو بلومبيرغ فوجدته يعبث بعقدة ربطة عنقه.

قالت رئيسة التحقيق ثيلين: "أعلم أنك تحاول فقط حماية ابنتك، لكن هذا لم يعد ممكناً بعد الآن".

نزلتْ عليَّ سكينة مفاجئة لم أعرف من أين جائتني فهدأ النبض في صدغيَّ، وتدفّق اللعاب إلى فمي مجدداً، وصَفَتْ رؤيتي. بدا كأن اللحظة أثَّـــرتْ علـــي أخيراً.

قالت آغنس ثيلين: "ذهبتُ البارحة إلى السجن لاستجواب ستيلا مجـــدداً. ظهرتْ بضع معلومات جديدة".

تصوَّرتُ في بضع ثوان ما كان على وشك الحدوث. كان المستقبل أشـــبه بفيلم سينمائي يدور في رأسي قبل أن يحدث في الواقع بلحظات.

"تقول ستيلا إنها لم تأتِ إلى المنزل مبكراً كما تزعم أنت".

" لم تأتِ؟"

"إنها تعتقد أن الوقت كان قد تجاوزت الواحدة، وربما كان قريباً من الساعة الثانية".

"لا، هذا ليس صحيحاً" -هززتُ رأسي بحزم- "كانت ثملة. إنها مخطئة بخصوص الوقت".

انقضت ثانية تلو الأخرى. نظرتُ إلى بلومبيرغ فنظر إلى ثيلين فنظرتْ بدورها إلي. كنا نعلم نحن الثلاثة أن ذلك كان تمثيلاً لا أكثر. أداء.

قالت آغنس ثيلين: "ليس هذا كل ما قالته ستيلا".

ملأتُ رئتاي بالهواء.

تابعتْ آغنس ثيلين كلامها: "كانت هناك. ستيلا كانت هناك في حديقة ألعاب الأطفال في بيليغوتن عندما مات كريس أولسن".

قلتُ: "لا. لا، هذا ليس صحيحاً".

"لقد اعترفتْ بأنها كانت هناك يا آدم".

عادت الغشاوة لتغطي بصري من جديد، وعلق الهواء في حنجرتي.

"لا، لا، لا، لا".

"لقد اعترفتْ".

الابنة

ما رأيك؟ ألا تُمحَى جريمة واحدة صغيرة
بآلاف الأعمال الحسنة؟

فيودور دوستويفسكي، "الجريمة والعقاب"

لقد علم أن أيامه، منذ ذلك الحين فصاعداً، ستشبه بعضها بعضاً، وستجلب له قدراً متساوياً من المعاناة. ورأى الأسابيع والشهور والسنوات تنتظره بكآبة وعناد، وتقع عليه الواحدة تلو الأخرى وتخنقه رويداً رويداً.

إميل زولا، "تيريز راكان"

44

أسوأ ما في هذه الزنزانة ليس السرير القاسي كالصخر، لدرجة أنك لا تستطيع التقلُّب عليه، ولا الضوء الخافت، ولا حتى الحلقات المقرفة من البول القديم في المرحاض. أسوأ ما فيها هي الرائحة.

يستحيل وصفها.

بالطبع، لا يوافق تيدي على هذا الكلام. فبالنسبة إليه، كل شيء يمكن وصفه. أجل، أجل، صحيح.

ويقول إنه يجب علي أن أصفها بدون استعمال صفات.

بدون صفات؟

تمام، فهمت. واحدة من تلك الأشياء الخاصة بالمعلّمين، التي يتعلّمونها في مؤتمراهم التدريسية. أجْبِروا الطلاب على وصف الأشياء بدون صفات. أجْبِروهم على الجمع بدون إشارة الجمع. أَجْبِروهم على الوقوف على أيديهم بدون استخدام أيديهم.

قواعد اللغة. شيء رائع يشبه تقريباً شعرة مغروزة في اللحم في الجهة الداخلية من فخذك. *الصفات كلمات تشرح ماهّية شيء ما، مثل عجوز أو شائب*. إنها تصف السمات، وتخبرنا عن طريقة سلوك شيء ما أو منظره.

أو رائحته.

الصفات موجودة فقط من أجل وصف أشياء أخرى. هذا هو الهدف الوحيد لأي صفة في العالم. والآن يريدني تيدي ألا أستعملها لوصف الرائحة هنا.

يدّعي بأنه بالكاد يشعر بها. ويقول إنني أبالغ وأركز على هذا الأمر كثيراً، فأجيبه بأنني ربما أمتلك حاسة شم غير عادية.

"بالتأكيد، بالطبع، لنقل إن الأمر كذلك". ويضحك.

تيدي يضحك كثيراً. وهذه سمة جيدة. معظم المعلّمين الذين عرفتهم كانوا يفضِّلون الصراخ على الضحك.

"ولكن، جدِّياً أقول، إذا كانت هناك كلمات خاصة لوصف ماهيّة شيء ما، فلماذا لا نستخدمها؟"

"إنها تُدعى ترجمة". ثم يضيف بالإنكليزية، "*don't tell Shon*". لا توجد حقاً طريقة جيدة لقول ذلك السويدية".

نضحك على المفارقة هنا.

لا غرابة أنني توقّفتُ عن الاكتراث باللغة السويدية منذ الصف الأول.

رغم أنه دائماً ما يُقال لي إنني جيدة في الكتابة، وإنني أستخدم لغة معبِّرة وأشياء من هذا القبيل. ولكن، كان هناك الكثير من القواعد اللغوية، وما شابه ذلك؛ قواعد يجب عليك اتباعها، وإذا اتبعتَها فيجب أن يكون هناك بالطبع بعض الاستثناءات. وأنا لم أكن في أي يوم شخصاً يحب القواعد.

إنه شيء يشبه الاضطراب الوسواسي القهري. شيء هَوَسي. إذا كانت هناك قاعدة، فيجب عليَّ كسرها.

تيدي مختلف تمام الاختلاف عن المعلّمين الآخرين الذين عرفتهم. في المدرسة الثانوية، حين كنت في السابعة عشرة تقريباً، كان عندنا بيم للغة السويدية. هذا هو اسمها؛ بيم. سيدة عجوز تشبه البومة كان ينبغي لها أن تتقاعد منذ القرن التاسع عشر.

وكانت موجِّهتي أيضاً. أحبُّ أن أقول إنها الشخص الذي دمّر حياتي الأكاديمية، مع أنها مجرد مزحة بالطبع. وتيدي يلتقطها، ويضحك. إنه بارع في هذا الخصوص. يفهم من الإشارة وفكِه.

كان بوسعك، بمجرد النظر في عيني بيم، معرفة أنها لم تكن تحبني. بالطبع، لم تكن تحب أحداً في صفنا، ولم تكن تتوقف عن الثرثرة حول روعة مجموعة علم الاجتماع وأنها لم تكن تطلب الكثير منا، والأشياء غير القابلة للتعلّم ومجموعة علم الاقتصاد، وأنه ما علينا سوى أن نكون قادرين على التهجئة إلى حد ما، وأن نتمكّن من قراءة كل الرسائل التي سنتلقاها من السلطات حين نصبح راشدين.

في الحقيقة، أنا لا أكترث لمن لا يحبني، فله الحق في ألا يحبني، ولكن يزعجني أن يكون شخص ما غبياً لدرجة أنه لا يستطيع حتى إخفاء ذلك. كانت بيم ترسم دائما ابتسامة مزيفة على وجهها تحت نظارتها المربعة وشاربها الخفيف، وتوسّع هذه الابتسامة كثيراً حين تقول "صباح الخير أيها الفتيان والفتيات".

أعتقد أنني لم أحظَ بالكثير من المعلّمين الذين أحبّوني. لم أكن السبب الذي يدفعهم للاشتياق للعودة إلى العمل في ليلة الأحد -يمكنك قول ذلك. لم أكن طالبة نموذجية على الإطلاق. لربما كان الوضع سيكون أفضل لو كنت صبياً. الفتيان يبقون فتيان.

لكن تيدي مختلف.

أو لربما يتعلق الأمر بي أنا، لعلي أنا تغيَّرت.

أسأله: "لماذا أصبحتَ معلّماً بحق الجحيم؟"

يدفعه هذا السؤال إلى الضحك، ومن أعماق قلبه.

"ألم تستطع الدخول إلى أي برنامج آخر، أو ماذا؟"

يبدأ بالتحدُّث حول تلك الكليشيهات المتعلقة بأن التعليم وظيفة هامة وممتعة ومثيرة، وأن العمل مع اليافعين يبعث الرضا في النفس.

"حسناً، تقصد المدمنين على المخدرات وأفراد العصابات. يبدو هذا مثيراً بالتأكيد".

يتنهَّد ويرفع عينيه إلى الأعلى.

أضيف لكي أزعجه: "علاوة على ذلك، لابد أنك تكسب بمقدار ما يكسبه أي شخص يعيش على الإعانة الاجتماعية، صحيح".

لكن تيدي، بالطبع، لا يأكل الطعم. إنه ليس من النوع الذي يسهل استفزازه، وهذه ميّزة حقيقية إذا أردتَ العمل في هذا المكان.

وهكذا أقوم بالمحاولة في نهاية المطاف. من أجل تيدي. ولأنه ليس هناك شيء أفضل أقوم به. أحاول وصفها بدون صفات.

أقول وأوشك على كتابة العبارة: "تشبه الرائحة... ذَنْباً قديماً".

"قديم..."

"... صفة. صحيح، تمام، اللعنة!"

تيدي صبور على نحو مثير للإعجاب. لم أكن لأنجح في التأقلم مع عمله لو كنت مكانه. إنني أفقد أعصابي حالما يبدأ أحد الزبائن بالتردد كثيراً، وأضطّر للتنفُّس في كيس ورقي كي أمنع نفسي من الصراخ "مرحباً، نحن نتحدَّث هنا عن 139 كرونة فقط *إضافة إلى* أنك تستطيع دائماً إرجاعها".

وأخيراً أقرر توصيفاً محدداً.

تشبه الرائحة رهاب الاحتجاز هنا. تتصاعد المعاناة والخوف من الأرضية البلاستيكية مثل البخار. كل فكرة سبق أن خطرتْ في بال أحد ضمن هذه الجدران تتغلغل داخل أنفي. رائحة تثير الاشمئزاز مثل العرَق والصدمة والمني والعار.

لا وجود لأي صفة.

يعبِّر تيدي عن إطرائه لي. يفعل ذلك دائماً. إنه جزء من أدواته نوعاً ما، لكن هذه المرة يبدو إطراءه مختلفاً، كأني أثرتُ إعجابه حقاً.

"موحٍ جداً. شعْريّ".

لقد قلّل من شأني، هو أيضاً، بالطبع.

يحبُّ تيدي المصافحة دائماً قبل أن يهمّ بالمغادرة. عادة غريبة وتبدو غير طبيعية حقاً. لعلها تناسب الرجال الأشداء في الوحدة. مع ذلك فأنا لا أقول شيئاً، بل أتلقّف يده وأشدُّ عليها. إضافة إلى ذلك، من اللطيف أن تلمس شخصاً آخر في بعض الأحيان.

يقول: "إذاً، ربما سنرى بعضنا غداً".

دائماً *ربما*. لأن هناك احتمالاً بأن لا أكون هنا غداً. هكذا فسَّر لي الأمر في المرة الأولى. لا يمكن أن تكون متأكداً مما سيحدث في اليوم التالي في الاحتجاز. بعض الأشخاص قد يُنقَلون، أو يُفرَج عنهم، أو يُدانون. وبعضهم قد يموتون.

لم يقل تيدي هذا الجزء الأخير. إنه استنتاج توصَّلتُ إليه بنفسي.

"سأراكَ غداً".

لأنني أعلم أنني لن أذهب إلى أي مكان لبعض الوقت.

45

يجب أن أعترف بأمر. كنت واحدة من أولئك الأشخاص الذي يعتقدون أن نظام الإصلاح السويدي ليس إلا سلسلة من الفنادق المحترمة. وأنْ تُسجَن في هذا البلد ليس عقوبة بما تعنيه الكلمة. كنت أعتقد أنه أَشْبه بواحد من تلك البرامج المخصصة للطلبة في العطل الصيفية، حيث يمكنك الاسترخاء، والاستلقاء في السرير ومشاهدة المسلسلات التلفزيونية، والتمتع بمأكولات لذيذة، وعدم الاضطرار للاهتمام بأي شيء.

قلتُ في المدرسة ذات يوم إنني لا أفهم لماذا يوجد أشخاص مشـرّدون في السويد وإنني أفضِّل ألف مرة التواجد في السجن على العيش في الشارع.

صحيح أنني لست في السجن الآن، ولكن بعد ستة أسابيع من الاحتجاز لن أقول مرة أخرى إنني أريد أن أُسجَن أو إنني أعتقد أنه مثل فندق.

تبلغ مساحة غرفتي أقل من 30 متراً مربعاً. إنهم يدعونها غرفة لأن الزنزانة تبدو أكثر مدعاة للكآبة. ثلاثون متراً مربعاً تماثل مساحة مربط حصان. وأصغر من معظم البيوت الزجاجية في الحدائق الخلفية السويدية. ويوجد فيها سرير ومنضدة وكرسي ورف ومرحاض ومغسلة.

لا أريد من أحد أن يشعر بالأسى من أجلي، فأنا هنا لسبب معيّن، ولستُ ضحية. إنني أتوجّع من جميع أنحاء جسمي، وأفكاري تضايقني مثل طنين الأذن. ولكن لا داعي للإشفاق علي. أبداً. عندما كنتُ في المدرسة الإعدادية، كان عندي تعبير مفضّل أستخدمه طوال الوقت، ويبدو أنه يناسب هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى؛ لا تلعب بالنار إذا لم تكن تحسن التعامل مع الحرارة.

يُسمَح لك بالخروج لاستنشاق هواء نظيف مرة في اليوم؛ إذا كنتَ محظوظاً. أحياناً لا يوجد طاقم كافٍ، وأحياناً لا يمكنهم جلب مرافق إلى المصاعد. وأحيانا لا يبالون وحسب.

هناك صوت يشبه النباح على السطح. كل ما يمكنك فعله هــو المشــي، ذهاباً ورجوعاً، في دوائر صغيرة. ولكن، لا بأس. إنه تغيير. شيء مختلف. تبتعد عن الرائحة وشعور الاحتجاز لبعض الوقت. لكن ذلك لا يُبعد أفكارك أو ذلك الإحساس بالسقوط في معدتك.

ذات ليلة، كان المطر ينهمر بغزارة شديدة مثل مسامير ضخمة، لكنني مــع ذلك مشيتُ على السطح. ذهاباً وإياباً. لم يكن يهم إن كنتُ بــذلك أجمِّــد مؤخرتي، وأن المطر يلسع وجنيّ. أي شيء مغاير للجلوس أو الاستلقاء يُعتبَــر ذهباً هنا.

لهذا السبب، بالطبع، بدأتُ دروس اللغة السويدية. كنت أفضِّــل دراســة الإنكليزية والرياضيات أيضاً، أي شيء، لكنك لا تستطيع دراسة مواد تأخذ فيها العلامات الكاملة في المدرسة. شكراً أيتها البومة بيم. حقاً، شكراً لــكِ علــى إفشالي في اللغة السويدية! بدون تيدي، أنا واثقة كل الثقة بأنني كنتُ ســأموت هنا.

راديو، تلفزيون، إنترنت؟ مستحيل. أنا موضوعة تحت تقييد كامل. لــيس مسموحاً لي رؤية أو سماع أو قراءة أي شيء له علاقة مباشرة بقضــيتي، مثــل وثائق الاحتجاز أو مذكرات من المحكمة وأشياء مضحكة من هذا القبيــل. ولا مسلسلات ماراثونية، ولا موسيقا، ولا حتى مجرد نص واحد. ولا يُســمَح لي إجراء أو استقبال أية مكالمات هاتفية، والشخص الوحيد الذي يمكنه زيارتي هو محاميّ.

تمرُّ عربة المطعم ثلاث مرات في الأسبوع فأقوم بحشو نفسي بألفي ســعرة حرارية من حلوى دايم والكوكاكولا. السكر مخدر عظيم مُستَخَفٌّ به، وهــو الوحيد الذي يمكنك الوصول إليه هنا.

من المثير للعجب حقاً كيف تشتاق للحظة التي يفتح فيها شخصان غريبان القفل ويُدخلان صينية الطعام. في الأيام القليلة الأولى كنتُ أوشك على الصراخ فرحاً في كل مرة يأتيان فيها. مجرد رؤية شخص آخر كانت تغمر جسدي كله بالسرور. قفزت عن السرير وكدت أرمي بذراعيَّ حول رقبتيهما، ثم أمطرتهما

بما لا يقل عن خمسين سؤالاً حول كل ما يجري تحت الشمس كي أمنعهما من المغادرة فقط.

وحالما أعود لوحدي يشرع عقلي بالطنين. وتعود الرائحة.

كان قد مضى على وجودي هنا يومان عندما أرسلوني إلى الأخصائية النفسية.

قلتُ للحارس: "لم أطلب مقابلة أخصائية نفسية".

فحدَّق الحارس فيَّ كما لو كنتُ ذرة وَسَخ أغفل عامل التنظيف إزالتها.

ثم قال: "لن تؤذي".

أظن أن اسمه جيمي. لديه واحدة من تلك السكسوكات البشعة التي تبدو مثل شعر عانة خشن يغطي حافة ذقنه، وعيناه زرقاوان باردتان كالجليد. أنا متأكدة مائة بالمائة بأنني رأيته من قبل، ربما في ملهى إيتيج أو سواه من الملاهي.

يمكن تقسيم الحرّاس إلى فئتيْن. الفئة الأولى تضم الحرّاس الذين ينظرون إلى عملهم على أنه مجرد وظيفة، شيء يضع نقوداً في حسابهم مرة في الشهر. لعل السجن مجرد محطة مؤقتة على طريق بحثهم عن مهنة أفضل وأكثر مردوداً. والفئة الثانية تتكوّن من أولئك الذي ينتشون بالسلطة. أولئك الذي جاؤوا إلى هنا لغاية في نفسهم. لربما لم تقبل بهم أكاديمية الشرطة -ربما بفضل الأخصائية النفسية نفسها. إنهم الأشخاص الذين يحبون الترهيب والعنف وينظرون إلى السجناء على أنهم آفات ضارة.

سرعان ما تتعلم التمييز بين الفئتين. فبالرغم من أن معظمهم يملكون العيون الباردة ذاتها، إلا أن ثمة فرقاً جوهرياً بين اللامبالاة والاحتقار.

لا شك أن جيمي واحد من الأشخاص المولعين بالسلطة. يبدو ذلك من الطريقة التي ينظر بها إليك، كأنه يقيسك من الأعلى إلى الأسفل. يعتبر نفسه أفضل منك، وأعلى شأناً منك، مع أنه في أعماقه يعلم أن العكس هو الصحيح، وهذا ما يثير حنقه. ينفق الكثير من الوقت في الصالة الرياضية. زنداه أثخن من فخذيه، ورقبته ستبدو أفضل لو كانت على جسد ثور. أشعر برغبة جارفة في تثبيت ذراعيه السمينتين على جانبيه.

ويردُّ على كل سؤال بسؤال آخر.

"هل تمزحين؟ ما رأيكِ؟ هل أبدو مثل أمك؟"

كم أتمنى أن أصرخ في وجهه.

إذا كان أحدنا بحاجة لطبيب نفسي، فمن المؤكد تماماً أنه ليس أنا.

لدي نظرية بخصوص الأطباء النفسيين. لا أقول إنها تنطبق عليهم جميعاً، لكنني التقيتُ بالكثير منهم على مر السنوات وحتى الآن لم أرَ أي استثناء.

إذا أنفقتَ خمس أو ست سنوات في الجامعة ولُقِّنتَ مجموعة من الأنماط والتشخيصات التفسيرية، فمن الواضح لي أنه سيكون من المتعذّر عليك ألا تحاول تطبيق ما تعلّمته لاحقاً. وسيكون من الغباء عدم تطبيقها، في الواقع. إذن، أنت تتخرج من الجامعة وتقابل الناس -زبائن، أو مرضى، أو أياً يكن- وتعتقد بأنه يتوجّب عليك أن تشرح لهم لماذا هم ما هم عليه ولماذا يفعلون الأشياء التي يفعلونها. يتمثّلُ عمل الأطباء النفسيين في حشر بقيتنا في أحد قوالبهم.

اقتراح: يجب عليكم فعل العكس.

السبب: لأن كل شخص فريد من نوعه.

كل أولئك الأخصائيين النفسيين الذين جاؤوا وذهبوا. وكل تلك التقييمات الذاتية واختبارات الشخصية. أول شيء يبحثون عنه هو، بالطبع، طفولة قاسية. يبدو لي أن الحلم المبلّل لكل طبيب نفسي هو إيجاد روح محطمة كبتتْ مجموعة من الذكريات الفظيعة من طفولتها.

الأمر الغريب في كل التشخيصات التي يقدمونها هو سهولة رؤية نفسك في معظمها. لا يوجد اختبار نفسي واحد لن تضع فيه علامة صح على بعض المربعات.

لقد أصبح هذا الموضوع هاجساً لدي لبعض الوقت. بما أن الجميع كانوا يعتقدون بأنني أعاني من مشكلة ما، بمنهم فيهم عائلتي -أو بالأحرى، بالأخص عائلتي- لذا حاولتُ الوصول إلى أصل المشكلة. كل ما قرأته أشار إلى أنه سيكون من الأفضل أن تتمكّن من وضع اسم للمشكلة، أن تعرف بأن هناك الكثير من الناس الآخرين الذين يعانون من نفس الوضع.

في البداية، اعتقدتُ بأني أعاني من اضطراب نقص الانتباه أو نقص الانتباه وفرط النشاط، ثم اضطراب الشخصية الحدّية، ثم اضطراب الشخصية الفصامية، ثم اضطراب ثنائي القطب.

وفي النهاية توصّلتُ إلى استنتاج مفاده أن كل هذا هراء.

أنا هي أنا. التشخيص: ستيلا.

إنني أعاني من مشكلات عديدة؛ لا أنكر ذلك. أنا حتماً لست طبيعية. دماغي يعبث فيَّ أربعاً وعشرين ساعة في اليوم. لكنني لست بحاجة لأي اسم آخر لما أعانيه غير اسمي. أنا ستيلا ساندل. إذا كان هناك من لديه مشكلة معي، فلعله هو الذي يحتاج إلى دواء.

وليس سرّاً أن الأطباء النفسيين غالباً ما يعانون من مشكلات عقلية خاصة بهم. إذا لم يكن لديهم في الأساس أية مشكلة، فإنها ستظهر لاحقاً. التعامل بشكل مفرط مع فرويد سيجعل أي شخص معتوهاً.

في تلك الفترة التي كنت أقرأ فيها حول هذه المواضيع بدأتُ أتعلّق بالأشخاص السايكوباتيين. أظن أنه يمكنك القول إنني أصبحت مهووسة بهم. يقولون إن امتلاك هواية أمر جيد، ولهذا السبب بدَّلتُ كرة اليد بالاختلال النفسي.

كان الأخصائيون النفسيون الذين قابلتهم قبل دخولي إلى السجن متشابهين في بعض الجوانب. معظمهم نساء، والكثير منهن حمراوات الشعر، وغالباً مع ملامح قلقة مميزة، ويرتدين في مرات ليست بقليلة مثل معلّمة موسيقا في المرحلة الثانوية، وعدد مثير للدهشة منهن يتحدثن بلهجة مقاطعة سولاند.

ولهذا السبب، عندما أدخلني الحارس جيمي بسرعة لمقابلة الأخصائية النفسية في السجن، لم يكن من السهل عليّ أبداً إخفاء دهشتي.

"مرحباً ستيلا. أنا شيرين". كانت جميلة وذات شعر داكن مسرَّح على شكل ضفيرتين مشدودتين -نسخة شرق أوسطية عن الأميرة ليا [شخصية خيالية في فيلم حرب النجوم].

"لستُ بحاجة لطبيب نفسي".

لقد حضَّرتُ مجموعة من الكلمات الطنّانة مثل "انتهاك النزاهة" و"تجاوز السلطة"؛ هذا النوع من العبارات التي تترك دائماً شيئاً من التأثير على موظفي الخدمة العامة الذين يقلّلون من شأنك. لكن شيرين تظل جالسةً في مكانها بهدوء ولا أستطيع حتى أن أحمل نفسي على رفع صوتي.

تقول: "لا بأس. أفهم شعورك بالرفض، لكنني ألتقي مع جميع النزلاء المراهقين هنا لمدة ساعة في الأسبوع. هذا ليس بيدي".

تبتسم بدفء. تبدو لطيفة حقاً؛ ذلك اللطف الذي تراه في معظم الأحيان فقط في السيدات المتقدمات قليلاً في السن والجراء الصغيرة.

أقول لها: "أعني إنه ليس أمراً شخصياً. أنا واثقة بأنك رائعة. لكنني ذهبتُ إلى العديد من الأخصائيين النفسيين".

"أفهم. لن أعتبر الأمر شخصياً".

ثم يسود الصمت، النوع الذي لا يمكن تحمُّله. تجلس شيرين قبالتي مبتسمة وتنظر إلي بتعاطف.

"إذن، أنتِ ستجبرينني؟ سوف نجلس هنا لمدة ساعة في كل أسبوع ونحدِّق في بعضنا؟"

"هذا يعود إليك يا ستيلا. إذا أردتِ التحدُّث، فسأكون مسرورة بذلك".

أحرِّك عينيَّ دلالةً على. من المستحيل أن أتحدث، مهما كانت عيناها البنيتان لطيفتيْن، وابتسامتها رقيقة كابتسامة سيدة أرستقراطية. ماذا يُفترَض بي أن أقول؟ لن أخبر أحداً بما تعرَّضتُ له. لا أحد سيفهم. أنا نفسي بالكاد أفهمه.

وتبدأ لعبة الهدوء.

نجلس وننظر إلى بعضنا. وبين الحين والآخر تطرح شيرين سؤالاً لا أجيب عليه: "كيف حالك هنا؟ هل تحدَّثتِ مع عائلتك؟ هل تنامين بشكل جيد؟" وتنقضي الساعة بسرعة مثيرة للاستغراب، لدرجة أنني شككتُ في أنها تعبث بالوقت بطريقة ما.

تقول وهي تنهض لتستدعي الحراس: "لعلنا سنرى بعضنا في الأسبوع المقبل إذن".

"أنا واثقة من ذلك".

يستلمني جيمي عند الباب ويسوقني عبر الممر مثل دابّة، ويحدِّق فيّ بعينين جليديتين بينما يفتح الباب كي أدخل مجدداً إلى غرفتي.

أكره العزلة. إنها تخيفني. كل شيء يزحف بشكل غير مريح بالقرب منك هنا. أشعر بأن أفكاري وأحاسيسي تسحقني بينما يدير جيمي القفل ويتركني وحيدة مع الجدران والرائحة. في داخلي، عقلي يصرخ. أنا أوشك على الانفجار.

لا أعلم إن كان الأمر يستحق، إذا كان باستطاعتي التأقلم معه. أعرف أن الكثيرين لا يخرجون من هنا أحياء.

46

كانا يرتديان ملابس مدنية، لكنك لم تكن بحاجة لمشاهدة ذلك العدد الكبير من حلقات مسلسل المفوَّض "بيك" لتعرف أنهما شرطيان. رجلان عريضا الكتفيْن يرتديان سروالي جينز وحذاء جري وملامح الحذر ظاهرة على وجهيهما. لم يكن ينقصهما سوى جهاز إرسال واستقبال على حزاميهما.

لم يكن قد بقي على موعد الإغلاق سوى ساعة واحدة، وكان دفق الزبائن قد بدأ يصبح متقطعاً بعد يوم سبت مزدحم جداً. كنت أعمل على ماكينة المحاسبة، وأتلقى مالاً من سيدة شيباء الشعر ترتدي سترة جينز قررتْ أخيراً شراء البلوزة التونيك الأرجوانية التي جاءت لتبحث عنها في صباح ذلك اليوم.

قلت لها وأنا أسلّمها البلوزة التونيك: "الإيصال في الكيس". سوف تناسبها تماماً.

بقيت السيدة قليلاً بجانب طاولة المحاسبة لتدقق في الإيصال وهي ترفع نظّارتها سميكة الإطار. كاد الشرطيان أن يصطدما بها.

"ستيلا ساندل؟ هذه أنتِ، أليس كذلك؟"

نظرتُ إلى بطاقتيِّ التعريف بهما في حين تدلّى فك السيدة السفلي.

سألتهما: "هل حدث شيء ما؟"

خطرتْ في ذهني كوارث محتملة.

"ليس...؟"

قال الشرطي الأكبر سناً وهو يحكُّ لحيته: "نحن بحاجة للتحدث معك. أخشى أنكِ ستضطرين للمجيء معنا".

كانت عيناه خضراوين ويبدو من الأشخاص الذين يحبون الوجبات البطيئة والتحدث عن مشاعره مع أنه بالتأكيد من مواليد الخمسينيات. لربما تزوّج حين

كان شاباً وترك علاقة محطّمة خلفه، وبدأ المواعدة عن طريق الإنترنت حالما انتقل أولاده من المنزل، لكنه ينتمي لتلك الفئة القلقة من الناس الذين يعتبرون أن العشب دائماً أشد خضرة في مكان آخر، ولهذا السبب لا تدوم علاقاته الحميمة أكثر من بضعة شهور.

قال الشرطي الآخر: "هل هناك من يمكن أن يغطي مكانك هنا؟" مع أنه كان أصغر من زميله بنحو عشرين سنة، إلا أن عينيه كانتا أشد إرهاقاً. واستناداً إلى اسمراره القريب من المستوى المُسَرْطِن، خمّنتُ بأنه عاد لتوّه من عطلة أسبوعيْن أمضاهما في تركيا. كان يبدو من النوع الذي يقوم بكل شيء بشغف وحماس -العطلة يجب أن تكون عطلة. سهر، وشرب جعة إفيس وراكي، ولعب الورق على الشرفة. على الأرجح كان يحتاج إلى أسبوع على الأقل كي يستعيد كامل طاقته.

سألني الشرطي الأكبر سنّاً وكأنه لم يسمع زميله: "هل هناك من يمكنه الحلول محلك هنا؟"

"لا بأس. نحن سنغلق بعد ساعة".

عرضتْ مالين وصوفيا استلام ماكينة المحاسبة. ثم حدَّقتا فيَّ برعب بينما كنت ألحق بالشرطيْن إلى الخارج.

سمعتُ صوفيا تقول بصوت هامس: "ماذا يجري؟"

لكنني لم أسمع إن كانت تلقتْ جواباً أم لا.

تُدعى المرأة التي استجوبتني آغنس ثيلين. لو أنني رأيتها في المدينة من قبل، لما كنت سأخمِّن بأنها شرطية. كانت تبدو مثل أخصائية تسويق بصري أو مديرة خدمات إبداعية. لم تكن تتسوَّق في إتش آند إم حتماً. لعلها تعيش في منزل مصمَّم بيد مهندس معماري وفق نظام الشقة المفتوحة والإضاءة الدانماركية. كانت تبدو من ذلك النوع من الأشخاص الذين لا يعترفون أبداً بأنها لا تحب السوشي. من النوع الذي يدّعي بأنه يحب الصراحة الفجّة لكنه ينهار تماماً إن وجَّه له شخص ما أي نقد مباشر.

أحببتها على الفور؛ ربما لأنني أحسستُ بأنها تشبهني في بعض النواحي.

"ماذا يعني اسم كريستوفر أولسن لكِ؟"

نظرتُ في عينيها ورفعتُ كتفيَّ ثم أنزلتهما.

"هل تعرفينه؟"

"لا أعتقد ذلك".

أمالتْ آغنس ثيلين رأسها.

"إنه سؤال بسيط جداً".

أوضحتُ لها بأنني أعرف آلاف الأشخاص، من المدرسة وكرة اليد، أشخاص ألتقي بهم وجهاً لوجه أو على الإنترنت، أصدقاء وأصدقاء الأصدقاء. إضافة إلى ذلك فأنا سيئة جداً في حفظ الأسماء. بالتأكيد هناك أشخاص أعرف أسماءهم الكاملة، ولكن هناك أشخاص آخرون لا أعرف سوى اسمهم الأول أو ألقابهم، وبعض الأشخاص لا أعرف أسماءهم على الإطلاق.

"هل قلتِ كريستوفر؟"

أومأت آغنس ثيلين دلالةً على التأكيد ثم قالت: "كريستوفر أولسن. معظم الناس يدعونه كريس".

فكّرتُ قليلاً.

"كريس؟ أجل، أعرف على الأقل كريس واحد، حسب ظني. كبير قليلاً، صحيح؟"

هزّت آغنس ثيلين رأسها مؤكّدةً. ثم، وبشكل مفاجئ تماماً، وضعت صورة له على الطاولة وسألتني إن كان هو الشخص الذي أفكر فيه.

ازدادت نبضات قلبي قوةً. نظرتُ إلى الصورة بتمعُّن لوقت طويل. ثم التقطتها وتمعَّنتُ بها عن قرب.

وأخيراً قلت: "أجل، أعرفه".

قالت آغنس ثيلين: "للأسف، لقد مات".

شهقتُ بقوة.

أخبرتني آغنس ثيلين بأن أماً مسكينة وأطفالاً صغاراً وجدوا الجثة في حديقة ألعاب للأطفال بالقرب من مدرسة بوليم.

قلت وأنا أرفع يديَّ إلى فمي: "اللعنة".

أحسستُ حقاً بأنني كنت سأتقيأ.

قالت آغنس ثيلين: "هل ارتدْتِ مدرسة بوليم؟"

"لا، فيبان".

"وتخرَّجتِ منذ فترة قصيرة؟"

أومأتُ برأسي مؤكدةً وأرجعتْ آغنس ثيلين ظهرها قليلاً إلى الوراء وهي جالسة على كرسيِّها.

"ابني الأكبر تخرَّج من مدرسة كاته الصيف الماضي. إنــه في لنـــدن الآن. والأصغر في السنة الأخيرة من برنامج IB".

حاولتُ التظاهر بأنني مهتمة. كانت على الأرجح حيلة بسيطة منـــها؛ أن تجعل العلاقة شخصية. كانت تحاول حمليَ على الوثوق بها.

سألتها: "ما علاقة كل هذا بـــي؟ هل جلبتموني من عملي من أجـــل هذا؟"

"آسفة على ذلك، لكن الأمر ضروري حقاً".

كانت تتفحَّصني بعينيها. أحسستُ بزوبعة من القلق تدور داخل بطـــني. وتحوَّل شعوري بالغثيان إلى شيء آخر، إلى نذير شر؛ خوف جليدي لاسع.

"ما الأمر؟"

قالت آغنس ثيلين: "هل يمكنكِ إخباري ماذا فعلتِ البارحة؟"

"في العمل. عملتُ حتى الإغلاق. ثم ذهبنا إلى ستورتورجت لنأكل. شربنا قليلاً من الشراب الفرنسي وتحدّثنا".

"أنتم، من؟"

"أنا وبعض من زميلاتي".

ضغطتْ آغنس ثيلين على زر قلمها ودوَّنت ملاحظة ما.

"في أي وقت كان هذا؟"

"نحن نغلق في السابعة ونعمل حتى السابعة والربع".

سألتني آغنس ثيلين عن المدة التي أمضيناها في ستورتورجت.

"لا أعلم كم من الوقت بقي الآخرون، لكنني بقيتُ لبضع ساعات. أعتقد أنها كانت العاشرة والنصف حين غادرت".

سألتني وهي تضع قلمها على الطاولة: "ثم ماذا فعلتِ؟"

"أنا... ركبتُ دراجتي". حاولتُ تذكُّر ما حدث بالضبط. "في البداية توجهتُ إلى تيغريس. شربتُ السايدر [كحول مصنوع من التفاح] في البار هناك، لكنني لم أرَ أية وجوه مألوفة. ثم ذهبتُ إلى... إنفيرنو لبعض الوقت، أو أياً يكن اسم ذلك المكان. يقع في الزاوية المقابلة قطرياً للمكتبة".

"إنفيرنو؟ هل هي حانة أخرى؟"

مكتبة
t.me/t_pdf

"أجل".

"كم شربتِ؟"

بدت آغنس ثيلين مثل أبـي. نفس تلك النظرة الأبوية النمطية، حين يدّعون القلق لكنهم يبدون في حقيقة الأمر منزعجين جداً.

"ليس كثيراً. كان يجب عليّ الاستيقاظ والعمل".

نظرتْ إلي وكأنني كنت كاذبة فأحسست بالاستياء.

"هذا صحيح. الكحول ليس شغفي".

خطر في ذهني شيء كان أبـي يحب قوله دائماً. كان يؤكّد بأن الكذب أمر غير هيِّن، وبأن معظم الناس غير بارعين فيه. ولطالما اعتقدتُ أنه كان مخطئاً. لقد أثبتُّ مراراً وتكراراً بأنه كان على خطأ. لم أكن أعاني من أية مشكلة مع الكذب على الإطلاق. كنت أعتقد أن الناس، بصورة عامة، سذّج إلى حد بعيد.

إلى أن أدركتُ أن العكس قد يكون هو الصحيح في الواقع؛ أن أبـي كان محقاً. لعل الناس لا يصدّقون بسهولة كل شيء. أو لعلي أنا فاشلة على نحو استثنائي في الكذب.

الآن أعلم أن هذا صحيح.

47

عندما كنت صغيرة، كان أبــي هو بطلي. كان أقوى من بيبــي [بيبــي لونغسترومب: شخصية خيالية من قصص الأطفال للكاتبة الســويدية أســتريد ليندغرين]، وأذكى من السلحفاة سكولمان، وأشجع من رونجا ["رونجــا ابنــة اللص" -قصة للكاتبة نفسها].

ذات مرة، في المدرسة التحضيرية، سخر نيسه القبّعة من أبــي. كنا ندعوه نيسه القبّعة لأنه كان يرتدي قبعة طوال العام. سخر مني وقال للجميع كم هــو غريب أن يكون أب المرء قساً.

دفعتُ نيسه القبّعة إلى الخلف فاصطدم برفٍّ وجُرح رأســه. بــالطبع، لم يذكر أحد كيف بدأ الأمر، وإنما فقط أنني غضبت ودفعت نيسه القبعــة بقــوة لدرجة أنه اضطُّر للذهاب إلى الإسعاف. وأنا بدوري لم أقل شيئاً.

كنت دائماً آمل أن يفهمني أبــي من تلقاء نفسه. بدا لي من المهم جداً ألا أفسِّر أفعالي. قد تكون مشكلة فيَّ، شيء لا يشعر به أناس آخرون، لكنني أحسُّ بالخجل دائماً من شرح نفسي.

كلما كان أبــي يخفق في فهمي، كنتُ أشعر بخيبة الأمل وكانت الفجوة تزداد اتساعاً بيني وبينه.

من المثير للسخرية المرّة أن الخصال التي تزعج أبــي فيَّ هي في الغالب أشياء ورثتها عنه.

هناك شيء لتغرزي أسنانك فيه يا شيرين!

أظن أن الأطباء النفسيين كانوا يحبون عائلتنا. قس، ومحامية، ومراهقة غــير متكيِّفة اجتماعياً. يمكننا أن نشكِّل أمثلة نمطية في كتيِّباتهم الإرشادية.

ذات مرة في المدرسة تعرَّض صفِّيَ بأكمله لتوبيخ شديد من بيم، موجِّهتنا، لأننا أدلينا بآراء كثيرة. صرخت فينا: *جيل الألفية الاعتيادي. لديكم دائماً الكثير*

من الأفكار بشأن كل شيء!

أعتقد أن الكثير من الأمور كانت أبسط في الماضي، حين كان الأولاد يغلقون أفواههم ويطيعون الكبار وحسب. لم أكن كذلك يوماً، ولن أكون. ولا أظن أن الحال سيتغيّر لو كنت مراهقة في الثمانينيات.

عندما أفكر الآن في كل تلك المواعيد العلاجية، أجد أن بعضاً من أولئك الأخصائيين النفسيين أظهر حقاً قدراً معيناً من الشماتة. لابد أن هناك شيئاً خاصاً بشأن إلقاء نظرة من وراء الكواليس إلى عائلة ناجحة على نحو واضح؛ محامية تظهر أحياناً في التلفزيون وقس -يا إلهي قس. تخَيَّلْ فقط اختلاس نظرة إلى الزوايا الأقذر في عائلتنا المثالية. لعل هذا هو ما يعينهم على تحمُّل وجودهم المأساوي في عيادة نفسية حزينة تديرها البلدية.

لكنني أتساءل بشأن شيرين... إنها لا تبدو مثلهم على الإطلاق، ليس بالطريقة التي أتذكّرهم فيها.

حدث مرةً أنني أردتُ شخصياً أن أصبح أخصائية نفسية. أحب الاعتقاد بأنني جيدة جداً في رؤية ما في دواخل الناس وفهم واكتشاف أشياء قد لا يدركونها هم أنفسهم. أنا جيدة في الحكم على الشخصيات. وهذا ليس مجرد رأيي بنفسي، صدقاً، بل إن الآخرين يقولون ذلك دائماً. إنهم يلجؤون إلي في جميع أنواع مشاكلهم -مشكلات عائلية، شبّان معتوهون. أنا جيدة في تحليل الناس.

وخلال فترة انتقاء المدرسة الثانوية التي سنرتادها -كاته وسبايكن وبوليم، المدارس الوحيدة التي كان يمكنني تخيُّل الانتساب إليها- كنا في مدرسة كاته، وكان هناك شابان بشعر لامع مصفَّف إلى الخلف وقميصيْن غير مزرَّريْن يخبراننا عن برنامج العلوم الاجتماعية. وعندما قلت إنني أريد أن أصبح أخصائية نفسية، انفجرا بالضحك.

قال أحدهما: "هل تعلمين مدى استحالة القبول في هذا البرنامج؟"

كانت صفعة على الوجه.

وفي الأسبوع التالي، أكّدتْ لي مستشارتي بأن الطالب يحتاج لأعلى

الدرجات في جميع المواد كي يصبح طبيباً نفسياً. كان الطب النفسي أحد أكثر البرامج الجامعية جاذبية. هل كان ينبغي لي التفكير في الموارد البشرية بدلاً منه؟ في الواقع إنهما متشابهيْن إلى درجة بعيدة.

أعتقد أنني في تلك اللحظة قررتُ أن أقول للمدرسة الثانوية "فلتذهبي إلى الجحيم". لم تكن تستحق العناء.

أعرف عدداً كبيراً من الأشخاص الذين ضيّعوا ثلاث سنوات وهم يكدحون ومع ذلك لم يحصلوا إلا على درجات متوسطة في أحسن الأحوال. بل إن بعضهم ابتعلوا أقراصاً دوائية من أجل الحصول على B في اللغة الإنكليزية. من أجل ماذا؟ كي يصبح بإمكانهم إمضاء أيامهم في بذة وربطة عنق.

كانت بيم، في الحقيقة، أشد إدراكاً مما تظن، ففي اجتماع للأساتذة والآباء قالت لأبي إنه كان بوسعي إحراز A أو B في معظم المواد؛ إن أردتُ ذلك.

كانت مصيبة تماماً. *لم أردْ* ذلك.

كنت أكثر اهتماماً بقضاء ليلة في مكان لا يسمح بدخول من يقل عمره عن 25 عاماً من اهتمامي بإنجاز فرض مدرسي حول التسويق العملي. وبدلاً من تقديم امتحان في التاريخ، كنت أتبادل القبل والمداعبات مع أحد الشبان في حانة إسبريسو هاوس، كما لو أن حياتي كانت متوقفة على هذا.

كان خياراً واعياً.

في سنتي الثالثة، عندما بدأ الآخرون بالتحدث حول امتحانات القبول الجامعية ودُعينا إلى الجامعة من أجل إلقاء نظرة أقرب إلى برامجها، كنتُ مشغولة في التخطيط لرحلة مطوّلة إلى آسيا. كنتُ سئمة من لوند والسويد. شاهدتُ على اليوتيوب مقاطع فيديوهات من ماليزيا وإندونيسيا وسرعان ما أصبحتْ الرحلة هدفي الوحيد في الحياة. كنت توّاقة للمغامرة، والسهر، والحفلات، ورؤية أناس جدد، وطبيعة مُقتطَعَة من الجنة مباشرة.

فتّشتْ مستشارة التوجيه في مخازن خبرتها عن تفسيرات محتملة لأدائي الضعيف في المدرسة. مخدرات؟ اضطراب الأكل؟ طلاق؟ أنا متأكدة بأنه لم يبقَ لديها دافعاً واحداً لتخبرني إياه.

قالت المستشارة وهي تحدِّق فيَّ وكأن عالمها بأكمله كان سيتداعى: "والدك قس؟"

وكانت البومة بيم تسأل باستغراب في كل مرة يُذكَر فيها والدي: "قس؟" صحيح أنها لم تكن تتمتع بذاكرة مثالية حسب ظني، لكن ذلك لا يفسِّر ملامح الصدمة على وجهها.

"قس؟ في كنيسة السويد؟"

الأمر كله يتعلق بالسيطرة.

لا يصدِّق الناس ذلك أبداً. يتصوَّرون أن الحاجة للسيطرة سمة من سمات ذلك النوع من الأشخاص الذين يفقدون صوابهم إن وُضعتْ ورقة على الكدسة الخاطئة فوق مكاتبهم، أو أولئك الذين يرتِّبون خزانات ملابسهم بحسب درجات الألوان بالضبط. يفكِّر الناس في أشخاص عصابيين يُصابون بالذعر إن لم يتمكَّنوا من إفراغ صناديق بريدهم على الفور، ويجنُّ جنونهم لوجود بعض الفتات على الأريكة أو بسبب سطح مَجْلَى قذر. أشخاص يحتفظون دائماً بمعقِّم في حقائبهم.

لكن ما أتحدَّث عنه هو نوع مختلف من السيطرة. إنه يتعلق بعدم فقدان ماء الوجه، بعدم السماح لأي شخص بالاقتراب كثيراً.

لم أدرك أن عائلتي ليست الوحيدة التي تمتلك أسراراً إلى أن أصبحتُ في سن المراهقة. كان من المهم دائماً بالنسبة لأبي الحفاظ على واجهة لامعة أمام بقية العالم.

لا أعلم كم مرة سمعت فيها هذه الكلمات: "سنتحدث في الأمر عندما نصبح في البيت. هذا ليس شأن أي إنسان آخر".

لقد دُفعتُ للاعتقاد بأننا عائلة فريدة، بأننا العائلة الوحيدة التي تملك بعض القاذورات، وكان يجب كنسها ووضعها تحت السجادة. لعل السبب في ذلك كان يعود إلى عمل أبي. أظن أن القساوسة مقدَّر عليهم أن يعيشوا أجزاء من حياتهم الخاصة في السر.

كان أبي ملحداً عنيداً قبل أن يهديه الرب. منذ سنوات رأيتُ صحيفة مدرسية قديمة كتب فيها عموداً. أعتقد أن ذلك كان في بداية دراسته الثانوية.

كان يكره الدين حقاً، وقد كتب أشياء حول أن المسيحية مضلّلة، أمانٌ وهميٌ مزّقَ العالم، وأنه يجب النظر إلى المعمودية على أنها إساءة للأطفال الأبرياء. ودعا القساوسة بالنصّابين والعباءات السوداء.

تساءلتُ في بعض الأحيان إن كان كل شيء سيصبح مختلفاً لو كانت مهنة أبـي مختلفة. لو كان موظفاً مكتبياً، أو إدرايا متوسط المستوى، أو أكاديمياً من نوع ما، مثل الآباء العاديين.

إذا شئتَ الصدق، أعتقد أنني وأبـي متشابهان كثيراً؛ في العمق. أنا أيضاً تستحوذ عليَّ الأفكار بسهولة -يمكن أن أنجذب كلياً لشيء يبدو ضرورياً حقاً في لحظة ما. في الصف الخامس، كنت أمثّل التعريف المثالي للمهووسين بهاري بوتر. لقد قرأتُ الكتب بالسويدية والإنكليزية، وشاهدتُ جميع الأفلام ما لا يقل عن عشرين مرة، وكتبتُ قصصاً طويلة من وحي هذه الأفلام -أدب معجبين- على الإنترنت إلى أن أوشكت حياتي الاجتماعية على التوقف تماماً. وبعد سنة أو سنتين، مررتُ بفترة أدمنتُ فيها على موسيقا برودر دانييل، ووضع مكياج الراكوون، وإنفاق كل دقيقة صحو على منتدى هيلغون. توجد بعض سمات التوحُّد في جيناتنا. لحسن الحظ قررتُ مبكراً تجنُّب كل أشكال الدين، بعكس أبـي.

وكان يحب مداعبتي بقوله: "لا تقولي لا أبداً. لم أدرك أن هذا هو اختياري أيضاً، إلى أن أصبحت في الثامنة عشرة".

وكنت أرد بالقول: "أفضِّل تنظيف المراحيض. أقصد، أفضِّل أن أصبح واحدة من نساء 'العصر الجديد' وإمضاء عطلات عارية في غانا ومضغ القات".

"سوف نرى". وضحك أبـي، ولكن بتوتر واضح.

مثل كل شاب وشابة في التاسعة عشرة، أمضيتُ ساعات في التفكير بالمستقبل، بالتعليم والمهن المتنوعة. ليس كالعمل على ماكينة المحاسبة في إتش آند إم؛ ترسم ابتسامة البائع من الخامسة حتى العاشرة ثم تهجرها بعد خمس دقائق من الإغلاق. من المؤكد أنني سأتركه إلى شركة تشاهول إن عرضوا عليّ ألف كرونة زيادة في الشهر. ويمكنني بالسهولة نفسها العمل على ماكينة المحاسبة في

شركة كلاس هولسن أو سيبا. من يبالي؟ النقود هي الشيء الوحيد الذي سأفتقده إن فقدت العمل. ولا شك أنني سأفتقدها.

لا، لا أعتقد أن أبي كان يعلم بماذا كان يقحم نفسه عندما أصبح قساً. في هذه الأيام، إنه يبذل قصارى جهده كي يكون متوافقاً مع هذا النموذج؛ الواعظ المثالي، والأب المثالي، والإنسان المثالي. هذا ما نحاول، نحن الشابات اليافعات، فعله تماماً. من الواضح أننا لسنا الوحيدات.

من الواضح أنك ستشعر بالضيق والألم إن لم تلائم هذا القالب تماماً، إلى أن يبدأ بالتصدُّع في نهاية المطاف.

ما رأيكِ يا شيرين؟ ليس تحليلاً نفسياً سيئاً، أليس كذلك؟ خمس سنوات في برنامج علم النفس، وعلامات عليا في جميع موادك في المدرسة الثانوية، هل كان ذلك يستحق حقاً كل ذلك العناء؟

أنا أفضل طبيبة نفسية لذاتي.

لن أفهم أبداً أولئك الأشخاص الذين ينفتحون مثل زجاجات شمبانيا مخضوضة ما إن يميل شخص ما رأسه ويُعيرهم أذناً صاغية. الأشخاص الذين يكشفون كل شيء في مدوِّنة، أو على وسائل التواصل؛ أشخاص يوشمون كلمات على سواعدهم تتحدث عن آلامهم، ويعذّبون كل شخص يصادفونه بتحليلهم الذاتي المثير للشفقة.

لدي صديقة واحدة فقط، شخص واحد على الأرض يعرف كل شيء عني ويفهم كل ما أشعر وأفكر به، وأفعله. يا ليتني أستطيع التحدث معها الآن. أنا بحاجة إليها. لا أعلم ماذا أفعل بدون أمينة. لا أعلم إن كان بوسعي التكيُّف. في الليلة الماضية، ضربتُ رأسي فعلاً على الجدار وصرختُ بصوت عالٍ جداً لدرجة أن أذناي توجّعتا. الشيء الوحيد الذي سيكون أشد سوءاً من وضعي الآن هو احتجاز أمينة. ذات يوم، ظننتُ أنني رأيتها بينما كان الحرّاس يقودونني إلى المصعد، فالتفتُّ وصرخت باسمها، لكن الشعر الأسود كان يخفي وجهاً غريباً. هذه الزنزانة تدفعني إلى الجنون.

48

بدت آغنس ثيلين شبه اعتذارية حين شرحتْ لي بأنني كنت متَّهمة. كانت أفكاري تدور مثل زوبعة. متَّهمة؟ أسندتُ ظهري وغرقتُ في كرسيِّي وحاولت استجماع نفسي.

كنت ما أزال مشوّشة حين دخل المحامي بعد فترة قصيرة وطلب التحدُّث معي على انفراد.

وقال وهو يضع يده اليسرى على كتفي ويضغط على يدي اليمنى: "سوف نجد حلاً لهذا الأمر. لا تقلقي".

كانت يده ضخمة ودبقة ويبدو خليطاً من توني سوبرانو ولاسيه بيرغهاغن. أسمر، بحجم دب، ويضع سلسلة ذهبية حول رقبته وأخرى حول معصمه، ويرتدي قميصاً سماوي اللون مفتوح الأزرار الثلاثة العلوية. كان يبدو من النوع الذي يقود سيارته الضخمة SUV إلى منزله المخصص لعائلة واحدة رغم أنه من المفترَض أن يكون الحيُّ خالياً من السيارات. من النوع الذي يمتلك شوّاية بحجم عربة منامة في الحديقة الخلفية ويعتقد أن كل شيء كان أفضل حين كان شاباً، مع أنه لا يشعر أبداً بأنه أكبر من ثلاثة وعشرين عاماً. أنا واثقة بأنه يحتل مرتبة عالية في لوائح المضاجعة للأمهات الشابات المطلقات.

قلت له: "إذاً هذا هو شكلك؟"

"ماذا تقصدين؟"

"لم أكن أتذكَّرك تماماً".

سألني المحامي: "هل التقينا من قبل؟"

"أعتقد ذلك".

اشتعل ضوء في رأسه.

"ستيلا ساندل. كان يجب أن أدرك ذلك. ابنة أولريكا؟"

أومأتُ برأسي مؤكّدةً.

قال: "سيكون الأمر سريعاً. ليس لديهم أي شيء عليكِ. بعض أفراد الشرطة في هذه الأيام متحمِّسون على نحو مريع. لديهم كتّيبهم الإرشادي وأشياء يتبعونها. يظنون أن الساعات القليلة الأولى حاسمة تماماً ولهذا السبب يُمسكون بالخيار الأفضل الأول، سواء أكان ذلك نحو الأفضل أم الأسوأ".

جلس متباعد الساقين ووضع يديه الضخمتين على ركبتيه.

قلتُ له: "ولكن لابد أنهم يملكون شيئاً ما. قالوا إن هناك شاهدة أشارتْ إلي في صورة ما".

"لا يمكن تسميتها شاهدة. فتاة سخيفة تدّعي أنها رأتكِ من نافذة. في الظلام! وهي واثقة مائة بالمائة بأن من رأتها هي أنتِ، رغم أنها لا تعرفكِ. لا، هذه ليست شاهدة بكل معنى الكلمة".

كان باستطاعتي تخيُّلها. شكل مظلّل في نافذة في الطابق الثاني. هل هذا حقاً كل ما لديهم؟ أهذا هو السبب الحقيقي لوجودي هنا؟

قال بلومبيرغ: "يريدون متابعة استجوابك بأسرع وقت ممكن. أنتِ محظوظة. آغنس ثيلين واحدة من أكثر الأشخاص عقلانيةً في هذا المكان. من الجيد التحدث معها".

وقف وعبث في هاتفه الخلوي قليلاً، ممسكاً به على بُعْد نصف سنتيمتر من أنفه. يبدو أن فكرة ارتداء نظارة كانت تجعله يشعر بأنه كبير في السن أو بشع، أو ربما كلاهما.

قال بصوت منخفض: "نسيتُ عدساتي اللاصقة".

شعرتُ حين وقفاُ وكأن ساقيَّ كانتا مثل معكرونة سُلقتْ جيداً. مشى المحامي قبلي نحو الباب.

"إذاً ماذا يُفترَض بي أن أقول؟"

التفتَ بلومبيرغ بسرعة كبيرة لدرجة أن شعره نزل وغطى إحدى عينيه.

"ماذا تقصدين؟"

"ماذا يجدر بي أن أقول للشرطة؟"

"ما حدث بالضبط".

رمقني بنظرة فاحصة متمهِّلة من الأعلى إلى الأسفل فرفعتُ بلوزتي عند الصدر. شعرتُ كما لو كنت قطة عرض. ثم رفع المحامي يده ورفع شعره ومسح عرَقَه.

قلت له: "هل هذا هو كل ما لديك؟ *ما حدث بالضبط*. هذه هي استراتيجيتك؟"

انكمش بلومبيرغ قليلاً.

"عمَّ تتحدثين؟"

"يُفترَض أن تكون واحداً من أولئك المحامين البارزين. ألم تربح مجموعة من القضايا الكبيرة؟ ألم تكن تملك استراتيجية أفضل في تلك الحالات أيضاً؟"

قال بلومبيرغ بحدة: "ماذا تريدين على وجه التحديد؟"

لقد نجحتُ في إثارة الشك في داخله. قال أحد الفلاسفة ذات مرة إن المعرفة قوة. هذا صحيح بدون شك. جهل الآخرين يمثّل عامل تأثير قوياً.

قلت له: "ماذا لو أنني فعلتها؟"

في تلك اللحظات، كانت هيئة بلومبيرغ قد تحوَّلت بشكل كلي. لقد دخل إلى هنا مثل ذكر مسيطر خارج مباشرة من سرير التسمير، لكنه أصبح مثل صبي صغير شاحب.

فكَّرتُ في شعار والدي؛ بأن الكذب مهارة نادرة. هل كان بلومبيرغ يشاطره هذا الاعتقاد؟

قال بلومبيرغ: "ولماذا تفعلين شيئاً كهذا؟"

كان، بالطبع، سؤالاً وجيهاً.

49

يجلب لي تيدي كتاباً مؤلفاً من ثلاثمائة وسبع عشرة صفحة بلا أي فراغ بين الأسطر -ليس هناك أي مجال لتلتقط أنفاسك. أقلّبُ صفحاته بلهفة. وأقرأ الجملة الأولى: *كان صيفاً حارًا ورطباً وغريباً؛ الصيف الذي أعدموا فيه آل روزنبيرغ، ولم أكن أعلم ماذا كنت أفعل في نيويورك.*

كنتُ سأضحك لو أن هذا حدث معي قبل ستة أشهر فقط. لو أن أحد المعلّمين أعطاني كتاباً عمره خمسين سنة مليئاً بجمل طويلة وإشارات لا أفهمها، كنت سأفترض أنها نكتة سمجة، حتى لو كان للمعلّم غرّة تانتان وهيئة عضو في فرقة موسيقية شابة، ويُدعى تيدي.

أعتقد أنني الوحيدة التي تدعوه بهذا الاسم، ولكن مع ذلك.

لا يمكنني أن أتذكّر متى كانت آخر مرة قرأت فيها كتاباً كاملاً. لم يكن بمقدوري الجلوس بتركيز لمدة كافية، فبعد بضع دقائق كانت أفكاري تشرد وأنسى تماماً ما قرأته وأضطر للقراءة من جديد. لكن الوضع مختلف هنا. إنني أتوق لأي شيء يخطف ذهني لبعض الوقت. لقد سئمتُ بشدة من نفسي.

أسأل تيدي: "كيف تمكّنتَ من إقناع المدّعية؟"

"في الواقع، لم يكن ذلك يسيراً. أرادتْ أن تعرف ماهيّة الكتاب، والغاية من قراءته، وعلاقته بأهداف المنهاج وكل شيء. لكنني نجحتُ في النهاية".

"شكراً تيدي".

يبتسم ويبدو عليه السرور. لم يكن يمانع تسميتي له بتيدي. عندما قدَّم نفسه لي لأول مرة باسم بيورن، سألته إن كان يملك لقباً.

فأجاب: "لا، بيورن فقط".

"فقط بيورن؟"

قررتُ أن أطلق عليه لقباً. أحب الألقاب. في المدرسة الابتدائية سمّوني

"نجمة" منذ أن اكتشفوا معنى اسمي، لكنه أصبح يبدو مثيراً للشفقة بعد بعض الوقت. وغالباً ما كنتُ أدعو أمينة "ميني"، لكنني توقفتُ عن ذلك عندما أخبرني أبي بأن دينو لم يكن يعجبه الاسم. هذا الرجل يجب أن يمتلك رأياً في كل شيء. كان يدعو أمينة "بيتبول" الصغيرة [نوع من الكلاب].

لكن تيدي يبدو حقاً مثل دبدوب، ناعماً ومحبَّباً مع وجنتيْن كرويّتيْن. أتساءل إن كنتُ سأشعر بمثل هذا الانجذاب نحوه لو كان الظرف مختلفاً؛ لو كنا في مكان آخر، لولا رائحة زنزانتي والأفكار التي تكاد تدفع جمجمتي للانفجار إلى ألف قطعة. لو أنني رأيتُ تيدي في البار الخارجي في ليلا تورغ في إحدى أمسيات الصيف، لربما لم أكن حتى لألاحظ وجوده.

لكنني الآن أجلس قريبةً منه قدر الإمكان دون أن يخطر في ذهنه أي شيء أو يُبدي احتجاجاً يتعلق بالتحرش الجنسي.

أسأله وأنا ألقي نظرة إلى فقرة التعريف بالكتاب: "إذاً أي نوع من الكتب هذا الكتاب؟"

"نسَوي كلاسيكي إلى حد ما".

أرفع حاجباً واحداً.

"جربِّيه. أعتقد أنكِ ستحبينه".

أشتري كوكاكولا كبيرة وقطعتين من قضبان دايم من عربة سوبرماركت السجن. الحارسة التي تعيدني إلى الزنزانة جديدة. لابد أنها واحدة من الموظفين المؤقتين الذين يأتون ويرحلون بصفة دائمة. تحدِّق فيَّ بفزع بينما كنت أمشي بتلكُّئ في طريق العودة إلى غرفتي ذات الرائحة النتنة والبالغة مساحتها ثلاثين متراً مربعاً. تظل الحارسة الجديدة واقفة في الباب وأشعر بعينيها تتلوّيان حول جسدي مثل بزّاقة مرعوبة.

إلى أن أقول: "ما المشكلة بحق الجحيم؟"

يرتدُّ رأسها بارتعاش إلى الوراء وتجحظ عيناها.

تبدو فتاة عادية تماماً. النوع الذي تُنهي برنامج العلوم الاجتماعية بعلامات جيدة، وتشتري ثيابها من محلات نيلي وفيرو مودا، وتحب كلمات أغنيات

هو كان هيلسترون فقط لأنه يفهم. أنا واثقة بأنني وهي كنا سنصبح صديقتين في ظروف أخرى.

تقول وهي تخفي وجهها بيدها: "لا شيء. لا شيء".

يبدو من صوت خشخشة المفاتيح أنها متوترة بشدة. حالما أسمع صوت طقطقة قفل الباب أستلقي على السرير مع كتابي وفمي مليء بالدايم والكوكا. أخيراً يمكنني التخلّص من نفسي لبعض الوقت. بفضل الكتاب ينفتح عالم مختلف في ذهني فأُقحم نفسي فيه بلهفة. لا أرغب أبداً في الخروج منه والعودة مجدداً إلى هذه النزنزانة اللعينة.

حتى إنني لا أشم رائحتها وأنا أقرأ.

يعود تيدي في صباح اليوم التالي.

"لقد أنهيتُه. هل يجب علي كتابة مراجعة، أم ماذا؟"

أرمي الكتاب على السرير، لكنك لو نظرتَ إلى وجه تيدي لظننتَ أنه سقط على أصابع قدمه.

"ماذا؟ بهذه السرعة؟"

أرفع كتفيّ.

"ماذا حدث؟ هل أعجبكِ؟"

"كان مُحبطاً بطريقة فظيعة".

"أجل هذا صحيح".

يبدو وجه تيدي مثقلاً بالذنب.

لا أعلم لماذا لا أقول الحقيقة، وهي إنني أحببت الكتاب، وإنه جعلني حانقة وحزينة. ولكن، ليس لدي أي مشكلة بخصوص شعوري بالحنق والحزن، فأنا بحاجة لهذه المشاعر. ولم أكن سأسامح تيدي لو أنني جلب لي كتاباً مليئاً بأشعة الشمس.

"إذاً، هل يُفترَض بي كتابة مراجعة؟"

يضحك تيدي بفم مفتوح. وعندما يضحك، يُذكّرني بالجمل.

"كتابة مراجعة؟ هل هذا هو رأيك في حصة اللغة السويدية؟"

لا أعلم ماذا يقصد حقاً. ما المشكلة بالمراجعات؟

أسأله: "هل يمكنك أن تجلب لي المزيد من الكتب؟ من المؤكد أن كتاباً واحداً لا يكفي للنجاح في المادة".

ترتسم على وجهه ابتسامة واسعة تمتد من العين إلى العين. يبدو حقاً حلم أي حماة مع ابتسامته هذه؛ إن لم تسمع ضحكة الجمل بالطبع. كانت أمي ستحبه، أنا واثقة من هذا. في الواقع، إذا كان أصغر بعقد أو اثنين.

"بالطبع سأجلب لكِ المزيد من الكتب".

"عظيم".

يجلس بجانب المنضدة، ويضع عليها حافظات أوراقه، ويفتح سحّاب محفظة أقلامه الرصاص غير الذكورية إلى حد بعيد، فهي مغطاة بالحيوانات الملوَّنة بجميع ألوان قوس قزح.

تفوح منه رائحة جميلة. ليس عطراً رجولياً ثقيلاً، ولا حتى كولونيا. ولا أظن أنها مجرد صابونة. هل يمكن أن تكون رائحة مطرّي أقمشة خفيفة تفوح من ثيابه؟ تفوح منه رائحة إنسان طبيعي.

تأتي الدموع بشكل مفاجئ. لا أعرف لماذا. لعلها فكرة احتكّتْ بالصدفة بشيء يثير الحرقة. أشدُّ راحتيْ يديَّ على وجهي فأحسُّ بالألم والوخز فيه. وأفكر في إستر في الكتاب، والمستشفى العقلي.

يسألني تيدي بصوت رقيق: "هل أنت بخير؟"

لا يمكنني الإجابة على سؤاله. أي شيء سأحاول قوله سيبدو تافهاً، وربما غير مفهوم. لقد تحطّمتْ حياتي. كريس ميت وأنا حوَّلتُ كل شيء إلى فوضى. كيف سأقدر على النظر في عيني أمي وأبي مرة أخرى؟ ليس هناك حل الآن، سوى الهرب.

أقول لتيدي: "أريدك أن تغادر الآن".

كل ما أستحقه هو الظلام.

50

لطالما قيل لنا أنا وأمينة إننا ثنائي غريب، فهي عقلانية وهادئة وملتزمة بالقواعد، وأنا طائشة وصاخبة وأجد دائماً قاعدة سخيفة لكسرها.

ولكن، خلف هذه الأوجه الظاهرية، نحن متشابهتان إلى حد كبير. لطالما رأيت نفسي منعكسة في أمينة. من الداخل، نحن من لحم ودم واحد لكننا نختار فقط إظهار أشياء مختلفة للعالم الخارجي. هكذا تجري الأمور. كلنا نملك أسراراً وأعماقاً وظلمة لا يُسمَح إلا لقلة من الأشخاص رؤيتها. إذا حفرتَ عميقاً بعض الشيء، فمن السهل عليك إيجاد بعض القذارة المخيفة في داخل كل شخص. وأمينة ليست استثناء أبداً.

تمنّيتُ حقاً لو أنها كانت موجودة في مخيم القبول في الكنيسة. أعتقد بصدق أن الأمور كانت ستتخذ منحىً مختلفاً. ليس المخيم فحسب -كل شيء.

تأثير الفراشة؛ هكذا يُدعَى. خفقة جناحين واحدة من فراشة يمكن أن تخلّف عواقب هائلة وتؤثر في كل ما يحدث.

لم تتجرّأ أمينة حتى على أن تسأل والديها إن كان بوسعها المجيء. أنا واثقة بأن أمها لم تكن ستمانع، لكن والدها مسلم -مع أنني لم أره يوماً يفعل أي شيء له علاقة بالإسلام، بل العكس في كثير من الأحيان. دينو يعشق الجعة و لم ينوِ يوماً الصوم أو الركوع موجِّهاً قبلته نحو مكة. إضافة إلى ذلك، لابد أن لله رأيٍ في الكلمات المكوَّنة من أربعة أحرف التي كان دينو يستخدمها صراخاً في مبارياتنا في كرة اليد.

بيد أن ذلك ليس مهماً فأمينة لم تكن لتسأل إن كان بوسعها الذهاب إلى المخيم. كانت مسلمة وكان من المهم الإفصاح عن كونها مسلمة، رغم أن أحداً لم يكن يبالي حقاً. اللعنة، كانوا يأكلون النقانق المعدّة في المنزل، لكنها في المدرسة كانت دائماً تجلب طعامها "من لحم البقر".

أنا واثقة بأن أمينة كانت ستمنعني. ليتها كانت موجودة هناك في المخيم بجانب البحيرة الصغيرة. كانت ستقول لي كم هي فكرة حمقاء. كانت ستوقظ شيئاً من الوعي في داخلي وتتصرف كأخت كبرى وتقنعني بالبقاء في غرفتنا ولعب الورق مع مرشحات أخريات.

لم أكن سأذهب مع روبن لو كانت أمينة هناك.

لم أكن ربما لأكون جالسة هنا الآن.

تأثير الفراشة.

في عطلة الصيف بين الصفين السابع والثامن، سافرنا إلى بلدة دانماركية مملّة من أجل المنافسة في إحدى بطولات كرة اليد. وكالعادة، جلبنا الميداليات الذهبية وكنت الهدّافة. نمنا على مفارش قابلة للنفخ في صفوف مدرسية حارّة وملأى بالشخير، وأُقيمتْ رقصات في خيمة في باحة المدرسة في ليلتيْن من فترة إقامتنا.

منذ اليوم الأول لاحَقَتنا أنا وأمينة مجموعة من الشبّان الكرواتيين كانوا يكبروننا ببضع سنوات. كانت أعينهم بنية لا تُقاوم وكانوا يتمتعون بعضلات قوية على الصدر والذراعين جعلت اللعاب يسيل في فمي. في البداية، حاولنا التظاهر بأننا من اللواتي يصعب الوصول إليهن فتجاهلناهما أو أثرنا غيظهما، غالباً لأن هذا ما ينبغي لكل الفتيات فعله دائماً. ولكن، خلال مباراتنا الأخيرة في مرحلة المجموعات، جلسوا في مقاعد الجمهورر ورراحوا يطلقون عواء الذئب استهجاناً كلما لمست أمينة أو أنا الكرة، وفي تلك الليلة لحقنا بالكرواتيين بعيداً عن الرقص وجلسنا في دائرة كبيرة بجانب الشاطئ. كانت طيور النورس تدور فوق رؤوس الأشجار والأمواج تجرف معها زَبَداً أبيض نحو الرمال، مرَّر الشبّان سيجارة بيننا و لم أدرك أنها ليست سيجارة عادية إلا عدما وصلت إلى يدي.

قال لوكا بالإنكليزية: "ليست قوية".

كانت عيناه الخضراوان كعيني القطة تلمعان في الظلام. أردته منذ اللحظة التي وقعتْ فيها عيناي عليه. أما أمينة فكانت منجذبة إلى الحارس الكرواتي.

أخذتُ بضع سَحبات وسعلت وضحكت، وببطءٍ بدأتِ الأصوات من

حولي تتباطأ وتضعف، ولكن لم يحدث أكثر من ذلك.

وحين وصلت السيجارة إلى أمينة بدأت تتلوّى رافضةً أخذها.

فقلت: "إنها لا تريدها".

نظر لوكا والشاب الآخر إليّ بفضول.

قلت وأنا أمد يدي للسيجارة: "يجب أن تحترمها".

وبعد ساعة كنت مستلقية على ظهري في تجويف خفي مع لوكا الذي كان يقبِّل رقبتي، المليئة بآثار القُبَل، قبل أن يضع أصابعه داخلي ويحاول إثارة افتتاني بعبارات سمعها من أفلام إباحية.

عطلة صيفية. عندما أفكر فيها الآن، يبدو لي كأن دهراً انقضى منذ ذلك الحين، لكنه في الواقع كان مجرد صيف واحد. لقد انتقلتْ حياتنا إلى درجة أعلى وبدا كأن العالم بأكمله انفتح أمامنا.

كنت في الرابعة عشرة، وكان كل شيء يشكِّل مغامرة بالنسبة لي. في نظري أنا، كنتُ بالغة عملياً، وبالتأكيد لم أكن بحاجة لأي أب أو أم يتدخّلان في حياتي. في ذلك الحين، أصبحتُ أجد صعوبة متزايدة في السيطرة على مشاعري وكل يوم كان أَشْبَهَ بمعركة.

كانت أمي تتحاشى كل شيء، في أغلب الأحيان. كانت غائبة، تعمل حتى وقت متأخر وتعاني من نوبات صداع. ولكن، ليس أبي، الذي كان يبحث عني في جميع أنحاء المدينة إذا لم أعد إلى المنزل في الموعد المتوقع. كنتُ أعلم بأنه كان يفتِّش في جيوبي، وكان في كل ليلة يقف في المدخل مثل حارس ملهى ليلي لعين.

كان ينحني كي أتمكن من الزفير في وجهه وهو يقول: "انفخي".

"مرة أخرى".

كان يشم الهواء مثل كلب، ويحدِّق فيّ بارتياب.

"لم تكوني تدخنين، أليس كذلك؟"

الشيء المضحك هو أنني كنت متأكدة بأن أبي لم يكن سيميّز رائحة الحشيش حتى لو أشعلتُ سيجارة ماريجوانا تحت أنفه.

غير أن قلقه لم يكن يفتقر إلى الأساس، في الواقع. بعد رحلة الدانمارك، بدأتُ أحب مذاق الحشيش و لم يطل بي الوقت حتى أصبحت أدخن كل يوم. كانت تزيل أفكاري وتجعلني عديمة الوزن وحرة.

والمثير للسخرية هو أنني، رغم ذلك، كنت أخاف من أمي أكثر من أبي.

قلتُ لأمينة وأنا أمسك بها من كلتا ذراعيها: "عديني بأنك لن تخبري أمي".

"أقسم لكِ".

"على القرآن؟"

"على أي كتاب تريدين؟"

لطالما ربطتْ أمي وأمينة علاقة خاصة إلى حد ما، وفي ذلك الصيف بدا وكأنهما أصبحتا أشد قرباً. كنت آتي إلى المنزل فأجدهما في الباحة تضحكان على شيء ما لم تتمكّنا يوماً من إقناعي بأنه كان مضحكاً إلى تلك الدرجة.

كنتُ قد تعرَّفت على مجموعة من الشبان من لاندسكرونا كان بمقدورهم الحصول على الكحول والماريجوانا. كانوا يشاركونني كل شيء وكنت أشعر بأنني أكثر حيوية من أي وقت مضى. ذات ليلة هربت من المنزل ونمت تحت النجوم على جزيرة فين. فقدتُ عذريتي في أجمة خشنة وأقمتُ علاقة لمدة أسبوعين مع شاب دانماركي يُدعى ميكيل.

كان كل شيء يبدو وكأنه يرقص ويبتسم حين كنت أملأ رئتيَّ بالدخان.

قالت لي أمينة: "لا يعجبني هذا. ولعك بكل ذلك".

"لست *مولعة* بها. إنها للتسلية فقط. للصيف".

رغم أننا ابتعدنا عن بعضنا لبعض الوقت لأن أمينة كانت تفضِّل تحاشي عصبة لاندسكرونا، إلا أنني لم أشك يوماً في صداقتنا. لطالما كانت أمينة بجانبي عند الحاجة.

كان ما يزال هناك أسبوع واحد فقط على عطلة الصيف عندما وجدتها تنتظر خارج منزلنا ذات مساء.

"لحق والدك بي بعد التدريب".

"ماذا؟"

ارتجفتُ فشددتُ عليَّ سترتي. كانت كرة اليد قد بدأتْ من جديد، لكنني فوَّتُّ التمرين الأول. لم أكن أشعر بالرغبة في اللعب.

"ماذا فعل؟"

كانت الدموع تترقرق في عيني أمينة.

"كان يضغط عليّ، ويطرح أطناناً من الأسئلة. مع من تقضي وقتك، وإذا كنتِ مرتبطة بعلاقة مع شخص ما، وإذا كنتِ تمارسين الجنس أم لا".

"إذا كنا نمارس الجنس؟" لم أستطع حقاً تصديق أذناي. "سألكِ إذا كنتُ أمارس الجنس؟"

أومأتْ أمينة برأسها مؤكّدة.

"وما إذا كنتِ تدخنين وتشربين وأشياء أخرى".

"هذا شيء مَرَضيّ. جدِّياً، هذا ليس أمراً صحياً".

نقلتْ أمينة وزنها من قدم إلى أخرى وأبعدت شعرها عن وجنتيها. كانت مذعورة. لقد هدّدها والدي بإبلاغ دينو، رغم أن أمينة لم تكن تشرب أو تدخن أو أي من هذه القاذورات. ولم تكن تتسكع مع أولئك الأشخاص. كانت تفضِّل البقاء في المنزل ومشاهدة التلفاز، ولعب كرة اليد أو كرة السلة، وإمضاء الوقت مع أشخاص من صفّنا. ولم تأتِ يوماً معي إلى لاندسكرونا إلا من أجلي.

كان من غير المنصف أبداً أن يهاجمها أبي.

بعد بضعة أيام، التقينا خارج المحطة الرئيسية. كانت أمينة متعبة وبلا أية مساحيق تجميل -بدتْ مثل جثة لعينة.

قالت: "أنا آسفة، آسفة، آسفة".

أمسكتُها من ذراعها وسحبتها إلى المنصة الفارغة، ثم أبعدت شعرها عن وجهها وربَّتُّ على وجنتيها.

"ماذا يجري؟ أخبريني".

كانت أنفاسها غير منتظمة.

قالت بهدوء: "والدك. لقد أخبرتُه. كنت مضطرة".

"ماذا قلتِ؟"

طأطأتْ رأسها وراحت تبكي. لم أستطع منع نفسي فهززتها من كتفيها.

"ماذا أخبرتِ أبـــي؟"

لم تتمكّن إلا من إخراج بضع كلمات في كل مرة.

"كنتُ مجبرة... لقد أمسكني... بقوة... ذراعي".

قلت لها: "ذلك السافل! ماذا أخبرته؟"

هزَّتْ رأسها بيأس.

"الحشيش". بكتْ. "أخبرته بشأن الحشيش".

حدَّقتُ فيها. أعزُّ صديقة لدي منذ الأزل. توأم روحي. الشخص الوحيـــد الذي كان يعرفني حقاً.

كانت خيانة كبرى. لا توصَف.

"كيف استطعتِ فعل ذلك؟"

مسحتْ أمينة عينيها.

راقبتُها بينما كانت يدي تنقبض وعضلاتي تتقلص وتتـــوتر. لم أســـتطع السيطرة على نفسي. طارت قبضتيَ في الهواء وكان الأمر يبدو كما لو أنني كنت أشاهد ما يحدث من الخارج؛ كأنه فيلم.

لم يتسنَّ لأمينة أية فرصة. صدمَتْها مفاصل أصابعي في الوجنة تماماً. وصدر عن اللكمة صوت خبطة وأحسستُ بنشوة عظيمة. أفضل من المخـــدرات. لم أشعر يوماً بأي شيء في أي مكان يشبه ذلك الشعور.

51

لا يطرق الحراس على الباب. يدور المفتاح في القفل وبعد لحظة، تجدهم واقفين في الغرفة.

إنه جيمي ذو السكسوكة وتلك الفتاة الجديدة، التي كانت تحدِّق فيَّ من الأعلى إلى الأسفل بجانب عربة السوبرماكت في ذلك اليوم. لقد جاءا لأخذ صينية وجبتي.

يقول جيمي مبتسماً: "ليست لذيذة اليوم؟"

لقد تركتُ كومة من الفاصولياء المطبوخة على طبقي. لستُ انتقائية، فأنا آكل معظم الأنواع، ولكن ليس الفاصولياء المطبوخة. لا أستطيع.

أسألهما: "يوجد سوبرماركت الليلة، صحيح؟"

ما يزال جيمي مبتسماً. أعتقد أنه يمشي دائماً راسماً هذه الابتسامة على وجهه. ليست ودودة على الإطلاق. تبدو ابتسامة غرور، كما لو أنه يبتسم لروعته الذاتية المتخيَّلَة.

"سنرى. من السهل جداً نسيان فتح باب شخص ما، أليس كذلك يا إلسا؟"

لا تجيب الفتاة الجديدة. وبالكاد ترفع رأسها. لعلها تريد تحاشي التورّط فيما بيننا.

أقول بصوت واضح على نحو مبالَغ فيه: "سمعتِ ما قاله يا إلسا. أنتِ شاهدتي. إذا لم يُسمَح لي شراء أي شيء هذه الليلة..."

أصمت. الأمر لا يستحق العناء. يستحيل الفوز مع شخص مثل جيمي.

يقول جيمي وهو يضحك بصوت عال: "لابد أنك تمزحين معي".

يعطي الصينية لإلسا. تتلاشى ابتسامته وينظر إليّ باشمئزاز.

"هل صحيح أنكِ طعنتِه مرة تلو المرة؟"

أشعر بالصراع الداخلي. أعلم بالضبط ما يريده ولا أنوي إعطاءه إياه.

يلتفت جيمي نحو إلسا.

"هل يمكنكِ أن تصدقي أن هذه الفتاة الحلوة قاتلة متوحشة؟"

ترمقه إلسا بنظرة مستجدية تقول إنها لا تريد شيئاً سوى الخروج من هنا، بعيداً عن الرائحة والعودة إلى عالمها الطبيعي حيث كل شيء يتكوّن من جِـــراءٍ وأقواس قزح.

لكن جيمي لا يستسلم.

"لن تظني ذلك أبداً، صحيح؟ أليس كذلك يا إلسا؟"

تنظر إلسا إلى قدميها.

وتقول: "لا يمكنكَ أن تعرف من النظر إلى الأشخاص أنهم قتلـــة، ألـــيس كذلك؟"

أقدِّر شجاعتها.

يقول جيمي مع ضحكة كريهة: *"أشخاص؟* هناك شخص واحـــد فقـــط نتحدث عنه هنا. اسمعي يا إلسا، لقد كنتُ ساذجاً أيضاً حين بدأت العمل هنا. سوف تتعلّمين. بعد خمس سنوات في هذا المكان ستدركين أن كل هذا هـــراء. في الواقع، يمكنكِ أن تعرفي تماماً من النظر إلى شخص ما أنه قمامة. معظم القتلة يبدون تماماً مثلما تتصورين؛ رحّالة خلّفت الشمس أثرها على بشرتهم، غجريون قذرون. لا يوجد بالكاد أي شيء مفاجئ".

تتسع عينا إلسا. تبدو كأنها تريد الخروج من جلدها.

أقول: "اصمتْ!"

لا أستطيع التزام الصمت ببساطة. هذه مشكلة لدي. لطالما طلب مني الناس الحفاظ على فمي مغلقاً -لستِ بحاجة لمشاركة كل رأي أو فكـــرة. غيـــاب التحكُّم بالدوافع؛ هكذا يسمّيه الأطباء النفسيون. في أحد الاختبارات، حصلتُ على أسوأ نتيجة ممكنة. أنا من الأولاد الذين يمكنهم ابتلاع حلوى الخطمي مرةً واحدة إذا سنحت لي الفرصة.

"من قال أن بإمكانكِ التحدث؟"

يمرِّر جيمي يده على سكسوكته وينفخ أنفاسه في وجهي مباشرة.

تقول إلسا من ورائه: "انسَ الأمر وحسب".

لكن جيمي لن ينسى الأمر.

إنه يبعد نحو نصف متر عني الآن، وعيناه تنضحان بالكره.

"أيتها العاهرة القاتلة القذرة. من الأفضل لك أن تفكري مرتين قبل أن تقولي أية كلمة".

لا يعلم أنني لا أملك أية سيطرة على دوافعي. لو أنه كان يعلم، لما فعل ذلك.

تقول إلسا بصوت آمر: "هذا يكفي". أعتقد أنها تجذبه من ذراعه أيضاً. "هذا يتخطى الحدود".

لقد أعجبتني.

"يتخطى الحدود؟" يلتفت جيمي بحدّة نحو إلسا فتجفل. "أية حدود لعينة؟"

"لا يُسمَح لك معاملةَ-"

"ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟ هل *تدافعين* عن هذه العاهرة القاتلة؟" يقذف بذراعه في الهواء غضباً.

فتقول إلسا: اهدأْ".

"أهدأ؟ من الأفضل لكِ التفكير في ما إذا كان هذا المكان مناسباً لك أم لا".

أشعر بالشفقة عليها. من الواضح أنها لا تنتمي إلى هنا. يُستحسَن بها العودة إلى حياتها في أرض الحكايات الخرافية التي أتت منها، حيث كل القصص تنتهي نهايات سعيدة.

يقول جيمي: "يوجد هنا جانبان فقط. إما أن تكوني في جانبنا، أو في جانبهم".

ثم يلتفت ببطء نحوي مجدداً.

كان ينبغي له أن يكون أكثر حكمة. كان ينبغي له تقدير الوضع بصورة أفضل. إنه ليس مبتدئاً، وأنا الشخص الوحيد هنا الذي يفتقد إلى السيطرة على دوافعه.

أقيسه بعينيَّ بشكل كامل وأصوِّب نحو هدف محدد. وفي اللحظة التي يصبح فيها واقفاً قبالتي، أوجّه له رفسة نحو منطقته التناسلية.

يتأوّه من الوجع ويسقط على الأرض.

ننظر أنا وإلسا إلى بعضنا بينما يتلوّى جيمي ألماً بين أقدامنا. رغم أنني أبيِّن لها بوضوح أنني لن أبدي أي مقاومة، إلا أنها تُسقطني على الأرض بحركة جودو معينة ثم تضع ركبتها على ظهري وتضغط بيدي بقوة على خدِّي فيلتصق خدّي الآخر بالأرض الوسخة.

يكفي شعور الأخوات ذاك.

سرعان ما تتلقى إلسا مساعدة من زميليْن آخرين، وبعد بضع ثوانٍ من المشاورة يقررون أخذي إلى زنزانة المراقبة.

يجرّوني جرّاً إلى خارج الغرفة وفي الطريق إلى المصعد أكفُّ عن المقاومة. لا فائدة من ذلك.

الهدف من زنزانة المراقبة هو حماية النزلاء من أنفسهم. إنها صغيرة ومظلمة، ولا يوجد فيها سوى فراش واحد على الأرض، وكل شيء تفعله مُراقَب عبر نافذة في الباب.

سأمضي الليلة بأكملها هنا. ولا يفيدني الطرْق على الجدار أو الصراخ أو التهديد بالإبلاغ عنهم.

عندما يفتحون الباب في الصباح ويعيدونني إلى غرفتي، لم أكن قد ذقت طعم النوم طوال الليل.

يقول الحارس الذي يفتح باب غرفتي: "الحمد لله على السلامة".

تغزو الرائحة دماغي.

أسقط على السرير فوراً وأنام حتى الغداء.

52

لم أغفر لنفسي حتى الآن أنني ضربت أمينة. بعد خمس سنوات، تعذبني الذكرى عدة مرات في كل أسبوع. أي نوع من الأشخاص تكون حين تضرب أعزّ أصدقائك؟

بعد لحظة واحدة من حدوث ذلك، شعرت بتصدُّع داخلي. ركضتُ في المكان مثل امرأة مجنونة منتشية من المخدرات، وأنا أزعق وألوِّح بذراعيّ. أردتُ فقط أن أمحو الدقائق القليلة الأخيرة وإعادتها بطريقة تنسجم مع ما يمكن أن يفعله أي شخص طبيعي.

أسوأ ما في الأمر هو أنني استمتعتُ بما فعلت؛ ذلك الشعور المحرِّر الرائع الذي اجتاحني حين ارتطمت مفاصل أصابعي بوجنتها.

كانت أمينة جالسة على المقعد بجانبي واضعةً رأسها بين يديها. باعدتُ بين ذراعيها وتفحّصتُ العين المتضرِّرة والتورُّم البنفسجي المحمرَّ الذي كان يكبر فوق خدِّها.

"أنا آسفة يا حبيبتي! أنا آسفة!"

لم تكن توجد أية طريقة لإصلاح ذلك. لا شيء يمكن أن يعود إلى حالته الطبيعية بعد ما حدث. لقد أفسدتُ الأمر. الثابت الوحيد في حياتي، الشيء الوحيد غير المشروط وغير المحدود، والذي كان يعني لي شيئاً حقاً، دمّرته.

ركعتُ وأمسكتُ بيديها بقوة. حدَّق فينا عابر سبيل. وتوقّف بضع أشخاص ليسألوا إن كان كل شيء على ما يُرام.

لا، لم يكن كل شيء على ما يرام. كان بعيداً كل البعيد عن أن يكون على ما يرام.

لقد ضربتُها. لقد آذيتُ أمينة.

قالت: "لا يهم. لقد استحقيتها".

"هراء! كل هذا خطأ أبـــي".

"لم يكن ينبغي لي قول أي شيء له. هل يمكنكِ أن تسامحيني؟"

"توقفي عن ذلك! لستِ الشخص الذي يجب أن يعتذر هنا!"

رغم ما قالته، إلا أنني أدركت أنك لا تستطيع مسامحة شخص على مثـــل هذا النوع من الأفعال. يمكنك أن تقول ذلك، وحتى أن تصدِّق نفسك، لكنك في أعماقك لن تنسى أبداً.

أرحنا جبينينا على بعضهما وبكينا.

في ذلك الشتاء، كنت بحاجة لأمينة أكثر من أي وقت مضـــى. كانـــت معنويات أمي في الحضيض وتقضي معظم وقتها في مكتبها. أحياناً كان يبدو لي أنها تفضِّل التحدث مع أمينة أكثر من التحدث معي. أقنعتُ نفسي بأنها كانـــت تحب مقايضتي بأمينة، ففي حين كنتُ أجلب لها الخيبة تلو الخيبة، كانت أمـــي، باعتقادي، ترى جوانب عديدة من نفسها في أمينة؛ الفتاة الطيبة الذكية الـــتي لم تفعل يوماً أي شيء خاطئ.

وفي الوقت نفسه، أصبح أبـــي شَكوكاً على نحو متزايد. كان يفـــتش في جيوبـــي وحقيبتي وغرفتي. كما طلب سجلات الهاتف ليرى بمن كنت أتصل. ودقق في تاريخ بحثي على الإنترنت في كمبيوتري وطلب مني كل كلمات المرور لدي.

كان ذلك من أجل صالحي. هكذا بدا الأمر. كان قلقاً علي.

أمضى أبـــي عدة سنوات يعمل مرشداً روحياً في أحد السجون، الأمـــر الذي يأتي على ذكره باستمرار. إنه يعلم ما يمكن أن تفعله المخدرات. لقد شاهد الكثير.

طوَّرتُ بسرعة استراتيجيات لتلبية متطلبات أبـــي رغم أنني واصلتُ عيش حياة منفلتة نسبياً من القيود. كنت أدخن الماريجوانا، ولكن كان هناك أكثر من ذلك بكثير -شبّان أقبِّلهم، وليالي متعة، وحفلات. تركتُ أبـــــي يفـــتش في ثيابـــي، ويشم نَفَسي، ويتمعّن في حدقتي، ويعتقد أنه يعرف كل ما كنت أنوي فعله. من الأسهل بكثير إخفاء شيء ما حين تعطي الانطباع بأنك شفاف.

عندما بدأ الحديث عن مخيم القبول يدور، أصغت السمع على الفور. كان هناك الكثير من الإشاعات المغرية بفضل مخيم السنة الماضية. كحول وجنس وسجائر. الكثير من الأنشطة المخالفة لأوامر الله. وفوق كل ذلك، رئيس مخيم يُدعى روبن كان -بحسب جميع المصادر- أجمل كائن يمكنك تصوُّره.

لم أكن مؤمنة في الله، كحال جميع الذاهبين إلى المخيم. معظمهم لم يكونوا يبالون ما داموا سيحصلون على هدايا ويمضون أسبوع تخييم ممتعاً. قد تكون هناك قوة عليا في مكان ما، لكن أهمية ذلك في حياة المراهقين مساوية لأهمية وجود حياة على المريخ من عدمها. كنت تقريباً الشخص الوحيد الذي يتخذ نوعاً من المواقف المؤثرة في المرات القليلة التي أُثيرت فيها مسائل الإيمان في المدرسة، وكان موقفي العدائي نحو الكنيسة والدين متعلّق في معظمه بأبي، بالطبع.

كنت أعلم تماماً كيف أخطط للأمر. إذا مُنح أبي أصغر ذرة أمل بأنني قد أطوِّر اهتماماً بالإنجيل، فإن إقناعه لن يتطلّب الكثير من الجهد.

سأل أمي على مائدة العشاء: "ما هو رأيك؟ هل يجب أن ندعها تذهب؟" كان ذلك قبل بضعة أيام فقط من تقديم الطلب.

ردّتْ أمي بنظرة فارغة من أي معنى.

"لا أدري. ربما".

كان هذا جوابها النموذجي خلال الأشهر الستة السابقة. كانت تنام لساعات قليلة في الليل، وتأكل مثل عارضة أزياء قياسها صفر، وتمشي في أرجاء المنزل مثل زومبي. كنتُ أجد صعوبة في التعامل مع لا مبالاتها. وبدلاً من محاولة التواصل معها، كنت أُبعد نفسي أكثر فأكثر عنها. رغم أن سلوكي في الأساس هو الذي وضع أمي على سكّة الانحدار، إلا أنه بدا لي بأن من واجبها إصلاح ذلك.

"أنتِ التي أنجبتني. لم أطلب أبداً أن أكون جزءاً من هذه العائلة".

طفولي؟ بالتأكيد، لكنني عملياً كنت ما أزال مراهقة.

عندما تحدَّث أبــي عن إرهاق أمي، وعن أنها اصطدمت بحــائط ويجــب عليها أن تأخذ بعض الوقت بعيداً عن العمل، عبَّرتُ عن احتجاجي.

"إنها تعمل طوال الوقت. لهذا السبب هي منهكة".

أسقطتْ أمي شوكتها على الأرض وأخذت وقتاً طويلاً جداً لالتقاطهـــا. عضّ أبــي على شفته السفلى.

قلت له: "تقول إنها ستعمل لمدة أقل، لكنها تسهر لوقت متأخر على العمل كل ليلة. ألا تفهم؟"

أظن أن أبــي كان يوافقني الرأي، لكنه لم يقل شيئاً. هل كانت هذه نوعاً من الاستراتيجية؟ بمعنى أنه كان يفضِّل أن تخرج مني أنا.

على أي حال، بُتَّ سريعاً بشأن السماح لي بالذهاب إلى مخــيم القبــول. وافق أبــي وأمي، وبدأتُ التخطيط على الفور.

جلبنا معنا مجموعة متنوعة من الدخان والكحول. حين تكون في الخامســة عشرة فقط، ليس بمقدورك أن تكون انتقائياً. ملأ أحدهم علبة شامبو بالشــراب والكحول من خزانة المشروبات الخاصة بوالده. وأخذ آخر نصــف زجاجــة شراب محلّي ومنكّه من قبو جدِّته. ونجحتْ فتاتان في إقناع سكِّير بشراء زجاجة صغيرة من فودكا إكسبلورر. كانت السجائر مخبّأة في حقائبنا، ملفوفة بــورق قصدير وموضوعة في علب بلاستيكية أو كرتونية.

ما زلت أذكر شعور الحرية في صدري بينما كانت الحافلة تخرج من ساحة ركن السيارات.

طارت الأيام القليلة الأولى من المخيم بسرعة كبيرة. لم يكن لدينا الوقــت حتى للتفكير في الزجاجات في قعر حقائبنا. وفي وقت متأخر من إحدى الليـــالي تسلَّلتُ إلى الأشجار مع بضعة أشخاص ودخّنتُ ثلاثة سجائر توالياً وظللــت أسعل تقريباً إلى أن تقيّأت. بل إن بعض الأشخاص ارتبطوا بعلاقة منــذ الليلــة الأولى وتبادلوا القبل والمداعبات تحت البطانيات في مهجعنا.

كانت هناك بحيرة وكنا نسبح فيها كل يوم. ذات صباح، وقف روبــن في الماء لفترة طويلة وهو ينظر حوله بعينين نصف مغمضتين وأشعة الشمس تــتلألأ

على صدره الرطب.

ركضت الفتيات الأخريات إلى الشاطئ وهن تقهقهن. كانت البحيرة ما تزال باردة جداً للبقاء فيها لفترة تزيد عن ربع ساعة تقريباً.

مشيتُ في الماء ببطء بجانب روبن ولاقيت نظرته وابتسمت. أعلم أنه ظل يراقبني بينما كنت أواصل الصعود إلى الشاطئ. استغرقتُ وقتاً مطوّلاً جداً في الانحناء لأخذ منشفتي.

كانت هناك مشرفتان واقفتين مبتسمتين على العشب في مكان غير بعيد عنا. رميتُ شعري الرطب إلى الخلف ولففتُ المنشفة حول جسدي قبل أن أعود أدراجي إلى المخيم.

كان يجب حقاً أن أُصاب بالدهشة، بل بالصدمة، لرؤية أبي هناك. لكن كل ما شعرت به هو حزن مؤلم.

كان واقفاً هناك كما لو أن كل شيء كان طبيعياً، ورمقني بابتسامة مترددة. لم يكن باستطاعته منحي حتى هذه. حتى هذه.

قلتُ له اذهبْ إلى الجحيم. ثم ركضتُ طوال الطريق باتجاه المباني.

في تلك اللحظة حزمتُ أمري.

أبي نبوءة ذاتية التحقق. إذا كانت الفوضى هي ما يتوقعه، فإنه لن يحصل إلا على الفوضى.

53

يسألني تيدي بحذر: "كيف حالكِ اليوم؟"

لا أردّ.

يضع كتاباً جديداً على المنضدة.

ويقول: "هذا ليس مُحبطاً مثل *الناقوس الزجاجي*".

أقرأ الغلاف الخلفي وأقلّب صفحاته بذهن شارد.

يقول تيدي: "أحببته عندما كنت في سنّك".

يدو أنه يتحدث عن شاب عمره سبعة عشر عاماً يُدعى هولدن. يعتقد هولدن هذا أن معظم الناس أغبياء. يعجبني العنوان الإنكليزي أكثر من السويدي: *الحارس في حقل الشوفان*.

يسألني تيدي: "ماذا حدث أمس؟"

من الواضح أنه سمع بشأن ليلتي التي أمضيتها في زنزانة المراقبة.

"لا شيء".

لا أريد التحدث عنها. بصراحة، لا أعتقد أن تيدي يفهم تماماً كيف تسير الأمور هنا. إنه ليس غبياً، هذا ليس ما أحاول قوله. وليس حتى ساذجاً. أعتقد فقط أنك إذا حاولت بما يكفي إبقاء عينيك مغمضتين، فسيكون بمقدورك العيش في إنكار قدر ما تشاء. لقد شكّل تيدي انطباعه الخاص، وهو يدير ظهره لـ، أو يشيح بنظره بعيداً عن، أي شيء يناقض انطباعه هذا. السجون السويدية أماكن جيدة. وما يزال للناس حقوق وهي تُراعَى في أثناء انتظارهم المحاكمة. في عالم تيدي، الترهيب والاعتداء وإساءة السلطة أشياء تراها فقط في الأفلام السينمائية.

يقول تيدي: "لربما يتوجب عليكِ التحدث مع شيرين بشأن ذلك".

"أنتَ هنا لتعليم اللغة السويدية. كل شيء آخر –انسَ الأمر وحسب!"

يبدو تيدي مثل جرو تبوَّلَ على الأرض للتو.

أسأله وأنا ألوِّح بالكتاب الجديد في الهواء: "هل يجب عليّ كتابة مراجعة لهذا؟"

يحمي وجهه بذراعه كما لو أنني كنتُ أوشك على ضربه.

"حسناً، حسناً، يمكنكِ كتابة مراجعة".

"شكراً".

في الصباح التالي، أستيقظ فأجد الكتاب على وسادتي. صور ضبابية من الليل ما تزال عالقة خلف جفوني وأجد مشقة في التمييز بين ما قرأته وما حلمت به. أشعر مثل هولدن حين استيقظ على الأريكة في منزل معلّمه العجوز الذي كان جالساً بجانبه يمسِّد شعره. أقف عند المغسلة مدة طويلة وأنا أرشُّ وجهي بالماء البارد.

ينتابني شعور حسن حقاً حين يصل الفطور. الحرّاس مبتهجون ولأول مرة لا يكون مذاق القهوة مثل بول معزاة جبل.

أقلّب في صفحات الكتاب قليلاً بينما أتناول طعامي لأرى إلى أين وصلتُ قبل أن أغفو، فإذا بالباب يُفتَح خلفي مرة ثانية.

تمدُّ حارسة مسنَّة رأسها بعينين برّاقتين وابتسامة مبتهجة. يبدو من ملامحها أنها تصلح أكثر للعمل في روضة أطفال.

"محاميك هنا يا ستيلا".

"سوف يضطر للانتظار. إنني أتناول قهوتي".

تحدِّق فيَّ بحيرة دون أن تقول أي شيء. وأخيراً أنهض مع تنهيدة ثقيلة وأطوي. ساندويشتي على نفسها وأحشرها في فمي قبل أن أشرب الجرعة الأخيرة من القهوة.

أجرُّ قدميَّ جرّاً بين الحارسيْن نحو الغرفة التي كان ينتظرني فيها مايكل بلومبيرغ.

يقول وهو يصافحني: "لدي أخبار جيدة. لقد وافقت المدّعية على زيارة من والديكِ".

تنقبض أحشائي.

"ماذا تعني بوافقتْ؟ من طلب ذلك؟"

يبتسم بلومبيرغ ويدق على صدره.

"المخلص لكِ".

"ولكن..."

تتلوَّى أفعى القلق في معدتي. أمي وأبـــي.

"شكراً، ولكن لا شكراً".

يميل بلومبيرغ نحوي بقلق. يصبح وجهه ضبابياً وأشعر بالدوار.

"ماذا تقصدين؟"

أسحب نَفَساً عميقاً وأغمض عينيّ.

وأقول شاعرةً بالدموع تنبثق في عينيّ: "لا يمكنني تحمُّل ذلـــك، لا أريـــد رؤيتهما".

54

كنت أعلم بأن أبـــي كان مولعاً على نحو سخيف بروبن. لقد سمعته يمدح الرجل في أكثر من مناسبة.

لم يكن من الصعب جداً إغواء روبن للذهاب إلى الأشجار. وحالما أفعـــل ذلك لن يتمكّن من مقاومتي. وبعد ذلك سيأتي كل الشبّان والشابات متســـللين ويمسكون بنا متلبّسين. وسيشكّل هذا حدثاً مُزلزلاً.

وسيجنّ جنون أبـــي بالطبع. كنت أعلم بأنه كان مـــا يـــزال موجـــوداً فسيارته كانت مركونة بجوار صالة الطعام.

نجح الجزء الأول من خطتي. ولكن، ما أن أصبح روبن بين الأشجار، مخفياً عن أنظار بقية المخيم، حتى بدأتْ أفكارٌ ثانيةٌ تَرِدُ إلى ذهني. كان روبن ينظر إلي بطريقة جديدة تماماً عندما رفع ذراعه ليلمسني. كانت لمسته رقيقة، وكأنه كان يكنُّ مشاعر حقيقية نحوي.

قال بصوت هامس وهو يلمسني بأطراف أصابعه: "لا يمكننا فعل هذا".

كان محقاً، فأنا كنت على وشك تدمير كل شيء حوله. ســـينتهي أمـــره كمدير للمخيم، ولعله لن يحصل على وظيفة في كنيسة السويد مجدداً. أو ربمـــا أسوأ من ذلك.

في الحقيقة، كان أبـــي هو من أريد الانتقام منه، ليس روبن.

قلت له وأنا أُبعد ببطء يده: "بعد بضع سنوات. بعد سنتين وأحد عشـــر شهراً سأبلغ الثامنة عشرة".

ابتسم.

"هل يمكنكَ الانتظار كل هذه المدة؟"

كنا ما نزال نملك بضع دقائق قبل مجيء الآخرين متسلّلين عبر الأشـــجار. نظرتُ إلى شفتيّ روبن التوّاقتيْن. أردتُ تقبيله بشدة. لمرة واحـــدة فقـــط. مـــا

المشكلة في ذلك؟

قال وهو يدير رأسه: "والدك. آدم والدك".

"وليكن. هل أنت خائف من أبـــي؟"

"خائف؟" ضحك. "من يخاف من والدك؟"

"ما المشكلة إذن؟"

"لا شيء. كل ما في الأمر أنك مختلفة جداً".

أخذ بيدي وقال: "تعالي معي".

كان يريد أن يريني شيئاً ما في غرفته في مبنى المشرفين. وعندما أوضحتُ له بأنه ممنوع علينا نحن المرشحين للقبول التواجد في منطقة المشرفين، ضحك.

"ما لن يعرفوه لن يضرّهم".

الجهل قوة.

سألته وأنا أتلفّت حولي بقلق: "وماذا بشأن أبـــي؟"

لم يسمعني روبن.

قال وهو يفتح قفل الباب: "تعالي".

كان هناك أربع غرف في مبنى المشرفين. ممر ضيِّق فيه مرآة وأربعة أبواب. كانت غرفة روبن الأخيرة على الجهة اليسرى.

ذهب إلى النافذة وأنزل الستار.

قال مشيراً إلى السرير: "اجلسي".

كانت الغرفة فوضوية حيث ثيابه وأغراضه منثورة في كل مكـــان؛ علـــى السرير، والأرض، وعلى الطاولة الجانبية الصغيرة. وبجانب السرير كانت حقيبة روبن نصف مفتوحة، وبينما كنت أجلس نظرتُ بفضول إلى سروال داخلـــي وعطر وقمصان داخلية.

قال وهو يفتح الباب ليخرج إلى الممر ثانيةً: "سأعود فوراً".

جلستُ على السرير وشعرتُ بنبضات قلبـــي القوية. وبعد قليل سمعـــت صوت هدير الماء في المرحاض.

لست غبية. صحيح أنني كنت في الخامسة عشرة فقط، لكنني كنت أعرف

ما كان يحدث. لم يكن هناك أي شيء يريد روبن أن يريني إياه. كان بوسعي النهوض والهرب، لكن الفكرة لم تخطر في ذهني. أردتُ البقاء. أردت التشبُّث بالإثارة.

ولم يعد هناك خطر بأن يمسك بنا الآخرون متلبّسين ويقلبون كل شيء رأساً على عقب. أسوأ ما كان يمكن أن يحدث هو أن يبحثوا عنا و...

أرسلت رسالة نصّية عاجلة.

إلغاء! غيَّرتُ رأيي.

وتلقّيتُ ردّاً يحوي إبهاماً مرفوعاً إلى الأعلى.

وبعد لحظة، فتح روبن الباب. كان هناك شيء جديد في وجهه، شيء عازم، مصمم. ارتعشتْ شفته العليا عندما جذبني إليه. التقت شفتانا ووجد لسانه طريقه إلى داخل فمي، وقبَّلنا بعضنا.

استمتعتُ بها.

ضغط بجسده على جسدي فدبَّت الإثارة فيّ. أردته أن يواصل.

وبعد قليل، مدّدني على السرير فاستلقيت على ظهري ثم رمى بكل ثقله فوقي، مغطياً فمي بشفتيه ولسانه يصل عميقاً إلى حلقي.

لم يعد ذلك ممتعاً. لم يكن بوسعي التنفس.

تخبَّطتُ تحته مثل سمكة محاولةً الصراخ. ألم يكن يلاحظ أنه يؤذيني؟

لم يكن بمقدوري التنفس، ومع ذلك لم يتوقت روبن. تلاشتْ كل الرقة ومشاعر الحب. كانت حركاته إرغامية؛ إظهار للسلطة والقوة. كنتُ فريسة وهو من اصطادني.

أدركتُ أخيراً أن المقاومة كانت بلا جدوى. كل ما كان بمقدوري فعله هو إغماض عيني وانتظار توقف الألم. رجوتُ أن يكون ذلك سريعاً.

شدَّ روبن سروالي التحتي وأنزله على وركيَّ وباعد بين ساقيّ. شعرت بدخول شيء ما فيّ.

كنتُ واقعة في قبضته. لم يكن بوسعي فعل أي شيء.

وفجأةً توقَّف كل شيء.

لم أعرف إن كنتُ ميتة أم حية.

نهض روبن بسرعة ودار حول نفسه بتوتر.

همس بغضب وسرواله حول ركبتيه: "يوجد شخص ما في الخارج".

ملأتُ رئتيّ بالأوكسجين مرة تلو المرة. أخيراً أصبح بوسعي التنفس.

"إنه آدم!"

حدَّق روبن بفزع في النافذة بينما كان يدور حول نفسه بسرعة باحثاً عن قميصه. أمسكني من ذراعيّ وحاول رفعي عن السرير.

"إنه والدك!"

أغمضتُ عينيّ وتنفست.

أبـــي.

الحمد لله.

أبـــي.

55

أفتقدُ أمي وأبـــي بشكل فظيع، لكنني لا أعرف كيف سأتمكّن من النظـــر في عينيهما مرة أخرى. أفتقد أمينة. أفتقد النور.

هذا المكان سيصيبني بالمرض. ذكرياتي تسكنني بصورة مستمرة وليس هناك مكان للهرب.

أستيقظ في منتصف الليل لأنني أوشك على الموت. أنا أغرق.

أتقلّب في فراشي. أضرب على الجدران، وأحاول شدَّ الباب لأفتحه. أركله إلى تتخدّر أصابع قدمي. يمزّق صراخي طبلتيّ أذنيّ.

أخيراً يفتح الحارس جيمي الباب. إنهم أربعة في الواقع. يندفعون نحوي ولا أجد الوقت للتفكير. يرمون أنفسهم عليّ ويطرحونني أرضاً.

تضغط يد جيمي السمينة وجهي على الأرض. وتُكتَم صـــرخاتي بجلـــده المقرف الشبيه بجلد عظاءة.

ذكرياتي عن الاغتصاب حادة كالسكاكين، واضحة كالزجاج. جزء مني سيبقى دائماً هناك على ذلك السرير في مبنى المشرفين ألهث طلباً للهواء.

يقيِّدون يديّ خلف ظهري ويرفعونني. أحاول الصراخ لكن فمي مكمَّم.

يحملني أربعة رجال مفتولي العضلات إلى خارج غرفتي. ألوي جسدي بقوة في جميع الاتجاهات فيُرغَمون على إفلاتي في الممر. أسقط علـــى الأرض بقـــوة ويضربني أحدهم على وجهي. لا أعرف إن كان ذلك مقصوداً.

يستغرقون خمس عشرة دقيقة لجرّي إلى المصعد. وفي زنزانـــة المراقبـــة في الأسفل يتلقون مساعدة من بضع حرّاس آخرين لرفعي إلى سرير التقييد. تُشـــدُّ الأحزمة حول معصميّ وكاحليّ. وأستلقي على ظهري باكية مرتجفة. عدتُ إلى مبنى المشرفين في مخيم القبول. أنا أغرق في أنفاس روبن اللاهثة. يمتزج العَـــرَق والدموع معاً. الرعب الفظيع من شخص آخر يسيطر على جسدي. شـــخص

آخر يقتحم عنوة الأجزاء الأعمق في داخلي ويسلبني كرامتي وحقي بتقرير المصير، الحق الذي لم أكن أشعر بقيمته.

أية امرأة تدّعي أنها لا تفكّر أبداً في الانتقام، وتعتقد بقوة أن الانتقام العنفي الدموي لا يمكن تبريره أبداً، لم تتعرَّض يوماً للاغتصاب. حتى إنه موجود في الكتاب المقدس؛ العين بالعين والسن بالسن. قبل أن يُفسد المسيح كل شيء بذلك الجزء المتعلق بإدارة الخد الآخر.

56

بعد يومين، يحين دور الفتاة الجديدة إلسا لأخذي إلى الأخصائية النفسية.

تفوح من إلسا رائحة تشبه الفانيلا. يبدو كأن هناك أسئلة كثيرة تدور في رأسها، لكنها إما محترفة جداً أو خجولة جداً لتطرح أياً منها.

"ستيلا".

تشير شيرين إلي لأجلس.

عيناها الصغيرتان الشبيهتان بعيني بامبي [الغزال "بامبي"، فيلم رسوم متحركة للأطفال] تنضحان تعاطفاً وموثوقية. رغم محاولتي الجاهدة لأن أكره شيرين، إلا أنني لا أفلح. إنها من ذلك النوع من الأشخاص الذين سيجد أي شخص صعوبة في منع نفسه من حبهم. أحاول حقاً أن أكره أشخاصاً كهؤلاء.

"كيف كان أسبوعك؟"

"مثل رحلة شاملة إلى جزر الكناري".

تكبتُ ابتسامة صغيرة.

"كنتُ أفكر في أمر. ماذا قلتِ بشأن ذهابك إلى مجموعة من الأطباء النفسيين من قبل. ما الذي لم يعجبك؟"

أعلم أنها تحاول ملاطفتي لأفصح عن أفكاري. إنها مجرد طريقة لدفعي للكلام. ومع ذلك أقع فيها.

"أنتم مؤمنون بالتشخيصات. تريدون إدخال الناس عنوةً في قوالب جاهزة. لا أؤمن بكل ذلك".

تقول شيرين: "أتعلمين؟ ولا أنا. أعدك بأنني لن أشخّصك".

تبدو صادقة.

أقول لها: "أردتُ حقاً لبعض الوقت أن أكون طبيبة نفسية. غبية، هه؟"

"على الإطلاق".

أسند ظهري على الكرسي وأصالب ذراعيّ.

تقول شيرين: "اسمعي، ألا يمكنكِ أن تعطيني فرصة؟ أحب أن أقول أن كل شخص يستحق فرصة. أعتقد أنه اقتراح عادل تماماً".

"كما ستعطيني أنتِ فرصة؟"

تبتسم.

وتقول: "يجب ألا تحكمي عليّ استناداً إلى تجاربكِ مع أطباء نفسيين آخرين. أنا لست هم. أنا أنا".

"إذاً فأنتِ لن تضعي أفكاراً مسبقة بشأني؟ رغم معرفتك بسبب وجودي هنا؟"

تلوِّح شيرين بيدها قليلاً. إنها دقيقة جداً في صدقها بحيث لا تتسرَّع في قول شيء دون تفكير.

"الجميع لديهم تحيُّزات، بالطبع، لكنني سأحاول التحرُّر منها قدر المستطاع. سأعِدُك بهذا القدر. إنني أشعر بالفضول نحوك يا ستيلا. أريد أن أعرفك".

"لأنني قاتلة؟"

"لا أعلم أي شيء عن هذا الأمر. ما زلتِ تنتظرين المحاكمة".

إنها بارعة على نحو خفي. لقد جذبتني للحديث بطريقة ما.

"جميع أصناف الناس يمرُّون عبر الاحتجاز هنا. مذنبون وأبرياء، بالمعنييْن القانوني والأخلاقي. لستُ هنا لأحاكم".

"عظيم".

إنها لا تُقاوَم. أو لعلّي بحاجة ماسّة لأي اتصال اجتماعي.

"هل لديكِ أخوة، ستيلا؟"

أرفع درجة الحيطة والحذر على الفور. هل سنتحدث عن الطفولة؟ هل هذه بداية لنوع ما من التحقيق؟

"لماذا تسألين؟"

"يجب أن نبدأ من مكان ما. إذا كنتُ سأتعرَّف عليكِ".

أضغط ذراعيّ بقوة على صدري.

"أنا ابنة وحيدة".

تقول شيرين: "أنا أيضاً. في علم النفس، نحن نُدعى أحياناً أطفال وحيدون بدلاً من مجرد أطفال. هناك بحث يُبيِّن أن الأطفال الوحيدين قادة أفضل. غالباً ما نكون ناجحين. إذا شئتِ يمكنك إرجاع ذلك إلى رغبتنا في إرضاء والدينا وإثارة إعجابهم حتى عندما نكبر".

أغضِّن أنفي.

"أعتقد أنني الاستثناء الذي يثبت القاعدة".

"أتعتقدين ذلك؟"

"في الواقع... ناجحة؟" أرفع يديّ للتأكيد. "ليس كثيراً، صحيح؟"

أسترق نظرة إلى الساعة خلف شيرين. مرَّت خمس عشرة دقيقة فقط. بقي خمسة وأربعون. يجب أن أحوِّل هذا إلى شيء إيجابي. ساعة في الأسبوع خارج جدراني، بعيداً عن الرائحة والاحتجاز؟ لا يمكنني فقط الجلوس هناك وقتل هذا الوقت بالصمت.

أسألها: "لماذا أصبحتِ طبيبة نفسية؟"

تعبث شيرين بالزر الفضي في قرطها.

"والداي".

"أرادا منكِ أن تصبحي كذلك؟"

"لا، لا، العكس". تنظر إلى الأسفل وتمرِّر أصابعها في شعرها. "أرادا أن أصبح طبيبة. يعتقدان أن البشر كائنات بيولوجية أولاً وأخيراً. لا يؤمنان بأن بإمكانكِ علاج الأمراض بالتحدث عن المشاعر وأشياء مجرّدة أخرى كهذه".

تبتسم رغم أن صوتها يبدو حزيناً وعينيها لامعتان.

"إذاً لهذا السبب أصبحتِ طبيبة نفسية؟ لتتمرَّدي؟"

"ليس تماماً. أنا متأكدة بأنني كنت سأصبح طبيبة لولا خوفي من الجراثيم. باعتباري طفلة وحيدة، أريد دائماً إرضاء والديّ".

"خوف من الجراثيم؟"

تومئ شيرين برأسها مؤكّدة.
"لقد خضعتُ لعلاج سلوكي معرفي".
"هل ساعدكِ؟"
ترسم ابتسامة متشككة.
"ربما يتوجب عليكِ تجربة المخدرات".
في الصباح التالي، يعود تيدي. يتوقف عند الباب بحذر. تبقى إلسا للتحدث معه لدقيقة، وبعد ذلك يدخل ويرتّب حافظات أوراقه ومحفظة أقلامه الرصاص اللطيفة على المنضدة.
أقول لأستفزه: "كان لدي واحدة مثل هذه في المدرسة الابتدائية".
يرمقني بنظرة معلّم حادة.
"ابنتي هي التي اختارها".
من الواضح أنه موضوع حساس.
يسألني عن *الحارس في حقل الشوفان*: "إذن ما هو رأيك بهذا؟"
"يمكنك قراءة كل شيء عنه في مراجعتي".
يبتسم تيدي.
"لكنكَ قلت أنه لن يكون محبِطاً بقدر سابقه".
"كان محبطاً؟ مضت سنوات منذ أن قرأته. أذكر فقط أنني أحببته".
"لقد انتهى به الأمر في مستشفى للأمراض النفسية. أحياناً أتساءل إن كان ممكناً أن ينتهي بنا المطاف بأية طريقة أخرى في هذا العالم المريض. إما الانتحار أو مستشفى الأمراض النفسية، لا يبدو أن هناك أية طريقة أخرى للخروج".
تحمرُّ وجنتا تيدي.
"لا يجب أن يكون الأمر بهذا الشكل. يمكن أن تكون الحياة بسيطة جداً أيضاً. لستِ بحاجة لأن تجعليها صعبة إلى هذه الدرجة".
أحدِّق فيه. هل يلمِّح إلى أنني الوحيدة الملامة؟ إلى أن إستر جرينوود وهولدن كولفيلد كانا قادرين على جعل حياتيهما أسهل وأفضل لو أنهما فقط اتخذا حيارات مختلفة و لم يعقّدا كل شيء؟

يسألني تيدي: "ماذا؟"

أهز رأسي. لا أعرف كيف أصيغ انزعاجي في كلمات.

يقول: "طيب. لنبدأ بتلك المراجعة".

أحملق فيه.

"ما رأيك فيَّ تيدي؟"

ما يزال وجهه وردياً لكن شفتاه تلتويان كأنه يتألم من مكان ما.

"لا أفهم".

"أنتَ مثل جميع الآخرين. تعتقد أنني مذنبة أيضاً".

يشيح بعينيه بعيداً.

يجب أن أخبره. أن أحاول تفسير ما حدث. صحيح أنه لن يفهم، لكنه لن يحاكمني أيضاً. سيصغي ويبذل كل ما بوسعه لتجاوز أخلاقياته وأفكاره المسبقة.

أسأله: "هل تريد أن تعرف؟"

ما يزال يشيح بعينيه بعيداً عني.

"هل تريد أن تعرف ماذا حدث يا تيدي؟"

يصبح تنفسه سريعاً.

أمنحه ما يحتاجه من وقت. وأخيراً يلتفت إلي ويهز برأسه.

"لا يا ستيلا، لا أريد أن أعرف".

مكتبة
t.me/t_pdf

57

لم أكن أريد الخروج حقاً. كان يوم جمعة طويلاً في العمل، وفكرة خلع سروالي الرياضي وتسريح شعري ووضع مساحيق التجميل على وجهي أنهكتني لوحدها.

قالت أمينة التي كانت قد وضعت قدحي كحول على المنضدة: "هيا. هذه المرة ليس لدي مباراة غداً".

كانت تريد الذهاب إلى تيجنيرس، لكنها أعربتْ عن انفتاحها على أفكار أخرى أيضاً.

قالت وهي تعطيني قدح مشروب مليئاً حتى الحافة: "أتعرفين ماذا تحتاجين؟ أن تمارسي الجنس".

"جدياً؟ الشابّان الوحيدان اللذان أحتاجهما الآن يُدعيان بِن وجيري".

وازنتُ القدح بيدي مترددةً.

قالت أمينة: "بصحتك". وشربنا القدحين.

فعلتُ ذلك لأكون صديقة جيدة. من أجل أمينة والكحول. وبعد كأسين من من مشروب السايدر وعدة أقداح كحولية أخرى أُرغمتُ عليها عملياً، تسارع نبض قلبي وارتفعتْ درجة حرارة جسدي. لا أشرب هذه الكمية في العادة. شغَّلتْ أمينة أغنية "لنحتفل كما لو كنا حيوانات" على خدمة سبوتيفاي، وفي نهاية المطاف أخذنا سيارة أجرة وتوجهنا إلى تيجنيرس.

كانت الأضواء الوامضة تجعل ساحة الرقص تبدو وكأنها تطوف. شلالات من الألوان كانت تُقذَف نحونا من جميع الاتجاهات وكان اهتزاز صوت الإيقاع يهدر مثل طلقات مدفع في صدرينا. انغمسنا أنا وأمينة في الجو. الحقيبتان على الأرض والأيدي في الهواء.

جاء بضع شبان من مدرستنا الثانوية وكانوا مسلّين على نحو صادم. وبينما

كنت أثرثر معهم ذهبتْ أمينة إلى البار.

قالت: "أحتاج إلى كأس من الماء".

وبعد مضي بعض الوقت انتقل الشباب إلى مكان آخر و لم تعد أمينة.

وجدها عند البار.

كانت واقفة على رؤوس أصابعها. لطالما رغبتْ بأن تكون أطول بعدة سنتيمترات. كانت عيناها تلمعان وتضع بين شفتيها شفّاطة طويلة تختفي نهايتها الثانية في مشروب كحولي أخضر. وكان يقف بجانبها شخص يرتدي قميص بيزلي، ويثرثر بسرعة كما لو كان يخشى من قرب نفاذ الأوكسجين.

"إذاً هنا تختبئين".

قفزتْ أمينة. وتوقف الرجل في منتصف جملة كان يقولها وحدّق فيّ وكأنني أفسدتُ ليلته للتو. كان واحداً من أولئك الرجال الجذابين ذوي الأجسام الرياضية، مع شعر أسود كثيف مسرَّح إلى الخلف وعينين زرقاوين لامعتين. لاحظتُ أنه كان كبيراً في السن أيضاً. أكبر منا بعشر سنوات على الأقل.

سألتُ وأنا أتفحّصه بعينيّ: "من الجدّ؟"

تأوّهتْ أمينة، لكن صاحب قميص البيزلي ضحك بكل هدوء.

وقال: "لستُ مسنّاً إلى هذه الدرجة، صحيح؟"

"كل شيء نسبي. آل باتشينو في الخامسة والسبعين تقريباً، وأبراهام [ابراهيم (ع)] عاش مائة وخمسة وسبعين عاماً، صحيح؟"

قال صاحب قميص البيزلي بينما كان يشير إلى الساقي ليأتي: "أبراهام؟"

"من الإنجيل. جدُّ كل الأديان".

طلب مشروباً قبل أن ينظر إلي.

"أنتِ مسيحية إذن؟"

"أبداً. هذا يُسمّى سعة اطلاع".

ضحك ثانيةً. كانت أسنانه تبدو أكثر استقامة وبياضاً من أن تكون طبيعية.

قالت أمينة: "أعتذر نيابةً عنها. إنها ليست معتادة على الشرب".

قلت: "ألقِ اللوم على الكحول".

"لديها جوانبها الحسنة أيضاً. إذا نظرتَ بإمعان حقاً، لوقت طويل".

أسأله: "كم عمرك إذن؟ لأنك كبير حقاً".

وضع يده على جانبه ونفخ صدره ورسم ابتسامة أخرى.

وقال: "ماذا تعتقدين؟"

قلت: "خمسة وثلاثون".

تظاهرَ بأنه مستاء.

قالت أمينة: "تسعة وعشرون؟"

قال وهو يلمس ذراعها بشكل طبيعي: "ممتاز. ومن المحاولة الأولى أيضاً. لقد ربحتِ مشروباً من اختيارك".

التفتتْ أمينة نحوي.

"اسمه كريستوفر".

مدَّ يده نحوي، وبعد لحظة تردد مزيفة تلقفتها.

قال مع غمزة: "كريس. يمكنكِ أن تناديني كريس".

أردتُ أن أرقص ثانيةً ووعدتني أمينة بالانضمام إلي سريعاً.

رفعتُ ذراعيَّ عالياً ورحتُ أحركهما مع الإيقاع. شعرتُ وكأن هناك هيليوم في صدري. كان لدي جناحان.

طار الوقت ولم تظهر أمينة. كنت متعرِّقة ومتألمة حين وجدتها أخيراً جالسة حول إحدى الطاولات وعيناها غارقتان في كريس.

قال وهو يعرض عليّ كأساً: "نحن نشرب شامبانيا".

حاولتُ النظر في عينيّ أمينة. ماذا يجري؟ هل كانت مهتمة بهذا الرجل؟ أمينة ليست من النوع التي تغوي الرجال جنسياً؟ لم تكن لتذهب مع أي شخص قابلَته في بار. آخر مرة تولّعتْ فيها جدّياً بشخص كانت في الصف الخامس. وهذا الشخص يكبرنا بعشر سنوات. يكاد يكون في الثلاثين.

ملأتُ فمي بالفقاعات وانتابني شعور بوجود شيء مريب بخصوص هذا الأمر برمّته، شيء غير طبيعي.

سألته: "ماذا تعمل إذن؟"

رسم كريس ابتسامة عريضة، وكأنه يُقدِّر السؤال.

"قليل من كل شيء، في الواقع. أعمال. في الغالب، عقارات. لدي بضع شركات مختلفة".

كل هذا بدا مثيراً للريبة بالنسبة لي.

"أخبرتني أمينة بأنها ستصبح طبيبة. فما هي خططك أنتِ؟"

حاولتُ جذب انتباه أمينة لكنها لم تكن ترى سوى كريس.

"لطالما أردتُ أن أكون طبيبة نفسية. ولكن لا أعتقد أنني أستطيع تحمُّل ذلك. لدى الناس الكثير من المشاكل اللعينة".

ضحك كريس مجدداً. لطالما شككتُ في الأشخاص الذين يبدو مثاليين. يبدو لي بأنه لابد من وجود عيب خطير خلف كل ذلك المظهر الخارجي الرائع.

قلت: "ربما سأحصل على شهادة حقوق. أمي محامية، لكنني أظن بأنني أفضِّل أن أكون قاضية. أحب أن أكون مسؤولة".

قال كريس: "أمي محامية أيضاً. بروفيسورة في هذه الأيام".

قلت: "هذا مثير للاهتمام".

بدت إجابتي ساخرة أكثر مما كنت أقصد.

قال وهو يضحك: "على الإطلاق. علم القانون مجرد فرع من المراوغة وإيجاد فروقات غير ضرورية".

"لا أعتقد ذلك".

"سترين".

أقول وأنا أتمطّط: "لا. لعلي سأقول إلى الجحيم لكلية الحقوق وأذهب إلى آسيا بدلاً من ذلك. منذ سنوات وأنا أحلم بالقيام برحلة طويلة إلى كمبوديا ولاوس وفيتنام".

قالت أمينة: "إنها مهووس بهذه الرحلة. اسألها سؤالاً أو اثنين وسوف تتحدَّث عنها إلى أن تنزف أذناك".

قال كريس: "رائع. أنا أحب السفر".

لم تكن هناك تقريباً زاوية في الخارطة لم يكتشفها. لقد جال كـــل آســـيا باستثناء منغوليا. وعاش في نيويورك، ولوس أنجلوس، ولندن، وباريس. لكن لوند هي طفولته وموطنه. لسبب ما يعود إليها دائماً.

تساءلتُ أي نوع من الأعمال كان يعمل به حقيقةً. كان يبدو ويتصـــرف مثل شخص ليس بحاجة للقلق بشأن النقود، وهذا جعلني فضولية ومتشككة في آن واحد.

"مع ذلك، لابد أنه لأمر جيد أن يكون لديك بروفيسورة في العائلة عندما تتعامل مع شركات وأعمال وأشياء من هذا القبيل، صحيح؟"

بدا كريس بأنه يفكر في هذا الأمر.

"لقد تمكّنتُ في الحقيقة من الاستفادة من مساعدة أمي كثيراً مؤخراً. ولكن ليس فيما يتعلق بالأعمال. إنها لا تتدخَّل في ذلك".

"ماذا حدث إذن؟"

للمرة الأولى توقف عن الحديث ونظر إلى الطاولة.

قالت أمينة بلباقة: "هذا ليس شأننا".

قال كريس: "لا بأس. لقد تعرَّضتُ لـــ... للكثير من التفاهة. لكنها قصة طويلة".

قلت: "هذا المكان لا يغلق حتى الثالثة".

نظر كريس إلي. كانت ابتسامته مختلفة هذه المرة؛ عذبة.

قال: "عانيتُ من مُطارِدة".

قلت: "مطاردة؟"

قالت أمينة: "جدِّياً؟" ورفعتْ حاجبيها.

قال كريس: "أجل، مريضة نفسياً حقيقية".

58

لم يكن كريس يحب الرقص، لذا عندما عدنا أنا وأمينة إلى بحر الأضواء على ساحة الرقص، ظل جالساً بجانب الطاولة مع كأس الشامبانيا وابتسامته.

قلت بصوت عالٍ على ساحة الرقص: "كوني صادقة أمينة. هل ترغبين فيه؟"

"توقفي! ما رأيك؟"

أمسكنا بيدي بعضنا ورحنا ندور. كان صوت الإيقاع يهتز على نحو مبهج في جسدي.

قلت: "ليس قبيحاً".

"رأيتُ أسوأ منه".

ضحكنا ورقصنا.

لستُ متأكدة مما حدث بعد ذلك. لا أشرب كثيراً في العادة. مع الوقت أدركت أنني لستُ بحاجة للكحول. أحصل على التأثير المطلوب بطرق أخرى. الشرب لا يجعلني إلا ثملة ومزعجة ومصابة بالغثيان طوال اليوم التالي.

على أي حال، أبعدني شاب عن أمينة قليلاً فرقصنا وأخذنا نقترب من بعضنا أكثر فأكثر إلى أن أصبح فمه على رقبتي وعضوه مقابل مؤخرتي. كنا قد التقينا من قبل، في وقت ما من الربيع الماضي. كان الجنس جيداً، لكنني لا أذكر اسمه، أو ما فعله، أو ما تحدّث عنه.

"يجب أن أجد صديقتي".

"يا إلهي!"

بدا وكأنه سمع مني للتو تشخيصاً بمرض مميت.

شققتُ طريقي عبر الحشد باحثةً عن أمينة. كانت الساعة تقارب الثانية والنصف. هل كانت جالسة مع كريس ذاك مجدداً، تنتظر رقصة هادئة.

مشيتُ مترنحة بين الطاولات ثم اتجهت صوب البار، لكنني لم أجدها في أي مكان. وعندما أخرجتُ هاتفي لأكتب لها رسالة، رأيتُ أنني تلقيت رسالة منها مسبقاً.

آسفة!!! ذهبت إلى المنزل تقيأت في الحمام لم أستطع إيجادك.

كتبتُ لها رداً فحواه أنها فعلت حسناً، وأنني أتفهّم، وبأنني متوجهة إلى المنزل أيضاً، فتلقيتُ وجهاً أخضر يتقيأ.

بعد شرب كأس كبير من الماء عند البار، خرجت مترنّحةً إلى الرصيف. كانت أصوات الطيور تشق صمت الليل، وكان الجو يعبق برائحة تشبه الكحول، وعطر التعرُّق، وغبار الطلع. وكانت السماء مرصّعة بالنجوم.

سألني صوت ذكوري من ورائي: "تكسي؟"

تجاهلته. لا أركب سيارات أجرة غجرية.

"يمكننا التشارك في واحدة".

التفتُّ فوجدت كريس.

"فقط إذا أردتِ ذلك، أقصد. ستكون أرخص".

رسم تلك الابتسامة المتواضعة الودودة ثانيةً. كان وهج مصابيح الشارع ينعكس في عينيه الشاحبتين.

قلت: "لا أعلم إلى أين أنت ذاهب". كنت أعاني صعوبة في الوقوف بشكل مستقيم.

هل كنتُ حقاً أريد أن أركب معه في سيارة أجرة؟

قال: "بيليغوتن. بجانب بوليم تماماً".

في الحقيقة، كنا ذاهبين في الاتجاه ذاته.

اتجه كريس نحو أقرب تكسي ولوَّح لي لأتبعه. إلى أي حد يمكن أن يكون ذلك خطراً. كنا سنركب معاً لمدة لا تزيد عن خمس دقائق فقط.

انزلقنا إلى داخل المقعد الخلفي كلٌّ من باب وألصقتُ ركبتيَّ ببعضهما.

انطلقت السيارة مع ارتجاج قوي فتقلّبت معدتي. كان فمي جافاً وحاولت تجاهل شعوري بالدوخة.

سألني كريس: "هل أنت بخير؟"
حاولت النظر إليه لكن كل شيء كان يدور ويومض من حولي.
سألني ثانيةً وهو يضع يده على ذراعي: "هل تشعرين بأنك بخير؟"
قلت وأنا أخفي تجشؤاً بيدي: "مثل أميرة. لابد أنه الطعام الصيني الذي أكلته. بط لعين".
"أوه، بط سيئ. اختبرتُ ذلك. ليست ذكراي الأفضل".
نظرتُ إلى خارج النافذة. وعبثتُ بهاتفي وكتبتُ رسالة لأمينة.
راكبة في تكسي مع الجد كريس!
لم ترد. ماذا لو انزعجتْ؟
كتبتُ لها مجدداً: *لا ضغينة، صحيح؟*
هذه المرة جاء الرد بسرعة.
ها ها يمكنك أخذ الجد لنفسك لا تقلقي.
ووجه مبتسم مع نظارة.
سألني كريس: "هل تأتيان إلى هنا غالباً؟"
تلك الابتسامة المثالية المزعجة مجدداً.
"إلى تيجنيرس؟ في الواقع، ليست هناك خيارات كثيرة عندما تكون يافعاً جداً".
"أو كبيراً جداً".
كان هذا مضحكاً في الحقيقة. قدَّرتُ إدراكه لذاته.
سألته: "ألا يسهر أشخاص بمثل عمرك في جلورياس؟"
"تقصدين إسلوف نيشن؟"
ضغط السائق على المكبح فجأة فانقلبت معدتي على نحو مثير للقلق مرة أخرى. كنت أشعر بكتلة سميكة عالقة في بلعومي.
سألني: "هل أنت على ما يرام؟"
سحبتُ نَفَساً عميقاً وتمتمتُ بشيء حول أنه نجح في اختيار أسوأ سائق تكسي في المدينة.

سألته: "هل جرَّبتَ تيندر؟ هابـي بانكيك؟ هذان مليئـان بأنـاس مـن سنك".

"ماذا؟ هل أنتِ سعيدة الآن؟"

"هناك ذلك الشيء الجديد. الإنترنت. منطقة رقمية تشمل العالم كلـه. في الغالب من أجلنا نحن الشبّان، ربما".

ضحك، ولكن سرعان ما ارتسم على وجهه تعبير أكثر جدية.

"لقد عانيتُ من بعض التجارب السيئة".

"مع الإنترنت؟"

"مع الفتيات".

ضحكتُ قليلاً، لكن ابتسامة كريس بدت مُكرهَة وحزينـة. انعطفـت السيارة يساراً وضغط السائق على المكبح. ولكن بلطف هذه المرة. لربما سمـع السائق ملاحظتي. كانت معدتي تتقلّب بشكل جدي وكنت أخشى من التقيّـؤ في أية لحظة.

قال كريس: "هذا أنا". حينئذ فقط أدركت أن السيارة توقفت. "سـأدفع للرحلة كلها، لذا ما عليكِ سوى إخبار السائق أين سينزلك".

انحنى بين المقعدين ليمسح بطاقة اعتماده أميركان إكسبريس.

اهتزّ هاتفي. رسالة أخرى من أمينة.

تحملين بخاخ الفلفل صحيح؟؟ لا تعرفين!

بماذا كانت تفكر؟ بدأتُ أكتب ردّاً، لكن القيء كان يصعد فلم أسـتطع الانتظار أكثر من ذلك. فتحتُ الباب وخرجت بترنُّح.

مشيتُ متمايلةً نحو إحدى الأجمات، مركّزةً نظري علـى الأسـفلت، ثم رميتُ حقيبتي على الأرض وتقيأت.

استغرقت وقتاً طويلاً. سعلت وسعلت وخرج المزيد، إلى أن لم يعد يخرج سوى سائل أصفر. لم أشرب من قبل مثل تلك الكمية.

لهذا السبب كرهت الشرب.

... من المؤكد أنه لم يضع أحد شيئاً ما في مشروبـي، صحيح؟

عندما تأكدتُ بأني انتهيت، حاولت ترتيب نفسي قليلاً باستخدام منديل رطب من حقيبتي. ثم استدرتُ، بخجل، لأكتشف أن سيارة التكسي رحلــت. وعلى الرصيف كان كريس واقفاً، وكان هناك شيء قاسٍ في نظرته.

قال: "تعالي. يمكنك الصعود وإنعاش نفسك قليلاً".

فكّرتُ في رسالة أمينة فتحسّستُ بخاخ الفلفل في حقيبتي. بحثت وبحثــت. اللعنة. أدخلتُ نصف ذراعي و لم أجد شيئاً. أحمل معي هذه العبــوة الصــغيرة دائماً.

لكنها لم تكن موجودة.

59

كان كريس يعيش في الطابق الثاني من مبنى أصفر قريب جداً من مدرسة بوليم. كانت اللوحة الاسمية بجوار الباب تحمل اسم "ك. أولسن".

ما الذي كنت أفعله هناك؟ ثملة ودائخة وضعيفة كلياً بعد تقيّؤ نصف معدتي.

بينما كنت أنحني في المدخل لأخلع حذائي كدتُ أن أقع على رأسي فأمسكني كريس ورفعني، واضعاً يديه على وركيّ.

قال وهو يقودني برفق إلى غرفة الجلوس: "استلقي على الأريكة لدقيقة".

جلستُ بانهيار على الأريكة واستلقيت عليها مثل حوت على شاطئ، محدِّقة في الديكورات الجصية البديعة على السقف العالي. في تلك الأثناء، كان كريس يقعقع في المطبخ. كانت جفوني ثقيلة وكنت في منتصف الطريق للدخول في ضباب.

قال كريس: "هل أنتِ نائمة؟"

وضع كأساً كبيرة من الماء على طاولة القهوة.

"اشربي هذه".

هامَتْ عيناي بينما كنت أجلس. شربتُ جرعات كبيرة من الماء.

كان كريس يراقبني بترقُّب.

عندما وضعتُ الكأس على الطاولة، قلتُ لنفسي كم أنا ساذجة. كنت أعرف تمام المعرفة بوجود مخدرات للاغتصاب ليس لها طعم. لماذا كنت مهملة إلى هذه الدرجة؟ ولكن، لا بأس، فقد كنا في منزله وفي تلك اللحظات كنتُ أقل الفتيات جاذبية في شمال أوروبا. لذا لم يكن هناك أي داعٍ للقلق.

قلت له: "ذلك الشيء الذي قلتَه. بخصوص الفتيات. ماذا كنت تقصد؟"

"ماذا قلتُ بشأن الفتيات؟"

"قلتَ إنك عانيت من تجارب سيئة".

"أوه، هذا الأمر".

مصَّ شفته السفلى وبدا كأنه ندم لذكر ذلك.

فقلت: "لا بأس. لسنا مضطرين للتحدث في هذا الأمر".

سند كريس ظهره على الأريكة وأراح يديه في حجره.

"أتعلمين تلك المطاردة التي ذكرتها؟"

"أوه، صحيح، المطاردة".

عادت الذاكرة ببطء.

"لم تكن مجرد أي شخص. كانت حبيبتي السابقة".

"حبيبتك السابقة؟"

هزَّ برأسه مؤكِّداً وحكَّ ذقنه.

"لم تستطع تقبُّل إنهاء العلاقة بيننا. لم أتعامل مع الأمر بشكل حسن، أعترف بذلك. لقد قابلتُ امرأة ووقعت في حبها. ليست قصة جميلة، لكنك لا تستطيعين التحكم بما يريده قلبك، أليس كذلك؟"

"هل خنتها؟"

"هذا يعتمد على طريقة نظرتك إلى الأمر. لم يحدث أي شيء بيننا، ليس جسدياً أعني، ولا حتى قبلة. لكنني خنتها عاطفياً ولست فخوراً بذلك".

فهمت. أكره الغشاشين، ولكن لا أحد يمكنه السيطرة على مشاعره.

"أدركتُ بوضوح أنني سأؤذي ليندا، ولهذا السبب باعتقادي ظللت أؤجل الأمر. لكنني لم أحلم أبداً بأنها ستفقد صوابها إلى تلك الدرجة".

"ماذا فَعَلَتْ؟"

حكَّ ذقنه مرة أخرى. لا شك أن التحدث حول هذا الأمر كان صعباً عليه. شربتُ كأس الماء وشعرت بقدر أكبر بقليل من اليقظة.

قال كريس: "تملك ليندا تاريخاً طويلاً من المرض العقلي".

"ماذا تقصد؟"

لم أفهم هذه الفكرة أبداً. نادراً ما تسمع الناس يتحدثون عن كونهم "مرضى ذهنياً".

"كنت أعلم بأنها غير متوازنة. لقد انتابتها نوبات اكتئاب من قبل، واضطرابات أكل، وأشياء كهذه، عندما كانت مراهقة. إنها روح حساسة".

بدت لي فكرة سخيفة تماماً. أي روح لا تكون حساسة حيال هجرها من قبل الشخص الذي تحب؟

"عندما أخبرتها بما كان يجري، فقدتْ صوابها. انفجارات عنيفة، رمي أشياء وتهديدات. ورغم أن هذه شقتي -كنت أمتلكها قبل ثلاث سنوات من دخول ليندا إلى الصورة- إلا أنها رفضت الانتقال منها. اضطُررتُ للسكن مع أمي لعدة أسابيع والتهديد بأنني سأجلب الشرطة ومثل ذلك قبل أن ترضخ أخيراً".

"هنا طلبتَ مساعدة والدتك؟"

"في الواقع، إحدى المرات. الأمور ازدادت سوءاً. بدأتْ ليندا بمضايقة صديقتي الجديدة. بعثتْ لها رسائل؛ عدة مئات في اليوم. ثم جاءت إلى مكان عملها ولحقتها".

"يبدو ذلك مَرَضِياً تماماً".

كأنه مأخوذ من فيلم سينمائي.

"ظللتُ أفكر بأن من الممكن التحدث معها. في نهاية الأمر، كنا معاً لثلاث سنوات. أرادت صديقتي إبلاغ الشرطة لكنني أقنعتها بعدم فعل ذلك. بما أنني كنت أعرف ليندا".

"يا لها من قصة غريبة. أفهم لماذا أنت حذر الآن، فيما يتعلق بالفتيات".

هز كريس برأسه مؤكّداً.

"ولكن، هذا ليس كل شيء. ذهبتْ ليندا إلى الشرطة وأبلغتْ عني. اختلقتْ مجموعة كاملة من الاتهامات الفظيعة. لا يمكنني تحمُّل مجرد التفكير فيها. ادّعتْ بأنني عاملتها بعنف واغتصبتها. كان الأمر سخيفاً".

"اللعنة".

"اضطُررتُ للخضوع لاستجوابات والاستماع للكثير من الأشياء المقرفة التي زعمتْ بأني فعلتها. كان أسوأ شيء حصل معي على الإطلاق. اعتقدتُ لبعض الوقت بأنها كانت ستنجح. بدا لي بأن المحققين كانوا يصدّقونها. كنت على وشك أن أُسجَن لارتكاب أشياء فظيعة، أن أُوصَم بأنني معنِّف منزلي ومغتصب. كانت حياتي على شفا الانهيار".

"اللعنة".

هذا كل ما كان باستطاعتي قوله. بدا كريس منفعلاً، كما لو أنه كان يعيش تلك الفترة مجدداً، فأحسستُ بالخجل لأنني فكّرتُ في مخدرات الاغتصاب. لكنني مع ذلك، لم أكن مخطئة في الواقع، فالحياة علّمتني أن أنظر إلى أي رجل على أنه مغتصب محتمل. السلامة خير من الندامة. لم يكن هناك ما يدعوني للخجل، لكنني عندما رأيت خوف كريس، لم أستطع تمالك نفسي.

"وبعد فترة، انتهتْ العلاقة بيني وبين صديقتي الجديدة أيضاً. قالت إنها كانت تدعمني، بالطبع، لكنني كنت أعلم بأن الشكوك تساورها. ربما من الخطأ لومها، إذ كيف يمكنها أن تكون واثقة؟ لكنني لا أستطيع أن أكون مع امرأة تساورها مجرد فكرة أنني يمكن أن أؤذيها".

التمعتْ عيناه الزرقاوان الشاحبتان فهبّت الأفكار في ذهني مثل طيور هاربة.

قال كريس مع ابتسامة مشوبة بالحزن: "لهذا السبب أنا وحيد، وخائف قليلاً من الفتيات. قد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يصبح بإمكاني بالوثوق بأي فتاة مجدداً".

"أفهم".

أطلقَ تنهيدة ثقيلة وطأطأ رأسه. بدافع من التعاطف المحض معه وضعتُ يداً مواسيةً على ركبته فانتقل الدفء منه إلى جسدي. تلألأت الدموع في عينيه.

لا أعلم بماذا كنت أفكر. أعتقد أنني شعرتُ بالأسى نحوه. لقد حوّلني الكحول إلى فاكهة مهروسة.

قلت له وأنا أضع ذراعي حول رقبته: "هيي".

وعندما أدار وجهه نحوي، قرَّبتُ شفتيّ من شفتيه.

فقال وهو يبعدني عنه: "توقفي".

تركته. أصبح وجهي ساخناً وضربات قلبي مثل دقات طبل. ما الذي كنت أفعله بحق الجحيم؟

قال كريس: "ليس بهذه الطريقة. ليس الآن".

أردتُ فقط أن أزحف تحت الأريكة وأختفي.

قال وهو يكتب على هاتفه: "أعتقد أن من الأفضل أن تذهبي إلى البيت. سأطلب لك تكسي. أين تسكنين؟"

يا للمذلة. لم أشأ حتى النظر إليه.

أعطيتُه العنوان ومشيت بترنُّح نحو المدخل بينما كان يُجري الاتصال. وعندما نظرتُ إلى نفسي في المرآة، أحسستُ بالاشمئزاز. كنت أبدو مثل شخص يطلب المساعدة العاجلة.

كانت هناك رسالة جديدة من أمينة.

ماذا يجري؟ أين أنت؟؟؟

فكتبتُ لها، *في طريقي إلى المنزل.*

لحق بي كريس إلى الشارع وعانقني. كان عناقاً متصلباً. كنتُ متأكدة بأنني لن أراه ثانيةً، وبينما كنت أدخل إلى التكسي ندمتُ لأنني أعطيته عنواني الحقيقي.

60

يرتدي مايكل بلومبيرغ قميصاً جديداً أزرق كلون الدلفين مع أزرار بيضاء وكمّيْن مرفوعين، ومنديل مطوي بطريقة غير منتظمة في جيب الصدر. ينحني كثيراً فوق الطاولة مع ابتسامة عريضة جداً.

"أريد حقاً أن تري أمك. نحن بحاجة للتحدث، ثلاثتنا".

"لا أستطيع".

الفكرة بحد ذاتها ترعبني.

يسألني بلومبيرغ: "ماذا تريدينني أن أقول لها إذن؟ أنك لا تريدين رؤية أمك؟"

بالتأكيد أريد رؤية أمي. ليس هناك شيء أريده أكثر من ذلك. لكن بلومبيرغ لن يفهم أبداً.

"قل لها الحقيقة. لا يمكنني تحمُّل ذلك".

يتنهّد بعمق.

أضيف قائلة: "أو قل كذبة ما. أنا واثقة بأنك مؤهل بما يكفي لاختلاق كذبة جيدة".

يهز المحامي الهام رأسه.

"أعرف أمك منذ سنوات كثيرة..."

"أعلم. تعرف أمي بشكل جيد جداً، صحيح؟"

يتصلّب بلومبيرغ. هذه ليست المرة الأولى التي أُقْدم فيها على مثل هذا التلميح الماكر، ولن تكون الأخيرة. أنا سعيدة لدفعه للتساءل. الجهل قوة.

أسأله: "هل تعرف مارغريتا أولسن أيضاً؟"

"لا أعرفها تماماً. إنها –"

بروفيسورة".

يتفاجأ وُيبدي ملامح انزعاج.

ويقول: "لوند–"

أقاطعه قائلة: "بركة صغيرة".

يقول: "مدينة. لوند مدينة صغيرة".

"هل تعتقد هي أيضاً أنني مذنبة؟"

"من؟ ماذا؟"

"مارغريتا أولسن. هل تعتقد ذلك؟"

يقول بلومبيرغ وهو يحك خلف أذنه: "ليس لدي أي فكرة عن ذلك على الإطلاق. ما أهمية ذلك؟ من يبالي بما يظنه الناس؟ الشيء المهم بالنسبة لنا هو إظهار شك معقول في المحكمة".

"هل هذا حقاً هو الشيء المهم؟ إذن لماذا يبدو لي وكأن الجميع أصدروا حكمهم بشأن ما حصل؟"

"عن أي 'جميع' تتحدثين؟"

"الشرطة، المدّعية، مثلاً، العالم كله".

يتململ بلومبيرغ على كرسيِّه بانزعاج، لكنه يبدو واثقاً كالعادة.

"هذا يُدعى انحياز تأكيدي. عندما يكون لديكِ نظرية وتتجاهلين كل ما يناقضها. هذا شائع كثيراً. لا يجب أن يكون بالضرورة واعياً على الإطلاق. وعلى الأرجح إنه ليس كذلك".

"ولكن، ألا يُفترَض أن يكون التحقيق موضوعياً؟"

يرفع كتفيه.

"نحن نتحدث عن كائنات بشرية هنا. لسنا إلا بشراً، كلنا".

بعد ذلك يعبث بالسلسلة الذهبية حول عنقه ويبدو بأنه يهيئ نفسه لإسقاط قنبلته الصغيرة.

"ليندا لوكيند".

"ماذا عنها؟"

"هل تعرفينها؟"

"لا أعرفها تماماً. لوند..."

يقاطعني بلومبيرغ: "بركة صغيرة".

يسند ظهره على الكرسي ويغمزني.

يقول: "أخبريني الآن يا ستيلا. لقد أقمتِ تواصلاً مع ليندا لوكيند، أليس كذلك؟"

"أقمتُ تواصلاً؟" يبدو هذا رسمياً جداً. "أعني، أعرف من تكون".

"تعرفينها؟"

يهز بلومبيرغ رأسه ببطء. السؤال هو، إلى أي درجة يعرف؟

"قابلتها مرة أو مرتين. هذا كل ما في الأمر".

"لكنكِ تعرفين أنها وكريستوفر أولسن كانا معاً لبضع سنوات؟ كانا يعيشان سوية".

أحاول أن أبدو مندهشة، لكن بلومبيرغ لا يبدو مقتنعاً.

"أنوي تقديم ليندا لوكيند كمرتكبة بديلة".

"ماذا؟ للشرطة؟"

يهز برأسه مؤكّداً.

"لا يمكنك فعل ذلك!"

أشعر بالسخونة والدوخة. ذهني يدور بسرعة.

يقول بلومبيرغ: "لكن هذا يمكن أن يعني حريتك".

هل يظن حقاً أن ليندا هي التي قتلت كريس؟ أمدُّ يدي إلى كأس ماء وأريق بعضاً منه بدون قصد على الطاولة بينما أهمُّ بالصبّ. يتابع بلومبيرغ كل حركة أقوم بها باهتمام.

يقول بلومبيرغ: "قدّمتْ ليندا لوكيند بلاغاً للشرطة ضد كريستوفر أولسن بعد انفصالهما الربيع الماضي. وفقاً لها، كان أولسن مستبداً حقيقياً. ولكن، لم يكن هناك أي دليل، ولهذا السبب أُغلق التحقيق بسرعة كبيرة. دافع معقول للانتقام، صحيح؟ ولا يهم إذا كان هذا صحيحاً أم لا. في ذهن لوكيند، كان أولسن رجلاً عنيفاً اعتدى عليها بأشد الطرق فظاعةً".

"في ذهن لوكيند؟ هل تعتقد أنها كانت تكذب؟"

يلوِّح بلومبيرغ بيده.

"هذا لا يهم حقيقةً. يظل هناك الكثير مما يشير إلى لوكيند كمرتكبة. لقد نقّبنا الكثير عنها".

"ماذا تقصد، نقّبنا؟ أنتَ لست الشرطة. يُفترَض بك أن تدافع عن حقوقي فقط. لا أن تلعب دور المحقق".

يرمقني بنظرة لسان حالها يقول: *أوه يا عزيزتي*.

"هكذا تسير الأمور. عندما لا تستطيع الشرطة القيام بعملها، نضطر لإصلاح الأمور نيابة عنها. هذا لا يعني توجيه إصبع الاتهام إلى لوكيند. أريد فقط أن أضمن أن هناك شكاً معقولاً بخصوص كونها مذنبها".

إنني أتعرَّق بشدة الآن. الهواء خانق هنا.

أقول له: "لا. هذا ليس صحيحاً. لا تزجّ بليندا في هذا".

يبدو مندهشاً.

"ولكن، يمكن أن يكون في هذا خلاصك يا ستيلا. سوف أضطر للتحدث مع أمك".

"يجب أن تلتزم بالسرية اللعينة. يمكنني التسبب بحرمانك من ممارسة المحاماة".

يضع بلومبيرغ يديه على بطنه. يبدو كأنه يشعر بالإشفاق علي.

"ليس لديك فكرة عما تقاسيه أولريكا من أجلك".

"ماذا تقصد؟"

يجرُّ كرسيَّه إلى الخلف ويقف.

أقول له: "عمَّ تتحدث بحق الجحيم؟"

أمي لا تهتم بصورة أساسية إلا بنفسها ومهنتها. لم أكن في أي يوم فتاة صالحة بالنسبة إليها. ما الذي يمكن أن تقاسيه من أجلي؟

يقول بلومبيرغ: "سأعود".

يستدير وينقر على لوح الزجاج.

أقول له: "أنت تعتقد ذلك أيضاً، صحيح؟"

"أعتقد ماذا؟"

"تعتقد أنني فعلتها".

61

في يوم الأحد، التقينا أنا وأمينة في مطعم بيرغر في وسط المدينة. كانت تفوح منه رائحة الدهن والقلايات. وكان الناس جالسين حول طاولات يتحدثون بأصوات منخفضة، حمر العيون فوضويو الشعر.

أخذتْ أمينة بذراعي.

"هل حصل شيء؟"

تركتُ صينيتي تسقط على الطاولة مصدرةً خبطة.

"لا، لقد أخبرتك".

"هيا، لابد أن *شيئًا ما* حدث".

بدتْ فضولية على نحو مزعج، وغير مهتمة أبداً.

"هل تشعرين بالغيرة؟"

"توقفي".

أمينة هي الشخص الوحيد الذي يأكل الهمبرغر بالشوكة والسكين. غرزت شوكتها في البرغر وراحت تقطع بسكينها.

"آسفة. لم أقصد الذهاب إلى شقته. كان من المفروض أن نتشارك سيارة أجرة وحسب".

"توقفي. لست غيرانة".

"أقسم. لم يحدث أي شيء".

قطعتْ أمينة قطعة البرغر بقوة لدرجة أن السكين وصلت إلى الطبق مصدرةً صوت احتكاك عالٍ.

قلت لها: "أتعلمين تلك المطارِدة التي كان يتحدث عنها؟ كانت حبيبته السابقة".

"ماذا؟"

حكيت لها قصة حبيبة كريس السابقة بأكملها وكيف أنها لم تتقبَّل وقوعه في حب امرأة أخرى. وكيف لحقت بحبيبته الجديدة وضايقتها ثم ذهبت إلى الشرطة واتهمت كريس بالاعتداء عليها واغتصابها.

قالت أمينة باشمئزاز: "هذا مَرَضي. يجب أن تبقي بعيدة عن أشخاص كهؤلاء".

"أشخاص كهؤلاء؟ ليس خطأ كريس أن حبيبته السابقة معتوهة".

لم يبدُ على أمينة الاقتناع.

"هل سترينه ثانيةً؟"

"ولماذا أراه؟"

بدوتُ أشدَّ يقيناً مما كنت أشعر في الحقيقة.

عملتُ طوال يوم الإثنين. وجدتُ بخّاخ الفلفل في جيب إحدى الجاكيتات فوضعتها مجدداً في حقيبتي. رجعتُ إلى المنزل في وقت متأخر وبدّلتُ ثيابي، ثم وضعت زبدة الفستق على شريحتيْ خبز، وتكوّرت في زاوية الأريكة لأتحقق من الرسائل في هاتفي. عندئذ اكتشفتُ أن كريس أرسل لي طلب صداقة.

ماذا يريد مني؟ شاب ثري في التاسعة والعشرين كان يدير عدة شركات وسافر إلى مختلف أنحاء العالم. من الواضح أنني كنت أفهم بالضبط ما كان يسعى إليه. كنتُ أعلم بأنه يتوجب علي اتباع نصيحة أمينة. لم يكن هناك أي داع للتواصل مرة أخرى مع ذلك الرجل.

تردّدتُ لوهلة ثم قبلتُ الطلب. في نهاية الأمر، إنه فيسبوك فقط. لم أكن، مثلاً، أنوي الزواج منه.

تطلَّبَ الأمر ثلاثين ثانية فقط لوصول الرسالة الأولى.

قال فيها: *أنا أفكر فيكِ.*

كان هناك شيء ما في هذه الجملة. في تلك اللحظة لم أنتبه إليه، لكنني أعلم الآن. إنه الفعل؛ الفعل المضارع. صحيح يا تيدي؟ كأنه كان يفكر فيّ دائماً، كأنه كان يفكر فيّ في تلك اللحظة.

عندما لم أجب على الفور، كتبَ ثانيةً: *ستيلا؟ هذا اسم جميل حقًا.*

كتبتُ رداً قصيراً، ومحوته، ثم حاولت مجدداً، ومحوته مرة أخرى. وأخيراً أرسلت له:

إنه يعني نجمة بالإيطالية.

فأرسل إيموجي نجمة.

كتبت: *أبي يعشق إيطاليا. إنه في الواقع مهووس بها.*

فأرسل كريس إبهاماً مرفوعاً إلى الأعلى.

وكتب: إيطاليا جميلة. سينك تير، توسكاني، ليغوريا.

فأرسلت إيموجي متثائب.

كانت الفقاعة مع ثلاث نقاط تشير إلى أنه كان يكتب مجدداً، لكن الرسالة لم تظهر. فضغطتُ على هاتفي. وأخيراً ظهرتْ.

هل تعلمين أنه حين يُسأل الناس على فراش الموت حول ندمهم الأكبر، فإنهم لا يُظهرون ندماً على الأشياء التي فعلوها بل على ما لم يفعلوه؟

ما الذي يقصده؟ هل هذه هي طريقة من هم في التاسعة والعشرين في المغازلة؟

كتبتُ: *لا أنوي الندم على أي شيء لعين.*

أرسل وجهاً مبتسماً.

وكتب: *أعتقد أننا متشابهان. نحن من أولئك الأشخاص الذين لا يعرفون السكينة أبداً. أشخاص مثلنا يجب أن يجد بعضهم بعضاً ليحافظوا على بقائهم.*

كان يحاول تحليلي، وأنا أكره من يفعل ذلك.

فكتبت: *أنت لا تعرف شيئاً عني.*

فأجاب: *أراهن بأنني أعرف أكثر مما تظنين.*

هذا الرجل يبالغ كثيراً.

على سبيل المثال، أراهن أنكِ تنامين عارية.

ماذا؟ قرأتها ثلاث مرات.

أردت أن أغضب، لكنني لم أستطع منع نفسي من الشعور بالرضى. كان شيئاً غير متوقع إلى حد بعيد.

كتبت: *يجب أن أخلد للنوم الآن.*

فأجاب: *نامي جيداً أيتها النجمة الصغيرة.*

اتصلتُ بأمينة فوراً. بدتْ مكتئبة.

قالت: "افعلي ما تشائين".

"انسي الأمر، لستُ مهتمة".

حتى أنا كان بوسعي الإحساس بأنها كذبة.

قلت لها: "أنا فقط سئمة جداً من عدم حدوث أي شيء. الوضع ممل جداً هنا".

"سوف تسافرين بعد فترة قصيرة".

"بعد فترة قصيرة؟" أنا وأمينة لا نختبر الزمن بنفس الطريقة أبداً. "هذا بعد أشهر. إذا تمكّنتُ من الذهاب".

قالت أمينة: "بالتأكيد سوف تفعلين. الزمن يطير".

استلقيتُ في سريري مع كمبيوتري. قبل بضعة أيام، وجدتُ موقعاً أميركياً حول أشخاص سايكوباتيين تبيَّن أنه منجم ذهب حقيقي. كان العديد من الباحثين والأطباء النفسيين يكتبون مداخلات مشوقة ومطوّلة في هذا الموقع. قرأتُ أن السايكوباتيين يُوصَفون أحياناً بالمفترسين الذين يتلاعبون بمن حولهم بفتنتهم وشخصياتهم الساحرة على نحو استثنائي. وأولئك الذين يتلقون إطراءً مغرياً من شخص سايكوباتي نادراً ما يدركون أنهم يتعرَّضون للخداع إلا بعد فوات الأوان. غالباً ما يكذب السايكوباتيون وبدون شعور بالذنب. يكذبون لأجل مصلحتهم الخاصة، ولتحسين صورهم الذاتية، وللتقدم في الحياة.

لطالما كنتُ معلّمةً خبيرةً في الكذب. هل كانت هذه سمة سايكوباتية؟

يعرف السايكوباتيون بأنهم يكذبون. وكذلك أنا. ومن المؤكد أنني كذبت أحياناً من أجل مصلحتي الخاصة. لم أكن متأكدة إن كنتُ أشعر دائماً بالذنب حين كنت أكذب. إلى ماذا يشير ذلك؟

قرأتُ حول امرأة انهارت حياتها كلياً عندما قابلتْ رجلاً خدعها وسلبها كل ما كانت تملكه. شعرتُ بالإشفاق نحوها، بالطبع، لكنني لم أستطع منع

نفسي من الشعور بشيء من الاحتقار في الوقت نفسه.

كنت في العمل في يوم الجمعة عندما رأيت رسالة كريس. أنا لا أُخرج هاتفي أبداً في المحل. وخصوصاً عندما تكون مالين هناك -مديرة المحل. إنها من النوع الذي يطردك إذا استعملتَ هاتفك الخلوي خلال ساعات العمل. هناك شائعات تقول إنها توقفت عن منح إحدى الفتيات ساعات لأنها كانت تمضغ علكة أمام ماكينة المحاسبة.

لكنني كنت في استراحة عندما رأيت رسالة كريس. كنت وحدي في غرفة الاستراحة وربما كنت محظوظة، لأن رد فعلي تضمّن هَبل فتاة مراهقة مبالغاً به ربما.

هل يمكنك أن تكوني مستعدة عند 6 هذا المساء؟ ستأتي ليمو لتأخذك. أقترح ثوباً. ربما بيجاما. أوه لا، هذا صحيح، أنت تنامين عارية.

ارتعش جسدي بأكمله حين قرأتها.

من جهة، كان كريس أكثر من رائع. ومن الجهة الأخرى، كانت حياتي مملة جداً. لم يسبق لي أن ركبت ليموزين من قبل وأعترف بأنني مادية وسهلة التأثر معاً.

إلى أي درجة يمكن أن يكون ذلك خطراً؟ موعد رومانسي. من لا ترغب بارتداء أجمل ثيابها والذهاب في سيارة ليموزين إلى مطعم فاخر يقدّم أطباقاً لا يمكنك حتى لفظ أسمائها؟

امتنعتُ عن إجابة كريس لبعض الوقت، لكنني في الحقيقة لم أتردد أبداً. كان العرض أروع من أن يُرفَض.

في الساعة السادسة بالضبط كنت واقفة على الرصيف مرتديةً ثوبي الجديد والأكثر إثارة بينما كانت الليمو تركن بجانب الرصيف. كانت من تلك السيارات الضخمة جداً مع فرش أبيض من الداخل وبار مكتمل. فتحنا زجاجة مويت (*Moit*) وشربنا نخبنا بينما كنا نعبر الجسر نحو كوبنهاجن.

قال كريس: "أنا مسرور جداً لأنك أردتِ المجيء معي".

كانت عيناه تلمعان.

عندما وصلنا، ركض حول السيارة وفتح الباب لي. ثم أرشدني إلى الطريق واضعاً يده برفق على وركي.

كان واضحاً أن المطعم حائز على نجوم ميشلان وأنه يتمتع بشهرة عالمية. نسيتُ الاسم. كان الطعام غريباً، ورغم أنه كان مكوَّناً من أربعة أصناف، إلا أنني كنتُ بعيدة عن مرحلة الشبع.

قلتُ للسائق عندما كنا نمرُّ بجانب كشك يبيع آيس كريم في طريق عودتنا: "هل يمكننا التوقف هنا؟"

اشتريتُ مخروطاً ضخماً مع كريما مخفوقة متوَّجة بالفاكهة ثم جلسنا هناك حول طاولة قابلة للطي. كانت هناك طيور نورس عند أقدامنا. راقبني كريس بعينين واسعتين حين كنتُ ألحس أصابعي الدبقة.

قال: "أحب أسلوبك".

لم أفهم ما الذي أعجبه، لكنني شعرتُ بالإطراء بالطبع.

وختمنا الأمسية في بار على قمة سطح يطلُّ على المضيق ساوند -يمكنك رؤية السويد من هناك. كان هناك شاب أحمر البشرة يعزف أغنيات حزينة على بيانو ضخم. حدَّق كريس فيّ بتركيز شديد، ولفترة طويلة، بحيث كدتُ أحمرُّ خجلاً.

سألني: "أخبريني عن أحلامك؟"

"آسفة، كنت فقط أفكر..."

قاطعني قائلاً: "لا". ظهرتْ غمّازتان صغيرتان على شكل حبة فستق في وجنتيه عندما ضحك. "أعني، ما هي أحلامك، ماذا تريدين أن تكوني في حياتك؟"

"أوه".

لم أضحك أبداً. التوتْ معدتي بطريقة مألوفة.

"أكره هذا السؤال".

"لماذا؟"

"لأنني لا أستطيع الإجابة عليه".

رفع كريس حاجبيه.

فقلت: "هذا صحيح. كل أصدقائي يعرفون بالضط ما الذي سيفعلونه. كأنهم خططوا لكل حياتهم. سفر، تعليم، عمل، عائلة. لا يمكنني فعل ذلك. يصيبني الملل وحسب".

"أنا أيضاً. يبدو كريهاً. ليس هذا ما عنيته مطلقاً".

"أعتقد أنه لأمر مزعج أن تخطط لعطلة نهاية الأسبوع مسبقاً. أريد أن أُفاجَأ".

ضحكة كريس جعلتْ عينيه تتلألآن مثل ألماستين.

"أنا مثلكِ تماماً".

ابتسمتُ له. رغم فارق العمر، إلا أننا كنا نملك الكثير من الأشياء المشتركة.

قال بينما كان عازف البيانو يعزف أغنية إلتون جون من فيلم *الأسد الملك*: "معظم الناس في عمري يعيشون حياة روتينية إلى حد بعيد. بدأ ذلك بالحدوث حين كنا في الخامسة والعشرين تقريباً. أصبح الناس فجأةً مملّين إلى درجة فظيعة. كل يوم مشابه لسابقه، يفعلون الأشياء ذاتها، ويشاهدون البرامج التلفزيونية ذاتها، وبستمعون إلى ملفات البودكاست ذاتها، ويأكلون الطعام ذاته، ويذهبون إلى الصالة الرياضية ذاتها، ويتبعون حسابات إنستغرام ذاتها، ويملكون نفس الآراء حول كل شيء".

"إعع، أرجو أن لا ينتهي بـي المطاف على هذا النحو".

"لا يوجد خطر من هذا النوع. أنتِ وأنا مختلفان".

دندنَ مع اللازمة: *هل يمكنك الإحساس بالحب الليلة؟*

"لهذا السبب تركتُ كرة اليد. كنت في الحقيقة بارعة حقاً، وكان يجب أن أصل إلى معسكرات الفريق الوطني ومثل هذه الأمور. ولكن، فجأةً أصبح كل شيء صارماً. كل هجوم يجب أن يكون مخططاً مسبقاً وإذا حاولتَ اتخاذ أية مبادرة من تلقاء نفسك فإنك ستتعرَّض للتوبيخ من المدربين. لم تعد ممتعة".

قال كريس مع تنهيدة: "لقد قتلوا إبداعك".

"والإثارة. أين الإثارة حين يكون كل شيء مخططاً مسبقاً؟"
"تبدين حكيمة جداً".
"بالنسبة لعمري؟"
ضحك.
وقال: "العمر مبالَغ بتقدير أهميته. بالنسبة لمعظم الناس، إنه مثل السعرات الحرارية الفارغة. تتراكم السنوات، لكن التطور يبقى جامداً".
بعد ساعة، وصل السائق بالليمو وفتح الباب لي. لمحتُ نظرات غيورة بطرف عيني.
وسط جسر أوريسَند، فتح كريس فتحة السقف ونهضنا معاً. وقفنا متلاصقيْن والريح تُطيِّر شعرنا. شعرتُ بأننا كنا نطوف في الهواء. كنت منهكة عندما جلسنا مجدداً على المقاعد البيضاء. نظرنا إلى بعضنا فأحسستُ كما لو أننا مارسنا الجنس للتو. ضحك كريس. كنا قريبيْن جداً من بعضنا لدرجة أنه لم يكن بالإمكان تفادي التقاء شفتينا. قبلة سريعة ثم تركني.
قال وكأنه كان يشعر بالخجل لارتكابه خطأ لا يُغتفَر: "آسف. حدثت دون قصد. آسف".
سندت ظهري على المقعد ووضعت ذراعيّ خلف رقبتي ومددت ساقيّ.
"توقّفْ عن الاعتذار. قبِّلني بدلاً من ذلك".
بيد أن كتفيّ كريس ارتخيا، وبدت نظرته منكسرة.
"ليس هناك شيء أفضِّله أكثر من ذلك".
"ولكن؟"
قوَّمتُ جلستي وألصقتُ ركبتيَّ معاً، وجمعت شعري بيد واحدة.
"لم أتجاوز بعد كل ما حصل مع حبيبتي السابقة. أقسم، لا علاقة لهذا بك. أحتاج لمزيد من الوقت فقط".
"أنا أفهم ذلك".
فكَّرتُ في أمينة. خلال جميع السنوات التي جمعتنا كصديقتين مقرَّبتين، لم نهتم يوماً بالشخص نفسه. لكننا توقَّعنا هذا الخطر ووعدنا بعضنا بألا ندع أي

شاب يدخل بيننا. هذه المرة بدا الوضع غريباً. أمينة هي التي التقت بكريس أولاً، عند البار. ومن المؤكد أنها بدت مهتمة به. أحسستُ بأنه كان يتوجب علي أن أتراجع، وأنسى كريس وأتابع حياتي.

قال كريس وهو يضع يديه على ركبتي: "شكراً لتفهُّمك. وقتنا آتٍ".

62

أقول لتيدي وأنا أرجع له الكتاب الذي أعطاني إياه للتو: "لا يمكنني أن أقرأ هذا".

إنه بعنوان *اغتصاب* وهو أقل الكتب التي تلقيتها منه ثخانة وأحدثها من حيث تاريخ الإصدار، لكن النص المكتوب على الغلاق الخلفي يجعلني أشعر بالغثيان.

يسألني تيدي: "ماذا تقصدين؟"

"لا يبدو بأنه نوعي المفضّل من الكتب".

بنظرة ممتعضة، يعيد تيدي الكتاب إلى حقيبته الجلدية.

"بالنسبة لشخص لم يقرأ إلا بضعة كتب، يبدو بأنكِ تملكين آراء راسخة بشأن ما تفعلينه وما لا تحبينه".

المرارة لا تناسبه مطلقاً.

أقول له: "أنا أفرح لتحدّي آرائي الخاصة. ليس هذا هو السبب".

"حسناً. فما هو إذن؟"

إنه يستحق تفسيراً. تيدي هو الشخص الوحيد الذي لدي هنا، ولا يمكنني المجازفة بخسارة الحميمية القليلة التي نشأت بيننا.

أقول له وأنا أشيح بعينيّ بعيداً عنه: "لا يمكنني القراءة حول الاغتصاب".

أشعر بأنه يحدِّق فيَّ.

فيقول: "لا؟"

أقول بصوت شبه هامس: "لا".

"آسف. لم أكن أعلم".

"كيف يمكن أن تعلم؟"

التفتُ على مهل فأرى عينيه الصبيانيتين مغشيتين بالسواد.

أقول: "لا أحد يعلم. نحن لم نبلّغ عن الأمر".

"نحن؟"

أسحب نَفَساً عميقاً وأحدِّق في المنضدة وأروي له كل شيء؛ مخيم القبول وروبن وأبـــي وخطتي الغبية للانتقام، وكل ما حدث بعد ذلك.

يضع تيدي يداً حذرةً على ظهري.

"أنا آسف جداً يا ستيلا".

لا أستطيع تمالك صوتي أكثر من ذلك.

لا يمكنني التصديق بأنني أفعل هذا. تسقط الكثير من الحواجز في داخلـــي، وهي تصرخ إليّ كي أتوقف، ومع ذلك أواصل الحديث. لم أتربَّ بهذه الطريقة. هناك أشياء معينة لا تخص أحداً آخر. أشياء يجب أن تُبقيها ضمن العائلة فقط.

حتى إنني لم أخبر أمينة بالقصة كلها. اعتقدتُ لبضع سنوات بأن ما حدث حدث بسبب طبيعي، لأنني مختلفة. كل تلك الأفكار والمشاعر لم تجلـــب لي إلا الشعور بالخزي. لو أنني كشفت أفكاري الداخلية لشخص ما، لربمـــا كـــانوا احتجزوني في مستشفى للأمراض العقلية وأوصلوني وريدياً بأقوى أدويتهم.

أجل، أعلم. كليشيه لعينة. أرني مراهقة لا تعتقد أنها فريـــدة وأن لا أحـــد يفهمها.

ولكن، ليس هذا ما جعلني أستغرق وقتاً طويلاً كي أخبر أمينـــة بشـــأن الاغتصاب. بل شيء آخر. كنت أريد بشدة أن أكون الفتاة القوية التي كـــان الجميع يعتقدون أنني هي، ولهذا السبب لم أستطع التأقلم مع دور الضحية. قالت أمي وأبـــي إنني سأكون الطرف الذي سيتلقى المعاناة الأكبر إن أبلغـــت عـــن الاغتصاب. لمدة أسبوع تقريباً اعتقدتُ بأنني لم أتعرَّض لاعتداء على الإطـــلاق. لقد تبعتُه طوعاً إلى مبنى المشرفين؛ كنت أرغب بذلك أيضاً. وفي نهاية الأمـــر، كانت خطتي منذ البداية. كنت غاضبة من أبـــي لتجسسه عليّ أكثر مـــن أي شيء آخر.

يقول تيدي بصوت عال: "يا يسوع المسيح. لقد تعرَّضتِ لاعتداء رهيـــب ووالداك لم يأخذا الأمر بجديةٍ".

أقول: لكنني أفهم لماذا. الآن أنا أفهم".

"ماذا؟ أنتِ لا تعنين هذا".

"أنا سعيدة لأننا لم نبلغ عنه".

تيدي شبه مصعوق.

"هل يُفترَض بي الخضوع لمحاكمة وتفسير سبب تقبيلي له واللحاق به إلى غرفته؟ كانوا سيسألونني لماذا لم أقاوم أو أصرخ طلباً للنجدة. كان الناس سيحكمون علي رغم أنني كنت الضحية".

يهز تيدي رأسه.

"يجب أن تثقي بنظام العدالة".

"لا، لا تفعل. أتمنى لو أنني أستطيع، أريد حقاً ذلك، ولكن يجب ألا أفعل. يجب أن أحمي نفسي".

يرفع تيدي حاجبيه كأنه توصَّل إلى إدراك شيء ما للتو. أخشى أنني تحدثتُ أكثر من اللزوم.

63

في ليلة السبب، كنا جالستيْن على شرفة أمينة، نتناقش في ما إذا كنا سنخرج أم لا. في إحدى اللحظات، كانت أمينة متحمسة بشدة للخروج في حين كنت أنا مترددة، وفي اللحظة التالية كنت أنا التي تتحرّق للاحتفال فيما كانت أمينة تريد التراجع.

قالت: "عندي مباراة غداً. ألستِ بحاجة للعمل؟"

بالفعل. كنتُ مضطرة للعمل كل يوم تقريباً طوال الصيف.

"لا ينبغي تسميته عملاً فعملي ليس شاقاً في الواقع. إنه مسلٍّ. الذهاب إلى المدرسة كان شاقاً لعيناً، لكن العمل في إتش آند إم لا يأخذ مني أي جهد على الإطلاق".

ضحكتْ أمينة.

"هل كانت المدرسة شاقة إلى هذه الدرجة حقاً بالنسبة إليك؟"

"ربما ليس كثيراً بالنسبة لي، لكنها كانت كذلك بالنسبة لمن كان يدرس طوال الوقت".

وأمينة كانت منهم بالطبع. لقد نجحتُ بعلامات جيدة بفضل قاعدة صلبة من المعرفة المسبقة، والحس الحسن، وموهبتي في التعبير. أما أمينة فكانت تملك شيئاً أفتقده. أعتقد أنك تستطيع تسميته حس الواجب، تلك القدرة على قبول أشياء معينة دون طرح أسئلة أو احتجاج. تقول إن هذا أمر يتعلق بالجيل الثاني من المهاجرين، لكنني لا أعرف إن كان ذلك صحيحاً. على أي حال، كانت أمينة على هذا النحو دائماً؛ تهز رأسها بطاعة وتفعل ما تُؤمَر به، وتتقيأ كل مشاعرها لاحقاً، في حين أنني كنت أنفعل وأُبدي كل مقاومتي في حماوة اللحظة.

قلت لها: "حسناً، لنبقَ في المنزل إذن. سنجلس ونذبل بلا أي فائدة".

كانت هناك مجموعة من الفتيات تُحدثْن صخباً فرحاً في الشارع. مـــلأتْ أمينة كأسينا بالشراب.

"ماذا سيفعل كريس الليلة؟"

"ليس لدي فكرة. أي شيء يفعله الثلاثينيون. عشاءات ثنائيـــة؟ اجتمـــاع بنك؟ تسوُّق بقالة أسبوعي؟"

كتبتْ أمينة اسمه على الفيسبوك.

"لمحة حياة خصوصية".

"ليس غريباً جداً إذا كنتِ تعرَّضتِ للمطاردة من قبل".

قالت أمينة: "صديق مشترك. ستيلا ساندل. يتوجب عليكِ التحقق من لمحة حياته".

"لماذا؟"

"للاستطلاع، بالطبع".

أخرجتُ هاتفي وبحثتُ عنه. في صورة لمحة حياته، ينظر مباشرةً إلى الكاميرا مع ابتسامة وشعر فوضوي ولمعان في عينيه.

كانت صفحته فارغة تقريباً. تحديث حالة هنا وهناك، صور مـــن بعـــض الرحلات، توصية بمطعم. 187 صديقاً فقط.

قالت أمينة: "ابحثي في صور غلافه. ينسى الناس دائماً محوها".

نقرتُ على صورة الغلاف فوجدت شاطئاً أبيض لا نهاية له وشمساً برتقالية تغرب. وكانت هناك صورتان أخريان. واحدة تحمل شعار فريق ليفربـــول، وفي الأخيرة كان كريس يقف أمام جدار حجري طويل، ملفوعاً بالشمس، محمـــرَّ العينين، وممسكاً بيد امرأة".

"هل هذه هي؟ حبيبته السابقة؟"

خطفتْ أمينة الهاتف من يدي.

"لا أدري".

لكنني أحسستُ بأنني كنت أعرف. لابد أنها هي. ليندا.

كانت المرأة في الصورة تبدو تماماً مثل عارضة أزياء شهيرة. شـــعر أشـــقر

ملتفّ، وعينان زرقاوان لامعتان، ووجنتان بارزتان، وبشرة حليبية برتقالية ناعمة.

قالت أمينة: "لا تبدو مثل شخص مريض نفسياً".

لم أجبْ. لم يعجبني ما رأيت.

قالت وهي تشير إلى شاشة هاتفها: "انظري إلى هذا".

كانت قد أظهرتْ صفحة معلومات شخصية كُتب في أعلاها الاسم، كريستوفر أولسن. كان العنوان صحيحاً؛ بيليغوتن، لوند. وفي الأسفل كُتب أنه مرتبط بأربع شركات مختلفة. عازب وعيد ميلاده في كانون الأول. سيصبح في الثالثة والثلاثين.

قلت: "ثلاثة وثلاثون؟ ألم يقل-"

"لقد كذب بخصوص عمره".

نظرتْ أمينة إليّ بقلق.

لم أشتبه في أي شيء على الإطلاق. من الواضح أن كريس أولسن كان كذاباً بارعاً.

قدتُ دراجتي الهوائية في الهواء المسائي الدافئ متجهةً صوب المنزل. كانت حقيبتي متدلّية من المقوَد، وجميع النوافذ مظلمة. كانت لوند غافية.

عندما اتصل كريس، كنتُ ميّالة في البداية إلى تجاهله. وقفتُ متباعدة الساقين من فوق دراجتي في نفق سكة القطار والهاتف يهتزُّ في يدي. كان اسمه يناديني من الشاشة، وفي النهاية ربح فضولي المعركة.

قال: "هل يمكنكِ المجيء؟"

"الآن؟"

نظرتُ إلى الساعة. الثانية عشرة والنصف.

"أجل، الآن".

كان في موعد عشاء فاخر ما في هيلسينغبورغ وبدا ثملاً بعض الشيء.

قال: "أفتقدك".

بدا كأنه كان يعني ما يقول.

كنتُ ما أزال صاحية ومستعدة لبعض المتعة، ومستاءة قليلاً لأن أمينة لم ترغب في الخروج معي.

"حسناً، أنا في طريقي إليك".

ما هو أسوأ ما يمكن حدوثه؟

كان باب المبنى الحجري الأصفر مفتوحاً فاندفعتُ صاعدةً السلّم. كان كريس يرتدي قميصاً ذا مربعات وربطة عنق، وتفوح منه رائحة رجل. ارتعش الهواء بيننا.

قال وهو يأخذ جاكيتي: "كنت منزعجاً طوال اليوم. لا يمكنني أن أصدِّق أنني... أنا حقاً أردتُ تقبيلك يا ستيلا".

أمسك بيديَّ ونظر في عينيّ.

تردَّدتُّ. لماذا كذب بخصوص عمره.

سألته: "كم قلتَ إن عمرك كان؟"

فأجاب على الفور وبدون أي رد فعل.

"أعتقد أنني قلت تسعة وعشرين. عمري في الحقيقة اثنان وثلاثون".

"لقد كذبتَ إذن؟"

"خشيتُ أن أخيفكما. عندما خمَّنتْ أمينة تسعة وعشرين، قلتُ بسرعة إنها كانت مصيبة".

كذبة بيضاء صغيرة. حسناً، أنا معروفة بإضافة بضع سنوات على عمري بين الحين والآخر.

قلت له: "العمر مجرد رقم في نهاية الأمر".

ابتسم كريس.

"لم أكن أعرف أنك سوف تشعرين بهذه الطريقة. لكنني آسف، كان ينبغي لي إبلاغك مسبقاً".

"لا بأس".

وقفتُ على أصابع قدميّ وقبَّلته. انزلق لسانه بلطف داخل فمي فأغمضتُ عيني ودارت الدنيا من حولي.

كان قلبـــي يكاد يطير من بين أضلعي. أخيراً حدث شيء ما.

وبعد قليل وجدتُ نفسي مستلقية على ظهري على الأريكـــة وكـــريس يداعبني ببطء ورقة -أحياناً بعينيه، وأحياناً بأطراف أصابعه. كنت أشعر بأنني في الجنة.

64

أنا مع شيرين مجدداً. تبدو هادئة وودودة، كحالها دائماً. وعيناها الشبيهتان بعيني بامبي تبدوان أكثر شبهاً بعينيه من أي وقت مضى؛ كما في الفيلم عندما أُطلق النار على الأم.

تسألني: "كيف حالك؟"

بالكاد أنجح في رفع كتفي.

"جلبتُ هذا من أجلك".

تسلّمني بروشوراً بعنوان *مهنة في علم النفس*. آخذه وأقلّب في صفحاته دون حماس كبير.

وأقول لها: "شكراً. ولكن، لا أعتقد أن بمقدوري أن أصبح أخصائية نفسية".

ترمقني شيرين بنظرة اندهاش مبالَغ بها.

"لا تستطيعين أم لا تريدين؟ أعتقد أن باستطاعتك أن تكوني أخصائية نفسية ممتازة".

"صحيح؟"

وضعتُ البروشور جانباً وحدَّقتُ في الطاولة.

"ما سبب ذلك؟"

"ماذا؟"

"هذا الرضوخ. كأنك لا تؤمنين بنفسك على الإطلاق".

"هل تمزحين؟ أنا هنا من أجل جريمة قتل. حتى لو لم أُدَنْ في المحكمة، انتهى أمري. مذنبة في أعين الجميع. هل تعتقدين جدياً أن باستطاعتي أن أصبح أخصائية نفسية؟"

تميل شيرين إلى الأمام.

"لم ينتهِ أمرك يا ستيلا. أنتِ ذكية، وخفيفة الدم، وسريعة البديهة و... جذابة".

إنها تحرجني.

"هل تحاولين إغرائي؟"

ضحكتْ شيرين فانكسر التوتر.

تسألني: "عمَّ تريدين التحدث اليوم؟"

"أي شيء إلا نفسي".

"يمكننا التحدث عن شيء آخر. هذا يعود لك".

أفكِّر في أبـي. إنني أفكر فيه كثيراً في الأيام القليلة الأخيرة.

أسألها: "أي شخص؟"

"بالتأكيد".

"المهووسون بالتحكم. ماذا تعرفين عنهم؟"

"المهووسون بالتحكم؟"

"هل هو الأمر نفسه كالمعاناة من اضطراب الهوس القهري؟"

تقول شيرين وهي تدفع إبريق الماء البلاستيكي نحوي: "لا، ليس تماماً. يمكن أن يكون الهوس بالتحكم، أو استخدام التحكم الإكراهي، قهرياً، لكنه ليس بالضرورة كذلك. الكثير من الناس يربطون الحاجة للتحكم بحس صارم بالنظام، لكنني أحب أن أقول أنه غالباً ما يكون مرتبطاً بالحاجة لأن يكون المرء قادراً على التنبؤ بالمستقبل".

أصبُّ الماء في كأسي.

أسألها: "لتفادي المفاجآت؟"

"الكثير من الناس يخافون من حقيقة أن الواقع قابلٌ للتغيير. يبحث الناس عن الأمن في حياتهم. ولهذا فقد يشعر شخص ما بأنه متحكِّم بزمام الأمور إذا امتلك الفرصة للتنبؤ بما سيحدث، وإذا كان قادراً على اتخاذ قرارات جيدة استناداً إلى معرفة صلبة".

لا أتمكَّن من ابتلاع كل الماء فيسيل بعضاً منه من زاوية فمي.

"قرارات جيدة؟ هل هناك شيء كهذا؟"

تعطيني شيرين محرمة.

"في الواقع، القرار الذي تعتقدين أنه الأفضل هو القرار الذي تعتقدين أنه سيفيدك ويفيد عائلتك".

هذا يبدو منطقياً. بالطبع هناك فرق بين اتخاذ قرار جيد بشكل موضوعي وقرار تعتقد أنت شخصياً أنه صحيح.

"في مجتمع اليوم، عندما يصبح الناس ماركات تجارية ويجب توثيق كل شيء على وسائل التواصل الاجتماعي، يشعر الكثير من الناس أيضاً بحاجة كبيرة لأن يظهروا بمظهر معيّن في أعين الآخرين. بالطبع، هذا يمكن أن يقود إلى حاجة غير صحية للتحكم أيضاً".

تتردّد كلمات أبي في داخلي. *أبقيه في العائلة*. إنه يكره وسائل التواصل الاجتماعي. *بعض الأمور خاصة*.

"التناقص هو، كما تعلمين، كلما حاولتِ الحفاظ على التحكم، كلما قلّ شعورك بالتحكم. ويتحوَّل ذلك إلى دورة مفرغة. تفقدين التحكم فتشعرين بالتوتر وتحاولين موازنة ذلك بأن تكوني أكثر تحكُّماً".

تحكُّ شيرين أذنها وتنظر إلي مطوّلاً. إنها بارعة بإظهار مظهر المهتم حقاً، كأنها صادقة في اهتمامها، كأنه ليس مجرد عمل.

ثم تقطع نظرتها وتضع يديها على الطاولة وتقول بصوت أكثر حدة.

"هل نحن نتحدث عن كريستوفر أولسن هنا؟"

"هه؟"

استغرقتُ وهلة لأستوعب ما قالته.

"هل حاول التحكم بك يا ستيلا؟ هل كان غيوراً؟"

أحارب دوافعي، التي تطرق وتخبط داخل جمجمتي، وتشد وتجذب كل ذرة في كياني. كريستوفر أولسن؟ هل هذا ما تحاول شيرين الوصول إليه منذ البداية؟ هل تحاول التحقيق معي؟ كل شيء كان مجرد واجهة.

"اللعنة عليكِ!"

أضع يديَّ على الطاولة وأحدِّق فيها بثبات. ترجـــع شـــيرين إلى الـــوراء بكرسيِّها وتدس إحدى يديها تحت الطاولة. أعلم أن هناك زراً لطلب النجدة في الأسفل.

أقول: "اذهبـــي إلى الجحيم. أنتِ مثل جميع الآخرين".

ثم أقف رغم أن اثنين من الحراس دخلا واندفعا نحوي بسرعة وثبَّتا ذراعيّ خلف ظهري.

مكتبة
t.me/t_pdf

65

كان الأسبوعان التاليان رائعين. أكلنا أنا وكريس الآيس كريم على رصيف طويل ممتد داخل البحر في بيارد. دسَّ يده تحت تنّورتي وقبَّل حبيبات الكراميل من شفتيّ.

عندما قابلني في الليلة التالية في ستورتورجيت بعد العمل، قال لي: "لنذهب إلى السبا!"

قلت مع ابتسامة مائلة: "سأعمل طوال عطلة نهاية الأسبوع".

"لا أقصد عطلة نهاية الأسبوع هذه. أقصد الآن!"

بالتأكيد. لم لا؟

جعلني أتصل بمالين وأخبرها بأنني مريضة.

قلت لها بصوت متوجِّع: "مغص فظيع. بالكاد أستطيع الوقوف".

بعد ذلك تجوَّلنا بردائيِّ الاستحمام طوال اليوم، ومارسنا الجنس في كل ساعة، وعندما حلَّ الليل جلسنا على كرسيٍّ مشبكي متحاضنين، متشابكي الأطراف، مستمتعين بالشمبانيا والفريز [فراولة]، ونحن نراقب غروب الشمس في بحر البلطيق.

اتصلتْ أمينة في يوم الأحد بينما كنا نتمشّى على الشاطئ.

قالت: "كنتُ قلقة. إنك لا تجيبين على الرسائل".

"آسفة!"

أدركتُ حينئذ أنني فقدت كلياً الإحساس بالزمان والمكان. لقد احتلَّ كريس عالمي وشعرتُ بأنني مسحورة.

قلت لها: "الجمعة. لنذهب إلى تيجنيرس".

غمزني كريس وشدّ على يدي.

ظللتُ متغيبة عن العمل بدعوى المرض. في يوم الاثنين، ركبنا القطار إلى

تيفولي وصرخنا بأعلى صوتينا على القاطرة الدوّارة في مدينة الألعاب، وعندما تأخر الوقت نزلنا في فندق، ومارسنا الجنس في الصباح إلى أن اتصلوا بنا من قسم الاستقبال ليقولوا بأنه يتوجب علينا مغادرة الفندق قبل ساعة من الموعد المقرر.

في يوم الجمعة، جاءت أمينة إلى منزلي حاملةً معها بيتزا.

أكلنا بيتزا فيزوفيو بأيدينا أمام الدكتور فيل وناقشنا بعض القضايا الكبرى في الحياة. مثل، إذا كان من مصلحتكِ أن تذكرين، في سيرتك الذاتية، أنك شاركتِ في أحد برامج الواقع (يعتمد ذلك على نوع برنامج الواقع ونوع العمل الذي تقدّمين الطلب من أجله)، وأية عبارة سنختار لتكون وشماً وأين (*لا أخشى أي شر* على مؤخرة عنقك، أو *من المؤلم أن تعرف، لكن التساؤل لا يقل إيلاماً* على ساعدك)، وبالطبع ما إذا كانت زوجة الدكتور فيل قد أجرت عملية جراحية إضافية أم لا، وكم كان مزعجاً انتظارها بين الحضور في كل حلقة ومغادرتها مع الدكتور فيل متشابكي الذراعين عند نهاية البرنامج.

لم يمضِ وقت طويل حتى بدأتُ أكتب رسالة إلى كريس.

سألتني أمينة وهي تشد هاتفي: "هل يمكنني أن أرى؟ ماذا يقول؟ هل الكلام قذر؟"

"قذر؟"

"أجل، مهيِّج جنسياً".

"مهيِّج جنسياً؟ من يقول هذه العبارة أساساً؟"

ضحكتْ أمينة.

"هيا. لماذا أنتِ سرية إلى هذه الدرجة؟"

لا أعلم لماذا. في الحالة العادية، ليس لدي أية مشكلة في إخبارها بكل ما يتصل بعلاقاتي الجنسية. بل العكس من ذلك، أحب التمعُّن في كل تفصيل. ليست هناك منطقة حساسة جنسياً في جسدي لا تعرفها أمينة. ولكن، لسبب ما كان الأمر مختلفاً مع كريس. بدا لي أنه من الخطأ مناقشة العلاقة بتفصيل شديد. ليس الجنس وحسب، بل العلاقة بأكملها.

سألتني أمينة: "إذن، ماذا؟ هل أنتما معاً؟"

"بالطبع لا".

"لكنك معجبة به؟"

"ربما؟ لا أعرف".

في الغالب، لم أكن أريد التفكير في هذا الأمر كثيراً. لم يكن من الممكن أن تؤدي العلاقة إلى أي شيء جيد. لم أكن على شفا الوقوع في الحب، وخصوصاً مع رجل في الثانية والثلاثين.

"أظن أن علاقة صيفية عابرة ليست أمراً سيئاً جداً. إنه قطي الصيفية".

صفعتني أمينة على ذراعي.

"أنتِ مريضة. قطة صيفية؟"

"أجل، تعلمين، يمكنه أن يكون قطي الصغيرة للصيف. النوع الذي تلعبين معها أثناء العطلة ومن ثم تتركينها خلفك وتنسينها".

انفجرت أمينة بالضحك.

في الحقيقة، لقد خرج مني هذا الكلام في لحظتها. بدا مسلياً. ولكن، حتى بينما كنت أقوله، كنت أعرف بأنه غير صحيح. لم أكن أشعر على هذا النحو. المشكلة هي أن تلك المشاعر التي بدأتُ أكتشفها في نفسي كانت تفزعني.

قالت أمينة: "أيتها اللعوب الملعونة!"

"يجب أن تحصلي على قطة صغيرة أيضاً". ضحكتُ. "القطط الصغيرة لطيفة ومن الرائع معانقتها".

نمتُ في منزل كريس بعد تيجنيرس واستيقظت على بوفيه فطور مع خبز برغز مخبوز حديثاً وشموع. ملأ كريس العصّارة بالبرتقال ومسَّد كتفيّ بينما كنت أشرب.

"ألا يمكنكِ أن تنسي العمل اليوم؟"

"لا. ليس مجدداً".

كنت بحاجة لعملي. كنت بحاجة لكل كرونة من أجل تحقيق رحلتي الآسيوية. لكنني لم أذكر ذلك. خشيت أن يستاء كريس، وأن يبدأ بحملة

لإقناعي بالتخلي عن خطة السفر. أو الأسوأ من ذلك، أن يرغب في مرافقتي. لم أكن حتماً بحاجة لمثل هذا النقاش.

قلت وأنا أداعب ذراعه: "لكنني سأغادر باكراً اليوم. سنرى بعضنا قريباً".

هزّ رأسه.

"لا أفهم ما الذي تفعلينه بـــي. أشعر بالوحدة حالما تغادرين".

قبّلنا بعضنا عدة مرات عند الباب، ثم ركضت نزولاً على السلّم وقـــدت دراجتي مثل المجنونة. دخلت إلى المحل مترددةً ولاهثةً، ومتأخرة خمـــس دقـــائق. نظرتْ مالين إلي وغمزتني.

"مشية الخجل؟"

كان قد مضى على وجودي عند ماكينة المحاسبة وقتاً طويلاً حين جـــاءت بينيتا أخيراً وأراحتني. كانت قلة النوم خلال الأيام القليلة السابقة قـــد بـــدأت تُفقدني توازني بعض الشيء.

قلتُ لزبونة جرَّبتْ أربع بلوزات مختلفة بـــألوان متشـــابهة: "إذن ســـوف تشترين هذه؟"

فرمقتني بنظرة كارهة.

كي أهرب لبعض الوقت، تسلّلتُ إلى قسم الرجال في الأعلـــى وفتحـــتُ قمصاناً جديدة. وبينما كنت أقوم بذلك سرحتُ بأفكاري، ولهذا السبب وثبتُ حين سمعت صوتاً خلفي.

"مرحباً يا ستيلا".

فتاة في الخامسة والعشرين تقريباً شقراء الشعر ذات لفائف كانت واقفـــة بجانبـــي تماماً وهي تفتل بيديها.

"هل أعرفكِ؟"

كان فيها شيء مألوف لكنني لم أستطع تحديده.

قالت: "نحن لا نعرف بعضنا. لكنكِ تعرفين كريس".

في تلك اللحظة عرفتُ من تكون. نفس الفتاة التي رأيتها في الصورة علـــى الفيسبوك.

"ماذا تريدين؟"

تراجعتُ خطوة إلى الوراء.

"اسمي ليندا. أنا واثقة بأن كريس ذكر اسمي لك. ألهذا السبب تبدين خائفة جداً؟"

كان قلبي يدق بعنف. تلفّتُّ حولي فلم أجد أحداً.

وقلت لها: "أعتقد أنه يتوجب عليك المغادرة الآن".

"سأفعل. لستِ بحاجة للخوف مني يا ستيلا".

كانت صغيرة الجسم ونحيلة، وجميلة جداً، ولم يكن يبدو عليها أي شيء يشير إلى أنها غير متوازنة أو خطرة.

"أريد منكِ فقط أن تكوني حذرة. كريس ليس من تظنينه".

اندفعتُ متجاوزةً إياها.

فقالت: "أرجوكِ، أصغي إلي. كريس يحاول خداعك".

توجَّهتُ بسرعة نحو السلّم، ولكن كان بوسعي الشعور بأنها تلحقني فازدادت ضربات قلبي عنفاً.

قالت بينما كنت أنزل على السلّم: "انظري في الخزانة الكبيرة في غرفته. الغرفة التي يسميها مكتبه. الدرج المقفل في الأعلى على الجهة اليمنى. ستجدين المفتاح في الدرج السفلي الأيسر".

توجهتُ صوب ماكينة المحاسبة، ولم ألتفت خلفي إلى أن وصلتُ وشعرت بشيء من الراحة.

وقفتُ أحدِّقُ في ظهر ليندا إلى أن خرجتْ من الباب الزجاجي.

سألتني بينيتا من الخلف: "ماذا يجري؟ تبدين وكأن شخصاً يتعقبك".

حاولتُ تهدئة نَفَسي.

"لا شيء. لم يكن هناك أي شيء".

لم أكن أعرف بماذا أفكر.

66

أقول عندما يصل تيدي مع المزيد من الكتب: "جدّياً؟ هذه ثخينة جداً".

"إنها من أجل مشروع". ثم يبلغني بأنه يُفترَض بي أكتب مقالاً مقارناً.

"وماذا يكون هذا بحق الجحيم".

"اهدئي، سوف نصل إلى ذلك".

أنظر إليه بشكل جانبي وأحاول أن أبدو بأنني لا أحب هذه الفكرة مطلقاً، ولكن تظاهراً فقط، بالطبع، وأعتقد أنه يعرف ذلك لأنه يتجاهلني ويواصل الحديث.

الجريمة والعقاب. ستمائة وست وأربعون صفحة من روسيا القرن التاسع عشر.

أقول وأنا أقلّب صفحات الكتاب بإبهامي: "اسمعْ. إذا كان بوسعي الاختيار بين قراءة هذا وبين المعاناة من مغص لمدة أسبوعين متتاليين..."

"ستحبينه".

"سأقرأه. للهرب من الرائحة النتنة هنا لبعض الوقت. لأنه ليس هناك شيء آخر أفعله".

يبتسم تيدي.

ويقول وهو يضع إصبعاً على الكتاب التالي: "وهذا الكتاب".

إنه بعنوان *تيرير راكان*، وهو أيضاً من القرن التاسع عشر، لكنه يتألف من 195 صفحة فقط -بالكاد أكبر من كاتالوغ إتش آند إم.

أقول له: "أعتقد أنني سأبدأ بهذا".

بينما أشرع بقراءة المقدمة والفصل الأول، يجلس تيدي بجانبي وهو يدندن دافناً أنفه في حافظة أوراقه. إنه يعيش نصف عمره في حافظات الأوراق هذه.

الكتاب ممل جداً، توصيفات بالأطنان لباريس، وبعد فترة وجيزة بدأ ذهني يشرد. أسترق نظرة إلى تيدي فأجده يفتح محفظة أقلام الرصاص ذات الحيوانات الملونة. يخطر لي أنني لا أعرف الكثير عنه.

فأسأله: "كم ولداً لديك؟"

يقول مع ابتسامة مندهشة صغيرة: "واحد فقط. لوفيزا".

"لماذا؟"

يبدو محتاراً.

"لأنه اسم جميل. خالة زوجتي كان اسمها لوفيزا".

"لا، لا، ليس هذا. أقصد، لماذا أنجبتَ طفلاً؟"

يقول مستغرباً مع واحدة من تلك الابتسامات المضخَّمة التي لابد وأن تكون نابعة عن نوع ما من القلق: "ماذا؟"

"أو هل كان خطأً؟ واق مثقوب؟"

"لم يكن خطأً". يصدر نَخرة استغراب. "لطالما أحببتُ الأطفال. يبدو أنهم يمنحوننا وقتاً جميلاً. لا... لا أدري".

أرفع عينيّ إلى الأعلى ساخرةً.

"لدي نظرية يا تيدي".

"تفضّلي".

"أعتقد أن الكثير من الناس ينجبون الأطفال من أجل أنفسهم. كما لو أن كل شيء يبدو كئيباً ومملاً فتنزل امرأة ما إلى السوق لشراء أحمر شفاه جديد فقط كي تشعر بحال أفضل لدقيقة".

"هل تقارنين جلب طفل إلى العالم بشراء أحمر شفاه".

"بالتأكيد، لعله ليس التشبيه الأمثل، لكنك تعلم ما أقصده. ينجب الناس الأطفال ليشعروا بالارتياح، ولتعزيز هويّاتهم، وقتل السأم -كما تعلم، أي شيء".

"أو لأنه الشيء الأعظم الذي يمكن أن يحدث لكِ، الشكل الأجمل الموجود من الحب. معنى الحياة؟"

"بربك يا تيدي! معنى الحياة؟ هل أنت جاد؟"

يهز برأسه مبتسماً ويعود إلى حافظة أوراقه.

أسأله: "هل ستجلب المزيد؟"

"المزيد من ماذا؟"

يتظاهر تيدي بأنه مستغرق في القراءة.

"مزيد من الأطفال. هل أنت وحبيبتك... شريكتك، زوجتك... هل ستنجبان المزيد من الأطفال؟"

"أعتقد ذلك. إنه لأمر جيد امتلاك أشقاء".

ما يزال لا ينظر إلي.

"كان والداي يشعران بالشيء نفسه. لقد انكبَّا على هذا الأمر مثل الأرانب لسنوات كي يتمكّنا من إنجاب طفل آخر. لم ينجح الأمر. لا أعلم، لعل الله لم يكن مسروراً من طريقة تعاملهما مع الطفلة التي يملكاها مسبقاً. على أي حال، في بعض الأحيان يبدو لي بأن نصف طفولتي كانت تدور حول هذا الشقيق الذي لم يأتِ".

يرفع تيدي رأسه من حافظة أوراقه أخيراً.

"مثل هذا الأمر يمكن أن يكون مأساوياً".

"كنتُ أريد أن نمضي قدماً وحسب. كنا عائلة مسبقاً، كما تعلم؟"

"أفهم".

أقول بهدوء: "لا تفعل ذلك لطفلتك الصغيرة، لوفيزا الصغيرة. عدني".

"أعدك".

يشرح تيدي ما يعنيه بالمقال المقارن.

"ستكتبين أفكارك، باستخدام هاتين الروايتين من القرن التاسع عشر. *تيريز راكان* و*الجريمة والعقاب*. موضوع مقالك سيكون الجريمة. ما الذي يجعل شخصاً ما مجرماً؟ وهل جميع الجرائم شريرة بالتساوي؟"

أنظر إلى دفتر ملاحظاتي الفارغ الجديد وأكتب في أعلى الصفحة الأولى *مقال* بالسويدية، بأحرف كبيرة سميكة: ESSÄ. إنها كلمة بشعة بالسويدية؛

تبدو مثل شيء يحتفظ به الرجال المسنّون في جيوب صدورهم. *هل تملك الـ* ESSÄ *الخاصة بك يا كارل غوستاف؟*

أقلّب في صفحات الكتابين للتظاهر فقط، لكنني في الحقيقة لا أستطيع التركيز على القراءة.

يقول تيدي قبل أن يغادر: "بالتوفيق".

أبتسم له وأهز برأسي ثم أضع الكتاب جانباً.

بدلاً من القراءة أفكر في فكرة مايكل بلومبيرغ؛ بإلقاء اللوم على ليندا. "مُرتكبة بديلة"، بحسب تعبيره. لقد ناقش الأمر مع أمي.

أعرف كيف تسير الأمور في السويد. إذا كان هناك مرتكبان محتملان، فلابد أن يُثبَت بما لا يقبل أي شك معقول أن أحدهما المرتكب، أو أن كليهما مذنبان بالتساوي، وإلا فإنه لا يمكن إدانة أي منهما. لطالما اعتقدتُ أن هذا خطأ ويجب تغييره.

أحسُّ بوجع في قلبي عندما أفكر في أمينة. أفتقدها بشكل فظيع. أمينة. أمي. أبي.

أفكر في الوقت الذي كنت فيه صغيرة وكان أبي الشخص المفضَّل بالنسبة لي في العالم كله. هل ما كان سيعود؟ هل هذا ممكن؟ أو أن كل شيء انهار؟

لربما سيكون من الأفضل الاعتراف بكل شيء. سيكون ذلك أبسط الحلول. أن أخبر الشرطة بالقصة كلها وأنهي هذا الهراء.

ثم أتلفّتُ حولي. الرائحة، الجدران، السأم. الوقت الذي لا ينقضي، الليالي التي تقتلني. لن يكون بمقدوري تحمُّل ذلك. سرعان ما سأفقد القدرة على تحمُّل هذا الوضع. أخبط رأسي على وسادتي وأصرخ. يجب أن أخرج من هنا!

67

قالت أمينة عندما أخبرتها بما حصل: "هذا جنون. ماذا لو كانت محقة؟ كيف يمكنك أن تكوني واثقة بأن ليندا هي المضطربة نفسياً، وليس كريس؟"

"هيا، إذا كان هناك شخص يمكنه تمييز السايكوباتي فإنها أنا".

كنا نسيِّر دراجتينا عبر الحديقة بينما كانت مجموعة كبيرة من النساء متوسطات العمر، يرتدين ألبسة جري ضيّقة وأحذية رياضية ملوّنة، يؤدين حركات رياضية على المرج المجاور.

قالت أمينة: "هل تبدو... غريبة الأطوار؟"

نظرتْ أمينة إلي و لم أعرف ماذا أقول.

"أليس غريباً جداً تعقُّب فتاة تواعد حبيبك السابق؟"

قالت أمينة: "ربما. لكنها قالت إنها تريد تحذيرك. إذا لم تكوني تكنِّين مشاعر له في كل الأحوال، ربما من الأفضل لكِ أيضاً أن..."

رمقتها بنظرة انزعاج.

"أنا أعرف كريس".

"تعرفينه منذ متى؟ ثلاثة أسابيع؟"

"طويلة بما يكفي لأعرف أنه ليس سايكوباتياً".

بالطبع، كنت أشعر بالفضول لأعرف ما كان موجوداً في الدرْج الذي تحدّثتْ ليندا عنه. لكنني قررتُ عدم ذكر ذلك لأمينة لأنه كان سيزيد من خوفها.

سألتني: "هل ستخبرين كريس؟ بأن ليندا جاءت إلى إتش آند إم؟"

"لست متأكدة".

كنت أعرف بأنه يجب علي إخباره. ولكن مع ذلك، الجهل قوة.

قالت أمينة قبل افتراقنا خارج الصالة الرياضية: "عديني بأنك ستكونين حذرة. لديكِ بخاخ الفلفل، أليس كذلك؟"

تحسّسته في حقيبتي ثم هززت برأسي مؤكّدةً.

ركبتُ دراجتي وذهبت إلى منزل كريس، حيث استحمّيتُ وبدّلت ثيابي. قبَّلني على مهل. رائحة رقبته جعلت ركبتيَّ ترتعشان.

قال لي: "لقد لعبتِ بعقلي. لم يكن يُفترَض بي أن أتسرَّع في أي شيء مجدداً في وقت قريب جداً".

تساءلتُ عمّا يقصده بـ "أي شيء"، لكنني قررتُ بأن من الأفضل ألا أعرف.

شربنا شراباً ولعبنا تريفيال بيرسوت. صفّر كريس عندما عرفت أي مخرج تزوج من شارون تيت، إحدى ضحايا تشارلز مانسون. قبلتُ مديحه، لكن الوقت لم يكن مناسباً لأكشف له بأنني اختصاصية نوعاً ما بالسايكوباتيين.

على أي حال، تركتُ كريس يفوز في النهاية.

لا، في الحقيقة، لقد فاز بجدارة واستحقاق. كان باستطاعته ذكر أسماء ملوك وتواريخ من، مثلاً، ما قبل المسيح. لم أحب التاريخ يوماً. أفضِّل المستقبل.

قال وهو يشرب قطرات الشراب الفرنسي الأخيرة من الزجاجة: "بدأتُ أشعر بالتعب".

نهضنا في الوقت نفسه فوضع يداً على وركي. أصبحت ملامحه قاسية وحادة. قادني بصرامة أمامه إلى غرفة النوم.

همس في أذني: "هل هناك أية مشكلة؟"

هززتُ برأسي نافيةً.

كنا بالكاد غفونا حين أيقظنا ثانيةً هاتف كريس. استدار نحو طرفه من السرير وتحدَّث. كان شيئاً يتعلق باجتماع ومفاوضات وتقديم عروض.

قال وهو يقبِّل مؤخرة عنقي: "يمكنك البقاء هنا والنوم. يجب أن أتوجّه إلى اجتماع في الحال".

"الآن؟ ما هي الساعة؟"

"السابعة إلا خمس دقائق".

"اللعنة".

راقبته بعينين نصف مغمضتين بينما كان يرتدي بذة غالية إلى درجة مثيرة للسخرية ويعقد ربطة عنقه أمام مرآة الخزانة.

"ربما سأبقى هنا إلى أن تعود".

التفت وقرص إبهام قدمي.

"أولاد هذه الأيام".

"أنا مراهقة. أحتاج للكثير من النوم الإضافي".

ابتسم فتحوَّلتْ عيناه إلى ألماستين.

"ألن تعملي اليوم؟"

"أجل، اللعنة". تنهّدت. "لكنني لا أبدأ حتى العاشرة والربع".

انحنى فتدلّتْ ربطة عنقه بين نهديّ وقبّلني.

"الباب يقفل تلقائياً. ما عليكِ إلا أن تغلقيه حين تغادرين".

بعد مغادرته، حاولت أن أغفو ثانيةً، ولكن رغم أنه لم يغمض لي جفن، إلا أنني أحسست بأنني صاحية تماماً. كان جلدي يحكّني، وقدماي تحثّاني على التحرُّك. منحتُ نفسي خمس عشرة دقيقة تقريباً وأنا أتقلّب وأدور وأنفش وسادتي ما لا يقل عن مائة مرة. وأخيراً استسلمت ولففت اللحاف حولي وذهبت إلى المطبخ.

كانت الثلاجة ملأى حتى التخمة بالمأكولات الشهيّة فشرعتُ بتحضير فطور على مستوى الفنادق لنفسي. ثم أكلت واضعةً قدميَّ على كرسي وأصغيت إلى لوند وهي تصحو عبر باب الشرفة نصف المفتوح.

تردَّدتْ كلمات ليندا في رأسي. الخزانة الكبيرة. *الدرج المقفل في الأعلى على الجهة اليمنى. ستجدين المفتاح في الدرج السفلي الأيسر.*

ذهبتُ إلى الممر ووقفتُ أمام المرآة لوهلة وأنا أفكر.

كنت بحاجة للتبوّل. في الحمام بحثتُ بسرعة في أدويته. بخاخ أنفي، أقراص حساسية، مسكّنات. لا شيء مثير للاهتمام.

غسلتُ وجهي ثم ذهبت إلى الغرفة التي يدعوها كريس مكتبه.

كانت هناك طاولة مكتب بجانب النافذة، وعلى الحائط لوحة جميلة جداً – لابد أن عرضها يبلغ مترين. كان من المستحيل معرفة ماهيّتها، لكنني لم أشك بأنها كانت تساوي أكثر من راتب سنة في إتش آند إم.

كان الجدار المقابل مشغولاً بخزانة ملفات ضخمة. عن هذه الخزانة كانت تتحدث ليندا.

التفتُّ لأنظر عبر النافذة، مدركةً بأن هذه كانت خيانة لكريس. ولكن، سيكون من الغباء ألا أعرف ماذا كان يوجد في ذلك الدرْج. على الأقل كي أُبعد الشكوك الصغيرة التي كانت تساورني. وكريس لن يعرف بذلك أبداً.

قرفصتُ وسحبت الدرج السفلي الأيسر. كان يوجد في داخله علبتان بلاستيكيتان مزوّدتان بغطائين. كانت العلبة الأولى مليئة بأشياء صغيرة؛ أساور، حلقات مفاتيح، ميداليات لإنجازات قديمة في السباحة. كان واضحاً أنها تذكارات لم يطاوعه قلبه على رميها.

كانت العلبة الثانية أصغر بقليل. وعانيت بعض الصعوبة في فتح غطائها، لكنني نجحت أخيراً في فتحه. كان فيها نحو عشرة مفاتيح.

نظرتُ إلى الدرج العلوي الأيمن من خزانة الملفات. كان هناك مفتاحان يمكن أن يناسبا القفل. جرَّبتُ الأول، ولكن لم يحدث شيء عندما أدرته فجرَّبتُ الثاني. هذه المرة فتح القفل.

سحبتُ الدرج وحدَّقتُ في داخله.

ما الذي كنتُ أتوقعه؟

وقفتُ هناك، محدِّقة ببلاهة، غير قادرة على ترتيب أفكاري.

68

أُغلق كتاب تيريز راكان بقوة شديدة لدرجة تجعل تيدي يحملق فيّ باستغراب. في البداية أعجبتني كثيراً -إحباطها من الملل ومن عدم حدوث أي شيء. تُزوَّج تيريز من كاميه، وهو ليس فتاة مثلما اعتقدت في البداية. تحب تيريز الرجال؛ نحن نتحدث عن القرن التاسع عشر هنا. على أي حال، سرعان ما تقابل رجلاً آخر، لوران، وتقع في حبه وتقيم علاقة جنسية معه. يستأجر الثلاثة قارباً صغيراً ثم يرمي لورانُ العاشق الزوجَ كاميه في الماء ويغرق.

بعد الجريمة، تتجادل تيريز ولوران بشأن أي منهما المذنب. يفقدان كلاهما الصواب ويهدُّهما الشعور بالذنب ويخططان لقتل بعضهما. وفي النهاية يُقْدمان على الانتحار سوية.

أقول: "لم يعجبني" -في الغالب لإغاظة تيدي.

يجيب تيدي: "هذا أمر جانبي. بوسع أي شخص امتلاك رأي. سوف تتعلّمين كيف تجرين تحليلاً".

كأنه شيء أحتاج لتعلُّمه. طوال تسعة عشر عاماً يحلّلني الناس حتى الموت وأحللهم بالمقابل. إذا كان هناك شيء أنا بارعة فيه، فهو التحليل، أليس كذلك؟

يثرثر تيدي حول شيء يُدعى "التحليل الأدبي". يدّعي أننا سنحلل الكتب، ولكن في أعماقنا، كلانا نعرف بأن هذا ليس صحيحاً. إنها أنا، ستيلا ساندل، وذهني المريض هو ما سنقوم بتحليله هنا.

بعد الغداء، أنفرد لساعة مع نفسي في القاعة الرياضية. أزيد مقاومة درّاجة التمرين الثابتة وأدوس بقوة محرِّكةً فخذيَّ المليئتين بحامض اللاكتيك، تاركةً العرَق الذي يقطر من جبهتي يكوِّن بركة صغيرة تحتي.

ثم أقوم برفع جسمي على القضيب الثاب بضع دورات. قوتي من النوع المرن. في ملعب كرة اليد، كنت أحب إمساك الكرة بينما تكون هناك مدافعة أو

اثنتان على ظهري. كنت أقدّم أفضل أداء لي عندما تكونان معلّقتيْن فوقي مثل حقيبتي ظهر، تجاهدان لإبقائي عند خط الستة أمتار. كنت هدّافة الفريق لمدة خمس سنوات متتالية.

أحياناً أفتقد اللعبة. أفتقد الشعور بالجماعة، والمنافسة؛ وضع هدف والقتال لتحقيقه معاً. لكنني في النهاية لم أستطع تحمُّل درجة التخطيط التي آلت إليها، وكيف كان المدربون يحددون كل خطوة نخطوها، وكل تمريرة ورمية. كنت أشعر مثل قطعة شطرنج يحرِّكها أشخاص آخرون، وتبددت كل متعة كرة اليد.

بعد التمرين أقف تحت الدُش لفترة طويلة جداً، منتصبةً مثل سهم، تاركة الماء يغلّفني مثل نفق صامٌ للآذان. يمكنني بصدق الشعور بخروج الرائحة مني.

أخرج من الدش مثل نجمة ليل [مفرقعة نارية] أُشعلتْ للتو، ثم أجفف نفسي وألبس ثيابي قبل أن يأتي الحارسان ويأخذاني.

يقول جيمي مع ابتسامة عريضة مقرفة: "تفوح منك رائحة جميلة بعض الشيء".

يضحك الحارس الآخر بصوت عال. لديه عينين خضراوين لامعتين وندبة على شكل حرف S فوق حاجبه. أظن أنه ألباني لأنه يعاني من صعوبة في لفظ الحرف U.

يقوداني عبر القبو ويعصراني في المصعد. ما يزالان مبتسميْن وعيناهما مثل يديْن تتحسسان جسدي.

أحاول التنفس بصمت وأنجح في كبت دافع تلو الآخر؛ أُبقي فمي مغلقاً.

ثم ينحني جيمي ويضغط على الزر الأحمر فيهتز المصعد ويتوقف فأفقد توازني وأرجع إلى الوراء نحو الألباني الذي يضع ذراعيه بشكل انعكاسي حول خصري.

يحدِّق جيمي فيَّ بكره وشهوة في آن واحد. وبدون أي إنذار يقذف يده وكأنه يريد أن يضربني لكنه في اللحظة الأخيرة يوقف يده في الهواء بجانب خدي تماماً. ترتسم ابتسامة مثيرة للاشمئزاز على وجهه المقرف.

تصيبني أنفاسه فأجهد للابتعاد عنها لكنني لا أستطيع الحراك، فالألباني يمسك بذراعي بإحكام خلف ظهري.

يلهث جيمي في أذني فيخدش الشعر، الذي يشبه شعر العانة على ذقنه، وجنتي.

"أيتها العاهرة الصغيرة. لستِ قوية جداً الآن، أليس كذلك؟"

أبتلع كتلة في حنجرتي وأُطبق فكيَّ بقوة لدرجة أنني أحسُّ بالوجع.

يقول جيمي: "لستِ آمنة هنا. يمكنني أن آخذك متى أشاء. أنا الذي يمتلك المفتاح".

مع نفس الابتسامة الكريهة على وجهه، يخطو خطوة إلى الخلف. وفي الوقت نفس يضع يديه على صدري ويعصرهما. أشدُّ عزيمتي -يجب ألا يصدر مني ولو شعور واحد فقط. يحدِّق جيمي في عينيّ مباشرة بكره وغضب، ويترك يديه القاسيتين تنزلقان على بطني.

يقهقه الألباني من خلفي بصوت أجشّ.

بعد ذلك يضغط جيمي على الزر الأحمر فيبدأ المصعد بالصعود ثانيةً وهو يهتزّ.

حالما أعود إلى زنزانتي، أكتب الجمل الأولى من مقالي.

أي شخص قادر على ارتكاب جريمة.

إن انتُهكتْ فتاة معينة بعمق كافٍ، فليس هناك حد لما يمكن أن تفعله.

هذا ليس أمراً أؤمن به. أنا أعرف ذلك.

69

أتتْ أمينة، صديقتي الأثيرة، لنجدتي على الفور.

"هذا ليس طبيعياً يا ستيلا. إنه أمر غير صحي".

كنا جالستيْن في غرفة الجلوس، واضعتيْن قدمينا على حافة الأريكـــة، وكنتُ قد أخبرتها للتو عن الأشياء التي رأيتها في درج كريس. ذهب أبـــي وأمي إلى احتفال مأكولات إيطالية وكان سيمضـــيان الليلـــة في قلعـــة في أوسترلن.

قلت لها: "الكثير من الناس يحبون هذه الأشياء. تقييد وممارســـات ســـاديّة ومازوخية. تقييد بعضهم وأشياء مثل ذلك. إنها أكثر شيوعاً مما تظنين".

"ولكن، بصدق، هل يمكنك فعل شيء كهذا؟"

"ليس أنا".

الفكرة نفسها بأن أفقد السيطرة على نفسي، أن أُقيَّد أثناء ممارسة الجـــنس، تجعلني أرتجف.

تساءلتْ أمينة: "لماذا أرادت ليندا منك أن تري هذه الأشياء؟"

لم أكن أدري. وجدتُ في الدرج المقفول كمّامة جلدية سوداء مع تلـــك الكرة التي تُحشَر في الفم، وعلبة بلاستيكية مليئة بسائل شفاف، وبساطاً رمادياً غامقاً، وزوجين من الأصفاد المعدنية القوية. وفي القاع كان هناك سكين جيب قابلة للطين، وكان نصلها حاداً بوضوح.

"أظن إنها تريد إخافتي كي أبتعد عنه. إنه ليس دليلاً دامغاً على أن كـــريس سايكوباتي".

"ولكن، السكين. لماذا يمتلك سكيناً؟"

قلت لها: "أخبريني أنتِ".

لم أجرؤ على التفكير في الأمر.

"هل ستسألينه؟"

"ما الذي سأقوله بحق الجحيم؟ أنني وجدتُ *بالصدفة* مفتاح درجه المقفول؟"

كان قد أرسل مسبقاً ثلاث رسائل لم أرد عليها. لم أعد أعرف ماذا أفعل.

قالت أمينة: "لقد كذب بشأن عمره".

"كانت كذبة بيضاء".

تنهّدتْ أمينة.

سألتها: "ألا يمكننا فعل شيء آخر؟ نذهب إلى مكان ما؟"

أفكار كثيرة كانت تئز في عقلي.

قالت أمينة وهي تزلق إصبعها على شاشة هاتفها: "جيركر ليندبيرغ سيقيم حفلة".

"ليندبيرغ. ألا يعيش في بيارد؟"

"بارسباك".

أسوأ. كانت تبعد خمسة عشر كيلومتراً.

قلت: "أعتقد أنه باستطاعتنا استعارة سيارة أبي. إنهما يركبان مع بعض الأصدقاء".

تغضَّن أنف أمينة.

"لفترة قصيرة فقط. إذا كان الوضع مملاً سنغادر فوراً".

لم تكن تلك المرة الأولى التي "أستعير" فيها سيارة أبي. إنها واحدة من تلك السيارات الكبيرة -كبيرة على نحو غير ضروري، إذا سألتني؛ تُشعرك بأنك تقود شاحنة توصيل. أفضِّل حقاً التمرُّن على القيادة في سيارة الفيات الصغيرة في مدرسة تعليم القيادة.

قدتُ السيارة عبر المدينة، مروراً بنوفا مول، واتجهتُ صوب الساحل. أوصلتْ أمينة هاتفها بالستيريو ورفعت الصوت إلى حده الأقصى. كنا، للمفارقة، نبحث عن أغنية راقصة تعج بالساكسوفون حول جبال شاهقة ووديان عميقة عندما ظهرت فجأةً سيارة أودي ت.ت لامعة أمامي.

صدمتُ جانب الراكب من السيارة الألمانية الصغيرة فخرجتْ عن الطريق ونزلت إلى حقل فريز. كان السائق رجلاً أجعد البشرة يضع شعراً مستعاراً ويرفع ساقيّ بنطاله كي لا تتبقعان بالفريز. وبّخني السائق بعنف وأخبرني أنه كان يقول دائماً إن النساء سائقات مريعات، والدليل ما حصل حينئذ.

اضطُّر أبي وأمي لترك كل شيء ومغادرة الحفلة في القلعة. التقيا بنا في مركز الشرطة. كانت ملامح أبي متجهِّمة وكنت أبكي بحرقة.

لحسن الحظ، لم تتحوَّل الحادثة إلى المحكمة. وقّعتُ طلب عقوبة ابتدائية وكان يتوجب علي دفع غرامة ثم ذهبتُ إلى البيت لألعن غبائي اللعين.

الحادثة مع السيارة، هكذا سمّاها أبي.

أما الشرطة فأسمتها قيادة بدون رخصة وقيادة متهوّرة. أقساط تأمين متزايدة وغرامات مستندة إلى الدخل. ذهبتْ ثلاثون ألف كرونة هباءً في البالوعة.

كنتُ غاضبة من نفسي لدرجة أنني أقفلت على نفسي باب غرفتي وبكيت. ثلاثون ألفاً. كان هذا يعادل نصف مدّخراتي. لم تعد لدي أي فرصة للسفر في الخريف.

أصبحتُ عالقة من جديد.

استلقيتُ في سريري وأنا أستمع إلى الموسيقا عبر سماعتي الأذن وأقرأ حول الأشخاص السايكوباتيين والجنس. كنت أعرف بأنني قرأت تقريباً المواضيع نفسها من قبل، لكنني كنت بحاجة لإنعاش ذاكرتي.

بالنسبة للشخص السايكوباتي، الجنس يتعلق بالسيطرة فقط.

في البداية، غالبًا ما يضع السايكوباتي كل تركيزه على شريكته خلال العملية الجنسية. لكن السايكوباتيين يميلون إلى الإثارة والتنوُّع. سرعان ما سيرغب بإضافة الإثارة إلى الحياة الجنسية، غالبًا عبر أنشطة غير مريحة للشريكة. يدفع السايكوباتي ببطء حدود الشريكة وبهذه الطريقة يكسب السيطرة عليها. وإن رفضت الشريكة الرضوخ لاقتراحاته، يرد بتحميلها الذنب أو التهديد بإيجاد شريكة جديدة.

فجأةً أشعر بطعم سيئ في فمي.

فكّرتُ في تنزُّهنا على الشاطئ، ورائحة كريس عندما أرحتُ رأسي على صدره، وكيف أطعمني الفريز عند غروب الشمس، وكيف شدّ على ركبتي بقوة على القاطرة الدوّارة.

غير ممكن.

عندما اتصل كريس، تجمَّدتُ وحدَّقتُ في هاتفي كأنه قطعة فحم حمراء ملتهبة.

سألني: "ماذا حدث؟"

أمسكت الهاتف بعيداً عن وجنتي بينما كنت أخبره بشأن الحادث.

قلت له: "لقد غُرِّمتُ. وقسط التأمين سيرتفع".

"سيكون كل شيء على ما يرام، ستيلا. إنها نقود وحسب. المهم هو أنك وأمينة بخير".

"لكنك لا تفهم. منذ أربع سنوات وأنا أحلم بتلك الرحلة إلى آسيا. كان هدفي الأساسي. كنت أوفّر وأوفّر".

خشخش الخط، وصمت كريس.

"والآن لا أستطيع تأمين نفقاتها". بكيت.

"سيكون كل شيء على ما يرام، ستيلا. بالتأكيد ستذهبين إلى آسيا".

70

"يبدو لي أنه لم يعد لدي ما أتطلع إليه بعد الآن".

كانت أمينة تظن أنني أبالغ بالطبع. نظرت إلي من الجهة المقابلة من الطاولة وغضّنتْ أنفها.

"لا تكوني ملكة دراما كما أنتِ الآن".

كانت قد انتهت للتو من التمرين وكنا جالستين في كافيه الصالة الرياضية، محاطتيْن برائحة العرق والقهوة.

"من السهل عليكِ قول هذا. لطالما عرفت ما ستفعلينه. كلية طب، زواج، طفلان، منزل في ستوبجـــي، منزل صيفي في بوسنيا".

"يبدو ذلك مملاً إلى درجة مخيفة".

ضحكنا معاً، ثم شفطتْ مخفوقها البروتيني.

"كنت أحلم بالابتعاد لفترة طويلة".

قالت أمينة: "أعرف. ولكن ما زال بإمكانك الذهاب. أسوأ سيناريو هو أن تؤجليها لبضعة أشهر".

تنهّدتُ بعمق. بضعة أشهر؟ جعلت الأمر يبدو كأن الحياة تدوم دهراً لعيناً كاملاً.

"سئمتُ من عدم حدوث أي شيء! هل هذا هو ما سيكون عليه الحـــال الآن؟ خمسون سنة من الكآبة، ثم تموتين؟"

"خمسون؟" هزَّت أمينة رأسها. "يجب عليك ربما حساب ستين أو ســـبعين أخرى".

أقول وأنا أرفع عينيَّ إلى الأعلى سخريةً: "يا إلهي. مع أن والديّ يبـــدوان بأنهما يستمتعان بوقتهما أكثر كلما كبرا. يبدو الجو مختلفاً تماماً في البيت".

"لطالما أحببت والديك".

كانت تظن بأنها تعرف كل شيء. ألم تدرك أمينة أنه لم يُسمَح لها أبداً الدخول إلى المركز الداخلي لعائلتنا؟

"في الأسبوع القادم سيذهب أبي وأمي في رحلة ثنائية. لقد استأجرا مقصورة في أوروست".

"أووه، رومانسي جداً".

"يجب أن تأتي كي لا أبقى وحيدة".

"ماذا بشأن قطتك الصغيرة؟"

شفطت أمينة القطرات الأخيرة من مشروبها.

"قطتي الصغيرة؟"

"كريس!"

قلت وأنا أمرِّر يديّ عبر شعري: "أوه، لا أدري. أريد حقاً الخروج من هنا فقط، والذهاب في رحلتي".

قالت أمينة مبتسمة: "ستفعلين. عاجلاً أم آجلاً".

قالت مرحباً بشرود لزميلة عابرة في الفريق ثم نهضتْ وصوَّبت زجاجتها البلاستيكية الفارغة إلى أقرب علبة قمامة.

قلت لها: "يبدو سهلاً جداً عليكِ أن تكوني أنتِ".

نظرتْ إلي وكأنها تريد أن تركلني على المنطقة الواصلة ما بين ساقيّ.

هذه المرة لم يعدّ أبي طعاماً إيطالياً للعشاء. كانت أمي ترمي نظرات حب وجيزة عبر الطاولة، وكان أبي يبتسم. وحالما انتهينا من الأكل أراد أن يريني شيئاً ما على الكمبيوتر.

"عيد ميلادكِ قادم".

كان قد وجد دراجة فيسبا وردية رائعة جداً لكنها تكلف الكثير من المال.

قال لي: "وبذلك لن تضطري *لاستعارة* السيارة".

"ولكن، بابا، ثلاثون ألفاً! هذه قدر كبير من المال. أخبرتك، كل ما أريده هو نقود من أجل رحلتي".

حدَّق في الشاشة.

"سنرى. تعجبني هذه".

قلت: "لكنك لستَ صاحب عيد الميلاد".

أمضيتُ بقية المساء بين أمي وأبـي على الأريكة. كانت هناك طاقة منسجمة بينهما. هدوء غير عادي. لم نتحدث كثيراً، لكننا لم نكن بحاجة لذلك. شعرتُ بالأمان.

غصتُ في الأريكة وأغمضتُ عينيّ. وعندما استيقظتُ، كان الوقت تجاوز منتصف الليل. كان أبـي يشخر فاتحاً فمه، وسانداً خدّه على كتاب. وكانت أمي في الطرف الآخر، مضمومة الركبتين، مع دموع على وجهها.

سألتها بنعاس: "ماذا حدث؟"

قالت وهي تشير إلى التلفاز: "الكلب... مات الكلب".

ربَّتُّ على كتفها.

"ماما، هوليود تقتل الكلب دائماً. ألم تتعلّمي بعد؟"

أخرجتُ هاتفي من تحت الوسادة.

أربعة اتصالات فائتة من كريس. ورسالة جديدة.

فتحتُ الرسالة ووجدتُ أنها مرسلة من رقم غير مخزَّن في أسماء معارفي.

أنا واثقة أنه رائع معِ الآن؟ كان كذلك معي أيضاً في البداية. لقد تطلّب الأمر مني سنتين كي أكتشف من هو حقاً. لا أريدكِ أن ترتكبـي نفس الخطأ مثلي. كوني حذرة.

يا إلهي، هل كانت ليندا مضطربة جداً لدرجة أنها لم تستطع تخطّي كريس؟ هل كانت تحاول السيطرة على من يمضي معها وقته؟ تدمير كل شيء يمكن أن يجعله سعيداً؟

قرأتُ الرسالة مرة أخرى ثم محوتها وحظرتُ رقم ليندا لوكيند.

بينما كنت أصعد السلَّم اتصلتُ بكريس.

قال: "أخيراً. كنت في الحقيقة بدأت أشعر بالقلق".

كان هناك أصوات أزيز في الخلفية. سيارات وصوت زمور.

"آسفة، لقد غفوت على الأريكة".

قال: "يجب أن تخرجي. أنا في السيارة. لقد حجزتُ جناحاً في جراند".

71

تفتح إلسا الباب لتيدي، الذي بدخل ويقف، متردداً.

يسألني بحذر: "هل أنت أفضل حالاً؟"

"أجل؟"

صحيح أنني مستلقية على السرير لكنني أرتدي ثيابـــي بالكامل.

"قالوا إنك كنتِ مريضة البارحة".

لقد نسيت ذلك تقريباً.

"أوه، لم أستطع تحمُّل رؤية الأخصائية النفسية فقط".

لا يبدو تيدي مقتنعاً. يُخرج حافظات أوراقه ومحفظة أقلام الرصاص بتردد.

أقول له: "لا أفهم لماذا يرغموننا على الذهاب".

يقلّب تيدي بشرود في صفحات *الجريمة والعقاب*.

"أعرف أنه يمكن أن يكون صعباً. غالباً ما اعتقدتُ بأنني أحـــب تجربـــة العلاج النفسي، لكنني لم أمتلك العزيمة".

أجلس بجانبه مع دفتري.

يسألني: "كيف يسير المقال؟"

"لا يسير".

لقد كتبتُ أربع جمل فقط.

يقول وهو يتصفّح كتاب دوستويفسكي: "لنتحدث عنه قليلاً وأنا واثـــق بأن هذا سيحفّزك. ما رأيك بهذا إذن؟"

أفكر لوهلة.

"إنه طويل".

لقد انكببتُ على رواية روسية طويلة جداً من القرن التاسع عشـــر. ومـــع ذلك لم أكرهها.

راسكولنيكوف تجاوز العشرين للتو ويعتقد أنه أذكى وأفضل من أي شخص آخر. إنه بحاجة للنقود ولهذا يقرر سرقة وقتل مرابٍ يصفه بالشخص المقرف والشرير وبأنه لا يستحق الحياة.

لستَ بحاجة لإنفاق عشر سنين في كلية تدريب المدرِّسين لتفهم ما يريد تيدي الوصول إليه.

يسألني: "ما هي مقدمة نظريتك؟ أنتِ بحاجة لسؤال. مثلاً، هل جميع جرائم القتل شريرة بالتساوي، أم يمكن أن تكون هناك ظروف مخفِّفة؟"

أنظر إليه بتفكُّر.

"إلى أي حد أنت مطَّلع، حقاً؟"

"مطّلع؟ في هذا؟"

ينقر بإصبعه على مقالي غير المكتوب ويحاول الظهور بمظهر المحتار. لكن تيدي لا يستطيع خداع طفل لم يدخل المدرسة بعد.

يقول: "نحن نتحدث عن هاتين الروايتين الآن. لا شيء آخر".

أهز برأسي مع ابتسامة ساخرة.

ثم أقول: "بالطبع يمكن أن تكون هناك ظروف مخفِّفة".

"هل هذا رأيكِ بصراحة؟"

"قد لا تكون هناك أي منها في هذين الكتابين، ولكن بالتأكيد. من الناحية النظرية".

يكرر تيدي عبارتي بتشكك، كأنه لم يسمعها من قبل: "من الناحية النظرية. مثل؟ ما الذي يمكن أن يبرر زهق روح شخص آخر؟"

"لا يبرر. هذه قصة مختلفة. نحن نتحدث عن ظروف مخفِّفة".

يقول تيدي وهو يؤشر بيد واحدة: "أعطني مثلاً".

"الدفاع عن النفس".

"ولكن، هذا أمر مختلف. في هذه الحالة ليست هناك جريمة. الجميع يملكون الحق بالدفاع عن أنفسهم. أعطني مثالاً آخر".

أحكُّ وجنتي.

"بعض الناس لا يستحقون الحياة".

تتضيَّق عينا تيدي.

"لا أعني أن أي شخص يمكنه التجوُّل وهو يقتل الناس. لكن بعض الأشخاص يستنفذون حقهم بالحياة. أحد حلول المشكلة، بوضوح، يمكن أن يتمثّل في نظام عدالة فعّال. لو أن القتلة والمغتصبين يُعاقَبون بطريقة مناسبة..."

"هل تقولين إنك تؤيدين عقوبة الإعدام؟"

"أظن أن معظم الناس يؤيدونها. من السهولة الفائقة بمكان أن تعارض عقوبة الإعدام إذا كنتَ غير متأثّر شخصياً. اسألْ أي شخص فقَدَ فرداً من العائلة في جريمة قتل وأراهن بأن الإجابة ستكون واضحة جداً".

تنعكس دهشة تيدي في شكل فمه. يبدو مثل فتى في المدرسة الإعدادية.

"ألا تعتقدين أن الناس يستحقون فرصة ثانية؟"

"بعد الاغتصاب والقتل؟"

لا أعرف إن كان يحاول عن قصد إثارة غضبي، لكنه إذا كان يفعل، فإنه نجح.

أقول له: "الرجل الذي اغتصبني. هل تقول إنه يستحق فرصة ثانية؟"

"أنا... في الواقع..."

"كنتُ في الخامسة عشرة. الخامسة عشرة! لقد فاجأني وأمسكني بقوة شديدة لدرجة أنني لم أستطع التنفس. ناضلتُ من أجل حياتي بينما كان يُقحم عضوه المقرف في داخلي".

يرتسم تعبير انزعاج بالغ على وجه تيدي.

"هناك ظروف مخففة. سأكون سعيدة لمشاهدة ذلك الوغد يموت".

تيدي ذكي بما يكفي بحيث لا يجادل. يرمش بضع مرات وينظر إلى يده. ثم يقول: "كان بوسعي قتله أنا شخصياً".

72

صحوتُ في الجناح في فندق جراند. كريس غارق في الكرسيّ المريح قبالتي، حاملاً بيديه فنجان قهوة ورافعاً كاحليه على كرسيٍّ إراحة القدمين (*ottoman*).

"صباح الخير، شيء ساخن؟"

ابتسمتُ ومشيتُ بجانبه متجهة إلى الحمام، حيث غسلت وجهي في المغسلة وجلستُ على حافة حوض الاستحمام، الذي نقعنا نفسينا فيه لمدة طويلة في الليلة الماضية. كانت هناك كتلة ندم كبيرة تفور في معدتي.

صاح من كرسيِّه: "في أي وقت يجب عليكِ الذهاب إلى العمل؟"

"العاشرة إلا ربعاً".

كنتُ أقترب من الموعد مسبقاً.

لبستُ ثيابي وبذلتُ جهداً لأبدو سعيدة وممتنة بينما كنت أعانق كريس.

قال وهو يعطيني الخارطة: "لا تنسي هذه".

كانت هدية. لقد أعطاني إياها عندما كنا نشرب الشامبانيا في السرير، بعد استلامنا مفاتيح الغرفة مباشرة. كانت صفحة بحجم A3، ملفوفة مثل مخطوطة قديمة ومثبتة بشريط مخملي جميل. فتحتها وشعرت بقلبي يقفز. أماكن أراد أن نختبرها معها. لم أذكر له أنني كنت أمتلك خريطة مسبقاً، أكبر بكثير ومليئة بالدبابيس.

كان يجب أن أكون سعيدة عندما نزلتُ بالمصعد وخرجت إلى شارع ليلا فيسكارغوتن. المشكلة هي أنني لم أكن أريد كل هذه المشاعر. كان من المستحيل أن أذهب في رحلة حياتي برفقة رجل في الثانية والثلاثين. كان أمراً غير وارد على الإطلاق. ومع ذلك، كان هناك شيء يعتمل في داخلي، ويطلب مني التوقف عن تحليل كل شيء بشكل مبالَغ وترك الأمور تحدث وحسب.

بينما كنتُ أعبر ستورتورجيت مع بقاء دقيقتين على بدء نوبتي، فتحت السماء أبوابها وانهمر المطر. كانت المرة الأولى منذ أسابيع.

كانت ما تزال تمطر حين غادرتُ المحل في ذلك المساء. كنت أنوي الانعطاف حول الزاوية وركوب الباص عند بوتولفسبلاتسن كي لا ينتهي بي المطاف منقعة بالماء.

لكنني لم أنجح في قطع سوى بضعة أمتار.

عند حافة نطاق رؤيتي، المحدود بفضل قلنسوتي، لمحتُ شخصين تحت مظلة كبيرة.

"ستيلا!"

أمسكتْ أمينة بذراعي.

"تعالي، يجب أن تسمعي هذا".

كان شعرها مبللاً وعيناها هائجتيْن.

"ماذا يحدث؟"

قالت وهي تشدني: "لنبتعد عن المطر".

كانت ليندا لوكيند بجانبها، تمسك بالمظلة بيد وتحاول إبقاء حافة رقبة قميصها مغلقة باليد الأخرى.

"ما المشكلة أمينة؟"

كنت غاضبة بشدة. هل كانت هي وليندا لوكيند تنتظران من أجل مباغتتي؟ هل كانتا تتآمران عليّ؟ نزعتُ ذراعي وحملقت فيها.

قالت أمينة: "أرجوكِ، يجب أن تسمعي ما تريد ليندا قوله".

كان المطر يتدفق على وجهها وكانت هيأهما توحي بوجود شيء طارئ.

قلتُ وأنا أنظر إلى ليندا: "حسناً. افعلي ذلك بسرعة".

وجدنا بقعة منفردة لا يطالها المطر. أبعدتْ أمينة خصلات الشعر المبللة عن خدِّيها وحثّتْ ليندا على إخباري بما كان واضحاً أنها سمعته منها مسبقاً.

قالت ليندا لوكيند: "كنتُ مع كريس لمدة ثلاث سنوات. كنت أعتقد بأنني أعيش الحياة المثالية. حتى أنني لم ألاحظ أن الأمور كانت قد بدأت تتغير".

نظرتْ إلي بعينين مترددتين.

قالت أمينة: "استمري".

"حدث كل شيء بالتدريج. بضع أشياء صغيرة في كل مرة. كنت أقول لنفسي بأن هذا لن يستمر بالحدوث، لن يصبح أسوأ. كنتُ أريد بشدة أن يكون كل شيء على ما يرام".

كان المطر يطرق بقوة على السقف. ركض بضعة فتيان للحاق بباص، وتعلّقوا بالباب إلى أن سمح لهم السائق بالدخول.

قالت ليندا: "الشيء الأول الذي لاحظته هو غيرته. في البداية اعتقدتُ بأنه شيء لطيف، كأنه برهان على أنه يحبني حقاً. لكنه ازداد قوة أكثر فأكثر. ذات مرة كان على وشك لكْمِ رجل على وجهه لاعتقاده بأنه كان يغازلني".

نظرتُ في عينيها مباشرةً. معظم الناس رديئون في الكذب، ولكن لم تكن هناك أية إشارة إلى أن ليندا لم تكن تقول الحقيقة.

"كنتُ طالبة عندما التقينا، لكنه أقنعني بترك الدراسة. قال إنه سيكون من الأفضل لي العمل مع شركته. وإنني لم أكن بحاجة لتعليم. هنا بدأ والداي بالقلق، فجعلني أقطع صلتي بهما. وبعد فترة من الوقت، توقفنا عن قضاء الوقت مع أصدقائي أيضاً. كان هناك دائماً عذر ما. مثلاً إذا قلتُ إن شخصاً ما عَزَمَنا لقضاء بعض الوقت في بيته، يكون كريس قد خطط للتو لمفاجأتي بعطلة نهاية أسبوع في براغ. واستمر الأمر على هذا النحو. وفي النهاية لم يبقَ لدي أحد. كريس فقط".

فكّرتُ في الصورة في حسابه على الفيسبوك. كانا يبدوان سعيدين، هي وكريس. هل كان هذا مجرد آلية دفاعية؟ طريقة للانتقام؟

قالت ليندا: "لقد قلّصتُ حياتي كلها إلى أن أصبحت تدور حول كريس فقط. كما أرادني بالضبط. كان يضعفني ببطء".

انعطف باص إلى الشارع ناثراً الماء عالياً حول عجلاته. التفتُّ نحو أمينة. كنت أعرف بأنها تفعل ذلك بدافع القلق، ولكن مع ذلك كان من الصعب علي

أن أتقبَّل هذا الأمر. بماذا كانت تفكر؟ تأتي فجأة برفقة ليندا لوكيند. هل كانت أمينة تثق في هذه المرأة؟

قالت ليندا وهي تهز مظلتها: "سوف يفعل الشيء ذاته معك. كان شكوكاً على نحو مَرَضي. لم أفهم في البداية، لأنه لم يُظهر غيرته إلا بعد بضعة أشـهر. كان يريد معرفة كل تفصيل يتعلق بما أفعله، وأين، ومع من. وفي نهاية المطاف، كان هو الذي يخون".

فكَّرتُ في ما قاله كريس. *خنتها عاطفيًا، ولكن لم يحدث أي شيء.*

"وجدتُ رسالة على هاتفه. من فتاة نعرفها كلانا. فتاة كنت أظن أنها صديقتي. كان أكثر من واضح ما كان يجري بينهما، لكنني عندما واجهت كريس، دفعني وصدمني بالحائط".

أغلقتْ مظلتها ونظرت إلى الشارع.

"لقد مزَّق طحالي. وفي المستشفى اختلق قصة حول سقوطي عن دراجتي".

لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لم يكن كريس عنيفاً.

سألتها: "متى حدث ذلك؟"

"في الشتاء الماضي. قبل الكريسمس مباشرة".

بحسب كريس، لم يقابل أية امرأة جديدة و لم يُنهِ الأمور حتى الربيع الماضي.

سألتها: "لماذا لم تتركينه؟"

"ليس الأمر بهذه البساطة. لا يمكنني شرح ذلك، ولكن كان الأمر يبدو وكأنه امتلكني. كنت خائفة بصورة دائمة. بعد أن ضربني لأول مرة، ازداد الأمر بشكل سريع. وفي كل مرة كنت أقسم لنفسي بأنني لن أدع ذلك يحدث مجدداً. لكنه... لن أسامح نفسي أبداً على البقاء".

أغمضتْ عينيها بقوة. هل كان ذلك مطراً أم دموعاً على وجهها؟ لمستْ أمينة ذراعي برفق كنوع من الاعتذار.

هل كانت لدي أية فرصة؟ سواء أكان هذا صحيحاً أم لا، لم يعد باستطاعتي مقابلة كريس بعد ذلك. في الواقع، كنت منزعجة لأنني سمحت

للعلاقة بالتطور إلى ذلك الحد. صحيح أنه كان مثيراً وجذاباً وثرياً، لكنني اكتفيت. لم يعد بوسعي تحمُّل المزيد من الدراما.

سألتني ليندا: "هل فتحتِ الدرج؟"

هززت برأسي مؤكدة.

"جعلني أفعل أشياء لم أكن في الحقيقة أريد فعلها. قال إنني إذا كنت أحبه حقاً فإنني سأُثبت ذلك. وعندما تجرّأتُ أخيراً على المقاومة ثارتْ ثائرته. قيَّدَ يديَّ خلف ظهري وحشر الكمّامة الكروية في فمي. لم أستطع التنفس".

شهقتُ طلباً للهواء بشكل تلقائي. صدمتني الذكريات كالصاعقة.

"اغتصبني. أعتقد أنه كان يريدني أن أقاوم. هكذا كان يحب. أدركتُ ذلك حينئذ".

فكَّرتُ في يديّ كريس الرقيقتين في حوض الاستحمام في جراند. والماء يترقرق بشكل إيقاعي حول جسدينا. لا شيء مما قالته ليندا يطابق كريس الذي كنت أعرفه.

"لماذا لم تذهبي إلى الشرطة؟"

"ذهبت، لكنهم أغلقوا التحقيق. والدة كريس بروفيسورة في القانون وتعرف كل مدَّعٍ وقاضٍ في هذا البلد. وكريس رجل أعمال ناجح ومليونير. لماذا سيصدقني أحد؟"

سألتها: "متى قدَّمتِ بلاغاً للشرطة"

نقلت ليندا وقفتها من جانب إلى جانب آخر.

"في نيسان".

سألتها أمينة: "بعد أن تركته؟"

هزّتْ ليندا برأسها مؤكدة.

فسألتها: "بعد أن *تركته أنتِ*؟ أم العكس؟"

أغمضتْ عينيها للحظة وجفَّفتْ وجنتها.

ثم قالت بهدوء: "العكس".

بصقتُ على الرصيف. توقف أمامي باص آخر فقزت امرأة تحمل حقيبـــة جانباً حين تناثر الماء كالنافورة فوق الرصيف.

قلت وأنا أركض للحاق به: "هذا باصي".

73

"لماذا انفعلتِ بقوة في اجتماعنا الأخير؟"

ترفع شيرين وشاحها الملوَّن إلى ذقنها وتنظر إلي. وتواجه صمتي العنيد بسؤال تلو السؤال.

"هل يزعجك التحدث حول الأمر؟ هل تعتقدين أن التحدث عنه قد يساعدك؟"

أتنهّد. لا أعرف لماذا أنا هنا مجدداً. كان بوسعي التظاهر بأنني مريضة. كان بوسعي الاحتجاج بشدة، والمقاومة جسدياً.

تسألني شيرين: "هل لديكِ معرفة بمفهوم الباحثين عن الإثارة؟"

أصالب ذراعيَّ فوق صدري وأحدِّق في نقطة على الحائط خلفها. لا أريدها أن تعتقد بأن كل شيء على ما يرام الآن؛ عاد إلى طبيعته بطرفة عين. لقد وعدتني بأن لا تضع أفكاراً مسبقة حولي، ومع ذلك افترضتْ أنني كنت أتحدث عن كريس عندما سألتُها عن المهووسين بالتحكم.

تقول شيرين: "لقد بيَّنَ باحثون أن بعض الأشخاص يحتاجون إلى حوافز إضافية من أجل الشعور بالمتعة. على سبيل المثال، قد يسعى شخص ما وراء رياضات خطرة مثل تسلُّق الجبال أو القفز بالحبل المطاطي (*bungee jumping*). ولكن، قد يبحث شخص ما أيضاً عن علاقات خطرة ويستمتع بالصراع".

أجهد قدر الإمكان لأن أبدو غير مكترثة، رغم أنني أصغي باهتمام شديد في الواقع.

تسألني شيرين: "هل كان مثيراً، كريستوفر أولسن؟"

هذه المرة، تبدو أشد حذراً بخصوص ذكر اسمه -ظهرها مستقيم وإصبعها على الأرجح يلامس زر النجدة.

"أوه، توقفي عن ذلك".

"تحبين الإثارة، أليس كذلك؟ هل هذا صحيح؟"

أُصدر نخرة سخرية عالية.

"أحب تحليلاتك. لو احتجتُ يوماً إلى معالجة نفسية، أنا واثقة بأنني سأتصل بك".

أنظرُ في عينيها.

تقول: "حس الدعابة لديكِ..."

"آلية دفاعية، صحيح؟"

لا ترد.

أقول في داخلي: *في نهاية المطاف. في النهاية ستستلم.*

أعود إلى زنزانتي، وأتمدّد على السرير وأحدِّق في بقعة على السقف إلى أن تبدأ بالنمو والتحوُّل إلى توهُّم بصري مكوّن من ألوان وأشكال ضبابية.

أفكر في كريس. قد يكون هناك شيء ما فيما يتعلق بثرثرة شيرين حول كيمياء الدماغ والعواطف والحاجة لشيء محفِّز. أعتقد أن كل إنسان يجب أن يتحمّل مسؤولية أفعاله. لا يمكن أبداً تحميل المسؤولية للدوبامين، والسيروتونين، والأدرينالين. ظروف مخفّفة. لا أدري.

لقد عرفتُ من هو كريس أولسن. أو على الأقل كان يجب عليّ أن أعرف.

الدوافع والمشاعر توجد لوهلة فقط. لطالما اعتقدتُ أن الحب مختلف، خيار تتخذينه. ولع يشتعل ثم يخمد. يا إلهي، أنا أقع في الحب، ربما، عشر مرات في اليوم في أي ثلاثاء عشوائي من شهر تشرين الأول. لكنني لم أختر الوقوع في حب كريس. أو هل اخترت فعلاً؟ هل كنتُ قادرة على الاختيار أساساً؟

لماذا تؤلمني معدتي حين أفكر في هذا الأمر؟

يعود كل شيء إليّ. الاضطراب والقرف.

خيانة.

حين أفكر في أمينة، أشعر كأن جلدي ينشقّ. يتورَّم الشعور بالحزن والذنب داخلي ويجعلني أحسُّ بغثيان الحركة.

أفكر في إستر جرينوود وهولدن كولفيلد. هل يمكن البقاء في هذه الحياة بعقل سليم؟

لستُ مستعدة على الإطلاق حين يدخل تيدي. أتحرّك بسرعة إلى حافة السرير وأخفي دموعي خلف يديّ.

يسألني وهو يضع حقيبته الجلدية على المنضدة: "ما الأمر؟"

"لا شيء. متعبة فقط".

ينحني ويضع يداً مُطَمْئنة على كتفي.

أرفع وجهي على مهل نحوه وأدع الدموع تنهمر.

74

في يوم الجمعة، تقاسمتُ وأمينة طبق كباب كبير على الأريكة، رغم أن أمي وأبـي جعلاني أعدهما بأن آكل فقط في المطبخ أو على الطاولة في غرفة الطعام. وكان آخر شيء قالته أمي قد مغادرهما: "لا تخيِّبي ظن أبيك".

قصة حياتي، في بعض الجوانب.

قلت وأنا أحملق في أمينة: "لا أصدق أنك فرضتِ تلك المعتوهة علي".

"ماذا يُفترَض بـي أن أفعل؟ لم أستطع التخلص منها".

"صدقاً، أمينة. ليندا لوكيند تلك عرفتْ من تكونين ووجدتك. لابد أنها كانت تلاحقك. كما طاردت كريس".

عضَّتْ أمينة على شفتها. كان واضحاً أنها تريد الاحتجاج لكنني أظن أنها أدركت أن الوقت لم يكن مناسباً.

بحثنا على الإنترنت عن مزيد من المعلومات حول ليندا، على دليل يثبت أنها معتوهة، لكنها كانت غير مرئية تماماً.

قالت أمينة وهي تشير بشوكتها البلاستيكية: "لديكِ شيء هناك. لا، هنا. أعلى".

حرَّكتُ إصبعي إلى أعلى وجنتي ومسحت بقعة صلصة.

تنهّدتْ أمينة. تشعر بالإحراج عندما أكون فوضوية أو أوسِّخ نفسي. إنها تستخدم أدوات الأكل مثل أدوات جراحية، حيث تملؤها بقطع صغيرة تنزلق إلى فمها لدرجة أنها بالكاد تفتح فمها. لا يمكنكَ أبداً رؤيتها تمضغ.

قالت: "تيجنيرس الليلة؟ رجاءً، رجاءً، رجاءً".

"مستحيل".

عانيتُ من صداع طوال فترة بعد الظهر وكل ما كنت أريد فعله هو الاستلقاء على الأريكة والنوم عشر ساعات. ولم أكن بحاجة للقلق بشأن كريس

لأنه بعث رسالة قال فيها إنه سيذهب لمقابلة صديق عجوز وإننا سنتحدث في يوم آخر. لسبب ما، كنتُ أرتجف من مجرد فكرة الاضطرار للانفصال عنه. لم أكن أعرف ما إذا كان يتوجب علي إمساك الثور من قرنه وقول الحقيقة وأدع الأمر ينتهي تدريجياً.

قالت أمينة: "من فضلك. أنا أتوسل إليك".

كانت تريد أن ترقص وتحتفل وتلتقي بالناس. قالت إنها لم تشعر يوماً بمثل ذلك القدر من الحيوية. وبالطبع، بما أن الصديقة المثلى التي أريد وأحاول أن أكونها، وافقت. أخذنا نرقص بطريقة هزلية على أغنيات قديمة من مسابقة الأغنية الأوروبية يوروفيجن، ونزاحم بعضنا أمام المرآة في غرفة الدخول، ونبدِّل ونتبادل الثياب. وقبل منتصف الليل بقليل ركبنا دراجتينا وانطلقنا عبر مركز المدينة باتجاه تيجنيرس.

أخذنا نهزُّ برأسينا ونتعرَّق تحت الانفجارات الضوئية على ساحة الرقص. أمسكتْ أمينة بيدي بينما كنا نشق طريقنا بشكل متعرِّج بين الأجساد الراقصة، ووصلنا إلى البار لاهثتيْن وطلبنا مشروب السايدر من الساقي الملتحي.

كنت مبللة بالعرق وكان رأسي ينفض بقوة.

قالتْ أمينة وهي تشير إلى الطرف الآخر من البار: "انظري إلى هذا! ألا يُفترَض أن يكون مع صديق عجوز؟"

كان كريس يقف سانداً ظهره على البار، مائلاً بشكل طفيف نحو فتاة عارية الكتفين ترتدي قرطيْن فضييْن. كانا يضحكان، وبشكل عابر مسحتْ يدها مرفقَه برقة.

قالت أمينة: "من تكون؟"

أمسكتُ بكأسي ودُرتُ حول البار. كان كريس على وشك الالتفات، وكان ما يزال يضحك حين رآني.

"ستيلا! أنتِ هنا أيضاً؟"

شددتُ كل جسدي احتجاجاً حين عانقني. كانت الفتاة ذات القرطين تنظر إلي باستغراب.

قال كريس: "هذه صديقتي بياتريس".

رمقتها بنظرة مُقيِّمة بينما كنا نتصافح. كانت في الخامسة والعشرين تقريباً، أو ربما الثلاثين، وتضع الكثير من مساحيق التجميل. وكانت شفتاها كبيرتين وجسدها مشدوداً.

قلتُ لكريس: "آسفة، عندما قلتَ 'صديقاً عجوزاً'، اعتقدتُ..."

قالت بياتريس ضاحكة: "عجوز؟" [*old*"، كان يقصد صديقاً قديماً].

اصطنع كريس نظرة خجل.

سألتُ: "إذن كيف تعرفان بعضكما؟"

قالت بياتريس: "في الأصل من خلال حبيبته السابقة".

تظاهر كريس بأنه لم يسمع ما قالته، وقال شيئاً حول إعجابه ببلوزتي. كان واضحاً أنه لم يكن مسروراً بهذا النقاش على الإطلاق، لكنني لم أكن لأتراجع.

سألتها: "تقصدين ليندا؟"

نظرتْ بياتريس إلى كريس الذي ردَّ برفع كتفيه.

"أنا وليندا أصبحنا صديقتين عندما كنا في المدرسة. كنتُ في الحقيقة موجودة عندما التقت مع كريس لأول مرة. كنا نمضي الكثير من الوقت معاً في بداية علاقتهما، قبل أن... تمرض".

خفضتْ رأسها قليلاً.

قلت: "تمرض؟"

هزّتْ بياتريس برأسها مؤكدةً لكنها لم تُفصِّلْ أكثر.

قلت وأنا ألتفت إلى كريس الذي كان يضع يداً على وجهه: "لقد بحثتْ عني ليندا ووجدتني".

"جدّياً؟"

"بل إنها وجدتْ أمينة أيضاً. أرادتْ تحذيرنا منك. ادّعتْ أنك فعلتَ أشياء مريضة معها".

قال كريس: "يا يسوع المسيح. لقد سئمتُ من هذا الأمر. إنها تسعى لتدمير حياتي، بأي ثمن".

قالت بياتريس وهي تربِّتُ على ذراع كريس: "إنه أمر محزن جداً. كانت ليندا الفتاة الأعذب في العالم عندما تعرَّفنا على بعضنا. لطيفة للغاية ومراعية لمشاعر الآخرين. صحيح أنها ربما كانت شكوكة قليلاً وغيورة حتى حينئذ، ولكن من كان سيظن بأن الأمور يمكن أن تنتهي بهذه الطريقة؟"

سألتُ: "ألا يمكنها الحصول على مساعدة؟ مثلاً، من طبيب نفسي؟"

قالت كريس: "كانت ليندا تقابل معالجين نفسيين منذ أن كانت مراهقة".

قالت بياتريس: "لسوء الحظ، الوضع يزداد سوءاً. انفصل كريس عنها ففقدت صوابها كلياً".

كما ظننتُ إلى حد ما. لم تكن ليندا لوكيند سليمة العقل تماماً. رمقتُ أمينة بنظرة ذات مغزى.

فوضعتْ يدها على كتفي.

قالت: "حمّام".

"ولكن..."

"الآن من فضلك، قبل أن أتبوّل على نفسي".

أغلقنا الباب علينا في إحدى المقصورات وتبوَّلنا الواحدة تلو الأخرى. شعرتُ بالسخونة والتوعُّك. كان رأسي ثقيلاً. هل كان بسبب فيروس ما؟ لعلي أرهقت نفسي العمل.

سألتني: "ماذا بك؟"

"لا أعرف. منهكة".

بالفعل، كل ما كنت أريد فعله هو الذهاب إلى المنزل ومن ثم إلى السرير مباشرة.

سألتها: "والآن، هل تصدقينني؟ هل فهمتِ أن ليندا لوكيند مضطربة كلياً".

صفعتْ جبهتها بيدها لإظهار مدى غبائها.

"كيف كان يُفترَض بي أن أعرف؟ لم أشأ المجازفة".

قلت لها: "لا بأس".

قالت أمينة مع ابتسامة ماكرة: "إنه لذيذ بشكل فظيع".

"من؟"

"قطتك الصغيرة".

ضحكتُ، لكن شعوراً بالقلق غمرني بعد لحظة واحدة. لم أعرف من أي أتى أو ماذا كان يعني، لكنه اجتاح جسدي كله.

قالت أمينة وهي تفتح باب المقصورة: "والآن هيا! أشعر بإثارة فظيعة!"

عدنا مجدداً إلى وسط ساحة الرقص الهائجة. قاومتُ نعاسي بينما كانت أمينة تهزُّ بذراعيها وتضحك. كانت ضحكتها تخرج من فمها مثل فقاعات صابونية.

وبعد قليل انضم كريس إلينا. رقص بالقرب مني واضعاً يديه على وركي، وأنفاسه الكحولية تدغدغ رقبتي. كان الإيقاع القوي يدقُّ بعنف في بطني، وساقاي تضعفان أكثر فأكثر.

أمسكتُ بساعد كريس.

"أين بياتريس؟"

"ذهبت إلى المنزل، إلى حبيبها".

"لا أشعر بأنني على ما يرام. أعتقد أنني بحاجة للمغادرة أيضاً".

نظر كريس وأمينة إلي بقلق.

سألني كريس: "هل آتي معك؟"

"لا، ابقَ هنا مع أمينة. سأقود دراجتي إلى المنزل وأخلد للنوم".

قبَّلته قبلة خفيفة وعانقتُ أمينة.

قالت لي: "هل أنتِ متأكدة؟"

فأجبتها: "آسفة".

أنعشني الهواء العذب. ولم أعد أشعر بنفس القدر من الثقل في رأسي، ودبَّتْ قوة جديدة في ساقيَّ بينما كنت أقود دراجتي عبر مركز المدينة. وبعد قرصيْ تيلينول وهايدرالايت، خلدتُ إلى سريري مع هاتفي وغفوت بسرعة البرق.

استيقظتُ لأن الوسادة كانت تهتز. رفعتُ رأسي بسرعة وبحثت عن هاتفي الذي كان قد انزلق بين لوح الرأس والفراش.

"ألو؟"

كانت أمينة تلهث على الجانب الآخر من الخط.

"يجب أن أخبرك بشيء".

"ماذا يجري؟"

"ذهبتُ إلى المنزل مع كريس".

أحسستُ بوخزة ألم في صدري. ماذا كانت تعني؟

"حدث هذا وحسب. تشاركنا سيارة أجرة. نسيتُ أن دراجتي كانت عند تيجنيرس".

كان قلبـــي ينفض بعنف.

سألتها: "هل حدث أي شيء؟"

"لا، لا، لا شيء".

"لا شيء؟"

ألقيتُ رأسي على الوسادة.

"بالتأكيد لم يحدث أي شيء. ما الذي تظنينه بحق الجحيم؟"

"لا، بالطبع لا".

"أردتُ أن أخبرك فقط بأنني ذهبت إلى المنزل معه".

قلت لها لا بأس، لا مشكلة، وأشياء من هذا القبيل.

كنتُ قد عقدتُ العزم على إنهاء العلاقة مع كريس. لكنني في تلك اللحظة لم أعد واثقة.

سألتني أمينة: "هل تحسَّنتِ؟"

"أعتقد ذلك".

تحققتُ من الوقت. الرابعة والنصف صباحاً.

"الآن، اذهبـــي إلى المنزل وإلى السرير قبل أن يبدأ دينو بالقلق".

ضحكتْ أمينة بعصبية.

"لقد اتصل مرتين مسبقاً".

"نتحدث غداً. أحبك".

البطارية خمسة بالمائة. وجدتُ الشاحن على الأرض وكنتُ على وشك وصله بالهاتف عند وجدت وجود رسالة جديدة آتية من رقم لم أكن أعرفه.

أرجوكِ، ابقي بعيدة عن كريس. إنه خطر.

75

أستيقظ مغطاةً بعرَق بارد، ولا أعرف كم الوقت. قد يكون قبل منتصف الليل، أو قُبيل الفجر. هنا، لا يعني مرور الوقت شيئاً.

هناك شيء يلاحقني. أقفز من السرير وأدور في أرجاء الغرفة. الرائحة لاذعة وقوية كما كانت عند وصولي أول مرة.

أدقُّ بهستيرية على الباب المقفل مع ضغط الصور المرعبة في عقلي. صور حقيقية جداً كما لو أن الحدود بين الحلم والواقع اختفت.

أصرخ عند الباب وأواصل الضرب عليه رغم أن قبضتيَّ تؤلماني: "دعوني أخرج!"

أرى في ذهني جسد كريس المبلل بالدم على الأرض. وكيف يرتجف ويتلوّى مع خروج دفقات جديدة من الدماء من جروح معدته.

"افتحوا الباب!"

أضرب رأسي على المعدن القاسي وأهوي على ركبتيَّ بينما تحاول أظافري تمزيق الباب بيأس.

أخيراً ينزلق المزلج ويُفتَح الباب وتحدِّق عينان خائفتان فيَ وأنا راكعة على الأرض. إنها إلسا.

أقول بصوت خشن: "ساعديني".

إنني أغرق. جسدي ما يزال يغوص رغم أنني مكوَّمة على الأرض مسبقاً. أحاول شق طريقي إلى الأعلى وأمد ذراعيّ، لكن الهواء كثيف جداً. كأنني أحاول السباحة في إسمنت.

"ماما! ماما!"

تأمرني إلسا بالتراجع عن الباب لكنني أنجح ببطء في الزحف خارجه بينما أسمع إلسا تنادي طالبةً النجدة.

أستلقي على ظهري وأحدِّق في السقف أثناء قيامهم بفحصي. أصواهم نائية، مثل همسات خافتة من مكان بعيد.

تعود صورة كريس المحتضر إليَّ مرة بعد مرة. ذلك الجسد النابض المدمَّى على الأرض.

يصفعني طبيب على وجهي. أقول له إنني أجد صعوبة في التنفس، وإن هناك شيئاً ما في حنجرتي. يقرِّب من فمي كأس ماء لكن معظمه يسيل على خدّيّ وذقني. يتلقى مساعدة من أحد الحراس لإجلاسي.

هناك عدة أيدٍ غريبة على وجهي. قفازات مطاطية تتحسس داخل فمي. يُقحم شخص ما قرصين في فمي ويقول إنني سأنام.

أصرخ وأنا ألوِّح بذراعي: "لا!"

النوم خطر. لا أريد العودة إلى هناك.

"لا أريد ذلك!"

إهم خلفي، يقيّدونني.

أسحب نفساً عميقاً وأحبسه. أستطيع الشعور فعلاً بالأوكسجين يتدفّق إلى دمي ويبدأ نبضي بالاسترخاء.

أرى إلسا، في الزاوية ترتجف، مثل طفل تائه.

أقول لهم: "الشرطة. أريد التحدث مع الشرطة".

لا أعلم ماذا سأخبرهم. الحقيقة كلها، أو جزء من الحقيقة، أو شيء لا علاقة له أبداً بالحقيقة. أعلم فقط أنني بحاجة للتحدث، قبل أن أنفجر.

76

أراد كريس المجيء إلى منزلي.

قال في رسالته: *أريد أن أرى كيف تعيشين. أحب مقابلة والديك أيضاً، ولكن ربما يتوجب علينا أن نتروّى في هذه المسألة. على أي حال، سيكون الوضع مثالياً بما أنهما غائبان في رحلتهما.*

نظرتُ حولي. ثياب وحقائب وأشياء عشوائية متناثرة في كل مكان. والمطبخ تفوح منه رائحة مقززة وكأن حيواناً ما ميت فيه. كما كوَّمتُ جبلاً من الملابس الداخلية والبلوزات الخالية من الأكمام في غرفة الغسيل.

رددتُ عليه: *طيب. ولكن أعطني ساعتين.*

كنت بحاجة للتحدث معه. لم يكن بالإمكان الاستمرار في هذا الأمر. صحيح أنني كنت أستمتع بطبعه المسترخي ورغبته في عيش اللحظة الراهنة، إلا أنني كنت بحاجة للتأكد بأننا كنا على الموجة ذاتها فيما يتعلق بما نفعله. كنت أخشى من تأذي شخص ما.

بعد الحادثة مع السيارة، لم يكن سيضرُّ بالطبع أن أجعل المنزل يبدو جميلاً قبل عودة أمي وأبي يوم الجمعة. بدأتُ بغرفة الجلوس. رتّبتُ ونظّفتُ بالمكنسة الكهربائية ومسحتُ الطاولة. ثم انتقلت إلى المطبخ، فأفرغتُ غسّالة الصحون وأعدتُ ملأها، وأعدتُ كل شيء إلى الخزائن، وفركتُ سطح المجلى إلى أن بات يلمع.

أعشق تماماً تلك الأمسيات الصيفية الدافئة عند غروب الشمس، ولكن مع بقاء القليل من الضوء في السماء، وسكون الهواء وغناء الطيور.

بعد وضع أكياس القمامة في صفيحة القمامة، بقيتُ قليلاً على الشارع الفرعي المؤدي إلى منزلنا، مستمتعةً بشعور نادر بالسكينة يغمر جسدي.

فجأةً تحرَّك شيء ما في الأجمة. حركة سريعة. طير؟ ربما؟

اتجهتُ صوبه لأتحقق. مزيد من الحركة. ظل كبير ينعكس على الجدار.

كاد قلبي يطير من صدري، و لم أجرؤ حتى على التنفس.

صحتُ: "هل يوجد أحد هناك؟"

على بُعد خمسة أمتار مني تحرَّكت الأجمة مجدداً. حفيف أوراق وتكسُّر أغصان صغيرة.

"من أنت؟"

بحثتُ في جيوبي عن هاتفي فأدركتُ أنني نسيته في المنزل.

ركضتُ بسرعة إلى المنزل وأغلقت الباب بقوة خلفي. وأوصدتُ كلا القفليْن وأصغيت إلى أنفاسي اللاهثة.

هل كنتُ أتخيَّل؟ هل بدأتُ أُصاب بجنون الارتياب؟

لعله كان مجرد طير؟ طير كبير. أو حيوان آخر. قطة؟

أو هل كان هناك شخص ما يتلصّص عليّ هناك؟

جلب كريس معه باقة من الورود. لم أذكر له ما حصل عندما أخرجت القمامة.

تجوَّل في المنزل مثل زائر لمتحف. أول شيء فعله في غرفتي هو الجلوس على سريري والتنطُّط عليه جلوساً وكأنه كان يتحقق من متانته. وبعد ذلك رأى خارطة آسيا على الجدار، والدبابيس على المواقع التي أردتُ رؤيتها.

"تملكين خارطة مسبقاً؟"

كان الأمر محرجاً جداً. لم أستطع قول أي شيء حين تلقيت الهدية منه، و لم أعرف ماذا أقول عندما شاهد خارطتي.

أومأ كريس بإشارة تعني *لا بأس*.

ثم قال: "أتعلمين؟ لقد رتَّبتُ أموري بحيث آخذ إجازة في شباط وآذار من العام القادم. إنه وقت رائع لزيارة آسيا".

ابتسمتُ وحسب. ماذا كان بوسعي أن أقول. إنني كنتُ أفضِّل الذهاب لوحدي؟ إنه من غير الممكن أن يأتي معي؟

ضمَّني كريس وأزاح برقة شعري عن الطريق وقبَّلني على مهل. انزلقتْ يده على امتداد حافة سروالي الداخلي فأغمضتُ عينيَّ ورأيت ألعاباً نارية. لم يثرني أحد غيره إلى تلك الدرجة.

"أين ينام والداك؟"

دون أن يفلتني تراجع وخرجنا من الباب.

ثم قال وهو يشير إلى غرفة نوم أبي وأمي: "هناك؟"

قادني عبر الممر في رقصة مترددة. من المؤكد أنني ما كنت لأستلقي في سريرهما. دفعته عني لكنه عاد ثانيةً. فتح الباب ودخلنا بتعثُّر إلى غرفتهما. شددتُ جسدي وأمسكتُ بقبضة الباب وقاومتُ.

قلت له: "ليس هنا".

ضحك كريس وأفلتني. ثم وقف هناك بلا حراك وهو ينظر إلى سرير والديّ المزدوج.

"إذن هنا ينام بابا القس".

عندما نظر إليه أحسستُ بلسعة ابتسامته.

قال وهو يضع ذراعيه حولي: "هيا. أريد أن أنام معكِ على سرير الماما والبابا".

"لا. توقفْ".

قاومته بشدة. حاول إمالتي ووضعي على السرير ولكن كان واضحاً أنه أساء تقدير قوتي. ملأتُ قدميَّ بالطاقة إلى أن التصقتا بالأرض مثل كوبي امتصاص، ثم استخدمت جسدي العلوي لأدفعه عني. لقد خضتُ مباريات مصارعة أقوى بكثير على خط الستة أمتار في ملعب كرة اليد.

قال كريس وهو يضحك محاولاً تهدئتي: "حسناً، حسناً. كانت مجرد فكرة. تجربة. ألا تحبين التجارب؟"

فكّرتُ في الأغراض في الدرج المقفل من خزانة ملفاته.

قلت: "ليس مثل هذا الشيء في كل الأحوال".

تبدّدتْ كل رغبتي.

قلت: "لنذهب ونجلس على الأريكة لبعض الوقت".

رسم كريس على وجهه تعبير شخص مجروح وانتظر قليلاً قبل أن يلحقني إلى السلّم. شغّلتُ التلفزيون وأرحتُ رأسي على كتفه. وسرحتْ بي أفكاري لدقيقة.

ما الذي كان يقيني مع كريس؟ كنت سئمة بشدة من عدم حدوث أي شيء، لذا عندما ظهر كريس رميتُ بنفسي مباشرة في المجهول. ولكن الآن؟ لم أكن أريد حبيباً، وما لم أكن أريده أكثر من ذلك هو رجل في الثانية والثلاثين. لم أكن لأجرّب الجنس على سرير والديَّ. وفوق كل ذلك، كنت أريد فقط الانطلاق في الرحلة التي كنت أحلم بها منذ سنين. ولم يكن ليقف في طريقي أي شخص.

نظرتُ إلى كريس. كان بدون شك واحداً من أكثر الكائنات الحية التي اقتربتُ منها جمالاً. ولكن، ما أهمية ذلك؟ لم أكن حتى قد بلغت التاسعة عشرة بعد -لدي حياتي بأكملها أمامي.

نظر كريس إلي مطوّلاً. عادت ابتسامته لطيفةً ورائعةً كما كانت.

لم أعرف ماذا أقول. لم أعرف كيف أقولها. كل ما كنت أعرفه هو أنه كان هناك شيء يجب أن يُقال.

مكتبة
t.me/t_pdf

77

في الصباح التالي، اضطُّر كريس للإسراع من أجل حضور اجتماع. تجوَّلتُ في سائر أرجاء المنزل، حاملةً زجاجة بخ وممسحة، كي أزيل كل أثر له.

بعثتُ رسالة إلى أمينة.

أعتقد أنني مضطرة لترك كريس.

فردَّت: *لماذا؟؟؟*

لم أعرف ماذا أكتب. غيَّرت صياغتي للكمات مرة تلو المـــرة، وحفظـــتُ المسودة تلو المسودة، ثم محوتها كلها وأعدت الكتابة من جديد. وأخيراً، أرسلتُ شيئًا ما.

أعتقد أنه بدأ يقع في حبـــي.

لم تجبْ أمينة لمدة تقارب الساعة. ثم كتبت قائلةً إن ذلك ربما سيكون الحل الأفضل.

في عصر ذلك اليوم، عاد أبـــي وأمي من الإجازة.

قالت أمي: "يبدو الوضع جميلاً جداً هنا".

سألتُ إن أمضيا وقتاً ممتعاً فابتسم كلاهما وهزّا برأسيهما مؤكدين.

قالت أمي: "كان يجب أن تكوني معنا".

أو لا.

كانت حالتهما المعنوية مرتفعة جداً. بينما كانت أمي تفرغ حقيبتها دغدغ أبـــي منطقتها الوسطى، ثم لفّها بذراعيه من الخلف وقبَّل مؤخرة رقبتها.

سألتها: "ماذا فعلتِ له؟"

ضحكت أمي وقالت: "ماذا تقصدين؟"

فقال أبـــي: "أجل، ماذا تقصدين؟" وراح ينخز خاصـــرتي أيضـــاً إلى أن اضطُّررت للهرب إلى المطبخ.

ومن هناك قلت: "هل يتناول أقراص سعادة أم شيئاً ما؟"

قالت أمي: "أنا قرص السعادة الوحيد الذي يحتاجه أبوكِ". وضحكتْ.

قدتُ دراجتي نحو الصالة الرياضية لمقابلة أمينة بعد التمرين. كان الظلام قد بدأ يحلُّ لكن حديقة المدينة كانت ما تزال ملأى بأشخاص يستمتعون بدفء الصيف. كان هناك شخص يعزف ويغني على الغيتار، ومجموعة تلعب كرة القدم، إضافة إلى أشخاص كانوا فيما يبدو متواعدين للقاء هناك.

بالقرب من البركة الداخلية رأيت بطة تمشي متمايلةً ويلحق بها صغارها، فتوقفتُ وترجَّلت عن دراجتي كي تتمكّن البطات من العبور بأمان.

بينما كنت واقفة هناك مبتسمةً لرحلة البطات المتمايلة عبر الطريق المفروش بالحصى، سمعتُ صوت خطوات تقترب مني من الخلف. حرَّكتُ دراجتي جانباً، بحذر، كي لا أخيف البطات.

"أرجوكِ، اسمعيني".

عندما استدرتُ، وجدتُ ليندا لوكيند واقفة على بعد مترين ورائي.

قلت: "يا يسوع المسيح. اتركيني وشأني. ليس هناك أي شيء جدي بيني وبين كريس".

نظرتْ إلي وكأنني أتحدث بلغة أجنبية.

قلتُ لها: "أعرف كل شيء عنكِ. أنت بحاجة للمساعدة. أدوية أو شيء ما. إذا لم تتركيني وشأني في هذه اللحظة، لا أعرف ما الذي يمكن أفعله".

كنت أتحدث بصوت عالٍ غير آبهة لإمكانية سماع الأشخاص القريبين منا.

قالت ليندا: "بالتأكيد، يقول كريس إنني مريضة. حالة عقلية، صحيح؟"

هززتُ رأسي.

"ليس كريس فقط. لم تصدقك الشرطة أيضاً. كما قابلتُ صديقتك القديمة بياتريس".

ارتختْ يد ليندا واستقرَّت بالقرب من جيب سروالها. والتفتتْ جانباً كي لا أرى ما كانت تفعله. هل كانت تحمل شيئاً في جيبها؟ بدأتُ بالمشي دافعةً دراجتي بجانبي.

قالت ليندا: "أخبرتك بشأن الفتاة التي خانني معها. وجدتُ رسالة منها على هاتفه".

مشيتُ بسرعة أكبر، لكن ليندا كانت تلحق بي.

"كانت بياتريس. صديقتي الأثيرة. لقد نام مع صديقتي الأثيرة. ثم غسل دماغها. ما تزال تصدِّق أن الخطأ كله يقع علي، وأنني أُصبتُ بنوع من الانهيار العقلي".

توقفتُ وأدرتُ دراجتي بحيث تشكّل حاجزاً بيننا.

"أنتِ تكذبين".

لم يكن باستطاعتي التحمُّل أكثر. كريس وليندا وبياتريس، فليذهبوا جميعاً إلى الجحيم.

"أقسم، هذا صحيح".

قلت: "لا أبالي".

كان هناك بضع عائلات فرشوا مأكولاتهم على بطانيات مزهرة على العشب بجوارهم. وكانت هناك فتاتان في الخامسة من العمر تقريباً تقفزان على حصانيّ لعب (*hobby horses*) وهما تقلّدان صوت جري الحصان. كان أحد الحصانين يشبه تماماً واحداً كنتُ أمتلكه عندما كنت في مثل عمرهما.

قالت ليندا: "ذات يوم في الشتاء الماضي، كنتُ ذاهبة لتعليق صورة في غرفة النوم. كانت قد سقطت عندما رمى كريس زجاجة جعة على الحائط. بعد أن ثبَّتها على الحائط بواسطة مسمار، اقترب منها وألقى نظرة عليها. *إنها مائلة لعينة. المسمار مائل*. اعتذرتُ ووعدتُ بتصحيحها في الحال".

كانت كلماتها تتدفق مثل دم من جرح مفتوح. لم أجرؤ على إبعاد عينيّ عن الفتاتين الضاحكتين على المرج.

"مددتُ يدي لأمسك بالمطرقة، لكن كريس وصل إليها قبلي. قذف بي على السرير ولوَّح بالمطرقة في الهواء. *لا يمكنكِ حتى تعليق لوحة لعينة بشكل صحيح!*"

كان جلدي يحكّني، وليندا واقفة أمامي بينما كانت الفتاتان علـــى المــرج تصيحان فرحاً.

"لقد اغتصبني مع المطرقة".

اجتاحتني موجة اشمئزاز.

"هذا يكفي!"

أدخلتْ ليندا يدها في جيبها.

"أحب أن أؤذيه. أريده أن يعاني بنفس الطريقة كما عانيتُ أنا".

كانت وجنتاها قرمزيتين، ورقبتها ممدودة إلى الأمام، وحاجباها منخفضين. لقد أخافتني.

"بوسعي قتله".

ركبتُ دراجتي وانطلقتُ نحو الصالة الرياضية. وقبل خروج أمينة، بحثـــتُ عن اسم كريس في هاتفي ومحوته.

78

مايكل بلومبيرغ جالس أمامي مرتدياً قميصاً سماوي اللون مفتـــوح الأزرار من الأعلى حتى سرّته تقريباً. يضع يده الضخمة على الطاولة وينظر إلي كأنـــه والدي.

"لماذا تريدين مقابلة آغنس ثيلين؟"

"سأخبرها".

"تخبرينها بماذا؟"

أرفع كتفيّ.

وأقول: "بما حدث".

يلوِّح بيده الكبيرة رافضاً.

"اسمعي. لقد تحدّثتُ مع أولريكا وقررنا أنه يتوجب عليكِ التزام الصـــمت أطول مدة ممكنة".

أشد قبضتيّ يديَّ تحت الطاولة.

"هل ما زلتما تتضاجعان؟"

ينظر بلومبيرغ مثل رجلٍ تعرَّض للتو لرفسة في خصيتيه.

أقول له: "لستَ مضطراً للإجابة. أفضِّل ألا أعرف".

يمرِّر بلومبيرغ يده فوق فمه.

ثم يقول بهدوء: "كان هذا منذ زمن طويل. وقبل مشـــكلتك هـــذه، لم أرَ أولريكا منذ عدة سنوات".

يمسح العرَق الذي يسيل على رقبته وخلف أذنيه. ثم يرفع لابتوبـــه فـــوق الطاولة ويحدِّق في الشاشة وينقر بصخب على المفاتيح قبل أن ينظر إلي مجدداً.

"تقول نظرية المدّعية إن أمينة وكريستوفر كانا يتقابلان من وراء ظهرك".

"ماذا؟ جدياً؟"

"تعتقد المدّعية أن أولسن لم يكن مخلصاً مع أمينة، وأنكِ اكتشفتِ أمرهما، بحسب تعبيرها".

تخرج الكلمات منه بقسوة. أعرف أن هذا له علاقة بـي، لكنه يبدو غريباً جداً، مثل شيء قرأته على موقع *Reddit*.

"غير مخلص؟"

يهزّ برأسه مؤكداً.

"يعتقدون أنكِ اكتشفتِ أمرهما وعزمتِ على قتل كريس".

"انتظرْ. تعتقد المدّعية أني قتلت كريس لأنه وأمينة... ماذا... مارسا الجنس؟"

"أجل".

"لأنني كنت أشعر بالغيرة؟"

"غيرة؟ خيانة؟ ما علمي أنا؟"

"هذا غير صحيح تماماً!"

يعتمل الغضب في صدري. يجب أن أحكي كل شيء. أدع الجميع يعرفون ما حدث فعلاً.

يسألني بلومبيرغ: "هل تهمّك أمينة؟"

"ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟ أنا أحبها!"

"إذن، اسمعي ما سأقوله".

أُصدر همهمة سخرية، لكنني أرغم نفسي على الإصغاء.

يقول بلومبيرغ: "من أجل أمينة".

يمكنني تخيُّلها. الخوف في عينيها، وأحلامها المحطمة، فأشعر بأنني أنهار؛ جسدي بأكمله يتداعى. بدون أمينة لا أعرف أين كنتُ سأكون اليوم، من كنتُ سأكون. لن أدع ذلك يحدث أبداً.

"ستزعم المدّعية على الأرجح أنكِ ذهبت إلى شقة أولسن بنيَّة قتله. لكن حجّتهم تستند إلى سلسلة ضعيفة من الأدلة الظرفية. لديهم إفادة شاهدة من الجارة التي تقول إنها رأتكِ خارج المبنى، بالطبع. لكن الفتاة هشة جداً، ليست

الشاهدة التي يمكن أن يحلموا بها".

ينظر في شاشته.

"ثم لديهم بصمة الحذاء وآثار بخاخ الفلفل. شعر، وقشور جلدية، وخيوط من ألبسة. ولكن ليست هناك أية أدلة مباشرة تشير إلى أنكِ الشخص الذي قتل أولسن".

"طيب".

يدير الشاشة نحوي، لكنني لا أملك الطاقة لأقرأ الأحرف الصغيرة.

"لقد وجدوا أدلة في حاسوب أولسن أيضاً، رسائل ودردشات. ويملكون بضع سجلات هاتفية من هنا وهناك".

صوت بلومبيرغ هادئ ومتوازن وهذا يجعلني هادئة قليلاً.

"الشيء الأهم الآن هو حجة غيابك ستيلا".

أقول رغم أنني لست متأكدة مما يعنيه: "طيب".

ينظر إلي مجدداً.

"التسلسل الزمني للمدّعية ليس غير قابل للاختراق، لأنكِ تملكين حجة غياب بالنسبة للوقت الذي يقول طبيب التشريح إن الجريمة ارتُكبتْ فيه".

تدور الكلمات في رأسي.

"لدي حجة غياب؟"

هذا يبدو مستبعَداً.

يقول بلومبيرغ: "بحسب تقرير طبيب التشريح، مات أولسن في وقت ما بين الواحدة والثالثة صباحاً".

ما زلت لا أفهم.

"كنتِ في المنزل مسبقاً حينئذ، ستيلا".

"كنتُ في البيت؟ لا..."

"نظر والدك إلى الساعة. إنه متأكد مائة بالمائة من أنك رجعتِ إلى المنزل في الثانية عشرة إلى ربعاً في تلك الليلة".

بابا؟ الثانية عشرة إلا ربعاً؟

"لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً".

"بالتأكيد إنه صحيح. إذا كان والدك يقول إنه متأكد، فهـذا يعـني إنـه صحيح حتماً".

بالكاد أسمع ما يقوله بلومبيرغ بعد ذلك.

أبدأ بفهم ما يجري.

"من المؤكد أنكِ لا تعتقدين أن والدك يكذب؟"

79

كان أبـــي هو من اختار المطعم من أجل عيد ميلادي. إيطالي بالطبع. إنه مهووس بالطعام الإيطالي وأي شيء له أدنى علاقة بأمة السباغيتي اللعينة تلـــك، وكان يفترض أن أمي وأنا نشعر مثله تماماً.

كل تلك العطل في إيطاليا. بصـــدق، إن البروتشـــيتا (الخبـــز والثـــوم) والمعكرونة، وجعة جراندي (جعة الكبيرة)، والفينو روسو (الشراب الأحمـــر)، وكل أولئك النُدل ذوي الشعر الدهني المغازلين وتحيتهم اللعينـــة، تشـــاو بـــيلا (مرحبا أيتها الجميلة)، كل ذلك يخنقني.

بعبارة أخرى، لم أكن أعقد آمالاً كبيرة على عشاء عيد ميلادي، لكن أمي وأبـــي ظلا يلحّان عليّ بشأنه طوال الصيف، وبالنظر إلى الحادثة مع السيارة لم أشأ تخييب ظنهما كثيراً.

بدأت الأمسية بطريقة سيئة. لقد حجز المطعم لنا في اليوم الخطأ، أو لعلـــه كان خطأ أبـــي، لا أعرف. وبعد ذلك لم يسمح لي بطلب شراب.

قلته له: "أصبحتُ في التاسعة عشرة. القانون في جانبـــي".

قال أبـــي: "القانون ليس مثالياً".

لكنه على الأقل كان يبتسم.

قال: "ما هو رأي خبيرتنا القانونية؟"

لحسن الحظ كانت أمي في جانبـــي أيضاً.

"بالطبع يمكنها طلب الشراب".

لا يعني هذا أنه كان من المهم جداً بالنسبة لي أن أشرب مع طعامي، بـــل مسألة مبدأ فقط.

حين انتهينا من الأكل، أعطياني بطاقة تحوي خارطة صغيرة كان يُفتـــرَض بـــي اتباعها إلى خارج المطعم ومن ثم إلى ما وراء الزاوية. كانت هناك دراجـــة

فيسبا وردية مع قوس كبير بشعٍ على المقود. لم أستطع تصديق عينيّ. لقد تجاهل أبـــي أمنيتي بنقود السفر وبدلاً من ذلك ضيَّع ثلاثين ألف كرونة على فيسبا.

"لكنني قلت..."

قال أبـــي: "شكراً تكفي".

كرهتُ نفسي. بالطبع، كان ينبغي لي أن أكون ممتنة وأرمي ذراعيّ حول رقبة أبـــي، بيد أنني وقفتُ متصلِّبة في مكاني، وجسدي يعج بالمشاعر المتنازعة. ما خطبـــي؟

بعد التحلية جلسنا بهدوء وامتلاء، نحدِّق في بعضنا بعضاً. كنتُ أتحقق من هاتفي بين الحين والآخر. كانت رسائل التهنئة تتدفق على الفيسبوك، لكـــنني لم أسمع شيئاً من أمينة بعد.

قلت: "أعتقد أنه يتوجب علي الذهاب".

انزعج أبـــي بالطبع. لقد نظَّما عشاء عيد ميلاد من أجلي وأنا كنتُ أريد الرحيل ببساطة.

قلتُ لهما وأنا أرتدي جاكيتي: "سأخرج مع أمينة. شكراً جـــزيلاً علـــى العشاء والهدية".

سألني أبـــي: "هل ستأخذين الفيسبا؟"

نظرتُ إلى كأس شرابـــي. هل كان هذا هو سبب رفضه للشراب؟ كان يعلم بأنه يُفترَض بـــي ألا أشرب إن كنت سأقود الفيسبا.

قالت أمي: "لا تقلقي. سنجد طريقة لإيصالها إلى المنزل الليلة".

وقفتْ مع ابتسامة حزينة فأغمضتُ عينيَّ بينما كنـــت أعانقهـــا. فجـــأةً أحسستُ بتعاسة كبيرة. ندم، وحنين -ألم عميق يحرقني من الـــداخل. ظللـــت متشبثة بأمي مدة طويلة.

لم ينهض أبـــي عن كرسيِّه. كان عناقنا بارداً ومحرجاً. رأيت كيف كانـــا ينظران إلي بينما كنت أغادر.

لحرارة أواخر الصيف رائحة مميزة. عندما يبقى الطقس الحار فترة طويلة بما يكفي، فإنه يخترق الهواء بطريقة لا يمكن التخلص منها إلا بواسطة مطر غزيـــر وطويل.

عبرتُ شارع فيليفاغن ومشيت بجانب الملاعب الرياضية. كانت الرائحة تشبه التفاح والساونا. كان هناك شخص يركل الكرة على الجدار الإسمنتي لمضمار الجري القريب فتعود إليه ويركلها مجدداً. أصوات مبتهجة وضحكة مطلقة العنان طغت على الأزيز الرتيب لحركة المرور على شارع رينجفاغن.

لم يكن لدي في الحقيقة أية خطط. عندما تحدَّثتُ مع أمينة في ليلة الخميس، قلت لها إنني لم أكن أشعر بالرغبة في فعل أي شيء، وإنني سأخرج لتناول الطعام مع أمي وأبي ومن ثم أعود إلى البيت وأسترخي.

غير أنني أحسستُ بعد خروجي من المطعم بأن من الخطأ إهدار الليلة. لقد ملأني الشراب الفرنسي بالحيوية وكنتُ قد بدّلتُ نوبتي ليوم السبت، وبذلك كان باستطاعتي النوم طوال الصباح التالي إن شئت. بعثتُ رسالة إلى أمينة، لكنها لم ترد بعد مرور دقيقة، فاتصلت بها.

سألتها: "ماذا تنوين فعله؟"

كانت هناك خشخشة. خبطة صغيرة.

غابتْ أمينة لوهلة ثم عادت مع صوت أوضح. كانت تلهث قليلاً وبدتْ منفعلة.

قالت: "أنا مع كريس".

"كريس؟"

أحسستُ بغصة في صدري.

"ماذا تفعلين مع كريس؟"

كانت بطيئة في الإجابة.

"أوه، مجرد... كنا، يعني، نمضي الوقت".

كلانا لم نقل شيئاً لوهلة. ما الذي يجري؟ أمينة وكريس يمضيان الوقت بدوني؟

"كنا سنفاجئك؟"

بدتْ هذه مثل كذبة بيضاء.

"هل أنتِ في شقة كريس؟ يمكنني أن أكون هناك في خمس دقائق".

قالت أمينة: "خمس دقائق؟"

تدفقتْ كلماتها في النفَس التالي، لكنني أغلقت الخط قبل أن تتسنى لي الفرصة لأفهم ما قالته.

أعرف أن أمينة لا يمكن أن تفعل شيئاً خلف ظهري. لم تكن لتفعل أي شيء مع كريس، مستحيل، ليس دون التحدث معي أولاً. ولكن، كان بوسعي الشعور من صوتها بأن شيئاً ما لم يكن صحيحاً.

فكّرتُ في القصة المريضة التي أخبرتني بها ليندا فحثثتُ الخطا. عبرتُ بوليم ثم اتجهت نحو حديقة الحي. لفترة وجيزة في الصف التاسع، واعدتُ شاباً كان يمضي سنته الأخيرة في بوليم. تخلّفنا أنا وأمينة عن حضور الحصص الدراسية بعد الغداء عدة مرات، فقط لنجلس في الملعب المخفي في الزاوية وندخّن بشكل متوالٍ ونقتل قلق مراهقتنا بينما كنا ننتظر الشبّان الذين يملكون شهادات قيادة وسيارات آبائهم، الأمر الذي كان يمنحهم مرتبة عالية بين الأولاد في عمرنا.

بينما كنت أنعطف إلى شارع كريس، رنّ هاتفي.

قالت أمينة بصوت منقطع الأنفاس: "هيي. انتظري في الخارج. سأنزل".

"لماذا؟"

تمعّنتُ في المبنى الأصفر في نهاية الشارع فرأيتُ ترجرج الضوء في بيت السلّم قبل اشتعال الأضواء.

قالت أمينة وهي تلهث: "أنا في طريقي".

"ما الذي يجري؟"

أغلقت الخط. وبعد لحظة، فُتح الباب وخرجت إلى الشارعة بسرعة.

خطوتُ بضع خطوات سريعة فالتقينا في منتصف الطريق.

كانت عيناها جاحظتين وأنفاسها قصيرة وسريعة.

"دعينا ننساه".

حدّقتْ في الأسفلت. كانت مَسْكَرتها مشوّهة ورباطا حذائها منحلّيْن.

قلتُ: "ماذا؟"

"دعينا فقط ننسى قطعة القمامة كريس أولسن".

80

هذه المرة، أشعر بأنني نمت جيداً إلى حد ما عند استيقاظي. وهذا يمنحني رؤية منعشة وأكثر صحيّة لكل شيء. إنكَ لا تفهم مدى أهمية النوم إلى أن تكون غير قادر على النوم باسترخاء.

لقد رتّبت الشرطة لمقابلة أخرى بعد الفطور مباشرة. أمضغ قطعة الخبز الجافة على مهل وأتساءل بشأن ما سأقوله لآغنس ثيلين.

يركب جيمي وإلسا المصعد معي، ثم ننزل إلى غرفة التحقيق، حيث ينتظر مايكل بلومبيرغ.

يقول لي: "صباح الخير ستيلا".

يبدو عصبياً. هل هو خائف مما سأقوله؟ يتمايل ويلهث وهو يصارع لخلع جاكيتته. قميصه كحلي اللون.

تقول آغنس ثيلين بضع عبارات مجاملة قبل الجلوس قبالتي والبدء بالتسجيل.

"لقد أخذتِ بعض الوقت للتفكير منذ آخر حديث بيننا يا ستيلا. هل هناك شيء تريدين إخباري به، أو توضيحه؟"

"في الواقع..."

تبتسم آغنس ثيلين بصبر.

أقول وأنا أنظر إلى بلومبيرغ الذي يعبث بربطة عنقه: "لا أظن ذلك".

تقول آغنس ثيلين: "كل ما في الأمر هو أن أنشطتك في يوم الجريمة... لا نستطيع فهمها تماماً يا ستيلا".

"لا؟"

تراقبني لمدة طويلة دون أن تقول أي كلمة. وأخيراً يتوجب علي قول شيء ما، أي شيء، للإفلات من قبضتها.

"يقول بلومبيرغ إن أبي أعطاني حجة غياب".

تجحظ عينا المحامي ويحكُّ أنفه.

تقول آغنس ثيلين مع إلقاء نظرة إلى بلومبيرغ: "في الواقع، قد لا يكـــون الأمر بهذه البساطة".

أسألها: "أوه، لم لا؟"

"من غير الممكن تقريباً تحديد لحظة موت إنسان ما بالضبط".

"ماذا عن الجارة. ألم تسمع صراخاً في الواحدة؟"

تصمتُ آغنس ثيلين. لا أعلم حتى الآن ما هو القدر الذي سأخبرها به.

"هل يمكنكِ أن تحاولي التذكُّر بدقة ما فعلته بعد مغادرتك ســـتورتورجيت في تلك الليلة يا ستيلا؟"

أتنفّس بعمق.

ليست هناك أية مشكلة في ذاكرتي فأنا أتذكّر بالضبط ما فعلته.

أسألها: "ماذا يقول أبـــي؟"

تنظر آغنس في عينيّ مباشرة.

"يقول والدك إنك عدتِ إلى المنزل في 11:45 بالضبط في ليلـــة الجمعـــة. ويدّعي أنه متأكد من ذلك مائة بالمائة".

ما زلت لا أفهم ذلك. هل ينوي أبـــي الكذب في المحكمة؟ لماذا؟

"يقول إنه تحدَّثَ معك. هل هذا صحيح؟"

أتململ في جلستي لكنني لا أقول شيئاً.

تبدو النظرة الثانية التي ترمقني بها آغنس وكأنها تحمل مناشدة.

"متى عدتِ إلى المنزل حقاً في تلك الليلة يا ستيلا؟"

تميل نحوي، لكنني أنظر إلى الجدار العاري خلفها. أفكِّر في أمينة. ما يـــزال بوسعي سماع أنفاسها المرعوبة. يمكنني رؤية نظرتها المكسورة.

"هل معلومات والدك صحيحة يا ستيلا؟ هل جئتِ إلى المنـــزل في الثانيـــة عشرة إلا ربعاً في تلك الليلة؟"

"امم".

"عفوا؟"

يخيِّم صمتٌ مطبقٌ على الغرفة. كل شيء يحبس أنفاسه.

"لم أرجع إلى البيت حتى الثانية".

أشعر بالراحة في قلبـــي.

توشك عينا بلومبيرغ على الخروج من محجريهما، أما آغنس ثيلين فتزفـــر بارتياح، وأنا الآن أنظر إليها.

"ماذا حصل في تلك الليلة يا ستيلا؟"

"ذهبتُ على دراجتي إلى منزل كريس".

أفكِّر في أمينة. أتخيّلها أمامي مرتدية رداء طبيبة. مشرقة كالعادة. لابد أنهـــا بدأت الدراسة في كلية الطب الآن. أفكّر في كل السنوات التي تشـــاركناها، في كل شيء عشناه معاً. لا أشعر بأي خوف، الرائحة اختفت، كل شيء على ما يرام.

تسألني آغنس ثيلين: "ماذا حدث بعد ذلك؟"

مسح بلومبيرغ العرق عن جبهته.

أفكّر في ما قاله بشأن أمينة. *إذا كنتِ تهتمين، بأمينة لا تقولي شيئاً*.

أفكّر في تيدي وشيرين، أفكر في رحلتي إلى آسيا. أفكر في ماما وبابا.

أفكّر في المغتصِب.

لا يمكنني البقاء صامتة بعد الآن.

81

بتردّد، قرَّبتْ أمينة الكأس من شفتيها.

ثم قالت: "كنا سنفاجئك. كنا سنفكر في شيء ما معاً. أراد مني المجيء إلى شقته".

ثَبَتُّ عينيَّ عليها. شربتْ رشفة سريعة.

ثم قالت بطريقة شبه عابرة: "لقد قبَّلني".

"ماذا؟ كريس قبَّلك؟"

"أقسم أنني لم أكن أتوقّع ذلك مطلقاً. فجأة أصبح فوقي، وشفتاه... حاولتُ دفعه عني. يجب أن تصدِّقيني".

حدَّقتُ فيها وشربتُ الباقي من شرابي. كنا جالستيْن في القسم الخارجي من ستورتورجت، الذي كان يعج بالناس لأنها كانت ليلة جمعة. ومع ذلك كنا نشعر وكأننا لوحدنا في فقاعتنا الصغيرة، أمينة وأنا فقط. أما باقي العالم فكان أَشْبه بموسيقا مصعد مسجَّلة.

قالت أمينة: "أنتِ تثقين بي، أليس كذلك؟ تعرفين أنني لن أفعل أي شيء معه".

تتحرَّك حدقتاها الكبيرتان بسرعة ذهاباً وإياباً. كانت مسألة شرف بالطبع. كنا صديقتين مقرّبتين.

بما أنني أعرف كم هي كذابة فاشلة، قلت لها: "بالتأكيد".

"إنه سافل تماماً، لا يهتم إلا بالجنس. يا إلهي، يعلم أننا صديقتان حميمتان. ليس مهماً بالنسبة إليه أنكِ..."

توقفتْ. كان واضحاً أنها ندمت على كلماتها.

"أنني ماذا؟"

طأطأتْ رأسها وعبثتْ بقلادتها؛ الكرة الفضية التي أهديتها إياها بمناسبة عيد ميلادها الثامن عشر.

"أنكِ ستتركينه".

"لكنه لم يكن يعرف ذلك".

"لا، بالطبع لا".

ظلّتْ تعبث بالكرة الفضية.

"أنتِ أخبرتِه؟"

إنها فاشلة في الكذب بالفعل.

"آسفة. لقد ظل يلحُّ علي بشأن هذا الأمر. قال إنه بعث رسائل لك مرات عديدة لكنك لم تردّي أبداً. كان يعلم بأن شيئاً ما لم يكن صحيحاً".

لم أستطع التفوُّه بكلمة واحدة. لم أشأ حتى النظر إليها.

قالت أمينة مع نصف ابتسامة: "كان قطة صيفية شريرة. لربما من الأفضل انتهاء الأمر بهذه الطريقة. الآن نحن نعرف كم هو قذر".

لم أستطع الابتسام. و لم أستطع أيضاً رؤية أي شيء إيجابي في ما حدث. كنت ما أزال أعاني من صعوبة في تقبُّله.

أردتُ حقاً أن أغضب. أردتُ أن أتصل بكريس وأقول له إنه وغد مثير للشفقة وبأن يذهب إلى الجحيم. لكن غضبي أُرغم على التراجع بفعل مشاعر أخرى جديدة عليّ.

أولها أنني كنتُ أشعر بالخيانة.

في اليوم التالي، أرسلَ مزيداً من الرسائل على الفيسبوك والسنابتشات. قاومتُ الدافع للرد وبدلاً من ذلك حظرته في كل مكان. لم أكن أريد أي صلة بكريستوفر أولسن بعد ذلك.

خلال ذلك الأسبوع، توقفتُ عن التفكير فيه. أو، في الحقيقة، على الأقل انقضت فترات طويلة دون أن يخترق عقلي؛ عدة ساعات بدون ألم في القلب. قررتُ بأن الأمر سيستغرق وقتاً بكل بساطة، وأنني يجب أن أتحمّل. كان الوضع يشبه الإقلاع عن التدخين.

عندما رجعتُ إلى المنزل بعد العمل في يوم الأربعاء، أدركتُ أن كريس لم يخطر في ذهني منذ بداية الصباح. كنت أتقدَّم. لقد دفنت كل المشاعر التي يمكن

أن تكون موجودة تحت السطح، و لم أكن لأنبشها ثانيةً. كان الأمر يسير بشكل أسرع مما توقعت.

لا كريس أولسن ولا ليندا لوكيند سيكونان جزءاً من مستقبلي. مثل آلاف الأشخاص الآخرين، لقد مرّا عبر هامش حياتي. لم يكونا أكثر من شخصيْن عابريْن. ولن يمضي وقت طويل حتى أنساهما تماماً. وبعد عشرة أعوام أو عشرين عاماً، سأتذكّر هذه القصة المجنونة وأخبرها لأصدقاء جدد مع ابتسامة مليئة بالرعب والسرور؛ الرجل الذي كان يكبرني بأربعة عشر عاماً، وأخذني إلى كوبنهاجن في سيارة ليموزين وحجز جناحاً لنا في فندق جراند، وحبيبته السابقة المضطربة عقلياً التي لاحقتني. لن أتذكّر بوضوح كيف كان شكلهما، وما هي حقيقتهما، وما حدث بالضبط. من المؤكد أنني سأضحك على القصة كلها، والناس الذي سيصغون إليها سيشككون في صحتها.

لولا أمينة.

82

في يوم الجمعة، كانت الشمس مشرقة. كانت نهاية ذلك الصيف ساحرة ولم يكن هناك ما يوحي بأن السحر يوشك أن يُكسَر.

فكّرتُ في رحلتي الآسيوية. عندما سيحلُّ الظلام على سهول سكونه، سأكون أخيراً قد وضعت تذكرتي، ذات الوجهة الواحدة، إلى الشمس والحرارة والمغامرة في جيبي الخلفي. أخيراً سأكون قد جمعتُ ما يكفي من النقود حتى إن كان ذلك يعني الكدح من افتتاح المحل حتى إغلاقه سبعة أيام في الأسبوع.

في ليلة السبت، وضعتُ الفيسبا للبيع على الإنترنت. أحسستُ بأنني ناكرة للجميل، لكنني أوضحتُ موقفي. لم أكن أريد فيسبا. كنت بحاجة لنقود من أجل رحلتي.

في الصباح، بعثتُ رسالة إلى أمينة لأسألها إن كان لديها وقت لنلتقي في تلك الليلة. كنا بحاجة للتحدث. صحيح أنني كنتُ مستاءة مما حدث، لكنني لم أستطع التخلص من الشعور بأنني كنت أصنع من الحبّة قبّة. ما أهمية أن تكتشف أمينة لكريس بأنني لم أكن أريد رؤيته مجدداً؟ لقد أسدتْ لي معروفاً، بطريقة ما.

ردَّتْ أمينة قائلةً إن لديها تمريناً، لكنها تحب تناول كأس من الشراب الفرنسي بعده.

أبقيتُ كريس خارج ذهني طوال النهار. وجدتُ خفّةً جديدة في صدري فرحتُ أتجوَّل وأنا أبتسم وأدندن أغنيات أفلام ديزني طوال فترة بعد الظهر.

عندما أغلقنا المحل، ذهبتُ برفقة زميلاتي في العمل لتناول وجبة خفيفة في ستوترتورجيت. لم يكن تمرين أمينة سينتهي حتى الثامنة في كل الأحوال.

وفي الثامنة والنصف، بعثتْ رسالة.

منهكة جداً لا أستطيع الخروج مباراة غداً.

كتبتُ لها: *لا مشكلة، xoxo* [رمز يعني قبلات وعناقاً].

آسفة لستِ غاضبة صحيح.

كتبتُ: *بالتأكيد لا .*

يمكننا التحدث غداً أحبك xoxo.

كنتُ مضطرة للاستيقاظ للعمل أيضاً، و لم أكن أنوي البقاء طويلاً خارج البيت. إضافة إلى ذلك، كنت أزداد تصالحاً مع ما حدث وتقبَّلتُه كأمر جيد. لم أكن حقاً أشعر بالرغبة في خوض حديث حول الثقة وهذا الهراء.

طلبتُ كأساً من الشامبانيا، ووضعتُ نظارتي الشمسية وسندتُ ظهري على الكرسي لأستمتع بالشمس.

بدأت زميلاتي الثرثرة حول مواضيعهن الاعتيادية؛ حفّاضات، خراء، طعام الرضّع، ومعروضات محل *Babybjorns* لحاجيات الأطفال، ورغم أنني تظاهرتُ بالتثاؤب إلى أوسع درجة ممكنة، إلا أهن لم ينتبهن إلي.

قالتْ مالين إن المدرسة التحضيرية التي يرتادها أولادها تركّز على مقولة أن "كل إنسان ذو قيمة متساوية"، وأبدت الأخريات، بانسجام، تأييدهن لهذا الكلام وأهميته.

وجدتُ فرصتي.

فقلت: "بربكن، جدياً، هل تعتقدن حقاً أن كل الناس متساوون حقاً؟"

حدَّقن فيَّ كما تفعل عندما لا تكون متأكداً إذا كان شخص ما يحاول أن يكون ظريفاً أم أنه قال شيئاً غبياً على نحو غير عادي.

التفتُّ نحو المديرة مالين، بما أنها الأسهل لدفعها للانفعال، وقلت: "أنا جادة تماماً. إذا اضطُررتِ للاختيار، إما أن يموت خمسون طفلاً في سوريا أو تموت ابنتك تيندرا، ماذا ستفعلين؟"

قالت صوفيا بتذمُّر: "أوه توقفي عن ذلك. لا يمكنك قول شيء كهذا".

لكن مالين أرادت أن تجيب.

"هذا المثل لا علاقة له بالتساوي بين الناس. بالطبع لتيندرا قيمة أكبر عندي لأنها طفلتي، ولكن من وجهة نظر موضوعية صرفة، قيمتها ليست أكبر من قيمة أي إنسان آخر".

لم أتوقّع أي شيء آخر فمالين ليست غبية.

"هل تقولين إن قيمة تيندرا تساوي قيمة المتحرِّش جنسياً بالأطفال؟"

"المتحرَّشون بالأطفال لا يستحقون حتى أن يُسمّوا بشراً".

ابتسمتُ ابتسامة المنتصر.

"وماذا بشأن القتلة؟ المغتصبين؟"

قالت صوفي: "هذه أمثلة متطرفة. تسعة وتسعون من الناس غير متحرِّشين بالأطفال ولا قتلة".

"وماذا بشأن شخص يضرب زوجته أو أطفاله؟ عنصري؟ شخص يكتب رسائل حاقدة على الإنترنت؟ ترهيبي معتدٍ؟ هل قيمة هذا الشخص تساوي قيمة طفل بريء؟"

همّتْ صوفي بالإجابة لكن مالين قاطعتها لاعتقادها بأنه "نقاش بلا أي فائدة". حاولتُ استفزازها للعودة إليه ثانيةً، ولكن سرعان ما عادت الثرثرة الأمومية بكل زخمها من جديد. المسافة بين المعضلات الأخلاقية وقطرات الفيتامين ليست بعيدة جداً كما يمكن أن تتصوّر.

لم يعد باستطاعتي التحمُّل.

قلتُ وأنا أعانقهن الواحدة تلو الأخرى: "أراكن غداً". ثم مشيت عبر ستورتورجيت لأجلب درّاجتي.

كان بوسعك معرفة أنها كانت عطلة نهاية أسبوع قبض الرواتب. كانت الساعة العاشرة والنصف، ومع ذلك كانت حشود الناس تجوب شوارع مركز المدينة، مسرورين لفرصة تدليل أنفسهم بمشروب إضافي، سعداء بالصيف الجميل، ومتحمِّسين لشفط القطرات القليلة الأخيرة من الدفء بما أن الخريف يقترب.

في مركز الحافلات في بوتلفبلاستن، رفعتُ دراجتي عن الحامل وكنت قد وضعتُ ساقي اليمنى فوق هيكل الدراجة حين لفت شيء ما نظري.

لم تكن بارزة. بدتْ مثل أي واحدة من اللونديين (سكان لوند) الذين خرجوا للاستمتاع بأشعة الشمس. كانت واقفة في الجهة المقابلة من الشارع

أمام جدار حجري وعيناها تجوبان موقف الباص، مرتدية ثوباً صيفياً أصفر مليئاً بالزهور، وجزمة، وجاكيتة بلون البيج، وحقيبتها متدلية من كتفها.

كنت بحاجة للنظر ثانيةً لأتأكد.

ارتختْ ذراعيَّ فوقعت الدراجة. فقدتُ توازني.

83

عينا تيدي تتلألآن بالدموع.

أقول له: "أمسكْ نفسك".

الوداعات العاطفية لا تناسبني. ولهذا السبب، بالطبع، أنا مزعجة.

"أنا متأكدة بأنني سأكون هنا عندما تعود".

يقول تيدي وهو يعضّ على شفته السفلى: "لا أظن ذلك".

سيغادر غداً وسيغيب لمدة ثلاثة أسابيع.

يقول: "ستتحوّل إلى المحاكمة، صحيح؟"

"يبدو ذلك".

لا أريد التحدث حول هذا الأمر.

أقول بدلاً من ذلك بملامح متشكّكة: "جزر الكناري؟ أنا متأكده بأنه ما يزال بإمكانك تغيير رأيك. حصلتَ على تأمين إلغاء، أليس كذلك؟"

نجحتُ. يتحوَّل وجه تيدي الحزين الدامع إلى ابتسامة مشرقة.

"تشعرين بالغيرة فقط. ثمانون درجة في الظل طوال الأسبوع".

"لا تنسَ واقيك الشمسي". أضحك. "شامل، صحيح؟"

يهز برأسه مؤكّداً، وهو يغضّن أنفه.

"يا لك من إنسان قابل للتوقع يا تيدي؟"

"أجل، حزين ولكن حقيقي. أحيانا أتمنى لو أنني أكثر شبهاً بكِ".

"لا. غير صحيح".

يبتسم مجدداً.

"لا".

"هل يمكنني أن أسألك عن أمر ما يا تيدي؟"

"وهل تفعلين أي شيء غير ذلك؟"

"حقاً. سؤال جدي".

يتوقف عن الضحك وهز الرأس. أحاول إيجاد الكلمات الصحيحة، لكن ذلك ليس سهلاً.

لقد بقيتُ صاحية طوال الليل، أفكّر في أبي. لماذا ادّعى أنني عدت إلى المنزل في وقت أبكر بكثير من وقت عودتي الفعلية.

"إلى أي حد يمكن أن تذهب لحماية ابنتك؟"

"لستُ متأكداً مما تقصدينه. سأفعل أي شيء من أجل لوفيزا. أعتقد أن أي أب سيفعل ذلك".

"الحنث باليمين؟"

"هه؟"

يرمقني تيدي بنظرة شك.

"يعني الكذب تحت القسَم".

"أعرف ما يعنيه، لكنني متأكد تماماً بأنكِ لن تُرغمي على الشهادة تحت القسَم ضد ابنتك بالذات؟"

"لا، ولكن انسَ التفاصيل. هل ستكذب في المحكمة لحماية لوفيزا؟"

يقول وهو يفكّر: "هذا سؤال صعب. هذا يعتمد..."

"بربك يا تيدي، جدياً".

يقول بتصميم: "حسناً. أنا متأكد بأنني سأفعل كل ما بوسعي. حتى الكذب. في المحكمة".

"جيد".

"ولكن، عما نتحدث هنا حقاً؟ هل هو ما أظنه؟"

أشيح بنظري بعيداً عنه نادمةً على قول أي شيء في الأساس. لا يمكن لتيدي أن يفهم. هناك سنوات ضوئية بينه وبين أبي.

"أراهن أن أي أب أو أم يمكن أن يفعلا أشياء لا يمكن تصوُّرها لإنقاذ ولدهما".

"لكن أبي ليس مثلك. إنه يفعل كل شيء من أجل نفسه. أو كي لا

يكتشف الناس الآخرون أنه وعائلته ليست مثالية لعينة كما يريدهم أن يعتقدوا".

يظهر تغضُّن بارز على جبهة تيدي. ويبقى صامتاً لدقيقة.

وأخيراً يقول: "أتعرفين؟ لا أظن أن هذا غريب جداً. أعتقد أننا جميعاً نريد أن تبدو عائلاتنا أكثر انسجاماً وكمالاً بقليل مما هي في الواقع".

أهزُّ رأسي. تيدي لا يستوعب الفكرة. لا يمكنه حتى تصوُّرها.

"أبـــي لم يردْ تربيتي. أراد خلقي، وكأنه الله نفسه. أرادني أن أكون مثلـــه تماماً. لا، انتظرْ، أرادني أن أكون كما تخيَّل أن ابنته ستكون. وعنـــدما لم تســـر الأمور كما..."

هذا كل ما تمكَّنتُ من قوله. يتعطَّل صوتي ويتلاشى.

"لا أعتقد حقاً أن والدك يمكن أن يكذب بخصوص أي شيء لحماية نفسه أو سمعة عائلته".

أدير نفسي جانباً كيلا أبقى قبالته. ما الذي يعرفه تيدي بحق الجحيم عـــن والدي؟"

"إذن لماذا يفعل ذلك؟"

"لأن هذا ما يفعله الآباء. لأنه يحبك".

لن أنظر إليه. أريد أن أقول شيئاً لئيماً، شيئاً جارحاً، شيئاً يُحدث ثقبـــاً في مزاجه العاطفي، لكنني لا أتمكَّن من استحضار كلمة واحدة.

"سيكون كل شيء على ما يرام، ستيلا".

أشعر بيده اللطيفة على ذراعي وكل ما أريده منه أن يغادر.

يقول بصوت هامس: "هيي".

تغرورق عينيَّ بالدموع. يا إلهي، اذهبْ وحسب!

يداعب ظهري ببطء، ما يجعلني أشعر بالأمان والألم، غير أنني أعـــرف في الوقت نفسه أنه على وشك أن يتركي. سرعان ما سيكون جالساً على كرسيٍّ مريح بجانب بركة على جزيرة ما من جزر الكناري، وهـــو يدغـــدغ لـــوفيزا الصغيرة.

أُبعد يده عني دون أن أنظر إليه.

أقول وأنا أبتلع وأمسح دموعي من وجنتيّ: "مقالي. لم أكتب كثيراً".

يقول تيدي بصوت هادئ وعميق: "انسي المقال".

أمسح عينيَّ براحتي يديّ.

يقول تيدي وهو ينهض ليقف: "يجب علي الذهاب الآن".

ما زلت أُدير ظهري له.

"يجب عليّ حقاً الذهاب الآن، ستيلا".

"حسناً".

ألتفت فأراه عند الباب. إنه ينظر من وراء كتفه وينقل استناده على قدميه ببطء من قدم إلى أخرى.

أقول ثانيةً: "حسناً".

ثم أخطو خطوتين إلى الأمام وأضع ذراعيَّ حول رقبته.

أبكي مجدداً. أدع كل شيء يتدفّق مني إلى الخارج.

تيدي يعانقني بقوة، لمدة طويلة.

ثم يهمس قائلاً: "حظاً جيداً الآن".

لا أردّ. ليس لدي صوت.

84

ركبتُ دراجتي في الممر المجاور لمحل المأكولات الجاهزة (*delicatessen*). لقد زاد الأمر عن حدِّه. زاد عن حده كثيراً جداً. كانت ليندا ما تزال تلاحقني، رغم أنني انفصلتُ عن كريس. نظرتُ بحذر إلى مواقف الباصات، لكنني لم أجدها في أي مكان.

اجتاحتني رعشة قوية. أخرجتُ هاتفي واتصلت بأمينة. وعندما لم تجبني، جرَّبتُ إرسال رسالة قصيرة ثم ماسنجر ثم سنابتشات، لكن الصمت اللاسلكي كان في كل مكان.

كل ضجة وحركة كانت تجعلني ألوي جسدي. كان قلبي يدق بعنف داخلي صدري. أحسستُ بأنني طريدة، و لم أشأ أن أكون لوحدي.

بينما كنت أقود درّاجتي بسرعة نحو الكاتدرائية، قيَّمتُ خياراتي. بالطبع، كان بوسعي الانضمام مجدداً إلى زميلاتي في ستوتورجيت. لم أكن بحاجة لذكر سبب عودتي، وسأشعر بالأمان بالجلوس معهن لبعض الوقت.

أو كان باستطاعتي التوجه نحو البيت. لكن الجانب السلبي لهذا الخيار هو أنه كان سيستغرق خمس عشرة دقيقة على الأقل وكان الظلام قد حلّ، والشوارع فارغة. كنت بحاجة لأناس حولي.

تفقّدتُ هاتفي ثانيةً. كانت أمينة غير متصلة في كل مكان. لعلها كانت نائمة.

شخص آخر؟

بين الصور الصغيرة للملفات الشخصية على الشريط العلوي في ماسنجر، لمحتُ وجهه. ابتسامته العريضة وعيناه المتلألئتان. وبجانب اسمه دائرة خضراء متوهجة. *متصل*. كنتُ قد نسيتُ محو كريس من الماسنجر.

اللعنة! كنتُ قد قررت نسيانه ومحوه من حياتي فإذا بي أفكر في الأمر.

بدا كريس الخيار الأفضل في نهاية المطاف فهو يعرف ليندا ولعلـه يسـتطيع أن يشرح لها أننا انفصلنا و لم يعد هناك أي شيء بيننا. وقد يكون قادراً على إقناعها بتركي وشأني. إذا كان هناك شخص يمكنه تهدئتي آنذاك، فهو كريس.

نظرتُ إلى صورته ثانيةً، وفي تلك اللحظة أدركتُ كم كنـتُ أفتقـده. تحرّكت الدموع خلف عيوني بينما كنت أتوجّه إلى حديقة لونداغورد.

ماذا يجب علي أن أفعل؟

اتصلتُ بأمينة مجدداً فلم تجبني.

اتَّخذت قراراً سريعاً وبعثتُ رسالة إلى كريس عبر الماسنجر.

هل أنت موجود؟

حدَّقتُ في الشاشة ولكن لم يحدث أي شيء. التفتُّ عدة مرات لأنظر من فوق كتفي، ظنّاً مني بأنني سمعت صوت خطوات، أو رأيتُ عينين متـوهجتين بين الأجمات.

لم يصلني أي رد على الماسنجر.

بحثتُ عن رقم كريس وأرسلت رسالة نصّية. انتظرتُ خمـس دقـائق ثم اتصلت مرتين متتاليتين. لا شيء.

ماذا سأفعل؟

ركنتُ دراجتي خارج تيجنيرس وأرسلتُ المزيد من الرسائل، إلى كـريس وأمينة. استخدمتُ في جميع رسائلي الأحرف الكبيرة وطلبت منهما أن يردّا علي بأسرع وقت ممكن لأنه الأمر هام.

دخلتُ إلى الحانة لأختبئ بين الحشد. وبعد التجوّل بعجلة في المكان علـى أمل إيجاد وجه مألوف لأبعد ذهني عن ليندا لوكيند، وقفتُ عند البار وطلبـت كأساً من السايدر وأخذتُ أرتشف منه على مهل متحققة من هـاتفي عشـر مرات في الدقيقة على الأقل. لا شيء حتى ذلك الحين.

كان الناس يرمقونني بنظرات غريبة. حاول شاب ذو شعر مقصوص على شاكلة رونالد مغازلتي، لكنني أبعدته عني كما أبعد بقّة. بحثـتُ في الإنترنـت لبعض الوقت وكتبتُ رسالة لأمينة للمرة الألف.

حين خرجتُ من الملهى، كان الظلام دامساً. ركبتُ دراجتي وقدتها عبر الحديقة، وعندما كنت أحاول تفادي بركة ماء على الأرض، كدتُ أصطدم بشابين يرتديان ثياباً مليئة بالدبابيس سألاني إن كان معي قدّاحة. لم أردّ عليهما مكتفية بالتلفُّت حولي في الظلام. عندئذ قررتُ التوجه إلى المنزل. وبينما كنتُ أنعطف يميناً نحو شارع شيركجواتان نظرتُ من فوق كتفي فترنَّحتُ وكدت أسقط مع دراجتي.

كانت ليندا لوكيند واقفة على الطرف المقابل من التقاطع مثل شبح تحت مظلة الضوء الأصفر الكئيب لعمود النور. كانت كلتا يديها في جيبيها، وكانت تحدِّق في الفراغ.

هنا انحرفتُ وصعدت إلى الرصيف وترجَّلتُ عن دراجتي. كان هناك ملهى صغير عند نهاية شارع ساندغوتن -أعتقد أنه يُدعى إنفيرنو. كان الباب مفتوحاً وكانت الموسيقا وأصوات الضحك مسموعة إلى الخارج، وهكذا دخلت عابرةً رجليْن موشوميْن ملتحييْن إلى البار ذي الضوء الخافت.

لابد أنها كانت ليندا؛ هذه المرة كنت واثقة.

أو هل كنت...؟ هل يمكن أن أكون مخطئة في نهاية المطاف؟

جلستُ محنية الظهر فوق كأس من الشراب. كان قلبي يدق بقوة. هل كانت ليندا حقاً؟ أعتقد أنني لم أتمعَّن في وجهها جيداً.

تذكَّرتُ كلماتها في الحديقة. كيف هدَّدتْ بإيذاء كريس. ماذا لو كان في خطر؟ أو أسوأ من ذلك؟ لعلها تمكَّنتْ من إيذائه مسبقاً؟ و... هل كانت تبحث عني من أجل إيذائي أنا أيضاً؟

أين أمينة؟ لماذا لم تردّ علي؟

نظرتُ إلى البار الخافت. ليس هناك أثر لليندا. كان الناس يشربون الجعة ويثرثرون ويضحكون وكأن كل شيء كان على أحسن ما يُرام. أنهيتُ شرابي وأُصبتُ بالفواق نتيجة ذلك. وأخيراً اهتزَّ هاتفي.

كل شيء تمام [ok]. نائمة. أراكِ غداً. 3> [رمز للقلب ولكن بشكل مستقيم يُستخدَم في الدردشات على الإنترنت].

جاءتْ من هاتف أمينة.

قرأها مرة تلو المرة.

أنا وأمينة نتراسل منذ أن كنا في دار الحضانة. أعرف كيف تكتب صديقتي الحميمة مثلما أعرف صوتها.

لا تستخدم أمينة علامات الترقيم في الرسائل.

ولا تختصر *okay* فتكتبها *ok*.

هذه الرسال كُتبتْ بواسطة شخص آخر.

85

دُستُ على الدوّاستين بأقصى قوتي لدرجة أنني لم أعد أشعر بساقيّ. ولم أعد أشعر بالوجود من حولي؛ كنتُ ودراجتي فقط. كانت السيارات والناس يمرُّون بجانبي على الهامش. لم أكن أرى ولا أسمع شيئاً. وكانت أفكاري تأتي وتذهب دون توقف.

لم أكن أرى أمامي سوى أمينة. كان يتوجّب على الإسراع. كان يتوجّب علي الوصول إلى كريس.

في طريق خروجي من نفق القطار على شارع ترولبيرغسفاغن، رأيتُ مركز الشرطة أمامي فخطر لي اللجوء إلى الشرطة. كان الأمر جدّياً. شخص ما أراد مني الاعتقاد بأن أمينة بخير. شخص ما غير أمينة.

وبينما كنت أمرُّ بجانب مركز الشرطة، قررت مواصلة السير. لم يبقَ لي سوى بضع دقائق للوصول إلى شارع بيليغوتن.

تردّدتْ كلمات ليندا لوكيند في رأسي. تصوَّرتُ كريس. أمينة. ماذا يجري؟

طارتْ دراجتي فوق الأسفلت خلال الأمتار القليلة الأخيرة. كانت الريح تلفعني في وجهي.

حين وصلتُ إلى المبنى سندتُ الدراجة على الجدار وحدَّقتُ في الأعلى. كانت الستائر مغلقة في جميع نوافذ شقة كريس. كان المنزل مظلماً تماماً.

صعدتُ السلَّم على ساقين خدرتين. كان قلبي يدق بعنف وبسرعة.

طرقتُ على الباب بقوة. وقرعت الجرس. لم أسمع أي صوت.

وضعتُ أذني على الباب وأصغيتُ السمع، ثم فتحت شق البريد وصرخت من خلاله.

"كريس! أمينة!"

لا شيء.

كنتُ أعلم أن شيئاً ما حدث.

لم تكن لدي أية فكرة عما كان يوشك أن يحدث.

الأم

ليس هناك شيء اسمه عدالة -داخل أو خارج المحكمة.

كلارنس دارو

86

مكتبة
t.me/t_pdf

تبدأ الإجراءات الأساسية للمحاكمة في قاعة المحاكمة 2.

يلاقي القاضي المحلي غوران ليون نظرتي ويومئ محيِّياً بتجهُّم بينما أجلس على مقعدي في الشرفة. لقد التقينا في عدة مناسبات على مر السنين، وليس لدي أي سبب يدعوني للاستياء. ليون ليس مجرد محامٍ كفء، لكنه أيضاً شخص ذكي ودقيق ونبيل وذو نزاهة عظيمة.

لقد أصبحت قاعة المحاكمات، بمرور السنين، مثل بيت ثانٍ لي، غير أنني لا أشعر هذه المرة بأنني في بيتي على الإطلاق. كل شيء أجده جذاباً في العادة -الجو المهيب، والحالة الجدية، والتوتر في الهواء- لا يثير فيَّ الآن سوى القلق. القاعة والهواء والجدران والأوجه، كلها تبدو مهدِّدة وتسبِّب لي الدوار.

كانت الأيام القليلة الماضية مشوَّشة. الأماكن واللحظات تتشابك في ذهني مثل أجمات شائكة. وتومض انطباعات هنا وهناك، كلها خارجة عن سياق الزمان والمكان. يشبه الأمر التجوُّل في حلم ضبابي لا نهاية له.

قبل مجيئي إلى هنا، كنتُ في اجتماع مع موكِّل في ستوكهولم. ولكن، ليس لدي الآن أي فكرة عما قيل أو لماذا كنتُ هناك. أعرف أنني غفوت في الطائرة. سألتني إحدى مرافقات الرحلة إن كنت بخير. ما يزال باستطاعتي رؤية وجهها القلق.

كنتُ قد بلغتُ مؤخراً الذروة في مهنتي، من خلال قفزة كبيرة في مساري المهني، وأرتدي من الرأس حتى القدمين ثياباً من منتجات دولتشي أ غابانا، وكنتُ محطَّ إعجاب لأسلوبي المباشر والصريح ومهارتي وتفانيَّ في العمل. والآن، أنا جالسة في قاعة محكمة بانتظار إجراءات محاكمة ستقرر مستقبل ابني، ومستقبلي أنا شخصياً، ومستقبل عائلتي.

حتى وقت قريب جداً، كنا عائلة طبيعية تماماً. والآن نحن سجناء موضوعين تحت بقعة ضوء لا تعرف الرحمة.

يهمس أمامي القاضي الرئيس غوران ليون بشيء ما للقضاة المساعدين. بينهم امرأتان في العقد السابع من عمريهما؛ إحداهما من حزب الخضر والأخرى من الحزب الديمقرطي الاجتماعي -أمر نمطي بعض الشيء فيما يتصل بالقضاة المساعدين. بالاستناد إلى مظهريهما، تبدوان امرأتين متعاطفتين تجلبان للمحكمة قدراً كبيراً من التفهُّم للعوامل الاجتماعية الاقتصادية التي يمكن أن تؤثر على الأفعال الإجرامية. نفس النوع من القضاة المساعدين الذي واجهته أنا نفسي في مئات القضايا، الأمر الذي يعني، في تسع حالات من عشر، خبراً جيداً لي ولموكِّلي. بيد أنني في هذه القضية بالتحديد غير مقتنعة تماماً بأن التأثير سيكون إيجابياً، وقد تحدَّثتُ بشأن قلقي هذا مع مايكل. ويعود السبب في ذلك جزئياً إلى كون ستيلا امرأة، وكذلك لأن مظهرها لن يكون في صالحها. علاوة على ذلك، لابد أنه سيُنظَر إليها، في جميع الجوانب، على أنها فرد من الشريحة العليا من الطبقة المتوسطة. ولزيادة الطين بلّة، لديها ميْل لرفض تقديم نفسها، تحت أي ظرف، كما يُتوقَّع من شابة حسنة التربية أن تُقدِّم نفسها. آمل أن يكون مايكل قد ساعدها على أن تفهم أي دور حاسم يمكن أن يلعبه سلوكها في قاعة المحكمة.

أشعر بثقة أكبر حيال القاضي المساعد الثالث. إنه من الحزب الديمقراطي السويدي، في العقد الرابع من عمره، متقاعد نتيجة إعاقة، وبحسب مايكل نادرا ما يُبدي اهتماماً كبيراً بالعملية القانونية.

من غير المجدي في أغلب الأحيان القلق من القضاة المساعدين. في الواقع، يمكن اعتبار دورهم في المحكمة كديكور لا أكثر. لا أحد يولي وزناً كبيراً لآرائهم، وفي حال بلغتْ بهم قلة الذوق أن يخالفوا قرار القاضي الرئيس فإنه سيسحقهم دون أن ترمش له عين. من هذه الناحية، يمكنني الاعتماد بنسبة مائة بالمائة على غوران ليون.

حينئذ يُفتَح الباب في النهاية البعيدة للقاعة وتدور كل الرؤوس في الشرفة. ويتوقف كل شيء. أشعر بأنني عالقة في نفق ضيِّق. أفتل جسدي بصعوبة محاولةً التنفس بشكل طبيعي.

أولاً، يظهر حارس أمني في الباب ثم يلتفت ويقول شيئاً ما. مجال رؤيتي محدود ومشوَّش والنفق يزداد تضيُّقاً من حولي.

وأخيراً أرى ستيلا. تنهمر الدموع من عينيَّ وتزداد رؤيتي ضبابيةً.

أشعر وكأن البارحة فقط كانت جالسةً في حضني وأدلِّلها مثل دمية. لهّايتها وبطانيتها الأثيرة، والمرة الأولى التي وقفتْ فيها وركضت. ستيلا لم تحبُ ولم تمشي، بل ركضت مباشرة. أذكر جدري الماء وركبتيها المخدوشتين، وبقع الفريز على ثوبها الصيفي، ونَمَشها، وكيف كنتُ أغفو في سريرها ليلة بعد ليلة يغطي وجهي كتاب مفتوح.

أفكّر في جميع أحلامها. كانت تريد تغيير العالم، وإلا فما هو المغزى من العيش؟ في البداية، أرادت أن تصبح كاهنة مثل أبيها، ولاحقاً ضابطة شرطة أو إطفائية. كانت تغضب بشدة لأن الناس يقولون *رجل إطفاء*؛ كانت تريد أن تصبح فتاة الإطفاء الأولى.

هل بقيتْ هناك أية أحلام؟ بينما أراقبها وهي تُقاد إلى القاعة تتبدَّى أمامي الحقيقة بوضوح شديد -مثل ضربة على الوجه. إخفاقي شامل بقدر ما هو غير مُغتفَر. ستيلا في التاسعة عشرة من العمر فقط وأحلامها كلها انهارت.

لطالما أرادت مساعدة الناس. كانت ستذهب لرؤية العالم، والسباحة مع أسماك القرش، وتسلُّق الجبال، وتعلُّم الغوص والطيران، والقفز بالمظلة، وركوب دراجة نارية عبر الولايات المتحدة. ولفترة من الوقت، حلمتْ بأن تصبح ممثلة أو أخصائية نفسية.

ماذا يكون الإنسان بدون أحلام؟

تلتقي نظراتنا للحظات وجيزة قبل أن تجلس بجوار مايكل. عيناها متعبتان وخاويتان، وشعرها منسدل وضعيف، وبشرتها ملأى بالبقع. ما تزال فتاة صغيرة خائفة. *ابنتي* الصغيرة الخائفة. أنهض قليلاً عن كرسيّي، موازنةً نفسي على رؤوس أصابعي، وأمد ذراعي. ليست هناك خيانة أكبر من أن تخفق في مساندة طفلك.

87

أنا جالسة على كرسيّ في الشرفة ومتشبّثة بجدران نفقي. أقل انحراف في رؤيتي يعرِّضني لخطر ملاقاة اتهامات ولوم وكره لا يمكنني مواجهتها.

آدم ينتظر خارجاً في قاعة الانتظار لأنه سيقدِّم شهادته. أفتقده. لم أحتجه في حياتي بقدر حاجتي إليه الآن.

بما أنني جالسة في موقع أقرب إلى الادعاء منه إلى جانب المدَّعي عليه، فلا يمكنني إلا أن ألمح مارغريتا أولسن عند حافة نفقي. لقد علّمتني في التسعينيات في بضع مواد في كلية الحقوق، وهي الآن بروفيسورة في القانون الجنائي. لكنها اليوم، أولاً وأخيراً، والدة رجل سُلبَتْ منه حياته. يجلس بجانبها محامية الطرف المتضرر، وهي حمراء الشعر في العقد الخامس من عمرها أظن أنني أعرفها لكنني لا أتذكّر أين وكيف، ومدِّعٍ مساعد ذو شعر لامع مسرَّح نحو الخلف ونظارات دائرية الإطار. وأخيراً وليس آخراً، المدّعية نفسها؛ جيني جانسدوتر.

أعلم أن جانسدوتر تماثلني سنّاً، لكنها تبدو أصغر مني بكثير، ربما لأنها قصيرة جداً. شعرها مربوط على شكل كعكة محكمة ونظرتها ضيِّقة ومركّزة خلف نظارتها. أفكّر في جميع المرات التي وجدتُ فيها نفسي في هذا الوضع تماماً. التوتر والتشويق عند دخولك إلى القاعة في بداية محاكمة جديدة.

بيد أن الجو مختلف تماماً في الشرفة. أنا أتلوَّى ألماً وأكبتُ دموعي، محاولةً إيجاد شيء ما لفعله بيديّ الثقيلتيْن. هنا يحلُّ الارتباك والقلق محل التركيز. يقطر العرَق من إبطيَّ وأشعر بالجفاف في سقف فمي.

أنظر إلى مايكل. أتمنى أن ينظر في اتجاهي، لكنه غارق كلياً في تحضيراته. لقد دققنا معاً في الاتهام عدة مرات.

لا ترتكز هذه القضية إلا على أدلية ظرفية. لقد بَنَتِ المدّعية روايتها لما حدث بالاستناد فقط إلى ظروف لا يمكن أن تُثبت ارتكاب فعل جرمي بحد

ذاها، لكنها تشكّل معاً سلسلة يُقصَد منها استبعاد أي تفسير محتمل آخر.

تتألف الأدلة المقصودة من بصمة حذاء تُظهر أن ستيلا كانت موجودة في موقع الجريمة عند وقوعها، وسجلات هاتفية ودردشات مكتوبة بين ستيلا وكريستوفر أولسن، وأدلة تقنية من كمبيوتر أولسن وقشور جلدية، وشعر، وخيوط نسيجية.

إضافة إلى ذلك، استدعت المدّعية شهوداً. ستشهد مي سينيفال، المقيمة في شارع بيليغوتن، بأن ستيلا كانت موجودة في مسرح الجريمة عند وقوعها. وستشهد زميلتا ستيلا في إتش آند إم، مالين جونسون وصوفي سيلفربيرغ، بأن ستيلا كانت تملك بخّاخ فلفل في حقيبتها. وسيؤكد جيمي بارك، وهو موظف في السجن، بأن ستيلا أظهرتْ سلوكاً عنيفاً في مناسبات متكررة خلال الأسابيع القليلة الماضية.

واستدعى الدفاع شاهديْن، هما آدم وأمينة.

تُنحنح جيني جانسدوتر حنجرها وتنظر بشكل مباشر إلى ستيلا. أريد أن أصرخ فيها بأن تكفَّ عن ذلك وتترك ابنتي وشأنها. تعرض مرافعتها الافتتاحية دون أن ترمش لها عين، دون أن تأخذ نفَساً، دون أي تلعثم في الكلمات في أية نقطة.

"تعرفَّت ستيلا ساندل على كريستوفر أولسن في حزيران من هذا العام. التقيا في مطعم تيجنيرس ماتسالار، حيث دار بينهما حديث. وبعد فترة قصيرة، شرعا في علاقة جنسية".

تبدو ستيلا خاوية. إنها تحدِّق مباشرة في جانسدوتر دون أن تُبدي أية ومضة احتجاج على رواية المدّعية للأحداث.

"وفي النهاية، اكتشفت ستيلا أن صديقتها أمينة بيسيتش، التي سنسمع شهادتها اليوم، بدأت بمقابلة كريستوفر أولسن من وراء ظهر ستيلا. أمينة أيضاً أقامتْ علاقة جنسية مع كريستوفر، الأمر الذي اكتشفته ستيلا بعد فترة وجيزة".

أعتقد أنني ألمح إيماءة تكاد تكون غير مرئية من القاضي الرئيس غوران ليون. يتابع القضاة المساعدون بجانبه قصة المدّعية باهتمام شديد. حتى الآن،

ليست هناك أية رواية أخرى. حتى الآن، ما تقدمّه هي الحقيقة.

"اختار كريستوفر أولسن إنهاء علاقته مع ستيلا و لم يحدث بينهما أي اتصال لمدة أسبوع. ولكن، في يوم وقوع الجريمة، حاولت ستيلا الاتصال مع كريس وأرسلت رسائل نصية له مجدداً، وذهبت إلى مسكنه في بيليغوتن. في 23:30، شاهدت مي سينيفال، وهي جارة لأولسن، ستيلا تصل إلى المبنى بالدراجة الهوائية وتصعد مسرعةً إلى شقة أولسن. وبعد ثلاثين دقيقة، رأت مي سينيفال ستيلا مرة أخرى. هذه المرة، كانت واقفة على الرصيف قبالة منزل أولسن؛ من الواضح أنها كانت تنتظر شيئاً ما".

يمنح تسلسلُ إجراءات المحاكمة هذا جانبَ الادعاء ميّزة واضحة. هناك فائدة نفسية في أن تكون الأول في تقديم تسلسل الأحداث. الرواية الأولى تظهر ببساطة على أنها الحقيقة، وأية نسخ لاحقة لابد أن تتسم بدرجة أعلى بكثير من المعقولية من أجل تغيير فهم المرء الأصلي لتسلسل الأحداث المذكور آنفاً. ولسوء الحظ، إن القاضي والقضاة المساعدين ليسو إلا بشراً، بصرف النظر عن درجة الجهد الذي يبذلونه للارتقاء فوق، وتجاهُل، التحيُّزات وكل الميكانيزمات النفسية الأخرى التي تؤثر علينا وتقودنا.

هناك أشخاص في الشرفة يكتبون على لوحات مفاتيح، وهناك آخرون يدوِّنون بخط اليد. صحفيون ومراسلون يملكون بالطبع أفكارهم الجاهزة مسبقاً عما حدث، وجاهزون لمشاطرتها مع كل إنسان يملك تلفازاً أو وصلة إنترنت. أمدُّ يدي نحو رجل ملتحٍ في المقعد المجاور لمقعدي. *هناك حقيقة أخرى. أنت لم تسمع كل شيء بعد. كلا الطرفين يملكان الحق بالتحدث*. ينظر الرجل الملتحي إلي مندهشاً بين نقراته على لوحة المفاتيح، رافعاً حاجبيه وكأنه يسألني إن كنتُ أريد شيئاً منه. أنسحب عائدةً إلى نفقي. يمكنني أن أشم رائحة عرَقي الخاصة تزداد وضوحاً.

تواصل المدّعية روايتها: "في وقت ما بين منتصف الليل والساعة الواحدة، يصل كريستوفر أولسن إلى مقر سكنه. كانت ستيلا تنتظر على الشارع في الخارج، فسمح لها بالدخول. ثار جدل بينهما في الشقة، متصل على الأرجح

بعلاقة أولسن بأمينة بيسيتش. خلال الجدال، تأخذ ستيلا سكيناً من جدار مطبخ كريستوفر أولسن. يهرب أولسن من شقته ويخرج إلى الشارع. يركض إلى حديقة لعب الأطفال عند الزاوية بين بيليغوتن ورودمانسغوتن. وعند وصوله إلى حديقة الأطفال، تصل إليه ستيلا ساندل وتهاجمه بوحشية طاعنةً كريستوفر أولسن الأعزل بالسكين. يُصاب بالصدر والمعدة والرقبة، لكن أياً من جروحه لا تُسبب الموت الفوري وكريستوفر لا يموت في الحال. ستيلا ساندل تتركه لينزف حتى الموت".

أرى كل شيء مثل فيلم سينمائي في ذهني. أرى السكين في يد ستيلا وهي ترفعه فوق كتفه وتطعنه.

يجب أن أقف. الناس يحدِّقون فيّ، الجميع يعلمون من أكون، بالطبع. لقد عرفني الصحفيون منذ فترة طويلة. ذرة أخيرة من الشرف والاحترام المهنيْن هي التي تمنعهم من مهاجمتي بالأسئلة والملامة. أتلفّتُ حولي وأخطو بضع خطوات إلى اليمين، ثم بضع خطوات إلى اليسار، ثم أعود وأجلس ثانيةً على كرسيٍّ. كل شيء يدور من حولي.

يسألني الرجل الملتحي: "هل أنتِ بخير؟"

أهزُّ رأسي نافيةً. لا، لستُ بخير على الإطلاق. أضغط بيديَّ على بطني وأتنفّس. شفتاي ترتعشان.

أعلم أن آدم جالس خارج الباب مباشرةً، لكنني مع أذلك أشعر بأنني مهجورة كلياً وبعمق. لا أفهم. في العادة، عندما يتحدث الناس حول حقيقة أن البشر حيوانات اجتماعية، أجد صعوبة في الرد. طوال حياتي أحسستُ بأنني معزولة عن البشر. و لم يكن هذا سبباً كبيراً للحزن بالنسبة لي، ربما لأنه من المستحيل افتقاد شيء لم تكن تملكه أساساً، لكن الروابط القوية التي كانت توحِّد أشخاصاً آخرين سواء أكانت عبر خواتم أو بواسطة الدم أو شيء آخر، كانت دوماً تبدو لي أضعف وأوهن وأقل أهمية مما هي بالنسبة للآخرين.

لم أدرك هذا الأمر إلا منذ بضع سنوات، حين كنت أراقب صداقة ستيلا وأمينة وأرى شيئاً كنت أتوق له. كان شعوراً غير طبيعي إلى حد بعيد أن تشعر

بالغيرة من علاقة ابنتك مع إحدى صديقاتها. لقد تطلّب الأمر فترة لا بأس بها من الوقت، وامتعاضاً ودموعاً، لأدرك أن ما كنت أحنُّ إليه حقاً هو عائلتي - بالرغم من المشاعر القوية التي كنتُ أكنُّها لأمينة، وبالرغم من أنني كنت أرى نفسي فيها وأشعر بقرب شديد منها.

كنت أحنُّ لستيلا. كنت أحنُّ لابنتي الصغيرة الحبيبة.

وكنت أفتقد آدم.

88

أعتقد أن صورة آدم المتواضعة هي التي وقعتُ في حبها. لقد رأيتـــه يمـــر بجانبـــي في ممرات مهاجع ويرملاند من قبل، لكنه لم يثر انتباهي حقـــاً. وذات ليلة من أواخر كانون الأول، تَصادَفَ أننا كنا جالسيْن قبالة بعضنا حول طاولة في أحد المطابخ المشتركة، وبعد بضع سنوات أنشأنا عائلة.

يبدو ذلك مضحكاً بالتفكير فيه الآن، لكنني لم أكن أدرك أن رجالاً مثـــل آدم كانوا موجودين حقاً. أقمت علاقات مع شبّان كثير في مســـقط رأســـي، ولكن نادراً ما عرفتُ أحداً يستحق الاحتفاظ به أكثر من بضعة أشهر. الشـــبّان الذين كنت أهتم بهم كانوا جذابين ومنفتحين وواثقين بأنفسهم، الأمر الـــذي كان يعني في الغالب أنك حالما تخدش القشرة الخارجية الصلبة كنت تجد فـــتى صغيراً خائفاً.

لمدة بضعة أسابيع في الفصل الأخير من سنتي الثالثة في المدرســـة الثانويـــة، واعدتُ شاباً يُدعى كلابـــي، كان يؤدي تمرينات الذراعين والصدر أربع مرات في الأسبوع عندما لا يكون يذرع الطريق بين ساحيٍّ المدينة ذهاباً وإياباً بسيارته البـــي إم دبليو التي كانت تستهلك نصف راتبه من معمل الخبز. كان يحب أن يناديني "أميرة" لأنني جعلته يغسل مسحوق التبغ من أسنانه قبل أن نقبِّل بعضنا.

لا شك أنه كان هناك رجال آخرون مثل آدم في منطقتي، لكن راداري لم يكن يلتقطهم لأنهم لم يكونوا يمتلكون عملياً مكانة وموقعاً في البلدة الصغيرة التي جئت منها. أما في لوند، فكل شيء كان مختلفاً. ثمة سمات وصـــفات أخـــرى تمتلك قيمة هنا. كنت عازمة تماماً على عدم العودة مطلقاً إلى بلدتي.

قدَّم آدم آراء مثيرة للاهتمام بشأن عالمنا الصغيرة والعالم الأوسع أيضاً. غالباً ما كنا نبتدئ نقاشاتنا بآراء متناقضة قطبياً، الأمر الذي قادنا في نهاية المطاف إلى آراء جديدة ونوع من التوافق. كانت يمتلك قدرة لا تُضاهَى على التعامل مـــع

أفكار الآخرين باحترام وتقدير كبيرين بحيث يصبح من المستحيل أن تغضب منه. وهذا كان يغضبني.

"لا يمكنك أن ترضخ وحسب، آدم! *من جهة، ومن الجهة المقابلة، الكل محق في طريقته الخاصة*. إن المغزى من أي نقاش هو أن تربح!"

"أتظنين ذلك؟ أعتقد أن المغزى من أي نقاش هو تطوير أنفسنا كأشخاص. في كل مرة تتعرَّض فيها آرائي لتشكيك، أتعلّم شيئاً جديداً".

كنا نمضي أحياناً نصف الليلة جالسيْن في غرفته الصغيرة في مسكن الطلاب. آدم على السرير واضعاً ساقيه تحته، وأنا على الأرض تحته ممدودة الساقين، مع زجاجة شراب وكيس من رقائق البطاطا.

"كل هذه النسبية المتزايدة توترني، يا آدم. لابد أن تكون بعض القيَم مطلقة. ألا ينطبق هذا على الدين؟ هل يُسمَح لك حقاً بالإيمان بأي قدر تشاء منه حتى لو كان ضئيلاً؟"

"بالتأكيد. لهذا السبب يُدعى 'إيمان'، وليس 'معرفة'".

كانت فكرة الإيمان برمَّتها جديدة ومخيفة إلى حد ما. كنت دائماً أحكم على جميع الأديان -دون أن أعرف السبب تماماً، وبشكل روتيني- على أنها متصلّبة في آرائها وعدوة التفرُّد. لم يكن هناك مكان لمثل هذه الأمور في نظرتي الليبرالية والعلمانية للعالم. جئتُ من مكان كان فيه من الطبيعي تماماً أن تُعمِّد أطفالك في الكنيسة وفي الوقت نفسه أن تزدري وتسخر من أولئك الذي يُسمّون أنفسهم كريستيان.

قال آدم: "لا أعتقد أنه لأمر جيد أن تكوني مدفوعة بالاعتقاد، أياً يكن نوعه. ليس لهذا أي علاقة بالدين أو الإيمان بالله".

قلتُ وأنا أحشو المزيد من رقائق البطاطا في فمي: "توقّفْ عن إبداء الكثير من العقلانية. أريد نقاشاً يمكنني الفوز فيه!"

"ستصبحين محامية ممتازة".

ضحكنا وقبَّلنا بعضنا ومارسنا الجنس. كان هذا كله جديداً بالنسبة لي. كان آدم يلمسني بيدين جديدتين، وينظر إلي بطريقة لم أعرفها من قبل. كان

يجازف بقلبه من أجلي، ويكشف لي روحه، ويجلس قبالتي دون خوف على سريره المرتَّب بطريقة سيئة والذي كانت تفوح منه رائحة عطر الجسد "آكس" ورقائق البطاطا بطعم الكريما الحامضة.

كنت أنظر إلى علاقتنا على أنها علاقة عاصفة. ولسبب ما كنت أفترض بأنها ستنتهي كما بدأت، بشكل عاصف وغير متوقّع. كان هذا هو تصوُّري للعلاقات الرومانسية؛ وجيزة وحادة وتُنسى بسرعة. ولهذا ينبغي عليك الاستمتاع بها ما دامت مستمرة والخروج منها قبل أن يتحوّل كل شيء إلى حطام.

كان رد فعل الناس حولي قوياً عندما كنت أذكر تعليم آدم.

"هل سيصبح قسّاً حقاً؟"

وفي كل مرة، كنت أشعر أنا أيضاً بالخوف. في العادة، كنت أدافع عن آدم بالإشارة إلى أنه لم يكن على الإطلاق يشبه القساوسة. لم يكن قساً حقيقياً.

"لكنه يؤمن بالله والإنجيل وكل هذه الأشياء؟"

لم يكن باستطاعتي إنكار ذلك.

كنت أردُّ أحياناً بالقول: "ولكن، ليس الأمر كما تعتقد" -رغم أنني لم أكن قادرة على شرح طريقته في الإيمان.

كان من الطبيعي تماماً أن تستمر علاقتنا. والآن، بعد أكثر من خمسة وعشرين عاماً، قد تبدو عادية ومملة، لكن علاقتنا كانت، أولاً وأخيراً، ترتكز على الأمان والتضامن والإحساس القوي بأننا وجدنا موقعينا المناسبين في الحياة. وكان هذا هو كل ما أحتاجه.

لم يكن للمستقبل أبداً حضور هام في حياتنا اليومية. كنا منهمكيْن في كل ما كان يجري في الوقت الحاضر. وفي هذا الخصوص، لا أعتقد أننا كنا مختلفيْن عن أشخاص آخرين من عمرنا. لا يعني هذا أننا كنا نرفض التفكير في كل ما ينتظرنا، وفي القرارات التي كنا سنضطر لاتخاذها بشأن العائلة ومهنتيْنا وما إلى ذلك. كل القصة هي أننا لم نكن قادرين على رؤية ما وراء الأفق.

ذلك الخط على شريحة اختبار الحمل قبل نحو أسبوع من عيد الميلاد غيَّر كل شيء في لحظة واحدة. في البداية، انتابتني حالة من الافتتان أشبه ما تكون بوقوعك حديثاً في الحب، ولكن عندما هدأتْ حالة الدوار، لم يطل بي الوقت حتى أُصبتْ بدرجة من القلق لم يسبق لي أن اقتربتُ منها في أي وقت مضى. بدأ ذلك بالشك في قرارنا بتكوين عائلة -أليس من الأفضل الانتظار بضع سنوات؟- وانتهى بإحباط يائس من العالم الفاسد المشبَع بالعنف والبؤس. كنت مرعوبة و لم أشعر بنفسي إلا والدموع تنهمر من عينيّ خوفاً من المستقبل الذي بدا محتوماً بالنسبة لطفلي الذي لم يولَد بعد.

من المروِّع التفكير في ذلك الآن. كأنني كنت أعرف، حتى في ذلك الحين. حدْسٌ مخيفٌ عميقٌ يحذّرني من جلب ستيلا إلى العالم. الشعور بالذنب يعصر أحشائي.

كنتُ يافعة جداً. لقد سمحتُ لنفسي بأن أُقنَع.

89

يلتفت القاضي الرئيس إلى ستيلا.

"هل تودّين التحدث عن هذه الأحداث وعما شـــهدته، إن شـــهدتِ أي شيء؟"

تنظر ستيلا إلى مايكل فيومئ لها بالموافقة. أنا ممتنّة لأنه هو المحامي الجـــالس بجانبها.

عندما اتصل في ليلة السبت تلك لإبلاغنا أن ســـتيلا محتجـــزة في مركـــز الشرطة، عرفتُ أنني سأقدر على جعله يصغي للمنطق. إنه مدين لي، بعد كل ما حدث. بالطبع، كان الجلوس في مكتبه مع آدم أمراً معذّباً؛ محاولـــةٌ مســـتمرةٌ للموازنة بغية عدم كشف أي شيء، لكن أياً من هذا لم يكـــن ممكنـــاً بـــدون مايكل.

تسأل ستيلا القاضي: "أين يجب أن أبدأ؟"

المحكمة بأكملها تحدِّق فيها. قد تكون عينا غوران ليون دافئـــة ولطيفـــة، ولكن بوسعي رؤية يد ستيلا ترتعش على حافة الطاولة. ليتني أستطيع الجلـــوس بجانبها ومعانقتها. النفق يُطبق عليّ، وأنا ألهث طلباً للهواء. الصـــحفي الملتحـــي ينظر إلي.

تعرف ستيلا بالضبط ما يجب وما لا يجب عليها قوله. لقد بحث مايكـــل معها هذه الأمور عدة مرات. الشيء المهم الآن هو أن تنفّذ -لمرة واحدة- مـــا طُلب منها. رجاءً حبيبتي ستيلا!

هذا الجزء من إجراءات المحاكمة بالغ الأهمية. الفرصة الأولى وربما الوحيدة للمتهم لإعطاء انطباع عن نفسه للمحكمة. أعرف تقنية مايكـــل بتفاصـــيلها. معظم ما تعلّمتُه جاء منه. من الأهمية الفائقة بمكان بالنسبة لها أن تكوِّن لنفســـها انطباعاً بأنها موثوقة، أن تقدِّم نفسها كفتاة قوية وضعيفة في الوقت نفسه. ومـــن

الأفضل الموافقة على رواية المدّعية إلى أقصى درجة ممكنة، والافتراق عنها فقط في النقاط ذات الضرورة القصوى من أجل الاعتراض على تلك الرواية للجريمة. من المهم أن تبدو متعاونة. ينبغي على ستيلا أن تكون إنسانة، لا أكثر ولا أقل.

يسألها القاضي الرئيس: "هل تعرفين كريستوفر أولسن. أعتقد أننا نستطيع البدء من هنا".

تسحب ستيلا نفَساً عميقاً وتنظر إلى مايكل فيعطيها الضوء الأخضر بإيماءة من رأسه، ثم يفتل جسده بحيث أصبح ظهره للجمهور ولي.

ينتابني شعور واخز في معدتي. ومضة شك. يمكنني الوثوق في مايكل، أليس كذلك؟

تقول ستيلا بصوت فاتر: "التقينا به في تيجنيرس. أنا أمينة".

لا أجرؤ على التحرُّك ميليمتراً واحداً. وبالكاد أجرؤ على التنفس.

"كان ذلك في يوم ما من حزيران. كان كريس فاتناً، و... كما تعلم، مثيراً. كان أكبر مني بكثير. كان في الثانية والثلاثين وأنا كنت في الثامنة عشرة".

تنظر القاضيتان المساعدتان إلى بعضهما.

تواصل ستيلا كلامها: "أخبرني أنه سافر كثيراً. لقد ذهب، تقريباً، إلى كل مكان. وكان باستطاعتك معرفة أنه يمتلك نقوداً. بدا بأنه كان يعيش حياة حافلة. نوعاً ما مثل الحياة التي أحلم بعيشها".

إنها تستخدم الفعل المضارع؛ أحلم، وليس كنت أحلم. ما تزال تحلم.

"بعد تلك الليلة بعث لي رسائل وأراد أن نلتقي مرة أخرى، وهذا ما فعلناه".

يبدو صوتها أقوى الآن. إنها ترفع رأسها بين الحين والآخر وتنظر مباشرةً إلى القاضي ليون والقضاة المساعدين. يقوِّم مايكل جلسته ويحثُّها على الاستمرار بتربيتة على الذراع. كالعادة، إنه يرتدي واحداً من قمصانه الزرق التي يطلبها خصيصاً من خياط محدد في هيلسينغبورغ. منذ سنوات طويلة، عندما كنا نعمل معاً، اعترف لي بأنه يرمي في العادة كل قميص بعد يوم واحد في المحكمة –من المستحيل إزالة رائحة العرق بالغسيل.

تقول ستيلا: "ذهبنا إلى شقة كريس بضع مـــرات. ركبنـــا ليمـــوزين إلى كوبنهاجن وذهبنا إلى مطعم فاخر. وذهبنا إلى السبا في أوستاد وفي إحدى الليالي نمنا في جناح في فندق غراند".

من المثير للسخرية قلة ما تعرفه عن ولدك. لقد أقنعتُ نفسي بأنني وســتيلا أصبحنا أكثر قرباً في السنوات الأخيرة. ومع ذلك لا أعلم إلا جزءاً ضئيلاً ممـــا يجري في حياقا. أفكِّر في ما إذا كان هذا غريباً، أو حتى شيئاً خاطئاً؛ إذا كـــان هذا يميز علاقتنا بالتحديد أم أن أمهات المراهقين يعتقدن أهن يعرفن عن أولادهن أكثر مما يعرفن في حقيقة الأمر.

تقول ستيلا: "أحياناً كنا نحن الثلاثة نمضي الوقت معاً، كريس وأمينة وأنا. أعني أنني وكريس لم نكن مرتبطيْن بعلاقة. مارسنا الجنس بضع مرات، لكننا لم نكن ثنائياً".

يتبادل القضاة المساعدون النظرات. تـــنكمش القاضـــيتان المســـاعدتان، ويصطبغ وجه الديمقراطي السويدي باللون الأحمر. لا أريد أن تُكشَف الحيـــاة الجنسية لابنتي أنا أيضاً، لكنني أحتاج إلى أكثر من ذلك بكثير لأُصدَم.

"لم تكن جدية على الإطلاق، لا شيء من هذا القبيل. بالنسبة لي وله. كي أكون صادقة تماماً، لا أعتقد أن كريس كان يريد أن يكون مع فتاة في الثامنـــة عشرة، وبالنسبة لي كان من المستحيل أن أفكر في أي شيء. كنت سأغادر بعد فترة وجيزة في رحلة كبيرة. إلى آسيا".

تلسعني عيناي فأضغط عليهما برفق بمحْرمة. أتخيَّل ستيلا تحت شـــجرة نخيل على شاطئ في الجنة. لا أجرؤ على تخيُّل البـــديل. عـــدة ســـنوات في السجن. وعلى الأرجح حكم بالمؤبد من المجتمع -في سوق العمـــل، وبـــين الأصدقاء والمعارف. كيف سنتمكّن أنا وآدم من مواصلة حياتنـــا؟ وكيـــف ستتأقلم ستيلا؟

تقول ستيلا: "أعرف أن أمينة كانت مع كريس أيضاً، بضـــع مـــرات. لم يزعجني ذلك".

يحكُّ غوران ليون رأسه.

"هل يمكنك أن تكوني أكثر دقةً في هذه النقطة؟"

"أية نقطة؟"

"ماذا تقصدين، بالضبط، بقولك أن أمينة *كانت* مع كريس؟"

للمرة الأولى ترى المحكمة جانباً مختلفاً من ستيلا. تومض عيناها وتبرز العروق في رقبتها.

"أعني أنهما أمضيا الوقت معاً. هذا كل ما في الأمر! أمينة لم تمارس الجنس مع كريس، إذا كان هذا ما تلمِّح إليه".

تصطبغ وجنتا غوران ليون باللون الأحمر فيأخذ رشفة من الماء بينما يضع مايكل يداً مهدِّئةً على ذراع ستيلا.

"كنتُ في صدمة تامة عندما اكتشفت..." يرتعش صوت ستيلا وتحكُّ بالقرب من شفتيها. "عندما أخبرتني الشرطة بما حصل. لم أستطع التصديق. كنتُ أعلم أن /كريس تلقى تهديدات، ولكن أن يموت... ما زلت غير قادرة على تقبُّل الأمر".

تتغيَّر الوجوه ببطء في الشرفة. تبدأ طباعة الصحفيين بالتمهُّل. ويهمس شخص ما خلفي بصوت عالٍ بعض الشيء متسائلاً عن أي تهديدات تتحدث ستيلا. هل هي الحبيبةُ السابقة؟ أغمض عيناي وأتنفّس. يتوسَّع النفق قليلاً.

يقول غوران ليون: "قبل أن تطرح المدّعية أسئلتها، لربما تودّين إخبارنا بما كنتِ تفعليه في الليلة التي نتحدث بشأنها".

صوته رقيق، وعيناه متعاطفتان وموحيتان بالثقة.

تجيب ستيلا: "عملتُ في إتش آند إم حتى وقت الإغلاق في السابعة وخمسين دقيقة. ثم ذهبتُ مع بعض من زميلاتي إلى مطعم ستورتورجيت. بقينا في القسم الخارجي لبضع ساعات. ربما كانت الساعة حوالي العاشرة والنصف حين ذهبتُ لأحضر دراجتي من بوتولفسبلاتسن".

غرق مايكل في كرسيِّه قليلاً وأرخى كتفيه. هذا يجعلني أشعر بالراحة والقلق في آن واحد.

"حين كنتُ أوشك على ركوب دراجتي، لمحتُ ليندا لوكيند على الجانب الآخر من الشارع. حبيبة كريس السابقة، أقصد. لقد لحقت بـي في مـرة أخرى أيضاً. إنها مخيفة جداً، لذا حاولتُ الاتصال بأمينة، لكنـها لم تجـبْ. لم أعرف ماذا أفعل. هنا حاولتُ الاتصال مع كريس".

حاولتُ أن أضع نفسي في مكانها. ماذا كنتُ سأفعل؟ من السهل الاعتقاد بأنك تعرف بالضبط كيف ستتصرف في مواقف معينة، لكنني تعلّمتُ، لـيس فقط من خلال عمي، بأن مثل هذه الأفكار لا تعني شيئاً في أوقات الأزمـات. من غير الممكن ببساطة التنبؤ بطريقة تصرُّفك في ظروف معينة.

تشرح ستيلا بأن ليندا لوكيند لاحقتها وضايقتها لعدة أسابيع. وأنها كانت خائفة، لأنها تعرف أن ليندا كانت مضطربة وربما خطرة أيضاً. ولهذا السـبب دخلت إلى تيجنيرس، من أجل إحاطة نفسها بالناس بانتظار وصول رد من أمينة أو كريس.

"لم يردّا أبداً، ولهذا السبب حالما هدأتُ قليلاً قررتُ الذهاب بدراجتي إلى البيت. تمكّنتُ من الوصول إلى شيركوغوتن، التقاطع المجاور من المكتبة. وهناك رأيت ليندا لوكيند واقفةً مجدداً".

تبدو ملامح الصدمة على وجوه القضاة المسـاعدين وتصـدر أصـواتٌ مُهمهمةٌ في الشرفة. الشخص الوحيد الذي لا يبدو عليه التأثر على الإطلاق هي جيني جانسدوتر. إنها جالسة بانتصاب مثل مدكٍّ بندقية، كأنها تنتظر فرصـتها لتسحق ستيلا.

تقول ستيلا: "كنتُ مرعوبة". ثم تشرح كيف أنها انـدفعتْ مسـرعةً إلى حانة إنفيرنو الموجودة عند ذلك التقاطع بالضبط.

اختبأت في مؤخرة الحانة آملةً ألا تلحق بها ليندا لوكيند.

"أمينة لم تردُّ حتى ذلك الحين ولم أستطع الاتصال بكريس، لـذا قـررتُ الذهاب بدراجتي إلى شقته. كان كابوساً فظيعاً. لم أكن أعرف ماذا أفعل".

تنفُّس ستيلا هو الصوت الوحيد المسموع في القاعة. كل الأعين كانـت معلّقة عليها.

تقول ستيلا: "لم يكونا هناك".

تتلفّتُ الرؤوس بجانبي. أحدهم يفرك حذاءه بالأرض. وهنا فتاة من أخبار التلفزيون تلوك علكتها.

"قرعتُ الجرس وطرقتُ على الباب. ثم ألصقتُ أذني بالباب لأصغي السمع، لكنهما لم يكونا هناك".

ترفع ستيلا كأس الماء. ترتعش يدها وهي تنحني، ويهوي شعرها أمام وجهها.

هناك شيء غريب. ماذا لو كانت تخبر القصة كلها؟ لطالما أحبَّت ستيلا المسرح. لقد حلمتْ في السابق بأن تصبح ممثلة، وها هو مسرحها، وجمهورها، ودورها الكبير. أمدُّ بيأس ذراعي نحوها.

تقول ستيلا وهي تزيح شعرها جانباً: "قدتُ دراجتي إلى المنزل. ذهبتُ إلى المنزل وخلدتُ للنوم. لا أعلم ماذا حصل بعد ذلك".

90

يقول القاضي الرئيس: "وبذلك تبدأ مرافعة الادعاء".

تبقى جيني جانسدوتر بلا حراك. كل عضلة في وجهها القاسي تبدو في تركيز عميق. القاعة بأكملها تنتظرها.

ثم تقف وتلتفتُ نحو ستيلا.

"من كان هناك؟"

صوتها حاد وآمر، على نحو لا ينسجم مطلقاً مع قامتها.

"ماذا؟"

"قلتِ منذ قليل 'لم يكونا هناك'. من تقصدين بذلك؟"

تقوم ستيلا بإيماءة تقصد بها أن تبدو غير مبالية.

ثم تقول: "كريس. كريستوفر أولسن. لم يكن في شقته، ولهذا السبب ذهبتُ إلى البيت".

"لكنكِ لم تقولي 'لم يكن'. قلتِ 'يكونا'. مثنى. من هو، إضافة إلى كريس أولسن، ذاك الذي لم يكن موجوداً هناك".

ترمق ستيلا مايكل بنظرة سريعة.

"أمينة، أعتقد".

"أمينة بيسيتش؟"

تومئ ستيلا برأسها دلالة على التأكيد.

يقول القاضي غوران ليون: "يجب أن أطلب منك الرد بالكلمات على أسئلة المدّعية. من أجل التسجيل".

ترمقه ستيلا بنظرة حادة. وترتعش شفتها السفلى.

تقول ستيلا بصوت عال على نحو مبالَغ فيه: "أجل".

ألتفتُ فأجد الصحفي المُلتحي يراقبني، لكنه يدير وجهه بسرعة حالما تلتقي عينانا.

بماذا يفكر؟ أنظر حولي إلى المشاهدين. بماذا يفكرون؟ لعلهم يشعرون بالإشفاق عليّ. ولكن، من المؤكد أن بعضهم يحمّلني الملامة. وربما يشعر آخرون بأن أي والد يتحمَّل مسؤولية جزئية عن أفعال ولده. وخصوصاً في حالتي. لأنني جزئياً امرأة وأم -لا يُحمَّل الرجل نفس القدر من المسؤولية. وكذلك لأنني محامية دفاع صلبة، في حين أن زوجي قس فاتن يعظ بمحبة الله و"القاعدة الذهبية".

ألا يجب أن أكون جالسة على مقعد المتهم أيضاً؟ إلى جانب ستيلا، متهمةً بنقص الأهليّة لتربية طفل والمساعدة على الجريمة. أنا مقتنعة بأن بعض الأشخاص يعتقدون بأنني أستحق الجلوس على مقعد المتهم.

تُصوِّب جيني جانسدوتر نظرة ذات مغزى إلى القاضي الرئيس قبل مواصلة أسئلتها. ليس لدي فكرة عما تفكر فيه المدّعية، لكنني أعتقد أن من المستبعَد جداً أن تنظر إلي على أنني بريئة تماماً.

تسأل المدعية: "لماذا افترضتِ أن أمينة يمكن أن تكون في شقة كريس؟"

"لا أعلم. لا أعلم إذا افترضتُ ذلك بالفعل".

"ولكن، هذا ما قلتيه للتو".

لقد فرضتْ جانسدوتر صمتاً مؤثراً في القاعة. لا تعرف ستيلا إلى أين تنظر.

تقول جانسدوتر: "لماذا كنتِ تظنين أن أمينة كانت مع كريستوفر أولسن في تلك الليلة بالتحديد؟ أليس صحيحاً أنكما قطعتما كل اتصال لكما مع أولسن؟ كلاكما، أنتِ وأمينة؟"

جبين ستيلا متعرِّق. يتسلّل خوفها عبر هذه الغرفة المغلقة ويصل إلى جلدي ويلتصق به مثل مادة لزجة. أحكُّ جلدي بشدة.

يمكنكِ فعل ذلك يا ستيلا. لا تفقدي شجاعتكِ الآن!

تقول ستيلا وهي تنظر إلى المدّعية: "لقد توقفنا عن قضاء الوقت مع كريس".

"توقفتما؟" تحدِّق جانسدوتر في ستيلا مطوَّلاً، لكن ستيلا لا تزيح عينيها عنها. "هل كان بينكما اتفاق؟"

"شيء يشبه ذلك".

لا تصغي جانسدوتر لهذا الرد، وتنتقل مسبقاً إلى سؤالها التالي.

"قلتِ إنك قدتِ دارجتك إلى المنزل عندما لم يفتح أحد الباب في شقة كريس. في أي وقت كان هذا؟"

تقول ستيلا: "لا أعلم".

تلقي نظرة خاطفة إلى مايكل. كانت نظرة سريعة جداً لدرجة أن الناس في القاعة لم يلاحظوها على الأرجح. لكنني رأيتها. وأعلم أن هذا منعطف حاسم. إذا استمرت ستيلا بالادعاء بأنها جاءت إلى المنزل في الساعة الثانية صباحاً، فهذا يعني نهاية شهادة آدم. لا يمكنه الجلوس أمام المحكمة ومناقضة كلام ستيلا. أشعر أن صدري مليء بالإسمنت.

يشد مايكل ربطة عنقه. ويبدأ العرق بالتبُّقع في مختلف أنحاء قميصه. نحن على وشك معرفة إن كان قد نجح في مهمته أم لا.

تسألها جانسدوتر: "ليس لديكِ أي فكرة عن الوقت الذي حدث فيه ذلك؟"

تزمُّ ستيلا شفتيها قليلاً.

ثم تقول: "أعتقد أنها كانت حوالي الحادية عشرة والنصف. يبدو هذا معقولاً".

تنحلُّ الكتلة الإسمنتية قليلاً في صدري ويبدأ الهواء بالتسلُّل إلى رئتيّ.

تقول جانسدوتر بحدّة: "خلال استجواب الشرطة قلتِ إنكِ جئتِ في الثانية صباحاً. أليس هذا صحيحاً؟"

تنظر ستيلا إلى الأسفل.

"قلتُ ذلك لمعاقبة أبي".

تبدو جانسدوتر مندهشة بصدق.

"فسِّري من فضلك".

"عندما علمتُ أن أبي أعطاني حجة غياب، أردتُ أن أجعله يبدو ككذاب".

ليست هناك ذرة تردد في صوتها. أتنفّسُ بهدوء وسلام.

"هل تقولين إنك كذبتِ في استجواب الشرطة لمعاقبة والدك؟"

تومئ ستيلا برأسها مؤكدةً.

"لماذا تريدين معاقبة والدك يا ستيلا؟"

"لطالما كان مفرطاً في حمايته. في بعض الأحيان نشهد أوقاتاً عصيبة. كنت أتصرف بطفولية".

أنا مسرورة لأن آدم لا يمكنه سماع هذا الكلام.

تقول جانسدوتر: "أنا واثقة بأنكِ تفهمين أن هذا يبدو غريباً".

"هذه هي الحقيقة".

"هل هي كذلك حقاً؟ هل أنتِ متأكدة بأنك لا تكذبين الآن يا ستيلا؟ من أجل حماية والدك؟"

تنظر إليها وتهز رأسها بصلابة.

"لا!"

تقلّب جانسدوتر في وثائقها.

"متى وصلتِ إلى المنزل في تلك الليلة يا ستيلا؟ عندما استجوبتكِ الشرطة قلتِ إنك عدتِ في الثانية..."

"كنت في البيت قبل منتصف الليل. بين الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة".

تزفر المدّعية بصوت عالٍ.

"أنتِ وأمينة بيسيتش، كان بينكما اتفاق على أن لا ترى أي منكما كريستوفر أولسن مجدداً. هل فهمتُ هذا بشكل صحيح؟"

"لم يكن *اتفاقاً*. قلنا فقط إننا لن نراه".

تحرّك المدّعية عينيها وكأنها تريد أن توحي بأن ستيلا أجرت تمييزاً لا معنى له.

"لماذا قلتما ذلك إذن؟ لماذا أردتما التوقف عن رؤية كريستوفر؟"

"لأننا اكتشفنا أنه كان يكذب. بدا الأمر وكأنه كان يحاول دفعنا أنا وأمينة

ضد بعضنا بعضاً، ولم نكن لنسمح لأحد بفعل ذلك، أبداً".

"أليس صحيحاً أنكِ كنتِ تعرفين أن أمينة وكريستوفر أقاما علاقة جنسية؟"

"لم تحدث بينهما أبداً علاقة جنسية".

"هل اكتشفتِ أن كريستوفر كان يخونك يا ستيلا؟"

"بالتأكيد لا".

أعرف تلك النبرة الحادة في صوتها. إن صبرها ينفذ.

"أليس صحيحاً أنكِ اكتشفتِ أن صديقتك الأثيرة والرجل الذي بدأتِ معه علاقة منذ فترة وجيزة كانا يمضيان الوقت معاً بدون علمك؟ من المؤكد أنكِ لم تكوني تعتقدين أن كل شيء كان أفلاطونياً تماماً بينهما".

أحبس أنفاسي.

تنظر ستيلا حولها في أرجاء القاعة. ولجزء من الثانية ننظر إلى بعضنا. هذا كافٍ.

هل تعلم أني أعلم أيضاً؟

تقول جانسدوتر: "أفلاطونية تعني..."

تقاطع ستيلا شرحها قائلةً: "أعرف ما تعنيه أفلاطونية. على الأقل أعتقد أنني أعرف إلى ماذا تلمّحين. في الواقع، مع ذلك، لم يقصد أفلاطون أبداً أن الحب الروحاني الحقيقي لا يمكن أن يتضمَّن قرباً جسدياً وممارسة جنسية، لكنه سوء فهم شائع جداً، لذا لا تشعري بأنك غبية".

يضحك رجل في الشرفة والرجل الملتحي بجانبي يمنحني ابتسامة تشجيع.

تقول ستيلا: "أفلاطون هو فيلسوفي المفضّل".

تردُّ جانسدوتر قائلةً: "لطالما فضَّلتُ سقراط، شخصياً".

"هذا لا يُدهشني".

يُخفي مايكل ضحكة بيده. يلتفت القضاة المساعدون إلى بعضهم وتظهر ابتسامة صغيرة حتى على وجه القاضي الرئيس غوران ليون.

تقول ستيلا، ويتلاشى الجو المرح بالسرعة التي ظهر فيها: "أمينة لم تمارس الجنس مع كريس أولسن".

تهمُّ جيني جانسدوتر بصياغة سؤال آخر، لكن ستيلا لم تنتهِ بعد.

ترفع يدها وتقول بصوت هادئ ومرتعش: "أمينة لم تمارس الجنس أبداً مع أي شخص. كانت أمينة... بل إنها... عذراء".

91

أفتش في حقيبة يدي عن منديل رطب. قلبي ينبض بقوة والعرق لا يكفُّ عن النضح رغم أنني أجفف جبيني بشكل متواصل. يبدو كأن الحرارة شقّتْ طريقها إلى عقلي، وهي تجعل أفكاري تغلي.

تتقلّص ستيلا ببطء أمام عينيّ. لا أعرف إذا كان هذا وهم بصري أو أن كتفيها يرتخيان وجسدها يتكوَّر على نفسه.

ما هي دوافعها. لمدة ثمانية أسابيع متواصلة، حُبستْ ستيلا في زنزانة تحت تقييدات كاملة. إنه وضع شبه لا إنساني. مثل هذه المعاملة، في الواقع، تنتقدها الأمم المتحدة واللجنة الأوروبية لمنع التعذيب معاً. غالباً ما تُناقَش السجون السويدية باستحسان في الخطاب العام، إذ يُنظَر إليها في أغلب الأحيان على أنها جيدة جداً. لكن ما يُغفَل عنه في الحقيقة هي الظروف القاسية التي تسود في زنزانات الاحتجاز السويدية.

لا شك أنها تفعل ذلك من أجل أمينة. بيد أنه ليس تفسيراً كافياً. هناك طرق أخرى لتسلكها ستيلا؛ طرق أبسط. الاستنتاج المعقول الوحيد هو أنها تفعل كل ذلك، هو أنها تجلس هنا أمامي الآن بكتفيها المرتخيتين وعينيها الخاليتيْن من أي تعبير، ليس من أجل أمينة وحسب، بل من أجلنا أيضاً. من أجلي أنا وآدم. من أجل عائلتنا.

كم تمنّيتُ لو كان عندي أيضاً صديق مثل أمينة. منذ المدرسة التحضيرية للمرحلة الابتدائية، لم تفترقا إلى حد ما. لا شك أنهما نالا نصيبهما من النزاع والخلاف، لكن تضامنهما الصلب تغلَّب على كل العقبات التي يمكن تخيُّلها في نهاية المطاف. حتى الآن على الأقل.

لا يمكنني تخيُّل أي شيء يمكن أن يمدَّ المرء بالأمان أكثر من امتلاك حليف في الحياة بالطريقة التي حظيت بها ستيلا وأمينة دائماً. لربما كانت حياتي

ستختلف تماماً لو أنني كنتُ منفتحة على صداقة حميمة كهذه. صحيح أنني حظيت ببضع صديقات أثيرات في المدرسة المتوسطة والثانوية، لكنني حتى في ذلك الحين كنتُ قد بدأت بتشييد جدران حول الأجزاء الأعمق مني. لطالما اعتبرتُ إظهار عواطفي أمام الآخرين على أنه ضعف.

أجفف جبيني مجدداً وأحاول أن أبدو هادئة. يخشخش الرجل الملتحي بجانبي كيس سكاكر ويمضغ بفم مفتوح بينما تعرض المدّعية الأدلة التقنية. يُستدعَى تقني مخبري فيشرح للمحكمة أنه من الممكن أن يكون هناك شك في أن تكون بصمة الحذاء المكتشفة في موقع الجريمة قد جاءت من حذاء ستيلا. وُجدت البصمة على بُعْد بضعة أقدام من جثة كريستوفر أولسن وقد نُثر فيها القليل من الدم، الأمر الذي يشير إلى أن البصمة أُحدثتْ قبل طعن أولسن. وبالنظر إلى نزول زخّات من المطر في صباح الجمعة، يمكن للمرء أن يستنتج أيضاً أن الوقت الأبكر لتواجد ستيلا في حديقة لعب الأطفال في يوم الجريمة هو فترة الغداء.

عندما تجلس مي سينيفال في المنصة، يطرأ تغيُّر على الجو في القاعة. يبدو كأن الجميع خائف من أن تكون هذه الفتاة الهشة، بنظرتها الحذرة وشعرها المهمَل، موشكة على الانهيار أمامهم. تخفض المدّعية ومايكل صوتيهما عند طرح الأسئلة. تطلق مي سينيفال نظرات مرتابة حولها لبعض الوقت قبل أن تجيب.

يقول مايكل: "تقولين إنك سمعتِ صراخاً في الساعة الواحدة. هل يمكنك أن تصفي كيف بدا؟"

تنظر مي سينيفال إليه مطوَّلاً.

وأخيراً تقول: "بدا مثل شخص يُطعَن. صرخ عدة مرات، مثل شخص يطعنه بسكين".

بالطبع، يسألها مايكل حول هذا الأمر. كيف يمكنها أن تعرف أن الصرخات كانت صادرة عن شخص يُطعَن؟

تقول مي سينيفال: "لو أُطلق عليه النار، كنت سأسمع صوت السلاح".

يحرِّك الصحفي الملتحي عينيه باستغراب.

يقول مايكل: "هل تودين إخبارنا قليلاً عن صحتك؟ هل صحيح أنكِ تقابلين أخصائياً نفسياً بشكل منتظم؟"

أصغي بأذن واحدة فقط بينما تسرد مي سينيفال قصة حياتها الحزينة. وبعد الانتهاء من استجوابها، تغادر القاعة بروح أشد انكساراً. يبدو الباب وكأنه يُصدر تنهيدة ارتياح مع انغلاقه خلفها.

الشهادات التي تلتها سريعة وخالية من العواطف. تؤكد زميلتا ستيلا من إتش آند إم، مالين وصوفي، أن ستيلا كانت تحمل دائماً بخاخ فلفل في حقيبتها، وأن الحقيبة كانت معها في ليلة الجمعة تلك. تُظهر المدّعية بخاخاً فتؤكد كلتاهما على أن البخاخ الذي كان بحوزة ستيلا مطابق له تماماً.

يعرض تقنيو الشرطة نفس البخاخ للمحكمة ويقولون إن التحليل الكيميائي أكَّد أن آثار السائل الذي وُجد على جسد كريستوفر أولسن مطابقة لماركة بخاخ الفلفل الذي كان بحوزة ستيلا.

بعد ذلك، يقول عنصر الإصلاح، جيمي بارك، إن ستيلا، خلال الفترة التي أمضتها في الاحتجاز، تصرَّفتْ بعنف في أكثر من مناسبة. يعطي جيمي بارك انطباعاً غير متعاطف بوضوح من خلال إجاباته المقتضبة وغير المبالية، ويُظهر أن شخصاً مثله يمكن أن يستفزَّ النزعات العدائية في الدلاي لاما نفسه.

يُغضِّن الصحفي الملتحي جبينه خلال شهادة عنصر الإصلاح. وبعد ذلك، وبكل بساطة، يمدُّ كيس السكاكر عارضاً عليَّ بعضها، الأمر الذي يربكني تماماً فآخذ قطعة كراميل رغم أنني لا أحبها.

ويبتسم لي. هل أسأتُ الحكم عليه؟

لطالما نظرتُ إلى الآخرين نظرة شك. شك صحي. طوال حياتي كنت أخشى الظهور بمظهر الساذج. قال أبي مرةً إن الكلاب الخاضعة وحدها تكشف رقابها لخصومها. ولم أدرك أنني لست بحاجة لاعتبار الآخرين خصوماً إلا بعد خمسة وأربعين عاماً.

عشتُ سنواتي في كلية الحقوق وكأنني كنتُ أخوض تنافساً كبيراً.

كنتُ أقول أحياناً عند رفض دعوة اجتماعية: "إنني أجمع علامات عليا، وليس أصدقاء".

كنتُ كمن يبني لنفسه كبسولة يزداد غلافها صلابةً يوماً بعد يوم. كل نقص يجب أن يُخفى بالذكاء والنجاح، رغم أن الخوف من إمكانية انكشاف ذاتي الحقيقية كان يتعاظم باستمرار. ومع ذلك، غالباً ما كنت أجد نفسي في مركز الاهتمام في جميع أنواع الاجتماعات. لم أكن أحب أن أُوجَد في وضع لا أقوم فيه بمبادرة ما؛ لا أكون فيه مؤثرة. كان الناس ينجذبون إلي ويتشوقون للتعرُّف علي، لكن الشخص الوحيد الذي فهمني حقاً، دون جدالات ونقاط اختبار واختلاط سطحي، هو آدم.

والآن إنه ينتظر خارج باب قاعة المحكمة. وبعد فترة وجيزة سيحين دوره. في أية لحظة سيستدعيه الموظف بواسطة مكبّر الصوت. ما زلت غير متأكدة مما سيحدث.

في البداية، لم أكن أظن أن هذا سينجح – لم أكن أصدِّق بأننا سنصل إلى هنا. لطالما كان آدم ثابتاً وصلباً فيما يتعلق بمعاييره الأخلاقية. بدتْ فكرة الكذب على الشرطة بعيدة جداً، إن لم تكن مستحيلة. لكنني لم أقدّر قيمة العائلة حق قدرها. الناس مستعدون لوضع كل ما يتصل بالأخلاق والمبادئ جانباً من أجل حماية عائلاتهم. أشد المبادئ صلابة يمكن أن تُسحَق بسهولة إذا كانت تحول دون حماية طفلك. كذب، وشعور بالذنب، وأسرار. أية عائلة لا تُبنَى على مثل هذه الأسس؟

في اللحظة التي يأتي فيها شخص ما إلى العالم، يتحوَّل شخصان آخران إلى أبويْن. حب أطفالنا لا يخضع لحكم القانون.

في الليلة الماضية، جلستُ أنا وآدم في المطبخ بصمت وبرفقة زجاجة شراب.

"لا أعرف إذا كان بمقدوري فعل ذلك يا حبيبتي".

أدعو الله أن يتمكَّن من فعلها. يبدو ذلك غريباً، لكنني أطوي يديَّ فعلاً وأرسل دعاء إلى الله. وبعد لحظة واحدة، يستدعي الموظفُ آدمَ إلى القاعة.

92

يدخل آدم إلى القاعة على مهل. لا يزيح عينيه عن ستيلا بينما يرحِّب به القاضي الرئيس ويرشده إلى مكان جلوسه.

يجلس على مقعد الشاهد وظهره إلى الشرفة. ينظر الرجل الملتحي إليّ كما ينظر المرء إلى شخص مريض بمرض قاتل.

ثم يعطي القاضي المجال لمايكل كي يطرح أسئلته.

"مرحباً آدم. أفهم أن هذا شاق على نحو لا يُصدَّق بالنسبة إليك، لذا سأحاول أن أكون سريعاً. هل يمكنك البدء بإخبار المحكمة عن عملك؟

ما تزال عينا آدم مثبتتين على ستيلا.

"أنا قس في كنيسة السويد".

وبناء على طلب من مايكل، يضيف أنه عمل مرشداً روحياً في أحد السجون لسنوات عديدة لكنه الآن قس في واحدة من أكبر الكنائس في المدينة.

يضعف صوته قليلاً.

يسأله مايكل: "هل يمكنك أن تصف لنا بإيجاز علاقتك مع ستيلا؟"

ينظر آدم وستيلا إلى بعضهما.

"أحب ستيلا. إنها تعني كل شيء بالنسبة لي".

أكثر من مرة على مر السنين، لمتُ آدم على حالة علاقتي مع ستيلا. عندما كانت صغيرة، كنت أسمع باستمرار عن روعة آدم كأب، وعن كوني محظوظة لأنني أنجبت طفلة منه. كان هذا صحيحاً بالتأكيد، فقد كان آدم وما يزال رجل عائلة رائع وأحبه بشدة من أجل ذلك. وأشعر بالخجل لأنني شعرتُ بالحسد في بعض الأحيان. لماذا أبعدتُ نفسي عن ستيلا كرد فعل على إخفاقاتي الذاتية معها؟ لقد غمستُ نفسي في العمل بدلاً من محاولة إنجاح علاقتنا، حيث كنت أمضي المزيد من الوقت على أمر كنت أعرف أنني جيدة فيه فعلاً. كنت أخدع

نفسي بوضوح -كانت تلك خيانة لستيلا.

بعد ذلك يسأله مايكل عن توصيفه لعلاقته بستيلا على مر السنوات، فيجيبه آدم قائلاً: "لم تكن مثالية دائماً. لقد شهدتُ بعض التقلُّبات. وفي بعض الأحيان كانت صعبة جداً".

يعطيه مايكل الفرصة للتوسُّع أكثر فيخفض مايكل رأسه قليلاً.

"لا يوجد ما هو أصعب من أن تكون والداً. بالطبع، لقد قصَّرتُ في مرّات كثيرة. كانت لدي آمال وتوقعات بخصوص ما يجب أن يكون عليه الحال؛ أي نوع من الآباء سأكون، وأي نوع من الأولاد ستكون ستيلا، وكيف ستكون شكل علاقتنا".

يقول مايكل: "لم تتكشَّف الأمور دائماً بالطريقة التي كنت ترجوها؟"

"لا أعتقد أن المشكلة في كيفية تكشُّفها، بل في ما كنت أتوقعه. لقد وجدت صعوبة في تقبُّل خيارات ستيلا في الحياة. أحياناً تنسى كيف يكون الإنسان حين يكون مراهقاً".

أنظر إلى القاضي الرئيس وألمح ومضة تفهُّم في ملامحه. لديه أولاد مراهقون أيضاً.

يقول مايكل: "آدم، هل يمكنك أن تخبرنا ماذا حدث في يوم الجمعة قيد البحث؟"

يدير آدم جسده لينظر إلى ستيلا مجدداً، فأميل إلى الأمام لألمح وجهه.

يصمت آدم. لماذا لا يقول شيئاً؟

بالطبع، كان يجب علي أن أطلعه أكثر على الخطة، لكنني كنتُ أخشى ألا يفهم أو أن تقف أخلاقه الصلبة في المرصاد.

ماذا لو فات الأوان؟ ماذا لو غيَّر رأيه؟ سيكون ذلك مدمِّراً.

وأخيراً يقول، مخرجاً كلماته بشق الأنفس: "عملتُ بجهد كبير في ذلك اليوم".

بصوت متقلقل يتحدث عن جنازة الشاب. كان أسبوعاً شاقاً، وبحلول يوم الجمعة أحسَّ بالتعب والإرهاق. بعد عودته من العمل أعدَّ طعام العشاء، وبعد

ذلك لعبنا ألعاباً على الأريكة ثم خلدنا للنوم.

يسأله مايكل وهو يلمس ربطة عنقه: "هل تعرف أين كانت ستيلا في تلك الليلة؟"

وجنتا آدم شاحبتان.

"قالت إنها ستذهب لمقابلة صديقة. أمينة بيسيتش".

يقول مايكل بهدوء: "طيب، ذهبتَ أنت وزوجتك إلى السرير قبل عـــودة ستيلا إلى البيت؟"

"هذا صحيح".

"في أي وقت كان هذا؟"

أقوِّم جلستي على الكرسي.

رجاءً آدم. فكِّرْ في عائلتك!

يقول: "حوالي الحادية عشرة. لم أنظر إلى الساعة في الحقيقة".

"هل غفوت فوراً؟"

"لا، بقيت صاحياً لبضع ساعات".

"بضع ساعات؟"

"أجل".

أشرب رشفة سريعة من الماء، لكنني لا أغلق الســـدادة بشـــكل صـــحيح فينسكب الماء في حضني وأجففه بظهر يدي. ينظر الرجل الملتحي إلي.

يسأله مايكل: "هل كنتَ صاحياً حين عادت ستيلا إلى المنـــزل في تلـــك الليلة؟"

أميل جانباً. يرفع آدم ذقنه فتلمع ياقته الكنسية البيضاء مثل الـــبراءة أمـــام القضاة.

"كنتُ صاحياً حين عادت إلى المنزل".

صوته أقوى الآن. واضح وثابت. أرتخي مجدداً في كرسيّي.

يسأله مايكل: "هل تعرف ماذا كانت الساعة حينئذ؟"

"كانت الثانية عشرة إلا ربعاً. لقد نظرتُ إلى الساعة حين سمعت صـــوت دخولها".

ترفع قاضية مساعدة يدها إلى فمها، فيما يحدِّق بقية الموجودين في القاعة في آدم بصمت.

"وأنتَ متأكد تماماً بخصوص الوقت؟"

"أنا متأكد تماماً. أقسم بالله".

93

سألتُ آدم: "كيف يمكنك أن تكون متأكداً إلى هذه الدرجة؟"

كانت هذه إحدى مشاكله، بالطبع، إذ كان متشككاً على الدوام. أما في تلك اللحظة، فلم يكن هناك أي مكان للتشكيك. لقد حزم أمره.

"سيكون هذا رائعاً. ستكونين أروع أم في العالم".

لقد تجاهل ببساطة كل مخاوفي. وفقاً لآدم، كان قلقي جزءاً طبيعياً من العملية. فأن نصبح والديْن، ذلك يعني إجراء تعديلات شاملة ستغيِّر حياتنا إلى الأبد. لا عجب أنني كنت ملأى بالشك والتردد.

في الواقع، كنا شابيْن جداً على إنجاب طفل. كنتُ قد استلمت للتو موقعي كمحامية متدربة، وكان آدم في منتصف برنامجه. قبل ستة أشهر فقط كنا نعيش في مسكن الطلاب ونمضي عدة ليالي في الأسبوع معاً في البارات ونوادي الديسكو المتواضعة، أو مآدب عشاء طلابية فاخرة، لكننا تمكّنا خلال الصيف، بضربة حظ، من إيجاد شقة واسعة نسبياً مكوّنة من غرفة واحدة في حي نورا فولادن. إضافة إلى ذلك، كان آدم مقتنعاً بأن وكالة الإيجار ستوافق على نقلنا إلى شقة مكونة من غرفتين في حال ازدادت عائلتنا فرداً جديداً.

كان آدم يقول لي مرات عديدة في اليوم، وهو ينحي ليقبِّل الانتفاخ النامي في بطني: "أحبك. وأنت أيضاً، الموجود في الداخل هنا".

وبالتدريج، هدأت الهواجس الأسوأ لذهنيتي، ذهنية نهاية العالم، واستُبدل قلقي بألم في منطقة عظم الحوض وقدمي فيل منتفختين. في بعض الأيام، لم يكن باستطاعتي الخروج من السرير، وكنت أشعر بأنني امرأة فاشلة تماماً.

كان آدم يقدِّم لي حساء منزلي الصنع، ويدلّك جسمي، كما اشترى جوارب ضاغطة ووسائد أرز دافئة. رغم أنني شككتُ في التوقيت، أي ما إذا كانت تلك هي اللحظة المناسبة بالنسبة لنا لجلب طفل إلى العالم، إلا أنني لم أشك أبداً في أن آدم كان الشخص المناسب ليكون والد طفلي.

كنت أقضي وقتاً طويلاً جداً في العمل حين كانت ستيلا صغيرة. أحياناً كنت أتساءل إن كنت أعاني من مشكلة ما؛ إن كنت مخلوقة بشكل مختلف عن الأمهات الأخريات حديثات الولادة، لأنني لم أستطع وضع بقية حياتي قيد الانتظار واستمداد كل قوتي من حقيقة أنني أصبحت أماً لطفلة.

بدون آدم لم يكن ذلك ممكناً. كان متواجداً للمساعدة بصورة دائمة، ميناءٌ آمنٌ كان بوسعي الرسوُّ فيه. لم يحرمني من أي شيء. لقد دعمني أياً يكن الثمن.

سرعان ما وجدتُ أن النجاحات التي كنت محرومة منها في حياتي العائلية يمكن تحقيقها في مهنتي. حين بلغتُ التاسعة والعشرين كنت قد أصبحت محامية مؤهلة تماماً، وكنتُ أُعتبَر واعدة وموهوبة، وطُلبتُ للعمل في مؤسسة قانونية كبرى تملك مكاتب في مناطق الميترو السويدية الثلاث. وبينما كان آدم يعلّم ستيلا على ركوب الدراجة بدون عجلات تدريبية ويضع لصاقات طبية على ركبتيها المكشوطتيْن، كنت أتنقّل بين زبائن أثرياء بالولادة في ستوكهولم، وأعدُّ مواجيز الأدلة والأسانيد القانونية أمام برامج الأطفال ووجبة عشاء مسخنة بالمايكرويف. لا أظن أنني الوحيدة التي تقول إنني كنت أتوق للتحفيز من العمل والعائلة معاً، مع أنني وُلدتُ بدون قضيب.

ولكن، بدا أن النساء الأخريات من حولي كنّ يبترن أحلامهن وأهدافهن من أجل تصغير أنفسهن إلى مرافقات في غرفة الأطفال والمطبخ. أن أكون أماً تكرِّس نفسها لطفلها بدا لي دائماً بأنه يصطدم مع رغبتي الأنانية في إثبات الذات والنجاح في أجزاء أخرى من حياتي، ورغم أنني حاولت حقاً، إلا أنني لم أنجح أبداً في تصغير نفسي بما يكفي كي أصبح الأم التي كان يُتوقَّع مني أن أكونها، الأم التي اعتقدتُ أنني أردت أن أكونها. لكنني، في الوقت نفسه، لطالما رأيت رجالاً يفلتون باستمرار بنفس العيوب التي كنت أعاني منها وكانت تجعلني أشعر بأنني عديمة القيمة كأم.

في البداية، وجدتُ أن الرابط الذي تطور بين آدم وستيلا كان أمراً جيداً تماماً. كانت ستيلا بنت أبيها. كان من الممكن أن أعود إلى البيت في وقت متأخر من المساء، وذهني يضج بالقوانين والسوابق القانونية، لأجدهما مستلقيين على بحر من الوسائد يحكيان قصص ما قبل النوم في بيجامتيهما. كان عالماً يشبه عوالم

أستريد ليندغرين [كاتبة قصص أطفال سويدية شهيرة]، وكنت أشعر بالسعادة في كل صباح عندما كانت ابنتنا الصغيرة تأتي راكضةً بمرح صاحب إلى غرفة نومنا.

حصل التحوُّل ببطء شديد. لا يمكنني تحديد متى بدأ، لكن الأمور التي كانت تُدفئ قلبي أصبحت فجأةً تثير قشعريرات باردة في عمودي الفقري. كنتُ أجد بواعث جديدة للانزعاج في كل مكان. عندما كان شخص ما يشير إلى الأب الرائع الذي يمثّله آدم والعلاقة الجميلة التي تربطه بستيلا، لم أعد أشعر بالفخر، بل بالغربة. وعندما كان آدم يتحدث بإسهاب واصفاً أيامه التي تشبه الحكايا الخرافية مع ستيلا، كنت أمتلئ شعوراً بالذنب والخجل والحسد.

تحدَّثنا في وقت مبكر عن توسيع عائلتنا. أعتقد أن رغبتنا في إنجاب طفل آخر كان نابعاً من استياء مستتر من أن أياً منا لم يعبِّر عن ذلك. وبخلاف كل المنطق، أقنعتُ نفسي بأن علاقتي مع ستيلا ستتحسَّن إن كان لديها شقيق أو شقيقة.

حاولنا إحداث الحمل لمدة تزيد عن سنة. لم نتحدث عن سبب فشلنا في تحقيق غايتنا هذه، وأعتقد أن السبب يعود لاحترامنا المتبادل لبعضنا. كنا نعتقد أن الاختبار سيكون إيجابياً عاجلاً أم آجلاً، وحتى ذلك الحين لم يكن علينا إلا المحاولة قدر المستطاع، وفي حالة آدم، ربما الصلاة والدعاء لله طلباً للمساعدة أيضاً.

وفي ليلة فالبورغيس (*Walpurgis Night*)، كسرنا الصمت أخيراً. كانت ستيلا في الرابعة من العمر آنذاك. كنا مستلقيْن في سريرنا وعندما فتحت عينيَّ، دار العالم كله حولي. كان جلدنا مشبعاً برائحة الحريق.

قال آدم بصوت هامس: "حبيبتي. لابد أن هناك مشكلة ما".

"مشكلة؟" قلت ذلك رغم أنني كنت أعرف عما يتحدث.

"ماذا يجب علينا أن نفعل؟"

لم أستطع التفوُّه بكلمة واحدة. كانت الدموع تلسعني من وراء جفوني، لكنني واصلتُ كبتها.

قال آدم: "أحبك".

لم يكن بمقدوري الرد.

94

يقول القاضي الرئيس: "هل لدى المدّعية أي أسئلة للشاهد؟"

"أجل".

تتشاور جيني جانسدوتر لمدة وجيزة مع مساعدها قبل الالتفات إلى آدم.

"كيف كانت حالتك الذهنية في يوم الجمعة المقصود؟"

أعتقد أنني ألمح كتفيه يرتفعان قليلاً، لكن جانسدوتر تواصل كلامها قبل أن تسنح له الفرصة الكافية للرد.

"قلتَ في وقت سابق إنك كنت تشعر بالتعب والإرهاق. كان يوماً شاقاً. كنتَ مضطراً لدفن رجل شاب".

"هذا صحيح".

"ومع ذلك لم تستطع النوم في تلك الليلة؟"

يقول آدم بهدوء: "في الواقع، أحيانا يُحدث هذا النوع من الإرهاق التأثير المعاكس. لا تستطيعين النوم رغم شعورك بالإنهاك الشديد. وكنتُ، بالطبع، قلقاً بشأن ستيلا أيضاً. قلقاً جداً. لا أحب أن أنام قبل أن تعود إلى البيت".

ترفع جيني جانسدوتر قلماً وتؤرجحه بين أصابعها.

"إذن أنتَ تدّعي أنك كنت صاحياً عندما عادت ستيلا إلى المنزل في تلك الليلة؟"

"أجل".

"وكم كانت الساعة آنذاك".

"قلتُ ذلك سابقاً".

"أود منك أن تكرره".

يقول آدم بانزعاج: "الثانية عشرة إلا ربعاً".

ترفع جيني جانسدوتر ذقنها وتُبرز رأسها من فوق الطاولة مثل طير جارح.

ثم تقول: "غريب".

ثمة نفحة انتصار مثيرة للقلق في صوتها.

تقول جانسدوتر وهي تفتح ورقة مطوية على الطاولة أمامها: "غريب جداً".

ما هذه؟ هل هناك شيء أغفلناه؟

"لدي هنا لائحة برسائلك النصّية يا آدم. كل رسالة أُرسلتْ من هاتفك في ليلة الجريمة، وكل رسالة تلقيتها أيضاً. حُذفتْ رسالتان من هاتفك، لكن تقنيي الأدلة استطاعوا استرجاعهما. أنا واثقة بأنك تعرف أن الرسائل المحذوفة يمكن استرجاعها؟"

يحني آدم رأسه.

اللعنة، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. كيف أغفل مايكل سجلات الهاتف؟ كنا نعرف أن الشرطة أخذت هاتفي آدم الخلوي إلى الأدلة، ولكن لم يخطر لي أنه يمكن أن تكون فيه معلومات تعرِّضنا للخطر.

"في الساعة 23:18، أُرسلت الرسالة التالية من هاتفك إلى رقم ستيلا: *هل ستأتين إلى البيت؟*"

ترفع المدعية الورقة وتشير برأس قلمها.

يقول آدم: "طيب؟"

"هل تتذكَّر إرسال مثل هذه الرسالة؟"

تتمايل كتفاه ويبدو عليه عدم الارتياح.

"أجل أعتقد أنني أتذكّر هذا. قالت زوجتي إن ستيلا يمكن أن تمضي الليلة في منزل ستيلا. لهذا السبب كتبتُ لها لأسألها".

تقول جانسدوتر: "*هل ستأتين الليلة؟* هل تلقيّتَ رداً من ستيلا؟"

يحكُّ آدم ذقنه. أحاول لفت انتباه مايكل، لكنه لا ينظر في اتجاهي. ينساب العرق على وجهه ويجذب ربطة عنقه وكأنه لا يقدر على التنفس.

يتمتم آدم: لا أتذكر".

"هل أنت متأكد. لا تتذكّر إن كنت تلقيتَ ردّاً؟"

يبلع آدم ريقه بصعوبة ويهز رأسه بسرعة.

"ربما لا".

تلوِّح جانسدوتر باللائحة. يشفط الرجل الملتحي بجانبي الهواء من خلال أسنانه. أعرف سبب ذلك. كيف أغفلنا هذا الأمر؟

تقول المدّعية: "لقد أرسلتْ ستيلا رداً بالفعل".

"آه؟"

يجلس آدم وكأنه ينتظر الضربة القاضية. أريد أن أصرخ إليه كي يصمد. لا يمكن أن يستسلم الآن.

"لقد تمكَّن التقنيون من استرجاع هذه الرسالة أيضاً. في الحقيقة، لقد محوتَ كلتي الرسالتين يوم السبت، عندما علمتَ أن ستيلا أُخذت إلى سجن الشرطة".

يقول آدم: "فعلتُ ذلك؟"

لا يبدو بأنه بارع في الكذب. لا أحد يصدِّق ذلك.

"كتبتْ ستيلا، *أنا في طريقي الآن*. تلقى هاتفك الرسالة في الثانية إلا ثلثاً. حين كانت ستيلا، بحسب روايتك، قد عادت إلى المنزل منذ ساعتين تقريباً".

95

لا يردُّ آدم على سؤال المدّعية.

فتسأله جانسدوتر ثانيةً: "هل لديك أي تفسير لهذه الرسالة؟ لماذا ترسل ستيلا رسالة تقول فيها إنها في طريقها إلى المنزل في 1:40 في حين أنك تدّعي أنها عادت في 11:45؟"

آدم صامت. والثواني تمرُّ.

تشدُّ امرأة في الصف خلفي بلوزتي وتشير إلي لأجلس. لكنني بحاجة للذهاب إلى آدم. إنه بحاجتي. هذا كله خطئي!

وأخيراً يقول آدم: "أنا متأكد بأنه من الممكن حدوث تأخيرات".

يناديني الرجل الملتحي "بسست" ويشير لي برأسه إلى نهاية الصف، حيث يقف حارس أمني يحدِّق فيَّ بصدر منفوخ.

تقول جيني جانسدوتر: "ماذا تقصد يا آدم؟"

يقول بنبرة متشككة واضحة: "في بعض الأحيان، يمكن أن تعلق الرسائل في الفضاء السايبيري. لمجرد أنني تلقيت رسالة في نقطة محددة في الزمن لا يعني بالضرورة أنها أُرسلتْ في ذلك الحين بالضبط".

أرتخي على كرسيِّي وأتنفَّس الصعداء. آدم محق بالطبع. صحيح أنه قد لا يعرف بشأن كل هذه المسائل التقنية، لكنه ذكي وسريع البديهة. والمنطق السليم يقول إنه ليس مخطئاً. إن امتلاك المدّعية الإثبات على استقبال رسالة ما لا يعني شيئاً عملياً ما لم تكن قادرة أيضاً على إثبات وقت إرسالها. ولكي تفعل ذلك سوف تحتاج للوصول إلى هاتف ستيلا.

ترتسم علائم شخص متألم على وجه جيني جانسدوتر.

"أليس صحيحاً أن ستيلا في الواقع عادت إلى المنزل في وقت متأخر كثيراً عما تدَّعيه أنت؟"

أسترق نظرة إلى الحارس الأمني فأجد أنه لم يعد مهتماً بـي.

يقول آدم بصلابة: "لا. عادت ستيلا إلى المنزل في 11:45".

يمسح مايكل جبينه المتعرِّق بظهر يده. وبجانبه، تحدِّق ستيلا في الطاولة بعينين زجاجيتين. تبدو ضئيلة جداً وهشة وأكره نفسي لما أعرِّضها له.

في الأسابيع القليلة الماضية، فسّرتُ لنفسي ولمايكل سبب عدم إمكانية إخبار ستيلا بكل شيء. صحيح أنني كنت أشعر بالشكوك تحفر أخاديداً في داخلي، إلا أنني كنت متأكدة بأن إخبارها كان فيه مجازفة كبيرة، لأن ستيلا تعاني من صعوبة بالغة في التحكُّم بدوافعها. وأي شعور زائد عن الحد أو كلمة تفلت من لسانها يعني نهاية الأمر.

علاوة على ذلك، لطالما أحبّت ستيلا أن تكون مخالفة. عندما كان مدربوها في كرة اليد يطلبون منها تسديد الكرة بشكل منخفض، على سبيل المثال، كانت تقذفها بشكل مقوَّس فوق حارسة المرمى. وعندما أبدت والدة آدم إعجابها بشعرها الطويل الواصل إلى خصرها، قصَّتْه.

صدري يمتلئ ألماً عندما أنظر إليها الآن.

تقول المدّعية: "هل تعلم أين هو هاتف ستيلا الخلوي؟"

"ليس لدي أية فكرة".

"لماذا لم يستطع المحققون إيجاده؟"

"لا أدري".

يبدو صوت آدم أهدأ الآن.

"متى رأيتَ هاتف ستيلا آخر مرة؟"

"لا أتذكّر".

"أليس صحيحاً أنك وجدته يا آدم؟"

يقول بصلابة: "لا. ستيلا تحمل هاتفها معها دائماً".

"تعني أنها كانت تحمله معها في العمل، في إتش آند إم، في يوم السبت عندما اعتقلتها الشرطة؟"

"أعتقد ذلك".

"لو كان ذلك صحيحاً، لوجده عناصر الشرطة، أليس كذلك؟"

تحدِّق جانسدوتر فيه بثبات، لكنها لا تنجح في جعله يفقد هدوءه.

"أليس صحيحاً أنك وجدتَ هاتف ستيلا يوم السبت؟ اليوم التالي للجريمة؟"

"قطعاً لا".

يحرّك آدم رأسه وينظر من فوق كتفه فننظر إلى بعضنا لجزء من الثانية.

"لا أعرف أي شيء عن هاتف ستيلا".

هذا أقرب إلى الحقيقة مما تظن المدّعية، فآدم لا يعرف ماذا حلّ بهاتف ستيلا. في الحقيقة، لا أحد يعرف سواي.

تفقد المدّعية تسلسل أفكارها لوهلة وجيزة. صحيح أنها تحسن إخفاء ذلك، لكنه بالتأكيد لن يفلت مني أو من المحامين المتمرّسين الآخرين في القاعة. أسمح لنفسي بالاسترخاء على نحو طفيف جداً، فأسند ظهري وأشرب بضع رشفات من الماء. ينظر الرجل الملتحي إلي وينتابني شعور بأنه يعرف؛ بأنه يستطيع قراءة أفكاري.

حالما تستجمع جانسدوتر نفسها وتتشاور مع مساعدها، تواصل استجوابها.

"هل تحدّثتَ مع ستيلا عندما عادت إلى المنزل في ليلة الجمعة تلك؟"

"أجل. كما ذكرت سابقاً".

"ماذا قلتما؟"

"فتحتُ الباب وقلت تصبحين على خير. وقالت ستيلا تصبح على خير أيضاً".

"إذن أنتَ رأيتها؟"

"أجل".

تقول جانسدوتر: "ماذا كانت ترتدي؟"

"ملابس داخلية".

"ملابس داخلية فقط؟ هل تخلع ثيابها في العادة قبل صعودها إلى غرفتها؟"

"هذا يحدث، باعتقادي. إذا كانت ملابسها بحاجة للغسل فإنها تضعها في غرفة الغسيل".

"بحسب زميلات ستيلا، أولئك اللاتي كنا معها في مطعم ستورتورجيت في تلك الليلة، كانت ستيلا ترتدي سروال جينز أزرق غامقاً وبلوزة بيضاء. وجد عناصر الشرطة سروال الجينز عندما فتشوا المنزل، لكن البلوزة لم تكن موجودة. هل رأيتَ البلوزة البيضاء عندما عادت ستيلا إلى المنزل؟"

"لا. لا أعلم شيئاً عن أية بلوزة؟"

هذا صحيح، إلى حد ما.

"هل أنت واثق؟ لم ترَ البلوزة البيضاء في غرفة الغسيل؟"

"لا".

"ولا في يوم السبت؟"

"ليس حسبما أتذكّر. لكنني لو رأيتها، لربما كنتُ حفظت ذلك في ذاكرتي".

تقول جانسدوتر: "أعتقد أنك فعلتَ، في الواقع. لأنني أعتقد أن البلوزة كانت مغطاة بالبقع. من الدم. أنتَ لم ترَ البلوزة المدماة حقاً؟"

"بالتأكيد لا!"

يبدو آدم غاضباً الآن. وهذا ليس جيداً. ليس جيداً على الإطلاق. يرسل مايكل إليه إشارة صغيرة.

تواصل جانسدوتر هجومها.

"هل تملكون موقد حطب في المنزل؟"

"أجل".

"خلال تفتيش منزلكم، لاحظت الشرطة أن ناراً أُشعلت مؤخراً في الموقد. من أشعل النار في يوم السبت ذاك؟"

يحكُّ آدم خلف أذنه.

"يمكن أن أكون أنا. أو زوجتي".

إنه ذكي. من الواضح أنه يفهم ما الذي يجري هنا. كل ما عليه فعله هو الحفاظ على هدوء أعصابه. فكِّرْ في عائلتك يا آدم. فكِّرْ في ستيلا وفيَّ أنا.

تسأله جانسدوتر: "لا تعلم؟"

"نحن نشعل النار غالباً".

"في الصيف؟ في آب؟ عندما تكون درجة الحرارة في الخارج 21 درجة مئوية؟"

"نعتقد أن هذا يُضفي جواً من الراحة والاسترخاء".

تتنهَّد المدعية بصوت عال.

"أليس صحيحاً أنك وجدتَ بلوزة ستيلا المدماة وأحرقتَها في موقد الحطب؟"

"بالتأكيد لا. لم أحرق أية بلوزة".

لا، لم يفعل.

96

عندما يختتم القاضي الرئيس اليوم الأول من المحاكمة، أنهض وأتمكّن من النظر في عينيّ ستيلا قبل أن يأخذها الحرّاس. نظرنا إلى بعضنا لثانية أو اثنتين. أمدُّ يدي نحوها. هذه هي اللحظة التي يجب أن أكون فيها أماً حقيقية. يجب أن أعوِّضها عما لم أنجح في فعله عندما كانت صغيرة. هذه المرة إنني أقوم بما أنا بارعة فيه. رجاءً يا ستيلا، يجب أن تثقي فيّ.

في السنوات القليلة الأخيرة، تحسَّنتْ علاقتنا بشكل تدريجي. في حين كان آدم يجد صعوبة متزايدة في فهم خيارات ستيلا المتنوعة في الحياة، أصبحتُ أنا أقرب إليها. كنت قد بدأت أفهم ابنتي بصورة أفضل. ويعود الفضل في ذلك، إلى حد ما، إلى أمينة، فمن خلالها تمكّنتُ من الالتقاء مع ستيلا وفق شروطها. من خلال أمينة، تعلّمتُ أن أفهم.

بالطبع، لقد آلمني أن أجد أنني كنت أتحدَّث مع أمينة بسلاسة أكبر من التحدث مع ستيلا. في بعض الأحيان، عندما كنت أجد استحالة في فهم أفعال ومنطق ودوافع ستيلا، كنت أرى قواي الدافعة منعكسة في أمينة.

قالت لي ذات مرة: "ستيلا ليست مثلك ومثلي. ستيلا هي ستيلا وحسب".

قالت لي ذلك بعد فترة وجيزة من ترك ستيلا كرة اليد. ذات يوم كانت في اجتماع مع الفريق الوطني للشباب، حيث كان يُتوقَّع أن يكون لها مستقبل باهر، وفي اليوم التالي كانت تضع حذاءها الخاص بكرة اليد للبيع على الإنترنت. كنتُ وآدم في حيرة من أمرنا.

قالت أمينة: "لا يمكنكِ فهم ستيلا ما لم تفكّري مثلها".

يبدو ذلك بسيطاً جداً، ومع ذلك إنه ليس كذلك.

قالت أمينة: "لا تستطيع أمينة تحمُّل محاولة الآخرين التحكم بها. في هذا المستوى، تصبح كرة اليد مرتكزة على أساليب لعب مسبقة التخطيط، أشياء

نتدرَّب عليها مرة بعد مرة. ستيلا لا يمكنها التأقلم مع ذلك".

أعتقد أن آدم عانى أكثر مني بسبب عدم إنجاب أطفال آخرين. كان لديه صلبان ليحملها. لقد حاول إرغام ستيلا على الارتقاء لمستوى تطلُّعاتنا بدلاً من قبولها كما هي. من المستغرب أن عائلتنا لم تتفكّك. أحاول رؤية ما يجري حالياً على أنها فرصة للبدء من جديد، فرصة جديدة أنوي اقتناصها بأي ثمن.

قلتُ ذات مرة عندما فقدتْ صوابها وقلبتِ العالم حولها رأساً على عقب للمرة المليون على التوالي: "لماذا لا تحاولين أن تكوني أكثر شَبَهاً بأمينة؟"

هذه المرة لم تردّ بقسوة، ولم تقل شيئاً في الواقع بل اكتفت بالنظر إلي فقط. ورغم أن عينيها كانتا جافتيْن تماماً، إلا أنه بدا لي وكأنها كانت تبكي.

كانت تعرف ما قصدتُه بالطبع. لقد فلتت الكلمات مني –مرة واحدة فقط، ولم أكررها ثانيةً أبداً– لكن ستيلا فهمتني فوراً. كانت ترى كيف كنتُ أنظر إلى أمينة، وكيف كنت أتحدث معها، وكانت تعرف أن هناك شيئاً ما مشتركاً بيننا.

احتضنتُ ستيلا بين ذراعيَّ وبكيتُ على كتفها.

"أنا آسفة يا حبيبتي. آسفة. لم أقصد قول ذلك على هذا النحو".

بيد أن ذلك لم يكن مجدياً، بالطبع، فكلانا كنا نعرف ما قصدتُه بالضبط.

أخرج من قاعة المحكمة، فلا أجد آدم في غرفة الانتظار حيث كانت المقاعد مشغولة بواسطة غرباء. أمشي بضع خطوات في الممر، ولكن لا أثر لآدم. أين هو؟

منذ لحظة فقط كان جالساً في القاعة يقسم بالله بأن ابنته كانت في المنزل حين كان ذلك الرجل ينزف حتى الموت على أرض حديقة ألعاب الأطفال في جزء آخر من المدينة.

لابد أنه يُشرف على الانهيار.

يدق قلبي بقوة وأنا أمشي بخطوات سريعة في الممر التالي. أجده خارج دورات المياه جالساً محني الظهر على أحد المقاعد. يبدو وكأن كل عظمة في جسده مكسورة.

أقول بصوت هامس: "حبيبـــي. أنا فخورة بك".

أضع ذراعي حوله. جسده متصلّب وبارد. أميل برفق على كتفه فأشـــعر بدفء ناعم يتسلل إلى صدري. ستيلا وأمينة ليستا الوحيدتيْن اللتين أفعل ذلـــك من أجلهما.

ينظر إلي بطريقةٍ مناشدةٍ يائسة: "ماذا لم لو ينفع ذلك؟ ماذا فعلتُ؟"

أمسِّد مؤخرة رقبته وظهره.

أقول له هامسة: "أنا هنا. نحن معاً".

ليس هذا كثيراً، لكنها المواساة الأفضل لدي لأقدمها. لقد تفهَّمتُ ما كان يكابده آدم من معاناة معذّبة خلال الأسابيع الماضية، وساويته بعذابـــي الخاص. فكما انتهك آدم آخلاقيات مهنته، خالفتُ أنا كل ما كنتُ أؤمن بـــه. كـــان القانون ديني. صحيح أن فيه أخطاء، وأخطاء كبيرة في بعض الجوانب، لكـــنني كنت ما أزال أؤمن بأن القانون هو ركيزة المجتمعات العصرية ومنارتها الهاديـــة، والوسيلة الأمثل لتنظيم أي مجتمع ديمقراطي. والآن، لم أعد أعرف بماذا أؤمـــن. بعض القيَم لا يمكن تفسيرها أو تحديدها في قوانين وتشريعات. وكما هو الحال مع الحياة، لا يولي القانون اعتباراً لما يسمّيه الناس العاديون عدالة.

عندما أنظر إلى آدم، أفهم أن هذا سيعود عليه بضرر أكبر مما سيعوده علي. وفي أسوأ الأحوال، سيواجه هو نفسه تهماً، مثل التعـــدِّي علـــى الخصوصـــية، والعنف ضد موظف عام، ومحاولة التأثير بشكل مخالف للقانون.

نقف أخيراً. أبقي ذراعي حوله بإحكام طوال الطريق عبر المحكمة، ومكتب الاستقبال، وعلى الدرج في الخارج.

أقول له: "لقد فعلتَ الصواب حبيبـــي. غداً دور أمينة".

نوقف سيارة أجرة وفي الطريق يسألني آدم عن كل ما حدث في القاعة قبل تقديم شهادته. وعندما أخبره بشأن بصمة الحذاء وتحليل بخاخ الفلفـــل، تبـــدو ملامح القلق على وجهه.

يقول: "ولكن ليست هناك أدلة ملموسة".

"يعود للمحكمة تقييم الأدلة. في قضية مرتكزة على أدلة ظرفية مثل هـــذه

القضية، لا يمكن للمرء أن يقيِّم كل جزء من الأدلة على حدة، بل ينبغي النظر إلى الصورة بأكملها. وبعد ذلك، ستختبر المحكمة رواية المدّعية للجريمة بالمقارنة مع نظريات بديلة. فإذا لم يكن ممكناً استبعاد تفسيرات أخرى، سيكون هناك شك معقول ولابد أن تعلن المحكمة براءة المتهمة.

"ألا يوجد دائماً تفسيرات أخرى؟"

"بشكل عام، تتمثّل المتطلبات الدنيا تواجد المتهم في موقع الجريمة، وامتلاكه الفرصة لارتكاب الجريمة، وإمكانية استبعاد مرتكبين محتملين آخرين".

ينظر آدم عبر النافذة فأُخرج هاتفي لأرى ما تكتبه الصحف. تنشر سايدسفينسكان وسكونسكان مقالَيْن موجزيْن حول اليوم الأول من المحاكمة لكنهما لا تذكران الكثير. ويعرض قسم الجريمة في صحيفة أفتونبلاديت العنوان الرئيس "*يعصَر الأب بشدة بواسطة المدّعية*". المقال مليء بالتلميحات التي تشكك في شهادة آدم. *منذ مائة عام كان من غير الممكن نهائيًا تخُّيل أن قساً يمكن أن يكذب في المحكمة، ولكن بعد محاكمة اليوم في محكمة لوند المحلية، ثمة أسباب وجيهة تدعو للتساؤل إن كان هذا ما يزال هو الحال*. لا أستطيع تصديق عينيّ. لا يمكن أن أسمح تحت أي ظرف بأن يقرأ آدم هذا الكلام. وفي رأس الصفحة يوجد اسم الكاتب وصورته. إنه الرجل الملتحي الذي كنتُ أجلس بجانبه طوال اليوم.

تنعطف التكسي نحو شارعنا. هناك بضع أشخاص من جيراننا يقفون في كتلة متراصّة معاً وينظرون في اتجاهنا.

يقول السائق بينما أدفع له الأجرة: "أتمنى لكما ليلة سعيدة".

"اممم".

أدور حول السيارة وأمسك بيد آدم. كلانا لا ننظر إلى الجيران.

وفي الطريق الفرعي الخاص بمنزلنا يتصلّب جسد آدم.

"هل... هل هي التي فعلتها؟"

لا أحب أن أكذب عليه. لمرة أخيرة فقط.

مكتبة
t.me/t_pdf

"لا أعرف يا حبيبي".

97

قاعة المحاكمة بيتي وقلعتي. إن الساعات التي أمضيتها في قاعات المحاكمة المتنوعة تكاد تزيد عن تلك التي أمضيتها في المنزل مع عائلتي. بيد أنني لم أشعر يوماً بهذا الضياع والانكشاف الذي أشعر به هنا، يخنقني الألم ويعذّبني الندم.

يبقى آدم قريباً مني ونحن نمشي في ممر المحكمة. في البداية، عند دخولنا إلى قاعة المحاكمة، لا أرى إلا وجوهاً غريبة بين الحضور. صحفيون، حسب ظني. أبحث عن المراسل الملتحي لكنني لا أجده. لربما أرسلتْ صحيفة أفتونبلاديت شخصاً آخر اليوم. رجال يرتدون بذات رسمية من معارف كريستوفر أولسن في مجال الأعمال، على الأقل من نفس المجموعة التي كانت متواجدة البارحة. إنهم يتهامسون بصوت عالٍ. لا شك أن بعضاً منهم جرى التحقيق معهم بشأن تورطهم في الحلقة الضخمة من الصفقات التجارية المشبوهة وتأمين العمالة بشكل غير قانوني، التي كشف مايكل النقاب عنها.

في الصف الأخير من الشرفة أرى وجهاً مألوفاً. لقد أحنتْ ألكساندرا رأسها للتو لتأخذ شيئاً ما من حقيبتها، وانسدل شعرها فوق عينيها.

ترفع ألكساندرا رأسها وتزيح شعرها عن وجهها وتنظر إلي. نحيّي بعضنا بإيماءة وجيزة من رأسينا وأتنفّس الصعداء حين أدرك أن دينو ليس موجوداً هنا.

لطالما نظرتُ إليها بإعجاب وتقدير. في الواقع، إنني أرى نفسي فيها في جوانب عديدة. امرأة قوية، ناجحة في مهنتها، تنظر إلى الحياة بطريقة خالية من القلق. لكنني في الوقت عينه، لا أنكر أنني كنتُ أحسدها في بعض الأحيان، عندما كنتُ أرى طبيعة أمينة الهادئة؛ تمنيتُ في بعض اللحظات لو كان باستطاعتنا تبادل الأماكن.

يستدعي الموظفُ الشاهدَ الأولَ لهذا اليوم ويُفتَح الباب.

تدخل أمينة وتتوجه مباشرة إلى مقعد الشاهد وتجلس دون أن ترفع عينيها ولو لمرة واحدة. إنها شاحبة وبلا ماكياج. لقد أصبحت وجنتاها غائرتيْن قليلاً خلال الأسابيع القليلة الماضية.

ينظر مايكل بقلق في اتجاهي.

يسألها غوران ليون: "هل تفهمين ما يعنيه أن تكوني شاهدة؟"

تهز أمينة برأسها وتقول بصوت هامس: "أجل".

ثم تكرِّر وراء ليون.

"أنا، أمينة بيسيتش، أقسم وأؤكد بشرفي وضميري بأنني سأقول الحقيقة كلها ولا شيء سوى الحقيقة".

أضع يداً على صدري وأركّز على تنفُّسي. القلق ينخر في جسدي. شعور مرعب بكارثة تقترب يرغمني على الاستناد إلى ظهر مقعدي.

يقول غوران ليون: "سنبدأ بأسئلة من محامي الدفاع".

حان الوقت.

يتحدث مايكل على مهل وبرقة. وبجانبه تنظر ستيلا مباشرة إلى أمينة. لقد مضت عدة أسابيع على آخر مرة تقابلتا فيها.

يسألها مايكل: "هل يمكنكِ البدء بإخبارنا كيف تعرفان أنتِ وستيلا بعضكما؟"

تنظر أمينة إلى الطاولة.

"نحن صديقتان حميمتان منذ دار الحضانة. كنا في الصف نفسه من الصف الأول حتى التاسع وكنا في فريق كرة اليد نفسه".

"كيف يمكنك أن تصفي علاقتكما اليوم؟"

تواصل أمينة التحديق في الطاولة. ينقضي الوقت، ويمكنني الشعور بارتياب مايكل المتنامي.

"إنها ما تزال صديقتي الأعز".

يهز مايكل برأسه. خلال فترة الصمت التالية، ألمح ضوءاً حذراً في عيني ستيلا. بماذا كانت تفكِّر؟ ما هو تصوُّرها بشأن ما كان يجري؟ لو كان الأمر بيد

أمينة، لما تركنا ستيلا وحيدة في سجن التفكير والعذاب هذا. ما فعلناه كان قراري، وأنا الوحيدة التي ستلومها ستيلا، أياً يكن ما سيحدث.

يسألها مايكل: "كيف تصفين شخصية ستيلا؟"

"في الحقيقة، إنها... فقط ما هي عليه. إنها *ستيلا*. ليس هناك شخص آخر مثلها".

لا أستطيع منع نفسي من الابتسام.

"إنها شجاعة حقاً. تقول دائماً ما تفكّر فيه وتفعل ما تريد فعله. ضغط الأقران؛ إنه شيء لم تسمع به أبداً".

تنظر الصديقتان الحميمتان إلى بعضهما. إن الروابط التي تجمع بين ستيلا وأمينة أقوى مما يمكن أن يتخيَّله أي شخص في هذه القاعة.

تقول أمينة: "وهي ذكية حقاً، كذلك. لا يدرك الجميع ذلك إلى أن يعرفوها حقاً. وهي بسهولة أَعْنَدُ شخص أعرفه. عفوية جداً وجريئة. مغامرة. بعض الأشخاص يعتقدون أنها تبالغ كثيراً. أعتقد أن ستيلا من ذلك النوع من الأشخاص الذين إما تحبهم أو تكرههم".

يوشك مايكل على طرح السؤال التالي لكن أمينة تقاطعه.

"وأنا أحبها".

يرتجف صوتها وتدفن وجهها في يديها. وتنساب دموع كبيرة على خدّيها. أشعر بكتلة تقف في حنجرتي. حتى مايكل يبدو متأثراً.

يسألها: "هل يمكنكِ إخبارنا قليلاً عن كريستوفر أولسن؟ كيف تعرفتما عليه؟"

تنظر أمينة إلى ستيلا. قلبي يدق بقوة في صدري. والعرق يجعل إبطيَّ دبقيْن. لم يعد بوسعي التأثير على ما يجري، وهذا أمر يرعبني. أنا مضطرة الآن للوثوق في أمينة. كل شيء بيديها الآن.

98

يقول مايكل: "أخبرينا عن كريستوفر أولسن. كيف تعرَّفتما عليه؟"
يدفع علبة محارم فوق الطاولة نحو أمينة فتجفف وجنتيها.
"التقينا مع كريس في تيجنيرس ذات ليلة".
أسترقُ نظرة إلى آدم فأجده غارقاً في التركيز. أنا مرعوبة مما هو آتٍ.
تروي أمينة نفس القصة التي روهما ستيلا البارحة. رأت الفتاتان كريستوفر أولسن بضع مرات، وأمضيتا كلتاهما بعض الوقت في شقته، فقط.
يسألها مايكل: "هل يمكنكِ القول إن ستيلا وكريستوفر كانا ثنائياً؟"
"بالتأكيد لا. ستيلا وكريس قضيا وقتاً عابثاً لبعض الوقت، هذا كل ما في الأمر".
يهز مايكل برأسه.
"هل تودّين التفصيل أكثر؟ هل كان بينهما علاقة جنسية؟"
"لقد مارسا الجنس، لكنها لم تكن علاقة؟"
تبدو أمينة واثقة ومقنعة.
"سمعنا البارحة ادّعات بأن ستيلا تصرَّفتْ بعدوانية في بعض الأوقات. هل هذا صحيح؟ هل شعرتِ يوماً بأن ستيلا كانت عنيفة؟"
ترفع ستيلا كتفيها، وتتسارع دقات قلبـــي.
لا أفهم لماذا يسأل مايكل هذا السؤال. ليسبق المدّعية؟
تقول أمينة: "لا".
بيد أنها لا تبدو مقنعة تماماً كما في إجاباتها السابقة.
يمسح مايكل العرق من جبينه.
يسأله غوران ليون: "هل لدى الدفاع أية أسئلة أخرى؟"
"لا، شكراً".

"إذن أعطي الكلمة للادعاء".

أرفع يدي إلى قلبي. لم أعد أستطيع الشعور بدقات قلبي. ينظر آدم إلي بعينين جاحظتين.

تأخذ جيني جانسدوتر وقتها. إنها تفعل ذلك عن قصد -إنه تكنيك لزعزعة توازن أمينة. تضع الوثائق في كدسات أمامها، وتسوِّي أطرافها بعناية.

يراقبها مايكل وستيلا بترقُّب.

عندما وجدتُ هاتف ستيلا الخلوي على منضدتها في يوم السبت ذاك، أحسستُ على الفور بقلق شديد. كيف نسيتْ هاتفها في المنزل؟

في الحقيقة، لستُ من النوع المتطفّل أبداً. أنا شخص يجد جاذبية في الحقائق الصلبة والبراهين الموثوقة. وإذا كان هناك شخص يتجسس على ستيلا، بل يتعدّى، إلى حد ما، على حقها بامتلاك حياة خاصة، فإنه آدم. لا أعلم ماذا كان سيحدث لو أنه هو من وجد هاتفها.

وعندما انقضت ساعات ولم نسمع شيئاً منها، قررتُ استكشاف الهاتف. ليس تطفُّلاً لكنني كنت قلقة جداً. وعندما قرأتُ الرسائل، خطر لي أن شيئاً ما حدث فعلاً؛ شيء فظيع حقاً. حاولتُ على الفور الاتصال مع أمينة، لكنها رفضت التحدُّث معي مدّعيةً بأنها كانت مريضة جداً بحيث أنها لم تكن قادرة حتى على التحدث. كنتُ أعلم بأنها تكذب.

وها هي الآن جالسة أمام المدّعية، وتدلي بشهادتها تحت القَسَم. تبدأ جانسدوتر أسئلتها متحدثةً بصوت حاد مثل مبضع جرّاح، ما جعل أمينة ترجع إلى الخلف من الصدمة.

"ماذا تعنين عندما تقولين إن كريستوفر أولسن وستيلا لم يكونا ثنائياً؟"

"أنا... أنا أعني هذا بالضبط".

"هل يمكنكِ تعريف علاقتهما؟ صِفي كيف كان كل منهما بالنسبة للآخر؟"

تنظر أمينة إلى ستيلا وكأنها تطلب إذنها.

"كانت تدعو كريس قطتها الصيفية".

أشهق الهواء بحدّة. قطة صيفية؟ هناك أشياء كثيرة جداً لا تحتاج الأم لسماعها.

تكرِّر جيني جانسدوتر العبارة بنفس القدر من الاستغراب: "قطة صيفية؟"

"كانت في الغالب لعب على الكلمات. تقريباً، بدلاً من علاقة صيفية عابرة".

ولكن، لا يبدو أن جانسدوتر تصغي. لقد أعدَّتْ مسبقاً سؤالها التالي.

"ماذا كان رأيك بخصوص هذا الأمر يا أمينة؟"

"بخصوص ماذا؟"

"بخصوص الوضع. أن ستيلا كانت تقيم علاقة جنسية مع كريستوفر أولسن، رغم أنها لم تكن مهتمة به بشكل جدي".

تحني أمينة رأسها. وتمر الثواني بصمت.

تسألها جانسدوتر: "كيف كنتِ تشعرين حقاً تجاه كريستوفر؟"

"كنتُ معجبة بكريس. كان فاتناً ورائعاً. كان من الممتع قضاء الوقت معه".

"هل كنتِ منجذبة إليه؟"

"ربما".

أنظر إلى ستيلا. وجهها خالٍ من أي تعبير. أية أفكار تدور في رأسها الآن؟ لا أعلم حتى إلى أي حد تعرف بشأن هذا الأمر.

أحس بالاشمئزاز. أي نوع من الأمهات تضع ابنتها في وضع كهذا؟ لابد أنني أعاني من مشكلة جدية. خلل عاطفي؟ نوع من الإخفاق في الارتباط العاطفي؟ أنظر إلى نفسي من الخارج وأرى شخصاً لا أريد أن أكونه.

هل كنتُ سأفعل الشيء نفسه لو أن الأدوار بالعكس، لو أن أمينة كانت هي المحتجزة. لست واثقة أبداً. لربما كنت سأدع أمينة تقرر من البداية وحسب. كان ينبغي علي أن أصغي إليها. كان يجب علينا أن نفعل كما اقترحتْ. لقد فات الأوان الآن.

تعصر جيني جانسدوتر أمينة بنظرتها.

"هل حدث أي شيء جنسي بينكِ وبين كريستوفر أولسن؟"

ترتخي كتفا أمينة.

كل شيء يدور ويصبح مشوَّشاً.

تقول أمنية: "أجل. حدثت أشياء".

99

أصبح واضحاً لنا منذ وقت مبكر أن ستيلا كانت تحب أن تكون آمـــرة. غالباً ما كانت تجعلنا أنا وآدم نتنافس معاً. وأول من يرضخ كان يُغمَر بالحـــب، أما الآخر فلم يكن يستحق شيئاً. وكان من الممكن أن يكون ذلك شبيهاً برمية قطعة نقدية معدنية، ففي إحدى اللحظات تكونين الأم الأروع في العـــالم، وفي اللحظة التالية تصبحين منبوذة ولا أحلم يعلم إلى متى.

لحسن الحظ، كانت أمينة موجودة دائماً كقوة موازِنة ومهدِّئة، وسيطٌ بين ابنتنا المشاكسة الجامحة وبين بقية العالم.

وكرة اليد أيضاً لعبتْ دور المتنفَّس بالنسبة لستيلا، حيث كانت على أرض الملعب تُخرج كل الطاقة التي تغلي وتفور داخلها. لقد شكَّلَ عنْدُها وطبيعتـــها الانفجارية قيمتيْن هائلتيْن على خط الستة أمتار.

وكانت كرة اليد جيدة بالنسبة لآدم أيضاً. لقد أصبح مع دينو ثنائياً محبوباً جداً كمدرِّبيْن وحققا بسرعة نجاحاً عظيماً مع فريقهما. غالباً ما بدا آدم وكأنه كان ينسى نفسه على الخط الجانبـــي في المباريات الحامية. كانت اللعبة تأســـره كلياً -الصراخ والهتافات التشجيعية والإيماءات.

ذات يوم سبت، بينما كنتُ جالسة على مقاعـــد الجمهـــور في منطقـــة بورغيبـــي أشاهد ستيلا وهي تسجِّل الهدف تلو الهدف، شهدتُ شيئاً ما يزال يؤثِّر فيَّ حتى الآن. شردتْ أفكاري قليلاً وفجأةً رأيت أمينة ممددة علـــى الأرض وتتلوَّى من الألم -لقد فاتني كلياً ما الذي تسبَّب بإصابتها. وبما أن ألكساندرا لم تكن موجودة، بدا من الطبيعي أن أنزل إلى أرض الملعب وأســـند أمينـــة أثنـــاء خروجنا إلى غرفة تبديل الملابس.

سألتها: "هل تحتاجين للذهاب إلى المستشفى من أجل الكشف عليك؟"

كنا جالستيْن قبالة بعضنا على المقاعد، ننظر إلى ركبتها المضـــمَّدة علـــى عجل.

هزَّت رأسها نافيةً.

"لم يعد بوسعي القيام بذلك".

بدتْ مستسلمة تماماً.

"القيام بماذا؟"

"احلفي بأنك لن تقولي شيئاً لأبـــي! لن يفهم أبداً. وكذلك أمـــي! هـــل تعدينني؟"

دون إدراك لما كنتُ أفعله، أعطيتها كلمتي.

"ألم تري أنني أفسدتُ الدفاع؟ مرتين، نفس الخدعة بالضبط".

اضطُررتُ للاعتراف بأنني لم ألاحظ شيئاً.

"ثم أخطأتُ في تلك الرمية الأخيرة. رأيتِ هذه، أليس كذلك؟"

"لكنكم متقدمون 12-4".

قالت أمينة وهي تحدِّق إلى الأرض وتحلُّ الضمادة مـــن ركبتـــها ببضـــع حركات سريعة: "أبـــي لا يأبه بذلك. لا يمكنني التعامل مع كـــوني الأفضـــل طوال الوقت. لا أستطيع وحسب".

ضربَ كلامها على وتر حساس لدي. تذكَّرتُ كيف أمضـــيتُ حيـــاةً بأكملها وأنا أكدح كي لا أكون مصدر خيبة للآخرين.

قلت لها: "لكنها مجرد كرة يد. إنها لا تعني شيئاً. ليس تماماً".

قالت لي وهي تنظر إلي بعينين زجاجيتين: "لكنها ليست مجرد كرة يد. إنها كل شيء. المدرسة، الأصدقاء، في المنزل. لا يمكنني فعل ذلك بعد الآن".

دون تفكير انتقلتُ لأجلس بجانبها وفتحتُ ذراعيَّ فتكوَّرتْ أمينـــة مثـــل طفلة صغيرة على صدري ورحتُ أهزّها على مهل.

كانت لدي مشاعر قوية تجاه أمينة، ولم أكن أعرف كيف أتصرَّف حيال تلك المشاعر.

بعد عدة سنوات، في يوم أحد قائظ في أواخر آب، واجهـــتُ الاختيـــار المستحيل بين أمينة وابنتي، واخترتُ كليهما.

أخشى أن يكلِّفني ذلك الخيار كل شيء.

100

تنتظر جيني جانسدوتر بصبر أمينة لتتكلّم. القاعة كلها تنتظر أمينة. إنها توشك على كشف شيء ما.

"ذات ليلة عندما كنا في تيجنيرس، لا أذكر بالضبط متى كان ذلك، ولكن على أي حال، أُصيبتْ ستيلا بصداع وغادرت في وقت مبكر. وانتهى بي المطاف أن ذهبتُ مع كريس إلى منزله".

تصمت لمدة طويلة وتنظر إلى ستيلا.

"كان من المفترَض حقاً أن نتشارك سيارة أجرة فقط، ولكن... شربنا الكثير من الكحول، و..."

تبتلع أمينة الكلمة الأخيرة وتطأطئ رأسها. تنظر ستيلا إليها بارتباك.

"جلسنا على أريكته ندردش. كنت قد شربتُ كثيراً. حدث ذلك وحسب".

تحملق ستيلا في صديقتها الأثيرة، التي تتحدث وهي تنظر إلى الطاولة.

تسألها جانسدوتر: "ماذا حدث؟"

"حاول أن يقبِّلني".

"وماذا فعلتِ؟"

هذا مؤلم. ستيلا وأمينة تعنيان الكثير لبعضهما. هل يمكن لصداقتهما أن تبقى بعد هذا.

تقول أمينة بصوت خافت: "تركته يفعل ذلك. قبَّلني عدة مرات، إلى أن أُصبتُ بالذعر وقلتُ إنه يتوجب علي الرحيل. خرجتُ من هناك مسرعةً وفي طريقي إلى المنزل اتصلتُ بستيلا".

"هل أخبرتِ ستيلا بشأن القبل؟"

"لا. كنتُ سأفعل، لكنني حينئذ... لم أستطع".

تقرِّب ستيلا كأس الماء من شفتيها ببطء وتتركها معلّقة في الهواء لوهلة قبل أن تأخذ رشفة. تؤرجح جانسدوتر قلمها بين أصابعها.

"هل قابلتِ كريس مجدداً بعد هذه المرة؟"

"اتصل بي في يوم الجمعة التالي. كان من المفترض أن نخطط لمفاجأة من أجل ستيلا، لأنه كان يوم ميلادها. أقلّني كريس في سيارته واشترينا سوشي وذهبنا إلى شقته".

تتوقف وتضع يدها على جبينها.

تقول جانسدوتر: "تابعي. ماذا حدث في شقته؟"

"قبَّلني مجدداً".

أراقب ستيلا وهي تنكمش وأتذكّر كيف تعانقنا في تلك الليلة، بعد عشاء عيد ميلادها. لم نبدأ بمعانقة بعضنا بتلك الطريقة إلا مؤخراً. بشكل طبيعي وصادق. كان آدم يشخر على الأريكة وفمه مفتوحاً، وكنا حريصتيْن على عدم إيقاظه. لقد أخبرتني بإيجاز عما حدث بعد مغادرتها المطعم الإيطالي. وفي تلك اللحظة أدركت. صحيح أنني لستُ خبيرة على الإطلاق في العلاقات، إلا أنني عرفتُ أن ستيلا نفسها كانت ترفض أن ترى. وكلما أخبرتني المزيد كان الأمر يزداد وضوحاً بالنسبة لي. لقد جُرِح قلبها. كانت واقعة في الحب وتعرَّضت للخيانة.

تسألها المدّعية: "عما تحدثتما أنتِ وكريستوفر في تلك الليلة؟ حين كنتما لوحدكما؟"

تتنهَّد أمينة بعمق.

"قال كريس إنه معجب بي. وإنني أنا التي لاحظني أولاً في تيجنيرس. قال إنه كان معجباً بستيلا أيضاً، ولكن ليس بنفس الطريقة. كان قد بدأ يرى جوانبها السلبية. أدرك أنه ستكون هناك مشاكل، لكنه قال إن المرء لا يستطيع مقاومة مشاعره".

تفتل ستيلا يديها بشكل متواصل. أتوق لمعانقتها.

"هل صدَّقتِه؟"

"كان مقنعاً جداً. وأنا كنتُ أعرف بأن ستيلا لم تكن مهتمة به في كل الأحوال. لا يعني أن هذا مهم، ولكن مع ذلك".

"إذن فقد خنتِ صديقتك الأثيرة؟"

تنشج أمينة وتهز رأسها.

"أعني، كنت مغرمة. أو... هذا ما كنت أعتقده".

آخذ يد آدم وأرى الارتباك في عينيه. هناك سيمفونية من حفيف الأقلام على الأوراق والنقر على المفاتيح حولنا. أنظر بسرعة من فوق كتفي إلى ألكساندرا فأرى خدّيها ملطّخين بالماسكرا وعينيها تنضحان خوفاً.

تسألها جانسدوتر: "ألم تري ستيلا أبداً في تلك الليلة؟ قلتِ إنكما كنتما ستحتفلان بعيد ميلادها".

"بلى، لقد اتصلَتْ. كان الوقت متأخراً جداً. قالت إنها كانت في طريقها إلى شقة كريس. أُصبتُ بالذعر حقاً وصرختُ في كريس بأن ستيلا في الشارع ثم هرعت إلى الأسفل لرؤيتها".

"هل أخبرتِ ستيلا بما حدث؟"

تتنهّد أمينة.

"أخبرتها بأن كريس قبّلني. كنت نادمة بصدق. أحسستُ بأنني حقيرة تماماً، ثم اتفقنا على أن كريس كان وغداً وأننا لن نراه مجدداً".

تسألها المدّعية: "هل التزمتِ بذلك الاتفاق؟"

تلتفت أمينة لتنظر إلى ستيلا.

"لا. لم أفعل".

101

أعتقد أنه من الأفضل تعليق مخاوفك وبواعث قلقك على شــيء صــلب. عندما لا يكون بمقدورك إيجاد جذر المشكلة، عندما لا يمكنك رؤية ما يســبب لك الإزعاج، من المريح إلى حد كبير أن تكون قادراً على التركيز على شــيء محسوس.

ألهذا السبب يلجأ الناس إلى الله؟ عالمٌ من المستحيل فهمه يتطلَّب تفسيرات بوسع المرء إدراكها. صورة إنسان، حاكم مطلق.

لمدة طويلة من الزمن، دارت نظرة آدم ونظرتي إلى العالم حول طفل لم يأتِ أبداً. أصبحت البويضة التي لم تُلقَّح رمز حياتنا المتوقفة، التي لم تتحوّل إلى الحياة التي كنا نتصوّرها. ومع اتساع المسافة بيننا، أحسستُ برغبة في تقارب روحــي لم أكن أدركها. وقد بلغ هذا الإحساس أشدَّه عندما أنهيت إحدى القضايا. كان الأمر يشبه فراغاً انفتح في داخلي، ووحدة لا قرار لها. كنت جالســة في طــائرة متوجهة إلى المنزل، إلى عائلتي في لوند.

من المؤلم أن تكون غير قادر على التعامل مع طفلك. غالباً ما كنت أشــعر بالضعف والاستسلام حيال محاولاتي للتواصل مع ستيلا.

قال لي آدم بعد شجار دام مساء بأكمله: "إنها تشبهك".

"ما الذي تقصده بحق الجحيم؟"

بدأتِ المشكلة حين علمنا من معلّمة ستيلا أنها كانت تستقوي على بضع فتيات في صفها. وعندما واجهناها، ثارت ثائرتها ورمتْ كأس حليب على آدم. كانت ترفض مناقشة المسألة في المدرسة. أردنا معرفة ما كانت تشعر به حقــاً، لكنها بدأت تقذف الأشياء في المطبخ فاضطُّر آدم لتثبيت ذراعيها خلف ظهرها إلى أن أصبحت معلّقة فوق الأرض مثل خرقة معصورة وهي تصرخ وتبكي.

بعد يومين، جاءت أمينة إلى منزلنا لتأخذ ستيلا إلى التدريب. كانت واقفة

في المدخل بحذاء كرة اليد وجوربيها الواصلَيْن إلى الركبتين وعلى كتفيها حقيبة ظهر حمراء اللون. حين دخلت ستيلا كي تجمع ما كانت تحتاجه للتدريب، نظرتْ أمينة إلي بعينين جدِّيتيْن جعلتاها تبدو أكبر من عمرها بكثير.

قالت: "إنه حقاً ليس ذنب ستيلا".

نظرتُ إليها بحيرة.

"ما يجري في المدرسة، أعني. إنهن يستفززن ستيلا. يعرفن بالضبط ما يقلن لها من أجل إثارة غضبها. وبعد ذلك يخبرن المعلّمة".

جبل من الخجل انتصب في صدري.

قالت أمينة: "الفتيات الأخريات هن اللئيمات".

بدت عيناها البنّيتان شبه سوداوين في الضوء الخافت للممر.

فكّرتُ في ما قاله آدم. *إنها تشبهك*.

في الصيف الذي بلغت فيه ستيلا عامها الرابع عشر، سافرنا لحضور بطولة كرة يد في الدانمارك. أقامت الفتيات والمدربين في إحدى المدارس، في حين تشاركنا أنا وألكساندرا غرفة في فندق.

في إحدى الأمسيات، خرجنا إلى بار عابق بالدخان واشترى لنا بعض الأشخاص مشروباً. أفرطتْ ألكساندرا في الشرب وتقيّأت خارج الفندق. وبعد أن أدخلتُها إلى الحمام ووضعتها مرغمةً تحت الدش، استلقت على كرسي قابل للطي وبكتْ بسبب الحياة البائسة التي كانت تعيشها. تذمَّرتْ بشأن دينو الذي لم يكن يهتم إلا بكرة اليد ويرفض رفع إصبع واحد في المنزل. لكنها تذمَّرتْ أيضاً بشأن أمينة، التي لم يكن لديها أبداً وقت لأي شيء سوى فروضها المدرسية وتمارين كرة اليد اللعينة. لم أقل شيئاً بالطبع، لكن شعوراً واخزاً بالانزعاج بدأ ينمو في داخلي. أنا شخصياً لم أشعر يوماً بأن والداي كانا راضييْن عني تماماً. كان هناك دائماً درجة أعلى، شخص آخر تفوّق عليّ في شيء ما، فتاة أذكى وأكثر جاذبية.

بعد بضعة أسابيع، جاءت أمينة إلى منزلنا في صباح مشمس. هذه المرة كنت أهيِّئ نفسي للاسترخاء في الحديقة برفقة رواية وكأس من الشراب.

قلتُ لها: "ستيلا ليست في المنزل. ذهبت إلى لاندسكرونا. ظننتُ أنك ستذهبين أيضاً".

لم تردّ، واكتفت بالوقوف بسروالها القصيرة وبلوزتها الخالية من الكمّين تحت شجرة الكرز وهي تنظر إلي بملامح متجهمة.

سألتها وأنا أضع الكتاب على الطاولة: "هل هناك مشكلة؟"

أومأتْ وكأنها تقول إنها ليست متأكدة.

ثم سألتني: "لديكِ دقيقة؟"

"بالتأكيد!"

حين جلبتُ مشروباً غازياً ولفافة قرفة، بدأت أسارير أمينة بالانفراج.

"أشعر بأنني أسوأ صديقة في العالم الآن".

"لماذا؟ ماذا يجري؟"

نظرتْ إلى الحديقة بعينين نصف مغمضتيْن وأخبرتني بصوت هادئ بأنها أجّلتْ هذا الأمر إلى اللحظة الأخيرة. لم تكن حقاً تريد أن تكون صديقة سيئة، لكن الخوف استبدَّ بها. كانت قلقة على ستيلا.

"أولئك الأشخاص الذين تتواجد معهم الآن في لاندسكرونا. إنهم ليسو أشخاصاً صالحين. إنهم يفعلون مجموعة من الأشياء السيئة. تدخين وشرب".

"كحول؟ أنتم في الرابعة عشرة فقط".

"أعرف".

"أنا مسرورة لأنك أخبرتني يا أمينة".

انحنتْ إلى الأمام.

ثم قالت: "تعديني بأنك لن تقولي أي شيء لستيلا، صحيح؟ إذا اكتشفتْ أنني... يجب أن تعديني!"

وعدتُها.

لم أكن حقاً أفكر في ستيلا كثيراً في تلك اللحظة، مهما بدا ذلك غريباً. كنت أفكر في أمينة أكثر. كنت معجبة بشجاعتها، بغريزتها الطبيعية لفعل الصواب.

قلت لها: "أنا مسرورة جداً لأنك جئتِ إلي".

وقفنا قبالة بعضنا مطوَّلاً قبل أن تنحني وتعانقني.

خلال الأسبوع التالي، أجرينا أنا وآدم حديثاً جدياً مع ستيلا. كانت تلك بداية فترة مريعة بالنسبة لنا. كلما حاولنا التفاهم معها بالمنطق، كانت تزداد عدائية.

"توقفا عن التدخُّل في حياتي! العيش معكما يشبه التواجد في سجن!"

في وقت لاحق من ذلك الخريف، عندما تبيَّن أنها كانت تتعاطى المخدرات، أدركنا أنا وآدم، بعد الكثير من الأخذ والرد، بأننا كنا بحاجة لمساعدة احترافية.

كان عذاباً محضاً الجلوس في كل تلك الاجتماعات مع مدراء ومعلّمات، وممرضات وموجِّهات، دون ذكر الموظفين الاجتماعيين والأخصائيين النفسيين. لم أشعر يوماً بأنني ضعيفة ومُنتهَكة ومُستصغَرة كإنسان مثلما شعرت به في تلك الفترة. لا يوجد إخفاق في العالم يُقارَن بكونك والداً غير كفء.

عرض عليّ مايكل بلومبيرغ مخرجاً، شيء من العزاء.

102

ألتفت لأنظر إلى ألكساندرا مجدداً. أرى أمي فيها. تنقبض معدتي عندما أفكر في درجة الجحود التي أبدتها تجاه أمينة.

تقابل ألكساندرا نظرتي. حتى الآن، إنها لا تعرف شيئاً. أنا واثقة بأن أمينة لم تقل أي شيء.

منذ أن أخبرتني بما حدث، حرصتُ كل الحرص على ألا يعرف بذلك إلا بضعة أشخاص.

حتى آدم وأمينة لا يعرفان.

في الوقت المناسب سيفهمون كلهم.

يحفر صوت جيني جانسدوتر الحاد ثقباً في صمت القاعة.

"إذن فقد خالفتِ اتفاقك مع ستيلا وواصلتِ رؤية كريستوفر أولسن؟"

تهز أمينة رأسها.

"هذا ليس ما حدث تماماً".

ترسم المدّعية تعبيراً محتاراً على وجهها.

"لا؟ أليس هذا ما قلتِه لتو؟"

"رأيتُ كريس مرة واحد فقط بعد عيد ميلاد ستيلا. اتصل بي عدة مرات في ذلك الأسبوع، لكنني أخبرته بأننا لا نستطيع رؤية بعضنا. كان ملحّاً حقاً. كتب قائلاً إنه يشعر بفضول شديد نحوي وإنه ستكون خسارة ألا نستكشف ما يمكن أن يحدث بيننا. وأشياء من هذا القبيل".

"إذن وافقتِ على مقابلته؟"

"كنتُ أنوي بصدق أن أقول له اذهبْ إلى الجحيم. لم ألتقِ معه لأنني أردت أن نكون معاً أو شيء مثل هذا. أردتُ فقط أن أتخلص منه. أقسم على ذلك".

تأخذ محرمة أخرى وتنفخ عبر أنفها.

"في يوم الجمعة كتب لي مجدداً. لقد عقدتُ اتفاقاً مع ستيلا. لم أكن أريد رؤية كريس مجدداً".

"لكنكِ فعلتِ؟"

"قال في رسالته إن لديه مفاجأة من أجلي. كان سيأتي لـيقلّني في ليمـو، فقلت له إن أبـي سيبرحه ضرباً إذا جاء إلى منزلنا. لكنه على أي حـال... لم يكن ليستسلم، لذا قررنا أن يقلّني عند صالة البولينغ بعد كرة اليد".

"هل وصل في ليموزين؟"

"لا، كان يقود سيارته الخاصة. شيء ما حصل بشأن الحجز".

تراقب ستيلا أمينة بتركيز شديد. إلى أي حد تعرف بشأن هذه الأمور؟

تسألها جانسدوتر: "وكانت هذه هي الليلة نفسها التي قُتل فيها كريستوفر أولسن؟"

"أجل".

"ماذا فعلتما حينئذ يا أمينة؟ بعد أن أقلّك كريس في سيارته؟"

"ذهبنا إلى البحر. لا أعرف بالضبط ما هو اسم المكان. ولكن، يمكن رؤية بارسيبيك من هناك على أي حال. مصنع الطاقة النووية. جلسـنا علـى تلـة معشوشبة وكان كريس قد جلب معه سلة فيها شراب وخبز وجبن".

تصمت أمينة.

تقول المدّعية: "تابعي".

"أكلنا وشربنا الشراب. وراقبنا غروب الشمس ثم..."

تصمت أمينة مرة أخرى. يُسقط صحفي في الصف أمامي قلمه فتسـمع القاعة بأكملها صوت ارتطامه بالأرض. تلتفت ستيلا وتحدِّق. إنها تنظر مباشرة إلي بعينين غاضبتين.

تقول جانسدوتر: "ثم ماذا؟ ماذا حدث بعد ذلك؟"

أشاهد مايكل يضع يداً مُطَمْئنةً على ذراع ستيلا.

"ثم قبَّلني"، تبلع ريقها، "قبَّلنا بعضنا".

103

كانت فرصة العمل مع مايكل بلومبيرغ حلماً. واحد من أبرز محامي الدفاع في البلد. كنت أعلم بأن ذلك سيتطلّب الكثير من رحلات العمل وقضاء ليالي في الفنادق، لكن آدم دعمني بكل حماسة وكانت فرصة لم يكن بمقدوري تضييعها.

ماذا كان سيحصل لو أنني رفضتُ عرض مايكل؟ أعرف أنه لا فائدة من مثل هذه الأفكار، ولكن من الصعب علي منع نفسي من التساؤل.

حين تتحدث أمينة عن كريستوفر أولسن في القاعة -كيف أنها لم تستطع مقاومته، وكيف أنها اكتُسحتْ وشعرت بأنها واقعة في حبه، رغم أن ما كان يجري في الواقع أمر مختلف تماماً- من الصعب ألا أتفهّمها.

ربما في بعض الأحيان، كل ما يتطلّبه الأمر لكي تعتقدي بأنك واقعة في الغرام هو أن تشعري بأنكِ مقدَّرة القيمة ومحترمة. أن تُرَى طبيعتكِ، وتحظي بالإعجاب من أجل وجودك وليس أفعالك. هذا بالضبط ما جعلني أحب آدم. طريقته الطبيعية في النظر إلى ما وراء إنجازاتي. الطريقة التي أسر فيها روحي بنظرته.

بعد خمسة عشر عاماً، فعل مايكل بلومبيرغ الشيء ذاته.

سارت علاقتي بمايكل يداً بيد مع عجزي المتزايد على التعامل مع آدم. الرجل الذي وقعتُ في غرامه ذات يوم، المثالي الرومانسي ذو القلب الذي يساوي حجمه حجم نجم والعينين اللتين تريان أدق التفاصيل، بدا بأنه لم يعد موجوداً. لم أكن موجودة على نحو كافٍ لأعرف كيف حدث ذلك، لكن آدم طوَّر تدريجياً مزاجاً عصابياً كان في طريقه ليتحوَّل إلى حاجة هوسية للتحكُّم والسيطرة.

كان آدم قد تصوَّر لنفسه حياة مختلفة تماماً عن الحياة التي وجد نفسه عالقاً فيها آنذاك. كانت الصور التي كوَّنها لمستقبله وعائلته متناقضة كلياً مع الواقع، وكانت حاجته المتنامية للسيطرة، بهذا المعنى، ليست أكثر من طريقة قوية ولكن

يائسة للحفاظ على حلمه بالحياة التي تخيَّلها لنفسه. غير أن فهمي لما كان يحدث لا يعني أبداً أنني كنت أنوي القبول به.

تجاوز آدم الحدود ذات مساء عندما اقتحم غرفة ستيلا بعد أن شمَّ رائحة داخان عبر الباب. كنتُ قد وصلتُ للتو بالطائرة من روما على متن الرحلة الأخيرة لذلك اليوم، ونزلتُ في مطبخنا منهكة تماماً.

قلت له: "يجب أن تدع ستيلا ترتكب أخطاءها الخاصة. ألم تكن مراهقاً؟ أنتَ تنتهك كرامتها".

كان آدم يذرع أرض المطبخ جيئة وذهاباً ويتمتم في يأس بكلمات غير واضحة. عندما رأيته في تلك الحالة، اتخذتُ قراري.

قلتُ له وأنا أضع ذراعيَّ حول رقبته: "أنا أحبك. سوف أقضي وقتاً أطول في المنزل مع كليكما".

قال آدم: "أنا آسف. الذنب ذنبي. لستِ مضطرةً لـ..."

قاومتُ شعوري بالذنب.

قلت له: "كنت أعمل كثيراً جداً. هناك أشياء يمكنني الاهتمام بها من المنزل".

"يجب أن أحاول تهدئة نفسي. أن أتحدث مع ستيلا دون أن أفقد أعصابي".

"عدَّ إلى العشرة".

ابتسم وقبَّلنا بعضنا.

في يوم الاثنين، جلستُ ومعي هاتفي بعد مغادرة آدم إلى العمل مباشرة. صحيح أنني كنتُ أشعر بالإطراء لاهتمام مايكل، لكنني لم أخدع نفسي أبداً بالتفكير بأن هذا سيؤدي إلى أي شيء سوى لحظات وجيزة من الإنجاز الذاتي. كنت أعرف مايكل بما يكفي لأفهم أننا لا نملك مستقبلاً معاً، أو حتى أي شيء خاص.

لم يبدُ مندهشاً ولا خائب الرجاء عندما اتصلتُ لأخبره بأن علاقتنا من تلك اللحظة فصاعدا يجب أن تبقى مهنية حصراً. يجب أن أعترف بأنني تألّمتُ

في قلبـــي حين أنهى المحادثة والعلاقة بعبارة "ليست هناك مشكلة".

عندما أغلقتُ الهاتف، انهرتُ على الكرسي بجانب طاولة المطبخ. ســـدٌّ في داخلي كان يتداعى في تلك اللحظات. وكانت دموعي مثل حمّام مطهِّر بينمـــا كان توتري الذي طال أمده يتحرَّر أخيراً. لم ألاحظ دخول أمينة أبداً. فجـــأةً شعرتُ بيدها على كتفي.

سألتني: "من كان ذاك؟"

"يا إلهي، لقد أخفتني! منذ متى أنتِ واقفة عندك؟"

حدَّقتْ ستيلا فيّ دون أن تجيب فعرفتُ أنها سمعتْ كل شيء.

"ليس الأمر كما تظنين. كان عملاً. إنه مايكل، رئيسي".

مددتُ يدي إليها لكنها استدارتْ على عقبيها ورجعـــت عـــبر الممـــر ثم خرجت من الباب. ركضتُ خلفها بذعر، وبينما كانت تنزل على أول درجـــة في السلّم رميتُ ذراعي حولها من الخلف وجذبتُها إلي.

"أحبك يا ستيلا".

تعانقنا لمدة طويلة، ورغم أن هذا يبدو محزناً، إلا أنني لم أشعر بمثل ذلـــك القرب من ابنتي منذ سنوات. كان عقلي يغلي بكلمات كبيرة ووعود لكـــنني لم أستطع إخراج صوت واحد. على أي حال، في تلك اللحظة، كل ما كنا بحاجة إليه هو أن نكون قريبتين من بعضنا.

بعد بضعة شهور، تركتُ مؤسسة مايكل بلومبيرغ من أجل عمل مختلـــف أقرب من المنزل. تحسَّنت الأمور ببطء بيني وبين آدم، وبدت ستيلا أكثر تفهُّماً. سرعان ما عادت العلاقة بينها وبين أمينة إلى سابق عهدها، وبدأتُ أفكر في مـــا حدث على أنه مرحلة، فترة عصيبة –من المؤكد أنها كانت قريبة من تـــدميرنا، لكننا نجحنا في تجاوزها وعلى المدى الطويل، مع القليل من الحظ، ستجعل عائلتنا أقوى.

لم أكن أعرف مطلقاً بأن الكارثة الحقيقية كانت تنتظرنا عند المنعطف.

104

تؤرجح المدعية جيني جانسدوتر قلمها وهي تنتظر أمينة لنفخ أنفها مجدداً.

"إذاً جلستِ على المقعد مع كريس وقبّلتما بعضكما مرة أخرى؟"

تقول أمينة: "مع أن الشكوك كانت قد بدأت تساورني. كنت أشعر بمشاعر فظيعة حيال ما كنتُ أفعله".

"وكانت تلك هي نفس الليلة التي توفي فيها كريس أولسن؟ في أي وقت كان هذا؟"

ترفع أمينة كتفيها.

تقول وكأنها لم تسمع سؤال المدّعية: "ستيلا تعني العالم بأكمله بالنسبة لي. لم أكن لأدع أي شخص يدخل في ما بيننا".

تقول جانسدوتر: "ولكنك قبّلتِه؟ في أي وقت حدث هذا؟"

"ندمتُ في الحال. كنتُ كأنني أشهد ما يحدث من خارج نفسي، تقريباً كأنه فيلم سينمائي. أدركتُ ما كنتُ أفعله وطلبتُ من كريس أن يتوقف".

تقاطعها جانسدوتر قائلة: "لكن الشرطة استجوبتكِ مرتين يا أمينة. لماذا لم تذكري أياً من هذا؟ خلال الاستجوابات صرَّحتِ باستمرار بأنك لم تري كريستوفر أولسن مطلقاً بعد عيد ميلاد ستيلا".

"لم أستطع تحمُّل الشرح. وكنتُ أعتقد أنه سيُطلَق سراح ستيلا على أي حال".

أتمعَّنُ في القضاة المساعدين. أرجعَ الديمقراطي السويدي ظهره إلى الخلف قليلاً ودفع بطنه أمامه وكأنه أكل للتو عشاء كبيراً. ينبئني إحساسي الفوري بأنه اتخذ قراره. وبجانبه تتهامس القاضيتان المساعدتان وقد مالتا نحو بعضهما بعضاً.

يبدو على جانسدوتر الفضول حقاً وهي تطرح سؤالها التالي.

"لماذا سنصدِّقك الآن يا أمينة؟ أُتيحتْ لكِ الكثير من الفــرص لتخــبري الشرطة بما حدث".

أضع يدي في يد آدم لكنني لا أمتلك الشجاعة للنظر إليه.

تقول أمينة: "لم يتوقف. ظللتُ أطلب منه التوقف".

تُسقط جانسدوتر قلمها، لكن أصابعها تظل تتحرّك كما لو أنها لم تلاحظ.

"ظل يحاول".

تبدو المدعية مندهشة. يتوضّح لها الأمر الآن. تفتح فمها عدة مرات، محاولةً قول شيء ما، لكنها على ما يبدو لا تعرف ماذا تقول.

تواصل أمينة كلامها: "أخبرته بأنني لا أريد. صرختُ في وجهه".

تسألها المدّعية: "لماذا لم تذكري هذا خلال استجواب الشرطة؟"

تخرج الكلمات بشكل متقطع من فم أمينة.

"أنا... كنتُ... عذراء".

جانسدوتر صامتة.

"حاولتُ إبعاده عني، لكنني لم أستطع. ثبَّــتَ ذراعــيَّ علــى الأرض. لم أستطع... كافحت وخدشتُ بأظافري وصرخت، لكنني لم أستطع الإفــلات منه".

أفلتُ يد آدم، ثم ألتفت وأنظر إلى ألكساندرا مجدداً. هذا كافٍ لإبعاد أي شك. أنا واثقة الآن بأن هذا هو الصواب. لم يكن باستطاعتنا فعله بأية طريقــة أخرى. ليس هناك عدالة على أي حال.

تكافح أمينة كي يصمد صوتها. تشرب رشفة من الماء وتنحنح حنجرتها.

ثم تنظر مباشرة إلى القاضي الرئيس.

"كريستوفر أولسن اغتصبني".

105

في الحقيقة، كانت فكرة غبية منذ البداية. كان موقف ستيلا تجاه الكنيسة عدائياً بشكل علني. ماذا ستفعل في مخيم المرشحين للقبول في الكنيسة؟

قال آدم: "أعتقد أنه سيكون مفيداً لها. قد تشعر بأنها تُركتْ لوحدها إن لم تذهب".

قلتُ له موضِّحة: "أمينة لن تذهب أيضاً".

"لكنها مسلمة".

"أبوها مسلم. وستيلا ملحدة".

ليتني ثبتُّ على موقفي. أنا مضطرة للعيش مع هذا الندم الفظيع. لماذا سمحتُ لها بالذهاب؟

كان آدم قد بدأ أخيراً بإرخاء القيود وأصبح بالتدريج أكثر تساهلاً وعقلانية في علاقته مع ستيلا، ولم أكن أتوق للتسبُّب بأي نكوص. لهذا السبب، وبالرغم من شكوكي، رضختُ. وعندما رأيت الفرح على وجه ستيلا، اعتقدتُ بأنني اتخذتُ القرار الصحيح.

في وقت لاحق، عندما اتصل آدم من المخيم وحاول شرح ما حصل، ما فعله ذلك الوغد بابنتنا الصغيرة... لم أستطع إدراك الأمر في البداية. كنتُ قد وصلتُ لتوّي على متن رحلة المساء من ستوكهولم.

"أنتَ في مخيم القبول؟ ماذا تفعل هناك؟"

قال آدم شيئاً حول المسؤولية وأن المنطق لم يكن مهماً آنذاك.

صرخ عبر الهاتف: "هل تدركين ما حدث؟ ستيلا اغتُصبتْ".

كان رأسي يدور. ارتعش الهاتف على أذني.

"يجب أن تتصل بالشرطة. خذها إلى المستشفى يا آدم".

كان ردّه مراوغاً.

"آدم! من الضروري أن تُفحَص بواسطة طبيب".

"سنتحدث في هذا الأمر لاحقاً. نحن في طريقنا إلى المنزل الآن".

كنتُ جالسة بجانب طاولة المطبخ عندما دخلت السيارة مسرعةً إلى ممر منزلنا. ركضتُ إلى الخارج ورأسي يكاد ينفجر.

رمتْ ستيلا نفسها بين ذراعي وحملتها إلى المنزل وكأنها عادت طفلة في الخامسة من العمر من جديد. جلستْ في المطبخ بلا حراك وبملامح خالية من العاطفة.

بكيتُ وضربت بقبضتي يديّ على صدر آدم.

"كيف يمكن أن يحدث هذا؟"

قال آدم وهو يمسك بذراعيّ: "اهدئي".

"لماذا لم تخبر الشرطة؟ لماذا جئتَ إلى المنزل؟"

لم يشأ النظر إلي.

"ماذا كنتَ تفعل هناك؟ هل كنتَ تتجسس على ستيلا؟"

"إنه عملي".

"عملك؟" -لم يقل أي كلمة بشأن زيارة المخيم- "سأتصل بالشرطة".

أخرجتُ هاتفي من محفظته، لكن آدم انتزعه مني.

"انتظري! ليس الأمر بسيطاً كما تظنين".

"ماذا تعني بـ *ليس بسيطاً*؟"

نظر إلى ستيلا وأشار إليّ لألحقه إلى غرفة المدخل.

قال بصوت منخفض: "ذهبتْ ستيلا مع روبن إلى مبنى المشرفين. بل يبدو أنها هي التي بادرت".

لم أستطع تصديق أذناي.

"هي التي بادرت؟"

"بعض المرشحين الآخرين قالوا إنها كانت تخطط لإغرائه".

"إغراء؟ هل يمكنك سماع نفسك؟ إنها في الخامسة عشرة".

"بالتأكيد. أنا لا أدافع عن روبن".

"ماذا تقول إذن؟"

أمسكني من كتفيّ ونظر إلي بعينين حزينتين.

أنا أضمن بأنه لن يحصل على عمل آخر أبداً في كنيسة السويد. بوسعي كسر رقبته".

"ولكن؟"

"لكن المضي قدماً في هذا الأمر... سيؤذينا فقط. سيؤذي ستيلا".

"يجب علينا أن نفعل ذلك يا آدم. يجب علينا فعل ذلك!"

هز رأسه نافياً.

"سيكتشف الجميع ما حدث. سيحاكمها الناس. سوف تضطر للعيش مع هذا إلى الأبد".

كان رأسي يدور. سعلتُ بقوة لأنني خشيت أن أتقيّأ. كنت أفهم، إلى حد ما، ما يرمي إليه آدم. أنا نفسي دافعتُ عن رجال متهمين بالاغتصاب. أنا نفسي وجّهتُ كل تلك الأسئلة البشعة للضحية، حول الثياب، والكحول، والتجارب السابقة، والتفضيلات الجنسية. وفي بعض الحالات، شككتُ حقاً في رواية الضحية. وفي حالات أخرى، كنت أقوم بعملي وحسب.

قلتُ له وأنا أبكي فوق المغسلة: "إنها ضحية. ليس هناك أي ذنب من طرفها".

"أعرف حبيبتي. بالتأكيد إنها ليست مذنبة بأي شيء. لكن الاغتصاب حدث، ولا يمكننا تغيير ذلك. كل ما يمكننا فعله الآن هو حمايتها كي لا يسوء الأمر أكثر".

وضع ذراعيه حولي فدفنتُ نفسي في صدره. كان قلبانا يدقان بسرعة كبيرة، وبشكل غير منتظم كلياً.

قلتُ في داخلي حينئذ: إذن *بهذه الطريقة انقلبت حياتنا؟*

لكنني أعتقد الآن أنه ما تزال هناك فرصة لتغييرها. ما تزال هناك فرصة لإنقاذ عائلتنا، لأن أكون الأم التي لطالما أردتُ أن أكونها، أمّ ستفعل أي شيء لحماية طفلتها.

106

في يوم الأحد نفسه الذي فتش فيه تقنيو الشرطة منزلنا، استُدعي آدم من أجل إجراء استجواب أولي. كنتُ قد توسّلتُ إليه بأن يحافظ على قوته، وأن يزن كل كلمة بعناية. وفي الوقت نفسه، كنت أفكّر ملياً في حجم المعلومات الذي يمكن أن أكشفه له. لم يكن لدي شك بأن آدم كان مستعداً للمشي في نار جهنم من أجل ستيلا، لكنني في تلك اللحظات كنت أظن بأن أخلاقياته الثابتة ستُثقل كاهله مثل صليب ثقيل.

في تلك الليلة قررتِ المدعية إعادة ستيلا إلى الحجز و لم يكن بوسعي رؤية أية نقطة مضيئة سوى تعيين مايكل بلومبيرغ كمحام عام لها.

طلبتُ من صديق لديه صلة مع الشرطة الاتصال بي حالما ينتهون من تفتيش منزلنا. وبعد ذلك تجوَّلت في غرفنا على ساقين مرتعشتين، محاولةً إيجاد ما وجده التقنيون. ولكن، لم يكن من الممكن أن يكون كثيراً.

قبل أن نأخذ أنا وآدم سيارة الأجرة إلى مركز الشرطة في ليلة السبت، كنت قد ترنَّحتُ بين الحاويات عند محطة إعادة التدوير في الحي. تظاهرتُ بأنني أتقيّأ بصخب بينما كنت أدوس على هاتف ستيلا ومن ثم أرمي حطامه في حاوية إعادة تدوير المعادن. كانت شريحة الهاتف موجودة مسبقاً في حقيبة يدي. لم أكن حتى تلك اللحظة أعرف ماذا حصل، لكنني كنتُ أعرف بأن رسائل ستيلا يمكن أن تحوي معلومات مضرَّة لها. كان الألم يعتصر قلبي، لكن الأمر كان أسهل مما توقعت. قد تعتقد بأن هناك أشياء لا يمكنك فعلها، لكنها تبدو طبيعية فجأة عندما يتعلق الأمر بحماية طفلك.

في وقت لاحق من تلك الليلة، بحثتُ في كل زاوية من المنزل واكتشفت البلوزة المدماة، التي أُخفيتْ بطريقة عشوائية تحت كومة الثياب في غرفة الغسيل. كانت ما تزال رطبة. هل أخفتها ستيلا هنا؟ أم هل أفرغ آدم الغسالة؟ احترتُ

بشأن ما سأفعله لوهلة، ولكن عندما اتصل مايكل قائلاً إن الشرطة في طريقها إلى منزلنا رميتُ البلوزة في موقد الحطب لأكون على بر الأمان. وراقبتُ الشرر يتطاير حول النسيج المطقطق.

كانت تتنازعني مشاعر متضاربة. كمحامية، كنتُ مذنبة بأفظع انتهاك للقانون يمكن أن يتخيّله المرء. وكأم، كان خياري هو الخيار الصحيح الوحيد. لم تكن لدي فكرة حتى تلك اللحظة حول ما حدث في ليلة الجمعة، لكنني كنت متيقنة من أن واجبي يفرض علي حماية ابنتي.

في صباح الأحد، اتصل آدم بعد انتهاء استجوابه فوراً. عندما أدركتُ أنه كذب على الشرطة كي يعطي ستيلا حجة غياب، أحسستُ بدفء غامر. كان ذلك فعل حب، البرهان الأقصى، ربما، على درجة حبه لستيلا ولي. منذ تلك اللحظة، عرفتُ بأنني سأفعل أي شيء من أجل عائلتينا.

أخبرتُ آدم بأن تقنيي الشرطة ما يزالون في منزلنا. كان يجب أن يبقى خارج المنزل لبضع ساعات أخرى. كنتُ بحاجة لشراء الوقت.

بعد بضع دقائق، سمعتُ طرقة على الباب. تسلّلتُ إلى نافذة غرفة الغسيل ونظرتُ إلى الخارج.

كل ما استطعتُ رؤيته من الشخص الواقف عند الباب هو قبعة سوداء شُدَّتْ كثيراً فوق جبينه بحيث أنها أخفتْ وجهه. وقدمان ترتديان حذاء مطاطياً غامقاً كانا يتحركان بعصبية على الدرجات الحجرية.

شققتُ الباب بما يكفي فقط للإمساك بذراعها وجذبها إلى الداخل.

قالت: "لم أكن أريد الاتصال أكثر من ذلك".

نظرتُ إلى الخارج عبر نافذة الباب ووجدتُ الشارع خالياً. لم يرها أحد.

قلت لها: "ادخلي".

دخلتْ إلى المطبخ دون خلع حذائها. مشيتُ بجانبها بسرعة نحو النافذة وأسدلتُ الستارة فوقها.

سألتها: "ماذا حدث؟"

كان صوتي مرتعشاً.

نظرتْ أمينة إلي بعينيها البنيتين الجميليتين، اللتين أصبحتا حمراوين ودامعتين.

"لا يمكنني تصديق ذلك... ستيلا... أنا..."

كانت ترتعش حين أمسكتُ بيدها. تعانقنا بقــوة. بــدا لي بأنهــا أردات التشبُّث بـــي. وبعد قليل كنت مضطرة لتخليص نفسي من ذراعيها.

قلتُ لها: "أعرف. قرأتُ رسائل ستيلا".

"قرأتِها؟"

تصلَّب جسدها فداعبتُ ذراعها وأبعدت خصلة شعر عن خدِّها.

"نسيتْ ستيلا هاتفها في المنزل".

شهقت أمينة. أمسكتها بيديَّ الاثنتين ووجدتُ نفسي أصــارع لكـــي لا أنهار.

قلت لها: "سوف نحلُّ هذه المشكلة حبيبتي. سوف نحلها".

بكتْ مثل طفلة.

كانت بالفعل طفلة. كانت هي وستيلا طفلتيْن.

كنتُ أنا الراشدة هناك. كنت الأم. وأنا التي كان يتوجب عليها إنقاذهما.

وفجأةً، توقفت الدموع. وسحبتْ أمينة نفَساً عميقاً بصمت.

وقالتْ: "لم يكن من المفترَض أن يموت".

107

قالت أمينة: "كان دفاعاً عن النفس. أليس كذلك؟"

حاولتُ استيعاب ما قالته للتو. ما روته لي كان كثيراً جداً، وكله دفعة واحدة. الكثير من المشاعر والتفاصيل.

"كنتُ أنوي الهرب حالما يوقف السيارة. حتى إن يدي كانت على مقبض الباب، مستعدةً للقفز إلى الخارج. لكنه كان قد أقفل الأبواب من الداخل. لم يكن بوسعي الذهاب إلى أي مكان".

نظرتْ إلي وكأنها كانت معلّقة من جرفٍ عالٍ وأنا كنتُ الوحيدة التي تستطيع مد يد المساعدة لها.

قلتُ لها: "لابد أنكِ كنتِ خائفة".

أومأتْ برأسها مؤكدةً.

وقالت: "كان دفاعاً عن النفس، أليس كذلك؟"

أجبتها بصدق: "لا أعرف". لم أكن قد كوَّنتُ بعد صورة واضحة عما حصل. "من أين جاءت السكين؟"

"كانت في السلة. اشتراها كريس من أجل نزهتنا".

ذهبتْ أمينة في موعد مع كريستوفر أولسن، إلى مكان ما بجانب شاطئ البحر. هذا ما فهمتُه.

"كانت السكين موجودة فوق بقية الأغراض، في السلة. بين المقعدَيْن. رأيتها وأخذتها. لم أكن أفكر".

ذلك المتوحش اغتصب أمينة.

"أنا أحمل هذا دائماً. ستيلا تملك واحداً أيضاً. يمكنك شراؤها على الإنترنت".

كنت أعرف ذلك، بالطبع. أنا من حثّ ستيلا على شراء واحد منها. بل إنني دفعتُ ثمنه".

"إذن رششته أولاً ثم أمسكتِ السكين؟"

هزتْ برأسها موافقةً وداعبتُ برقة وجنتها الشاحبة المتورِّمة.

"لكنه اكتشف ما كنتُ سأفعله قبل أن أضغط على زر البخّاخ. رفع ذراعه وأدار وجهه. لكن بعضاً منه أصابه بالتأكيد، لأنه زأر مثل حيوان. ثم حاولتُ فتح باب السيارة، لكن الزر كان في الموقع الخطأ، على لوحة القيادة. اضطُررتُ للانحناء فوق حجره، لكنني نجحتُ في فتح الباب. في تلك اللحظة رأيت السكين".

"وهربتِ من السيارة والسكين في يدك؟"

"أجل".

مكتبة
t.me/t_pdf

حاولتُ تصوُّر الأمر.

"هل لحق بك؟"

هزَّتْ برأسها مجدداً.

"من الواضح أنني لم أكن أريد استخدام السكين. لماذا بحق الجحيم أخذتها معي؟"

قلت لها: "توقفي. لا فائدة في ذلك. كنت مرعوبة. فعلتِ الصواب. أي شخص كان سيأخذ السكين".

شتمتْ أمينة نفسها.

سألتها: "ماذا بشأن ستيلا؟ ماذا كانت ستيلا تفعل هناك؟"

"لا أعلم. كانت... غاضبة... قلقة. كانت قد اتصلت وأرسلت الكثير من الرسائل".

"ألم تكن تعرف أنكِ كنتِ مع كريستوفر؟"

"كذبتُ عليها. خنتُ صديقتي الأعز".

طوتْ أمينة نفسها وراحت تبكي. حاولتُ مواساتها، ومعانقتها، وتهدئتها، رغم أن ذهني كان يفكر بسرعة.

"كانت بلوزة ستيلا ملطخة بالدماء يا أمينة".

ارتجفتْ ورفعتْ وجهها نحوي.

"لقد مات! ألا تفهمين؟ مات!"

أمسكتُها من ذراعيها بقوة، كما تمسكين طفلك الرضيع لمنعه من السقوط على الأرض.

تحوَّلتْ أفكاري فجأةً إلى مسار آخر.

ليس لديك فكرة حول ما أنت قادر على فعله من أجل شخص آخر إلى أن تواجه تهديداً حقيقياً. كنتُ ما أزال لا أعرف ما أنا مستعدة للتضحية به من أجل أمينة.

قلت لها: "ستيلا في الحجز بتهمة القتل. كانت الشرطة هنا وفتَّشتْ منزلنا".

نشجتْ أمينة.

"آسفة! كله ذنبي أنا! هل يمكنكِ أن توصليني بالسيارة إلى مركز الشرطة لأخبرهم؟ يجب أن يطلقوا سراح ستيلا".

كانت محقة بالطبع. كان هذا ما يجب علينا فعله. هذا هو الصواب. ستخبر أمينة الشرطة بالحقيقة وسيُطلَق سراح ستيلا من السجن. وستتحقق العدالة في نهاية المطاف، بشكل ما. إذا كان هناك شيء اسمه عدالة. وفي كل الأحوال، كانت هناك ظروف مخفِّفة. على الأرجح ستُدان أمينة بالقتل، لكنها كانت يافعة ولهذا السبب سيُخفَّف حكمها. لم يكن مستبعَداً أن يُطلَق سراحها من السجن بعد بضع سنوات.

لكنها لن تصبح طبيبة أبداً. وستحمل تلك الإدانة معها إلى الأبد. لقد أصبح مستقبلها فجأةً مشوشاً.

قالت: "يجب علينا أن نخرج ستيلا. هل يمكنكِ المجيء معي؟ من فضلك، هل يمنك أن توصليني بسيارتك؟"

أرجعتُ كرسيّي إلى الخلف وأخذتُ مفاتيح السيارة من الطبق الفضي على جزيرة المطبخ.

هل كان هناك أي خيار آخر؟

قالت أمينة: "ستكشتف الشرطة أن واحدة منا فعلتها. سوف يكتشفون ذلك، صحيح؟"

توقفتُ في منتصف خطوتي.

بالتأكيد كان هناك خيار آخر. هناك دائماً خيار آخر.

دارتْ كلمات أمينة في رأسي مثل زوبعة. *ستكتشف الشرطة أن واحدة منا فعلتها*. ولكن، هذا ليس كافياً للإدانة.

نظرتُ إلى أمينة وأنا أفكر في ستيلا. كان قلبـــي يعتصر ألماً.

لا يمكن إدانة شخص ما بجريمة قتل إذا كان هناك مرتكبان محتملان وكان من المستحيل إثبات أي منهما ارتكب الجريمة، أو بدلاً من ذلك، إثبات أنهمـــا كانا متواطئيْن.

أعدتُ مفاتيح سيارتي إلى الطبق.

108

أمسكتُ بيد أمينة وأخذتُها نحو الأريكة وطلبتُ منها الجلـــوس. كانـــت مشاعرها ميكانيكية، وكان واضحاً أنه لم يسنح لها الوقت للتفكير فيما حدث. كان من واجبـــي أن أكون قوية وعقلانية، وأن أفكر كمحامية دفاع.

سألتني أمينة: "ألن نذهب؟"

جلستُ بجانبها ووضعتُ يديَّ على ركبتيها.

"يجب عليكِ أن تثقي بـــي".

"ولكن..."

كانت ركبتاها ترتجفان، وشفتها السفلى الجافة متدلّية إلى الأسفل مثل طيّة جلدية.

"كلاكما أنتِ وستيلا كنتما هناك عندما مات كريستوفر أولسن، صحيح؟"

"أجل".

"هنا في السويد، مسؤولية الإثبات كبيرة. إذا كان هناك مرتكبان محتملان في الموقع عند ارتكاب جريمة ما، فإنه يتوجب على المدّعي أن يكون قادراً علـــى إثبات أن واحداً منهما كان بدون أدنى شك هو القاتل، أو أنهما ارتكبا الجريمـــة معاً".

انتقلتْ الدقات القوية لنبض أمينة عبر راحة يدي وحوَّلتْ جسدي إلى كتلة نابضة واحدة.

"ما الذي تقولينه؟ هل يجب علي إخبار الشرطة بأنني وستيلا كنـــا كلانـــا هناك؟"

"أوه، لا أدري".

لعلي كنتُ أهذي وحسب. لقد انبثقت الفكرة من يأسي الشديد؛ كوَّنتها بدون التمعُّن فيها بعمق. هل كان بوسعي إنقاذ ستيلا وأمينة معاً؟ وهل كنـــتُ

مستعدة لتعريضهما لكل ما يمكن أن يتطلّبه ذلك؟

قلت لها: "من المحتمل ألا تنجح. إذا أخبرتِ الشرطة، فإنهم سيبذلون قصارى جهدهم لإدانتكما معاً. لكي تنجح هذه الخطة، يجب عليكِ الانتظار حتى المحاكمة".

"لماذا؟"

"يجب أن تأتي كمفاجأة للمدّعية. بشكل مفاجئ يظهر احتمال وجود مرتكب ثانٍ، ولا يمكن للمحكمة إنكار وجود شك معقول. وحالما تكون هناك تبرئة، فإنه يتوجّب على المدّعية تقديم قدر كبير من الأدلة الجديدة من أجل جلب إدانة جديدة. ولا يوجد مدَّعٍ يريد أن يخسر القضية نفسها مرتين".

حدَّقتْ أمينة فيَّ بفم مفتوح.

ثم قالت: "محاكمة؟ ألا يستغرق ذلك وقتاً طويلاً؟ هل سندع ستيلا..."

لا، بالتأكيد لا يمكن أن نفعل ذلك. لا يمكن أن نسمح لستيلا بالبقاء خلف القضبان.

قلت لها: "لا أدري".

"من الأفضل أن أعترف وحسب".

"لكن تعليمك يا أمينة. مستقبلك بأكمله..."

وفي الوقت نفسه، كنتُ أتصوّر ستيلا في زنزانة سجن حقيرة. أي نوع من الأمهات تلك التي تفكّر مجرد تفكير في السماح ببقاء ابنتها محتجزة؟ قد يستغرق الحكم بالإدانة أسابيع، وربما شهوراً.

قلت لها: "يجب أن نضمن أن ستيلا لا تقول شيئاً".

"ماذا تقصدين؟"

"لا يمكننا إخبارها. أنتِ تعرفين ستيلا. يجب أن تجعلها تحافظ على هدوئها. وفي الوقت نفسه، لا يمكننا أن نكشف الكثير".

"هل أنتِ مجنونة؟ سندع ستيلا تبقى في السجن دون أن تقول شيئاً؟"

"لا توجد طريقة أخرى، إذا كنتما كلاكما ستخرجان حرّتيْن. أعرف محامي ستيلا. سوف يساعدنا".

"لا، لا يمكننا فعل ذلك".

أمسكتُ يدها.

"نحن نحب ستيلا، وهي تعرف ذلك. وستعرف ذلك أكثر من أي وقـــت مضى عندما ينتهي هذا الأمر".

تنشج ستيلا.

"هذا كله بسببـــي".

تساءلتُ إن كان هذا صحيحاً حقاً، إن كان صحيحاً بالمطلق. هل هنـــاك نوع ما من الظروف يمكنك فيها القول بيقين إن شخصاً بعينه مســؤول عمـــا يحدث؟ كل شيءٍ في الحياة يعتمد على عوامل مختلفة كثيرة جداً تتفاعل بطـــرق مختلفة كثيرة جداً.

على من تقع المسؤولية في انقلاب عائلتنا بالطريقة التي انقلبت فيها؟

أحياناً أتمنى لو أن بمقدوري الإيمان بإله، قوةٌ عليا من نوع ما. لربما ستكون الحياة أبسط لو كان لديك شيء ما لتحمِّله الملامة. ولكن، في المقابل، حتى أشد الأصوليين إيماناً بعقيدهم لا يبدو أنهم ميّالون لتحميل آلهتهم ذوي القدرة الكلية مسؤولية البؤس الذي يصيبنا كلنا عاجلاً أم آجلاً. أن تولَد إنساناً يعني أن تحمل اللوم.

سألتها: "ماذا برأيك ستريدنا ستيلا أن نفعل؟ لندعها تقرر".

نظرتْ أمينة إلي بيأس. كنتُ أمسك بكلتي يديها حينئذ، مثل رابط؛ وعد.

لا توجد عدالة. كل هو موجود من العدالة هو ما نخلقه معاً.

قالت أمينة: "كانت ستيلا ستقنعنا بفعل ذلك".

ذهبتْ إلى المدخل لتجلب كيساً بلاستيكياً. عرفت فوراً ماذا كان يحوي.

109

تدفن أمينة وجهها في يديها ولا يبقى منها سوى كتفيْن مرتشعتيْن لطفلة صغيرة.

يسألها غوران ليون: "هل تودين أن نأخذ استراحة؟"

يومئ مايكل مؤيداً الاقتراح. كانا كلاهما، هو وليون، يبدوان متأثِّرين حقاً بالقصة التي أُجبرا على سماعها للتو.

بعد تعرُّض ستيلا للاغتصاب، تمكَّنّا أخيراً من الاقتراب من بعضنا، بطريقة كانت مستحيلة في السابق. أنا من كانت تأتي إليه في منتصف الليل عند شعورها بالثقة بأنها لن تستيقظ مجدداً إن غفتْ. أنا التي كنتُ أجلس على حافة سريرها وأمسح دموعها بأطراف أصابعي. ومع انفتاحها التدريجي عليّ، أدركتُ كمية الأشياء المشتركة بيننا -ما عليكِ إلا أن تحفري قليلاً تحت السطح. خوفنا المشترك من إظهار الضعف. القلق الدائم من أننا لسنا جيدتيْن بما يكفي. والأهم من ذلك، الخوف المعطِّل من كوننا عاجزتين عن الارتباط -إما بعواطفنا أو بأشخاص آخرين.

قالت ستيلا: "أحياناً أتمنى لو أنني أكثر شبهاً بأمينة. أنني أعرف من أكون وماذا أريد، مثلها. أكره أن يكون عقلي مثل ماكينة بينبول (*pinball*، *كرة ودبابيس*) لعينة".

قلت لها مع غصة في حنجرتي: "لا أريدك أن تكوني مثل أي شخص آخر. أنت رائعة كما أنت".

داعبتُ خدَّها لكنني لم أستطع حمل نفسي على النظر في عينيها. كان الخجل يقتلني، الخجل من أنني أنا أيضاً تمنيت سابقاً أن تكون ستيلا أكثر شبهاً بأمينة.

همس ستيلا وتشير إلى مايكل. تبدو منزعجة ومرتبكة. أتساءل إلى أي حد تفهم ما يجري.

تقول أمينة وهي تجعّد محرمة أخرى: "لست بحاجة لاستراحة".

يمسك آدم بذراعي.

"ماذا يجري؟"

دون أن أنظر إليه قلت: "ششش".

يقول غوران ليون: "إذن يمكن للمدّعية مواصلة أسئلتها".

جانسدوتر منهمكة في تصفح وثائقها. ومساعدها واقف فوقها يناقش ويشير بيده.

تقول المدّعية: "أنا لا أفهم يا أمينة. لماذا لم تخبري هذه القصة للشرطة؟"

"لم أستطع".

"لكنك تستطيعين الآن".

"أنا مضطرة. من أجل ستيلا".

"ماذا حدث بعد..." -تبتلع جانسدوتر الكلمة الأخيرة- "ماذا حدث بعد ذلك يا أمينة؟ هل عدتِ إلى لوند مع كريستوفر؟"

"بكيتُ طوال الطريق في السيارة. ولكن، لم يكن لدي خيار".

"لماذا لم يكن لديك خيار؟ كان بوسعك-"

قاطعتها أمينة قائلةً: "كنتُ خائفة جداً! أدركتُ أن كل شيء قالته ليندا لوكيند كان صحيحاً. كان كريس سايكوباتياً مريضاً. تصوَّرت أنني لو استطعت فقط العودة إلى مركز المدينة، فإنني كنت سأهرب حالما تسنح لي الفرصة. كنت أحمل بخاخ الفلفل في حقيبة يدي وفكّرتُ بأنني إن رششته عندما يوقف السيارة فسأتمكّن من الخروج بسرعة والهرب".

تميل جيني جانسدوتر إلى الأمام مستندةً على مرفقيها.

"لماذا كنتِ تحملين بخاخ الفلفل في حقيبتك؟"

"أنا أحمله دائماً. كفتاة، يجب أن تكوني مستعدة للدفاع عن نفسك".

لا تبدو جانسدوتر مقتنعة، لكنها تتغاضى عن ذلك. تضغط على قلمها وتدوِّن ملاحظة سريعة في أوراقها. ثم تطلب من أمينة أن تصف ما حدث عندما أوقف كريستوفر أولسن السيارة خارج المبنى الذي يسكن فيه.

"حالما أوقفَ المحرك رششته. حملت هاتفي ورميتُ نفسي على الباب لكنني لم أستطع فتحه. كان كريس يصرخ. *عيناي، عيناي*. أخيراً، وجدتُ زر القفل ثم ركضتُ بأقصى سرعتي. لم أخفْ إلى تلك الدرجة في حياتي كلها. كنتُ واثقة بأنه سيقتلني إن أمسك بي".

"في أي اتجاه ركضتِ؟"

"لا أعرف، كنت أحاول الهرب وحسب. أذكر أنني رأيتُ بوليم أمامي، المدرسة، ولكن عدا ذلك كان كل شيء ضبابياً".

"وماذا عن كريستوفر، ماذا فعل؟"

"عندما التفتُّ إلى الخلف لأول مرة، كان ما يزال في السيارة. لكنني بعد ذلك رأيت أنه خرج. عرفتُ بأنه سيلحق بي، لذا ركضتُ فقط إلى أبعد مسافة ممكنة".

تحاول جانسدوتر طرح سؤال آخر، لكن أمينة لا تفسح لها المجال.

"رأيتُ مجموعة من الأشخاص في ساحة ركن السيارات في صالة البولينغ. لذا أبطأتُ سرعتي ومشيت خلفهم مباشرة، طوال الطريق حتى المحطة. ظللتُ ألتفت إلى الوراء، لكنني لم أرَ كريس. بدا لي بأنه استسلم".

"هل اتصلتِ بالشرطة؟"

"بالطبع، كانت هذه فكرتي الأولى، لكنني بعد ذلك..." -تهز أمينة رأسها- بعد ذلك بدأتُ أفكر فيما يمكن أن يحدث".

تسألها جانسدوتر: "ماذا تقصدين؟"

تتنفّس أمينة بصعوبة. أرى ظهرها يتحرك بشكل طفيف.

"كان قد بقي أسبوع واحد على بدء دراستي في كلية الطب. إنني أحلم بذلك منذ أن كنتُ صغيرة".

"إذن أنتِ لم تخبري أحداً بأنك اغتُصبتِ؟"

"لم أجرؤ على ذلك. كنت أفكر في أبي. أعرف كم يبدو هذا غبياً، لكن ذلك كان سيحطّم أبي لو اكتشف ما حدث. كنت خائفةً مما يمكن أن يُقْدم عليه. إضافة إلى ذلك، لقد أبلغتْ ليندا لوكيند سابقاً عن كريس، ولم

يُفضِ ذلك إلى أي شيء. أشخاص مثله يفلتون بفعلتهم دائماً".

بالكاد أستطيع حملَ نفسي على الإصغاء أكثر من ذلك. أريد أن ينتهي كل هذا الآن. آدم يحملق فيّ من المقعد المجاور، وأنا خائفة من رد فعله عند سماع الحقيقة.

ترفع أمينة صوتها قليلاً.

"ستيلا اغتُصبتْ أيضاً".

أستغرق لحظة حتى أستوعب كلماتها. شهقتي عالية جداً لدرجة أن الصحفي أمامي يلتفت إلى الخلف.

ما الذي تفعلينه يا أمينة؟

"كانت في الخامسة عشرة فقط".

تضج القاعة بغمغمة الحاضرين. وأنا أرتخي في مقعدي. لا أريد سوى أن أغرق وأغرق.

تقول أمينة: "لم يبلغ والداها عن الأمر".

تلتفت جميع الأعين إلي وإلى آدم. أشعر بأنني أتحطّم إلى قطع.

"والدة ستيلا محامية. كان تعرف ما نوع المحاكمة التي ستجري. محاكمة اغتصاب".

رجاءً أمينة. توقفي!

أنكمش داخل نفسي محاولةً الاختفاء. وآدم يحدِّق في الفراغ. تبدو عيناه وكأنهما مصنوعتان من البورسلين.

تقول أمينة: "لم أكن قادرة على التعامل مع هذا النوع من المحاكمات أيضاً. أدركتُ ذلك على الفور. أن أُسأَل عن كل شيء، وأُحمَّل الملامة، ومن ثم أشاهد كريس يذهب حراً، أو في أحسن الأحوال يقضي بضعة شهور في السجن. رأيتُ كيف أحسَّتْ ستيلا عندما حصل ذلك معها، ورأيتُ كم كانت ليندا لوكيند محطّمة".

أعرف ما تريد أمينة الوصول إليه. إنها ذكية. إنها تضحِّي بسمعتي من أجل ستيلا. كانت تعرف بأنني لم أكن سأوافقها على ذلك، لذا لم تقل شيئاً. بينما

أنظر إلى غوران ليون والقضاة المساعدين المنزعجين، أدرك أن خطتها نجحت.

تسألها جانسدوتر: "متى أخبرتِ ستيلا؟"

ترفع أمينة كتفيها قليلاً.

"لم أفعل. لم أستطع".

أرى كيف تنظر ستيلا إليها. إنها تحاول استجماع غضب غُطِّي كلياً بالحزن.

"لم تقولي شيئاً لصديقتك الأثيرة".

تمرُّ وهلة قبل أن تتمكَّن أمينة من حمل نفسها على الإجابة.

"لقد خنتُ ستيلا. بالتأكيد، لم أكن أريد شيئاً أكثر من التحدث إليها، لكنني لم أستطع. كان هذا مستحيلاً. كنتُ سأضطر لإخبارها بأنني خنتُ ثقتها وذهبتُ من وراء ظهرها و لم يكن بمقدوري فعل ذلك".

"إذن أنتِ لم تتصلي أبداً مع ستيلا، في المساء والليلة التي قُتل فيها كريستوفر أولسن؟"

"كتبتْ ستيلا لي واتصلتْ عدة مرات، لكنني لم أرد عليها".

بينما تستشير جانسدوتر مساعدها، أتجرَّأ مرة أخرى على الجلوس منتصبة. من نظرة سريعة إلى آدم أخمِّن -من الطريقة التي ينظر بها إلي- بأنه وصل إلى فهم معين.

تقول المدّعية: "قالتْ ستيلا نفسها بأنها ذهبتْ بواسطة دراجتها إلى منزل كريستوفر أولسن في ذلك المساء. لقد قرعت الجرس وطرقت على الباب. هل رأيتِ ستيلا هناك، في منطقة سكن أولسن؟"

"لا".

"هل رأيتِ ستيلا في أية فترة خلال تلك الأمسية أو الليلة؟"

"لا".

تتنهَّد جانسدوتر. يشير المساعد إلى شيء ما في وثائقها.

"هل جلب كريستوفر أولسن سكيناً إلى نزهتكما؟"

تجيب أمينة بسرعة وبدون تردد.

"أجل، كان يوجد سكين في سلة النزهة".

تطلب جانسدوتر منها وصف السكين.

"كم كان طولها؟"

تبعد أمينة يديها مسافة عشرة سنتيمترات أو عشرين سنتيمتراً.

"أين انتهى المطاف بهذه السكين بعد ذلك؟ في طريق عودتكما إلى المدينة؟"

"لابد أنها بقيت في السلة".

"لكنها لم تبقَ فيها. لم تجد الشرطة أي سكين مثلها".

تتردَّد أمينة لوهلة. يبدو التشوُّق على أوجه القضاة المساعدين الثلاثة جميعاً.

"لا أعرف ماذا حلَّ بالسكين".

أجد نفسي أهز برأسي مؤيدةً، بدون قصد.

كانت ستيلا وأمينة كلتاهما هناك عندما مات كريستوفر أولسن، وكلتاهما تملكان دافعاً. لكن سلاح الجريمة غير موجود.

لن يجدوا السكين أبداً.

تسألها جانسدوتر: "هل أنتِ التي قتلتِ كريستوفر أولسن؟"

يُصدر آدم صوت استغراب. تنظر أمينة بشكل مباشر إلى المدّعية.

وتقول: "أنا لم أقتله. لقد رششته ببخاخ الفلفل وهربت للنجاة بحياتي. لا أعلم ماذا حدث بعد ذلك".

تنظر جانسدوتر إلى مساعدها. وينظر آدم إلي فأمسك بيده.

تقول أمينة: "لا أقدر على قتل أي إنسان".

110

بالكاد أسمع ما يُقال خلال المرافعات الختامية. تتحول الأصوات إلى أصداء خاوية نائية. لغات أجنبية لا أفهمها.

في إحدى اللحظات أكون مقتنعة بأن كل شيء سيكون على أحسن ما يُرام، وفي اللحظة التالية أخشى أنني ارتكبتُ خطأً فظيعاً. ستُسجَن ستيلا، وتُوصَم كقاتلة إلى الأبد. وسيُحكَم على أمينة بواسطة محكمة الرأي العام، وستنتهي مهنتها كطبيبة حتى قبل أن تبدأ.

تعاني المدّعية جانسدوتر من صعوبة في الحفاظ على ثبات صوتها. وتفقد تسلسل أفكارها عدة مرات وتنظر إلى ملاحظاتها أو تناقش شيئاً ما مع مساعدها. لكنها على أي حال تدّعي أنها أثبتت أن ستيلا كانت موجودة عندما سُلبت حياة كريستوفر أولسن منه. وتعتبر أيضاً أنه من الواضح أن ستيلا كانت تملك دافعاً لقتل أولسن. كانت ستيلا تشعر بالغيرة وتسعى للانتقام لأن أولسن أقام علاقة مع أمينة. وبحسب المدّعية، كان لدى لستيلا الكثير من الوقت للتفكير في خطة. ذهبتْ إلى شقة أولسن بنيَّة قتله. وعلى هذا الأساس تؤكد جانسدوتر على وجوب إدانتها بالقتل. وتقول إن الكثير من الشكوك تحيط بالمعلومات التي قدّمها آدم وأمينة، وإن هناك أسباباً وجيهة للشك في قصة أمينة حول الاغتصاب برمّتها، وخصوصاً لأنها لم تخبر أحداً بشأن هذه الحادثة مسبقاً، خلال الاستجواب. وعلى هذا الأساس، ينبغي على المحكمة أن تجد أن ستيلا مذنبة بارتكاب الجريمة، وتطالب بالحكم عليها بالسجن لأربعة عشر عاماً.

ذهني يفتل بسرعة. بعد أربعة عشر عاماً ستكون ستيلا في الثالثة والثلاثين من عمرها. أفكّر في كل الأشياء التي ستفوتها خلال هذه المدة. يمكن للمرء اختبار الكثير من هذا العالم خلال أربعة عشر عاماً! عندما بلغتُ الثالثة والثلاثين، كنت أخطو خطوات سريعة في الحياة. قد لا تسنح لستيلا الفرصة لأن تصبح

أماً، وتكوِّن عائلة، أو يكون لها مهنة.

أربعة عشر عاماً زمن طويل. أربعة عشر عاماً في السجن مدة طويلة إلى حد فظيع. دهر لعين بأكمله.

أنظر إلى ستيلا وأُدهَش كم تبدو صغيرة. إنها ما تزال في الثانية عشرة من العمر بعينيها الزرقاوين المليئتين بالشوق، نفس الفتاة التي كانت توقظها أحلامها عندما كانت في السابعة من العمر فتتسلَّل إلى غرفتنا لتنام بين ماما وبابا. لعلي سأراها على هذا النحو دائماً. في عينيّ، ستبقى طفلة. طفلتي.

شعوري بالذنب ينخر في جسدي أعمق فأعمق. ما الذي فعلتُه؟ لماذا لم أضع أمينة في السيارة وأوصلها إلى مركز الشرطة؟

في عدة مناسبات، أحسستُ بأن هذه هي طريقتي لرد ديوني المتمثلة في إهمال عائلتي، ولكن ماذا لو أنني ضحَّيتُ بابنتي من أجل إنقاذ أمينة؟ لا أعلم إن كنتُ سأقدر على العيش مع ذلك.

يعدِّل مايكل عقدة ربطة عنقه قبل البدء بمرافعته الختامية. يتحدث بسرعة وفي صلب الموضوع بينما يقوم بدحض أدلة المدّعية نقطة نقطة إلى أن لم يبقَ منها شيء.

"الشيء الوحيد الذي نجحت المدّعية في إثباته هو أن موكّلتي كانت في جوار منزل كريستوفر أولسن في الليلة التي هوجم فيها. لكننا خلال محاكمة اليوم، سمعنا أن أمينة بيسيتش كانت موجودة هناك أيضاً، في تلك النقطة من الزمن".

ينظر إلى القاضي الرئيس ويواصل حديثه بنبرة واثقة، وكأنه لا يخاطب أحداً سوى القاضي شخصياً، كأنه الشخص الوحيد الموجود في القاعة.

"كانت أمينة بيسيتش وستيلا ساندل كلتاهما موجودتين هناك، حينئذ، عندما مات كريستوفر أولسن. علاوة على ذلك، يبدو أن كلتيهما كانتا تملكان دافعاً للرغبة في إيذاء أولسن. ولكن، بالطبع، هذا لا يثبت شيئاً. لم يثبت أبداً، بما لا يرقى إليه شك معقول، أن موكّلتي كانت هي الشخص الذي حمل السكين التي تسببتْ بموت كريستوفر أولسن".

وبعد ذلك ينتهي الأمر. كل ما يحدث بعد ذلك خارج عن سيطرتي.

يرمق غوران ليون القضاة المساعدة بنظرة خاطفة ثم يلتفت إلى الشرفة لإعلان انتهاء الإجراءات القضائية.

"ستتداول المحكمة في الحكم الآن، وسيُتلى القرار بعد المداولة".

أغرق في كرسيِّي مجدداً. أشعر بأنني معلّقة من جرف شاهق، في فجوة في الزمان والمكان، وقدماي ترفسان بيأس.

تُقاد ستيلا إلى الخارج عبر باب القبو مع مايكل، تجنُّبا لمواجهة حشد الصحفيين والمصوّرين الذين تجمَّعوا في ممرات المحكمة.

يتدافع الموجودون في الشرفة متلهفين للخروج. وفي غضون ذلك، أجمع أغراضي. حقيبتي ومعطفي وشالي.

يطلب مني آدم الإسراع. لا أعلم لماذا هو مستعجلٍ إلى هذه الدرجة.

عندما أقف، أشعر كأن دمي كله ما يزال متجمِّعاً في قدميَّ. لا أشعر بجسدي ورأسي وذراعيّ. أفقد توازني وأجلس ثانيةً على الكرسي.

أجلس واضعةً يدي على قلبي وأركّز على التنفس.

يأخذ آدم يدي ويساعدني على الوقوف على قدميّ ثانيةً. ويقودني بلطف إلى خارج القاعة. ساقاي ثقيلتان، والهواء كثيف. نمشي عبر الممر متجاوزين كل الوجوه والأصوات الفضولية.

أقوله له وأنا أشير إلى ماكينة البيع في الزاوية: "أنا بحاجة لشيء بارد للشرب".

أفتِّش في حقيبتي عن بعض الفكّة. يدي ترتعش. أفتش وأفتش. أُخرج علبة علكة وبعض ربطات الشعر وأرميها على الأرض. أواصل تحريك يدي إلى أن يدور كل ما في حقيبتي مثل خلاط إسمنت.

يقول آدم وهو يمسك بذراعي: "هدِّئي من روعك!"

تسقط حقيبتي على الأرض وأقف مرتعشةً أمام ماكينة البيع اللامعة. يعطيني آدم قطعتي نقود من فئة العشرة كرونة ويلتقط حقيبتي من الأرض.

"ماذا حدث للتو في الداخل حبيبتي؟"

أعرف أنني مضطرة لشرح كل الامر لآدم، وبسرعة. لكنني لا أعـــرف إن كنت قادرة على فعل ذلك.

أقول له وأنا أرتشف من الماء: "سوف تتداول المحكمة في الحكم".

"كم سيدوم ذلك؟"

أنظر إليه. قلبـــي جرح نابض كبير. ماذا فعلتُ بعائلتي؟

أقول له: "لا أدري. قد يستغرق ذلك أي وقت من خمس دقائق إلى عـــدة ساعات".

يتلفَّتُ آدم حوله بحيرة.

"أنا لا أفهم. هل كانت أمينة هي التي..."

أضع إصبعاً على شفتيه.

أمسك بيده وأقول: "أحبك".

تخرج من قلبـــي مباشرة.

آدم وستيلا هما كل شيء بالنسبة لي. وأعرف أنني وستيلا كـــل شـــيء بالنسبة له.

"وأنا أحبكِ أيضاً".

أمسك بيده. لا، أشدُّها، أعانقها، أتشبَّث بها.

يجب أن أخبره.

111

خشيت لفترة طويلة من إمكانية أن يكشف آدم الأمر برمَّته. لو كان يعلم بما يجري، لما سمح لي تنفيذ خطتي أبداً. وكان من المستبعَد بما يكفي أن يُقْدم على إخفاء البلوزة المدماة ومن ثم الكذب على الشرطة بخصوص توقيت عودة ستيلا إلى المنزل. لم أستطع السماح له باكتشاف المزيد من التفاصيل.

كان قد بدأ يشتبه في أمينة في يوم السبت ذاك نفسه. وبعد غدائنا في منزل والديها، أشار إلى أن أمينة كانت تكذب بخصوص قضاء ليلة الجمعة مع ستيلا. كنتُ مرغَمة على وضع عدة ستائر للتعمية.

حين رجعنا إلى البيت من مركز الشرطة في وقت متأخر من مساء السبت، بقيتُ في الشارع قليلاً للتحدُّث مع مايكل، الذي أوصلنا بسيارته. كان يعتقد بأنه سيُفرَج عن ستيلا في وقت عاجل، لكنني قرأتُ الرسائل في هاتفها وكنت أخشى بأن الوضع أشد تعقيداً مما كنا نعلم. وبينما كنا ننتظر المزيد من المعلومات، حاولتُ التلميح لآدم بأن ستيلا كانت بحاجة لحجة غياب. لم يكن بمقدوري قول الكثير -كان يجب ألا يشك تحت أي ظرف في أنني كنت أعلم أكثر مما أفصح عنه- لكنني ألمحتُ إلى أنه الشخص الوحيد الذي يمكن أن يبرِّئ ستيلا بالادعاء بأنها عادت إلى المنزل في وقت أبكر من عودتها الفعلية. بالطبع، كان باستطاعتي شخصياً الكذب على الشرطة لإعطاء حجة غياب لستيلا، لكن الإفادة ستكون أشد ثقلاً بما لا يُقاس إن خرجت من آدم. من سيجرؤ على الشك في نزاهة قس أمضى حياته كلها في الدعوة للحقيقة؟

لم أستطع مطلقاً النوم في ليلة السبت تلك. كانت الأفكار تدور في ذهني مثل خيول تعدو بأقصى سرعتها. وبعد بضع ساعات، وجدتُ أن آدم كان يرتخي أكثر فأكثر على كرسيّه. رمش عدة مرات بينما كان رأسه يتدلى نحو

كتفه، فجلستُ بجمود تام دون أن أُصدر أي صوت إلى بدأتُ أسمع شخيراً عميقاً صادراً من حنجرته.

بعد ذلك، صعدتُ بسرعة على رؤوس أصابعي إلى مكتبي واتصلت بأمينة. كانت منفعلة جداً ومشوشة الأفكار. قررنا الالتقاء حالما تسنح لنا الفرصة، ولكن كان يجب عليها الاتصال بآدم في تلك الليلة نفسها والاعتراف بأنها كذبت. كان من الضروري ألا تواصل الادعاء بأنها كانت مع ستيلا في ليلة الجمعة.

ولكن، لم يكن من السهل تهدئة شكوك آدم. لطالما اتّسم بالبراعة في كشف الكذب، وكان بوسعه معرفة أن أمينة كانت تخفي شيئاً ما. في الحقيقة، كان هناك شخصان فقط يعرفان كيف يكذبان على آدم؛ أولهما ستيلا، والثاني أنا.

في يوم الخميس بعد الجريمة، اتصلتْ أمينة بي مجدداً. حتى ذلك الحين بدا بأن كل شيء كان يسير وفق مشتهانا، لكنها أُصيبتْ بالذعر فجأةً وبدأت تلهث على الهاتف. كان آدم ينتظرها خارج الصالة الرياضية، محاولاً استحصال مزيد من المعلومات منها. كانت متأكدة بأنه يعرف. بطريقة ما، اكتشف آدم أن ستيلا وأمينة متورطتان في مقتل كريستوفر أولسن.

لم أكن أنوي أبداً أن أكشف لآدم بأنني كنت صاحية أيضاً عندما وصلت ستيلا إلى المنزل في ليلة الجمعة، ولكن حين أصبح سلوكه متطرّفاً على نحو متزايد أدركتُ بأنه ينبغي فعل شيء ما. في تلك الفترة أيضاً خطرتْ لي فكرة الانتقال إلى ستوكهولم.

أحب آدم. صحيح أن علاقتنا تعرَّضتْ للاهتزاز في بعض الأوقات -إذا أردتُ استخدام مصطلح تلطيفي، مع أنها في الواقع انهارت واحترقت- لكنهم يقولون إن الزهريّات المكسورة تدوم أطول. أي شخصين يختبران كل ما اختبرناه معاً، ويصمدان معاً في محنة كمحنتنا، ينتميان لبعضهما بطريقة يصعب على الآخرين فهمها.

في ستوكهولم كنا سنتمكّن من بناء شيء ما من الأساس. وفي الوقت نفسه، كان التحقيق الأولي سيأخذ وقتاً طويلاً، وكنت مضطرة لإخراج آدم من

لوند قبل حدوث كارثة. رغم أنني أُرغمتُ في النهاية على الاعتراف له بأنني أنا من أخفى هاتف ستيلا، ورغم أنه أدرك حتماً بأنني أنا التي اهتميتُ بالبلوزة المبقعة، إلى أنني نجحتُ في حمل آدم على مواصلة كذبته ومنح ستيلا حجة غياب.

في اللحظة التي اكتشفتُ فيها أن ستيلا تركت هاتفها في المنزل، أدركتُ بأن خطباً ما وقع. لا تنسى ستيلا هاتفها أبداً. ومع كل دقيقة تمر، كان قلقي يتنامى. وفي النهاية لم أرَ أية طريقة أخرى غير قراءة رسائلها.

قرأتُ رسالة ستيلا الأخيرة إلى أمينة بفزع. لوهلة عابرة فكّرتُ في أن أريها لآدم، لكنني سرعان ما أدركتُ بأن ذلك سيكون كارثياً.

كنتُ جالسة على الأريكة وعينيَّ مثبتتيْن على هاتف ستيلا حين اتصل مايكل.

"أنا آسف يا أولريكا، لكن الشرطة تحتجز ستيلا".

كنتُ مصدومة لسماع صوته بعد كل تلك السنين.

"لقد طلبتْ أن أكون محاميها العام".

"ماذا؟"

كنتُ محتارة. ستيلا طلبتْ أن يكون مايكل محاميها؟

سألته عندما أوصلنا أنا وآدم إلى المنزل في وقت لاحق من ذلك المساء: "هل تعرف من تكون؟"

"بالتأكيد".

كان هذا التصرُّف مألوفاً بالنسبة لستيلا. كانت تعلم بأن علاقتي مع مايكل تجاوزت الحدود المهنية -لقد سمعتنا نتحدث على الهاتف ولهذا السبب طلبَتْه ليكون محاميها.

هل كانت تعلم بأنه سيخرق مبدأ السرّية ويشركني؟

كان قراراً مخيفاً أن أترك ستيلا بعيدةً عن كل ما كان يجري، مهجورةً في زنزانة احتجاز. وقد آلمني ذلك بشدة لدرجة أنني طلبتُ من مايكل أخيراً ترتيب زيارة كي أشرح لها، غير أنها رفضت و لم أجرؤ على أن أعهد لمايكل مهمة

إفهامها. لم يكن هناك مخرج آخر. إذا كنتُ سأنجح في إنقاذ أمينة وستيلا معاً، كان يجب أن تتحوَّلأ القضية إلى المحاكمة. كانت المخاطر عالية على نحو مريع. كنت أجازف بابنتي، وعائلتي.

في عصر يوم الأحد، بعد انتهاء الشرطة من تفتيش منزلنا، جاءت أمينة إلي. كان آدم يُستجوَب من قبل الشرطة، وعندما اتصل اشتريتُ الوقت بالادعاء بأن التقنيين كانوا ما يزالون في المنزل.

عندما اتخذنا قرارنا، أخرجتْ أمينة كيساً بلاستيكياً أخفته تحت جاكيتتها. قالتْ لي إنها وجدت الكيس في حاوية قمامة في حديقة لعب الأطفال، وعرفتُ على الفور ماذا كان يوجد في داخله.

ركبنا السيارة وذهبنا مباشرة إلى مقلع الحجارة في دالبي، حيث توقفتُ وأطفأت المحرك فوق طريق صغير مفروش بالحصى.

نظرتُ حولي بقلق قبل أن أفرغ محتويات الكيس على الأرض. كانت أمينة واقفة بجانبي تنشج بينما كنت أدوس على هاتف كريستوفر أولسن وأحطمه إلى قطع.

قلت لها: "هاتفك أيضاً".

نظرتْ إلي بعينين متّسعتين ثم أعطتني هاتفها فأخرجتُ شريحة الهاتف بأصابع مرتعشة قبل أن أحطمه أيضاً. كان الألم يعتصرني ولكن لم يكن هناك وقت للتردد. أخيراً عرفت ما هو المهم حقاً، وكانت تلك فرصتي لأثبت ذلك.

وقفتُ على الجرف أعلى المقلع، على الحافة تماماً، حيث ينحدر الجدار الصخري بشدة نحو المياه المظلمة الساكنة تماماً بحيث أنها بدت مثل ثقب أسود عميق. ارتديتُ قفازاً ثم رميتُ السكين التي قتلت كريستوفر أولسن من فوق المنحدر. طارت بشكل منحنٍ في الهواء قبل أن تشق حافة نصلها المياه الصامتة فانفتحت البحيرة العميقة وابتعلتها.

112

يتراجع آدم خطوة إلى الوراء ويكاد يصطدم بماكينة البيع.

"هل تدركين ما الذي فعلتِه؟"

الألم هائل. في هذه اللحظة أشعر بالندم على كل شيء. إنني لا أجازف بفقدان ابنتي فحسب، بل وآدم أيضاً.

"فعلتُ ذلك من أجلكما. من أجل عائلتي".

"وأمينة؟"

أهز برأسي مؤكدةً.

"لكنني لا أفهم. رأيتُ بأم عيني أن ليندا لوكيند كانت تملك نفس حذاء ستيلا. وهي تبعتها في تلك الليلة".

أشرب الجرعة الأخيرة من الماء، وأغضِّن القنينة البلاستيكية ثم أرميها في سلة قمامة.

ثم أقول: "ليندا لوكيند لم تقتل كريستوفر أولسن. كل ما قالته ليندا حين كانت تحاول تحذير ستيلا كي تبعد عنه كان على الأرجح صحيحاً. لقد عرَّضها أولسن لإساءات شنيعة".

أحرص على التشديد على الجزء الأخير. هل أفعل ذلك لأقنع آدم بأنه فعل الصواب؟ أم، على الأغلب، لأقنع نفسي؟

ما تزال علائم الحيرة بادية على وجه آدم.

"ولكن، ماذا بشأن أولئك الأشخاص البولنديين؟"

أقول مع رفع كتفي: "أولئك الأشخاص من مطعم البيتزا؟ إنهم بالتأكيد لصوص ومحتالون تافهون، ولكن لا علاقة لهم بمقتل أولسن. كانوا يريدون فقط الحفاظ على مطعمهم في مبناه؟"

يهز آدم رأسه.

ثم يقول: "هذا جنوني. لماذا لم تقل أمينة أي شيء؟ كيف استطاعت تـــرك ستيلا تتحمَّل هذا الأمر؟"

أفتح فمي لكن صوتي يختفي. لن يغفر لي آدم أبداً. لن يفهم أبداً.

"وأنتِ؟ أنتِ أيضاً؟"

يبدو هذا مثل تصريح. لا أشعر بأي اتهام في نبرة صوته.

أقول: "ما الذي لا يفعله المرء من أجل طفله؟"

ينظر آدم في عينيّ، فأقول في داخلي: *ربما. قد يتمكّن من الفهم رغم كـــل شيء.*

أقول بصوت هامس: "أحبك".

أخيراً أعلم أنه صحيح. هذا ما أفعله. أنا أحب آدم، وأحب ستيلا. أحب عائلتي.

عندئذ تخشخش مكبرات الصوت ونُستدعى للعودة إلى قاعة المحاكمة 2.

نمسك أنا وآدم بيد بعضنا. مقاعد الشرفة شبه فارغة الآن. يبدو أن الكـــثير من الصحفيين افترضوا أن المداولات ستطول فغادروا المحكمة. ولابد أن آخرين توقعوا أخباراً غير مفاجئة، معتقدين أن ستيلا ستضطر للبقاء في الحجز بانتظـــار الحكم في موعد لاحق.

إنها نحيلة جداً. وشعرها يتدلّى على شكل خصل متشابكة ونظرتها فاترة وفارغة. ومثل جميع الآخرين، عيناها مثبّتتان على القاضي الـــرئيس غـــوران ليون.

يقول وهو ينظر إلى القضاة المساعدين: "لقد تشاورت المحكمـــة. ونحـــن مستعدون لتقديم الحكم".

يتوقف قلبـــي. توصَّلوا إلى حكم بهذه البسرعة؟ رغم أنه لم يمـــرّ ســـوى عشرين دقيقة فقط؟

يشدُّ آدم على يدي والحيرة بادية على وجهه.

ويقول: "قرروا بهذه السرعة؟"

أهزُّ برأسي وأميل إلى الأمام.

لا يوجد شيء في عالمي الآن سوى صوت غوران ليون. لا أسمع أي شيء يُقال، لكن الكلمات الجوهرية تجد طريقها عبر الهدير وتصلني مثل ضربة على الوجه.

لا أقدر على الحراك. يبدو كأن دماغي يسجِّل المعلومة لكنه لا يريد قبولها.

وبعد لحظة ألتفتُ إلى آدم. إنه يحدِّق في الأرض.

هذا ليس صحيحاً. لا يمكنني تصديق أنه صحيح.

"تُسقَط التهم عن ستيلا ساندل، وبذلك ترفع المحكمة شرط الاحتجاز".

تضج القاعة بالهمهمات. ذهني مشوش. هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟

يسألني آدم: "ما الذي يجري؟"

"أُسقطت التهم". لا أستوعب ما تعنيه هذا العبارة إلا حين قلتها بصوت عالٍ. "ستيلا حرة!"

في هذه الأثناء يقف مايكل لمعانقة ستيلا. ويبدأ الناس في القاعة بالتحرُّك. أصبح الجميع فجأة في عجلة من أمرهم. ينفخ حارس ضخم صدره ويراقب بانتباه شديد. الآن فقط يستطيع كل جزء من عقلي قبول ما يحدث على أنه حقيقي.

أصرخ وأنا أشق طريقي بين الكراسي متجاوزةً نظرة الحارس الحادة وابتسامة مايكل الباكية: "ستيلا!"

وكأنني أعبر جسراً فوق كل ما حدث، أو نفقاً أرى في نهايته ضوءاً ساطعاً متدفقاً. أرمي نفسي بين ذراعي ستيلا.

من خلفي أسمع صوت آدم المندهش.

"هل هذا حقيقي؟ ماذا حصل؟"

يقول مايكل بنبرة افتخار توحي للسامع أن الفضل يعود إليه بشكل رئيسي: "انكسرتْ سلسلة الأدلة. بعد شهادتك وشهادة أمينة، أصبح هناك الكثير من الشك. لقد أُجبروا على إطلاق سراح ستيلا".

يحدِّق آدم في مايكل.

ثم يقول: "أعتذر بخصوص الشك في أساليبك، لكنني لم أكن أعلم ماذا يجري. فهمتُ الآن ماذا فعلتَ لعائلتي".

تبدو الغبطة غامرة على وجه مايكل. يومئ لآدم دلالةً على الامتنان ثم يلقي نظرة خاطفة إلي فألمح ابتسامة صغيرة. يبدو حقاً أنه مستمتع بهذا. ألهذا السبب فعل ما فعل؟

أقول لستيلا وأنا أزيح خصلة شعر عن خدّها الشاحب: "أنا آسفة حبيبتي".

"على ماذا؟"

"على هذا الأمر. على كل شيء".

تنظر إلي لوقت طويل.

ابنتي الصغيرة. ألتصق بجسدها المرتعش مثل لصاقة طبية. وألفّها بذارعيّ. لا أريد أن أتركها أبداً مرة ثانية. قلبها يدق على صدري ويهدأ الشوق في عينيها. لقد وجدت السكينة.

تقول بصوت هامس: "ماما".

لا يهم إن كان عمرها تسعة عشر عاماً أو أربعة أسابيع. ستبقى دوماً طفلتي.

سأفعل أي شيء من أجلها.

"أحبك ماما".

أحاول الرد، لكن الكلمات تعلق في حنجرتي، ككتلة من المشاعر. سنوات من التوق المكبوت شكّل سدّاً في حنجرتي. وعند تصدّعه أشعر وكأن جسدي بأكمله يتحوَّل إلى حالة سائلة.

الزمان ليس موجوداً، والمكان فقَدَ معناه. نحن نطير معاً في الأبدية، طفلتي الصغيرة وأنا. تميل نحوي على مهل وتهمس في أذني.

"لا شك أنني اخترتُ محامياً جيداً، أليس كذلك؟"

يتصلَّب جسدي. بينما ترجع ستيلا إلى الخلف أستطيع رؤية نفسي في عينيها. تلتفتُ إلى أبيها.

يبدو آدم منهاراً. كأن شيئاً جوهرياً انكسر.

لقد خذلتُه مرات كثيرة. إذا اكتشف آدم ما كان بيني وبين مايكل... فلن أستطيع إصلاح الأمر أبداً.

يبتسم مايكل لي ثانيةً. ألتفتُ نحو ستيلا.

تقول بهمس لأبيها: "شكراً".

يبكي آدم مثل طفل. يترك كل مشاعره تخرج بدون أي قيود.

تمدُّ ستيلا يداً لتلمسه. يراقب آدم يدها تتحرك، ويرى الأصابع المرتعشة تمتدُّ نحوه وتلمس جلده فتقف الشعيرات على ذراعه.

تسأله ستيلا: "هل تشعر بالراحة في قلبك الآن؟"

خاتمة

بعد أن قرعتُ جرس شقة كريس وألصقتُ أذني بالباب، نزلتُ مسرعةً على السلّم. ركبتُ دراجتي وتجوّلتُ بدون هدف في الحي بينما كنتُ أحاول فهم ما حدث. هل كانت ليندا لوكيند تتبعني حقاً، أم أنني كنت أتوهّم فقط؟ هل كنتُ أفقد عقلي؟

لطالما كنتُ مختلفة، ولم أرَ نفسي يوماً منعكسة في أشخاص آخرين. ماذا لو أنني كنت دائماً أتجّه نحو هذا المصير -ذهان (*psychosis*) ينتظر نضجه؟

بعد بضع جولات عشوائية، ركنتُ دراجتي خارج مدرسة بوليم وجلستُ على مقعد. كانت ساقيَّ ترتعشان وكان بوسعي الشعور بنبضي يدق بقوة في صدغيّ. لم يكن بمقدوري الذهاب إلى المنزل وترك أمينة.

للمرة المليون أقرأ رسالتها.

كل شيء تمام [ok]. نائمة. أراكِ غداً. <3.

كان بوسعي القبول برمز القلب في النهاية. لكن الـ *ok*؟ وعلامات الترقيم؟ لا، مستحيل. ألقيتُ نظرة على سلسلة الرسائل التي تبادلناها -يكاد يبلغ طولها ميلاً- وتأكدتُ بما يكفي بأن أمينة لم تنهِ أبداً رسالة واحدة بنقطة. إنها لم تكتب تلك الرسالة.

لابد أنه كريس. لم يكن يردُّ على اتصالاتي أو رسائلي. هل كانت ليندا لوكيند تقول الحقيقة في نهاية الأمر؟ ماذا لو أن كريس يحتجز أمينة؟ أو ربما أسوأ من ذلك...

بصبر نافذ، قطعتُ الشارع جيئةً وذهاباً. كنت أدخل إلى باحة المدرسة وبعد ذلك أتوجّه إلى الدوّار ومن ثم أعود من جديد. مشيتُ بجانب سياج الشجيرات باتجاه المبنى الذي كان يقطن فيه كريس. حدَّقت في نافذته لكنني

لمحت ظل شخص في نافذة الشقة المجاورة فعدتُ مسرعةً باتجاه المدرسة. ولكن، حالما كنت أقف، أو أجلس، أو أستند إلى شجرة، كان الشعور الواخز يعود مجدداً، مثل حشرة صغيرة تمشي على جلدي، فتتقلص عضلاتي وترغمي على العودة مرة أخرى.

عندما انكسر الصمت، كنتُ في منتصف مساري بين باحة المدرسة وحديقة ألعاب الأطفال، على بعد خمسين متراً من مبنى كريس. بصورة مفاجئة، ضجَّ الليل بطقطقة خطوات غير منتظمة، مثل صرخات مكتومة على الأسفلت.

كانت تركض في منتصف الشارع. وكان قميصها مُنتزَعاً ومتدلّياً على أحد كتفيها وشعرها فوضوياً بطريقة مريعة وفي عينيها نظرة محارب. عندما تكون في ملعب كرة اليد، غالباً ما يشبِّهها الناس بكلب البيتبول.

صرختُ: "أمينة!"

كانت تلهث بشدة. نظرتْ من فوق كتفها ورسم فمُها شكل صرخة بلا صوت.

في تلك اللحظة، ظهر كريس وهو يركض حول الزاوية. كان يضع إحدى يديه على وجهه، ويؤرجح الأخرى بشكل سريع على جنبه مثل عدّاء مسافات قصيرة.

كان يلاحقها.

صرختْ أمينة: "اركضي!"

بيد أن قدماي كانتا ملتصقتيْن بالأسفلت. وصلتْ أمينة إلي بسرعة.

صرختْ مجدداً: "اركضي!"

حاولتُ إيجاد طريق للهرب بينما كان كريس يقترب أكثر فأكثر.

وحالما استدرتُ لأركض رأيتُ السكين. حركة صغيرة من يدها جعلت النصل يلمع في وهج أضواء الشارع.

كانت قدما كريس تخبطان على الأسفلت خبطاً.

صرختُ وأنا أجرُّ أمينة معي: "هيا!"

انعطفنا حول سياج الشجيرات ودخلنا إلى عتمة حديقة ألعاب الأطفال.

انجرش الحصى تحت أقدامنا. كانت أمينة ترتجف وتلهث بشدة. شممتُ رائحة العرق والأدرينالين وشيء آخر، شيء قوي. فلفل؟

"ماذا يجري؟"

لم تردّ. بدتْ نظرتها مغطاة بضباب سميك. هززتُها محاولةً التواصل معها، لكن ذهنها كان شارداً كلياً.

أمسكتها من معصمها وأرغمتها على النظر إلي.

"ماذا فعل بك؟"

انفتح فمها وارتعشتْ شفتاها مثل سمكة.

ثم قالت بتلعثم: "أنا آسفة. لقد خرقتُ اتفاقنا".

"ما الذي فعله بك، أمينة؟"

"لقد... لقد..."

كانت الخطوات تقترب أكثر فأكثر. خلال بضع ثوانٍ سنكون وجهاً لوجه أمام كريس.

"لقد اغتصبني".

"اغتصبكِ؟"

وبعد لحظة واحدة انعطف كريس حول الزاوية. كان يبعد عنا بضعة أمتار فقط. توقفَ مع انزلاقة ووقف هناك واضعاً يده على عينه.

تراجعتُ إلى الخلف خطوتين سريعتين. كنت قد تركتُ أمينة لكنني افترضت أنها ستلحقني.

توتَّر جسدي وانشدَّ جلدي إلى أقصى حد مما، إلى حد التشقق. كان من المفترَض أن أكون خائفة، أن أكون مذعورة، بيد أن كل خلية من جسدي كانت تغلي غضباً. كرهتُه. كرهتُ كريس أولسن لدرجة أنني كنت على وشك الانفجار.

استرجعتُ مرغمةً اغتصابي الشخصي؛ الضغط على حنجرتي، والثقل على جسدي، والألم الحارق عندما أدخل عضوه عنوةً. الطريقة التي سلب فيها كرامتي.

كيف بحق الجحيم سمحتُ بحدوث الشيء نفسه لأمينة؟ يا ليتني أصغيتُ إلى ليندا.

كان كريس أولسن ينخر بين لهاثه. ارتسم على وجهه تعبير فظيع ومسح عينيه بظهر يده. نظرتُ إلى أمينة وأدركتُ بأنها لم تتراجع أبداً، بل خطتْ خطوة كبيرة نحو كريس. كانت السكين ترتعش مهددةً في اليد المرتجفة التي رفعتها نحوه.

بالكاد فتحت أسنانها حين قالتْ بحقد: "أشخاص مثلك لا يستحقون العيش".

قال كريس: هذا يكفي".

لم يُبدِ صوته أي ندم أو خوف.

مكتبة
t.me/t_pdf

"توقفي، أمينة".

كان صوتي أنا هذه المرة.

لا أعلم إن كانت سمعتني، لأنها كانت في عالم آخر؛ عالم لا يوجد فيه سواهما. هي والمغتصِب. والسكين المرتعشة في يدها.

قالت: "أخرج من هنا!"

حدَّق كريس فيها بصمت.

فصرخت ثانيةً: "أخرج من هنا!"

تقدَّمتُ ووقفتُ بجانبها. ارتعش نصل السكين في الهواء بجانبي تماماً. كان كرهي يتلوّى مثل أفعى تدور حول نفسها.

رأيتُ الدمار في عينيّ أمينة وعرفتُ أنني المذنبة، ولا أحد غيري. لو أنني فقط أصغيتُ لتحذيرات ليندا لوكيند. كيف يمكن أن أكون بهذا العماء؟

بعد ذلك ضحك كريس أولسن.

نظرتُ إلى صديقتي الأعز وأخذتُ السكين من يدها.

انضم إلى مكتبة .. .. اضغط اللينك

t.me/t_pdf

من قتل كريستوفر أُولسن، ولماذا؟ في هذه الرواية المثيرة، يتألف الكاتب ماتياس ادفاردسون عبر نصب فخ لجميع أبطال روايته ليكتشف مَن مِن أفراد العائلة دبّر جريمة القتل وليبقى القارئ تائهًا في بحر التخمين، ولتنقلب جميع تخميناته في النهاية رأسًا على عقب، بعد أن تتغير المعادلات وتدخل أصوات جديدة إلى الحلبة ويسلط الضوء على أشخاص كانوا في الظل.

«عائلة شبه طبيعية» رواية مثيرة مبنية بحرفية مذهلة لتطرح أسئلة عديدة: كم نحن على معرفة بشخصية أولادنا؟ إلى أي مدى يمكن أن نذهب لنحمي من نحب؟ وهل هناك مبرر للقتل؟

t.me/t_pdf

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

ISBN: 978-614-01-2704-3
9 786140 127043